المملكة العربية السعودية
الأمانة العامة للاحتفال
بمرور مائة عام على تأسيس المملكة

المملكة العربية السعودية
K.S.A. 100 YEARS
توحيد وبناء

عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي

في العهد السعودي

دراسة تاريخية حضارية

تأليف
الأستاذ الدكتور عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش

صدر هذا الكتاب بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

١٤١٩هـ / ١٩٩٩م

المملكة العربية السعودية
الأمانة العامة للاحتفال
بمرور مائة عام على تأسيس المملكة

عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي

في العهد السعودي

دراسة تاريخية حضارية

تأليف
الأستاذ الدكتور عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش

صدر هذا الكتاب بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

ⓒ الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة
ابن دهيش، عبداللطيف بن عبدالله
عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي في العهد السعودي. ـ الرياض.
٤٨٨ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٨ ـ ٠٢ ـ ٨٨٠ ـ ٩٩٦٠
أ ـ العنوان
ديوي: ٢١٥,١ ٢٢/٥٥٧٦
رقم الإيداع: ٢٢/٥٥٧٦
ردمك: ٨ ـ ٠٢ ـ ٨٨٠ ـ ٩٩٦٠

حقوق الطبع والنشر محفوظة للأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية؛ ويمثلها فيما بعد دارة الملك عبدالعزيز، ولا يجوز طبع أي جزء من الكتاب أو نقله على أية هيئة دون موافقة كتابية من الناشر أو من يمثله فيما بعد، إلا في حالات الاقتباس المحدودة بغرض الدراسة مع وجوب ذكر المصدر.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أمرنا بشكر النّعم، ووعد الشاكرين بمزيدٍ من فضله العَميم، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعدُ:

فإن الله ـ جلَّ وعلا ـ قد أكرمنا في هذه البلاد الطيبة بجمع كلمتنا تحت راية الإسلام الخالدة «لا إله إلا الله محمد رسول الله»؛ فكلمة التوحيد هي الأساس الذي قامت عليه هذه البلاد، واتخذتها شعارًا لها، ومنهجًا لحياتها، وأساسًا لنظامها. أكَّد ذلك الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود حين دخل مدينة الرياض في الخامس من شوال سنة ١٣١٩ هـ؛ استمرارًا للمنهج الذي سار عليه آباؤه وأجداده، المستمدّ من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ.

وقد جاءت فكرة الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على دخول الملك عبدالعزيز مدينة الرياض، وتأسيس المملكة العربية السعودية؛ تأكيدًا لاستمرار المنهج القويم الذي سارت عليه المملكة العربية السعودية، والمبادئ السّامية التي قامت عليها، ورصدًا لبعض الجهود المباركة التي قام بها المؤسِّس الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في سبيل توحيد المملكة عرفانًا لفضله، ووفاءً بحقه، وتسجيلًا لأبرز المكاسب والإنجازات الوطنية التي تحقَّقت في عهده وعهد أبنائه خلال المائة عام، والتعريف بها للأجيال القادمة.

وما الأعمال العلمية التي تُصدرها الأمانة العامة للاحتفال بهذه المناسبة إلا شواهد صادقة على نهضة هذه البلاد الزاهرة، في ظل دوحةِ

علم أصولها ثابتة وفروعها نابتة، تولّى غرسها الملك المؤسس، وتعهّدها من بعده بَنُوه؛ فواصلوا رعايتها حتى امتدّ ظلّها، وزاد ثمرها، فعمّ البلاد خيرُها، وانتفع بها الجميع.

وهذا الكتاب يعنى بالحرمين الشريفين: المسجد الحرام في مكة المكرمة، والمسجد النبوي في المدينة المنورة، ويعرض تاريخ عمارتهما في عصور الإسلام المتعاقبة، ويبين ما لقياه من رعاية واهتمام من ولاة أمر المسلمين إلى أن هيّأ الله قيام الدولة السعودية الحديثة على يد جلالة الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ الذي أمن طرق الحجاج والمعتمرين، وأولى الحرمين الشريفين ما يستحقانه من تطوير وتعمير، وجعل ذلك منهجًا سار عليه أبناؤه البررة من بعده، فتعهدوهما بالعطاء والإعمار حتى وصل الأمر إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله، فشهد الحرمان في ظل رعايته تطورًا لم يسبق له مثيل في التاريخ الإسلامي الزاهر.

ولما في نشر هذا الكتاب من تيسير للباحثين بتوفير المصادر التاريخية الموثوقة في هذا المجال، فقد أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ بطبع هذا الكتاب ونشره بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة.

اللّهم إنا نشكرك، ونتحدث بعظيم نعمتك علينا، وقد وعدتَ الشاكرين بالمزيد، فأدمْها نعمةً، واحفظها من الزوال.

وصلّى الله وسلم وبارك على نبيّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمير منطقة الرياض
رئيس اللجنة العليا ورئيس اللجنة التحضيرية
للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة
سلمان بن عبدالعزيز

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين الذي شرف هذا البلد الأمين، وحماه واصطفاه وجعله أحب البقاع إليه، وجعلنا من سكانه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وأصلي وأسلم على رسول الله ﷺ ولد آدم، الذي فيها ولد وفيها نشأ، وفي أرضها الطاهرة نزل عليه هديه في ذلك القرآن الكريم الذي كان ينزل عليه به جبريل ـ عليه السلام ـ بين فترة وأخرى ، فقام بالدعوة سراً، ثم الدعوة جهراً بالإسلام وتوحيد الله، ونال من الله شرف حمل الرسالة، وكانت مكة أحب البقاع إلى قلبه ﷺ، ثم هاجر إلى المدينة المنورة، حيث أسس مسجده هناك، وأقام أول دولة إسلامية تسير على شرع الله وسنة نبيه المختار ﷺ، واستمر نزول الوحي عليه في طيبة الطيبة حتى وفاته ﷺ في العام الحادي عشر من الهجرة، فأدى الأمانة على خير وجه وأحسنه، ونصح الأمة، فجاءت أمته خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بهدي وشريعة من الله وسنة نبيه المطهرة. وحمل لواء الدعوة من بعده أصحابه الأخيار الأطهار ـ رضوان الله عليهم ـ فجزاهم الله خير الجزاء ، وتتابعت بعد ذلك الحكومات عصوراً متتالية.

وكان من فضل الله وكرمه أن هيأ لهذين البلدين في العصر الحاضر حكومة رشيدة هي حكومة آل سعود التي وضعت نصب عينيها خدمة الحرمين الشريفين وتعميرهما وتوسعتهما، وتقديم أفضل الخدمات

للمواطنين والحجاج والمعتمرين والزوار، مما يشهد به القاصي والداني، ويسجله التاريخ لهذه الحكومة بأحرف من نور.

وتمر الأعوام والسنون، وها نحن نحتفل بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود طيب الله ثراه، ورحمه رحمة واسعة.

وقد وجدت من الواجب عليّ أن أقدم بهذه المناسبة الغالية إسهاماً علمياً متواضعاً أشارك من خلاله في تبصير الأجيال القادمة بالجهود الجبارة التي بذلت من جانب ولاة الأمر في دولتنا الحبيبة لخدمة الحرمين الشريفين وتعميرهما وتوسعتهما، والعناية بهما.

وبما أن الجوانب التي أولتها الدولة اهتمامها كثيرة لا تعد ولا تحصى، فإنني أردت في هذه المناسبة الغالية أن أكتب موضوعاً في مجال تخصصي، فوجدت أن موضوع «عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف في العهد السعودي» من أبرز اهتمامات الدولة التي لا تخدم الوطن والمواطن فحسب، بل تقدم خدمة جليلة لجميع أبناء الأمة الإسلامية في جميع أنحاء المعمورة، ومن أجل ذلك أخذت أجمع ما أستطيع من وثائق ودراسات وتقارير ورسائل علمية وكتب حول موضوع عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف في العهد السعودي الزاهر، فوفقني الله للحصول على مادة علمية جيدة.

وقد شجعني على مواصلة البحث أنني لم أعثر على دراسة علمية متكاملة في هذا الموضوع تشمل الجوانب التاريخية والمعمارية لهذا الموضوع الحضاري المهم.

كما أنني ـ ولله الحمد ـ من المعاصرين الذين شاهدوا معظم أعمال التوسعة السعودية منذ بدايتها حتى الانتهاء من توسعة خادم الحرمين

الشريفين التي تعد بحق مفخرة لكل مسلم عبر الأجيال، فلقد كان من فضل الله عليّ وتوفيقه أنني شاهدت المسجد الحرام والمسجد النبوي قبل التوسعة وخاصة في مكة المكرمة، وكذلك شاهدتهما في أثناء التوسعة السعودية لهما في جميع مراحلها.

لقد كنت من معاصري هذه التوسعة للحرمين الشريفين خطوة بخطوة، ورأيت الجهد الجبار الذي بذل حتى صار المسجد الحرام، وكذلك المسجد النبوي الشريف تحفتين معماريتين رائعتين لا من حيث التصاميم والإنشاءات فقط، بل أيضاً من حيث المساحة الكبرى التي أضيفت إليهما. فكان ذلك دافعاً من الدوافع التي شجعتني وساعدتني على الكتابة في هذا الموضوع المهم الذي يبرز الدور الكبير الذي قامت به الحكومة السعودية من إنجازات عظيمة في سبيل العناية بالحرمين الشريفين، وتوسعتهما، وتعميرهما. ولتأكيد ذلك رأيت أنه لا يمكن إبراز مقدار حجم التوسعة السعودية للحرمين الشريفين من حيث المساحة والتصميم والعمارة ومواد البناء إلا بالمقارنة بينها وبين ما تم في الحرمين الشريفين من توسعات وعمارات سابقة منذ ظهور الإسلام حتى العهد السعودي ليتضح للقارئ الكريم أن المسجد الحرام بمكة المكرمة، والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة لم يشهدا توسعة ورعاية كالتي شهداها في العهد السعودي الزاهر، ولذلك تم اختيار عنوان البحث باسم:

«عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي في العهد السعودي
دراسة تاريخية حضارية»

وقد قسمت هذا البحث إلى بابين؛ خصصت الباب الأول للحديث عن المسجد الحرام بمكة المكرمة، والباب الثاني للحديث عن المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة، ولذلك جاء عنوان **الباب الأول**:

عمارة المسجد الحرام في العهد السعودي

ويحتوي هذا الباب على: تمهيد وأربعة فصول.

تحدثت في التمهيد عن: عمارة المسجد الحرام قبل العهد السعودي وحتى عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م.

وتناولت فيه التعريف بمكة المكرمة، ثم التعريف بالكعبة المشرفة وخصائص البيت الحرام وفضله، ثم تحدثت عن تاريخ عمارة المسجد الحرام من بناء آدم ـ عليه السلام ـ حتى عام الفتح في السنة الثامنة للهجرة. انتقلت بعد ذلك للحديث عن عمارة المسجد الحرام عبر العصور الإسلامية حتى بداية العهد السعودي، أي حتى عامي ١٣٤٣-١٣٤٤هـ، والتي تم خلالهما ضم مكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ ثم المدينة المنورة عام ١٣٤٤هـ للوحدة السياسية والاجتماعية التي أسسها الملك عبدالعزيز وهي المملكة العربية السعودية.

أما **الفصل الأول**: فتحدثت فيه عن:

جهود الملك عبدالعزيز في إعمار المسجد الحرام وتوسعته

ويشتمل هذا الفصل على إلقاء الضوء على حياة الملك عبدالعزيز ونظرته للدولة وجهوده في تحقيق الحلم الكبير في بناء الدولة السعودية، وما قام به ـ يرحمه الله ـ من إصلاحات وترميمات في المسجد الحرام، وإقامة مظلات داخل الحرم المكي الشريف لوقاية المصلين، وإضاءة المسجد بالكهرباء، وتوفير ماء زمزم، وعمل سقف للمسعى وتبليطه، وعدد الحجاج في عهده، ونموذج من جنسياتهم، وتوجيهاته ـ رحمه الله ـ في عمل التصاميم اللازمة لتوسعة المسجد الحرام بمكة المكرمة.

وتحدثت في **الفصل الثاني** عن:

التوسعة السعودية للمسجد الحرام في عهد أبناء الملك عبدالعزيز (الملك سعود والملك فيصل والملك خالد)

ويشمل هذا الفصل نبذة تاريخية عن كل ملك من الملوك الثلاثة، ثم بيان التصاميم والمخططات للمشروع، والمراحل الثلاث التي مرت بها هذه التوسعة، مع إبراز جهود كل ملك منهم في توسعة المسجد الحرام، وتوفير الخدمات المطلوبة داخل المسجد وفي الساحات المحيطة به، وضم المسعى للمسجد بعد إزالة الأبنية المحيطة بالمسجد الحرام، وعمل الحواجز اللازمة لتأمين سلامة الساعين من الحجاج والمعتمرين، وجعل عمارة المسجد الحرام والمسعى من طوابق عدة، بحيث أصبحت تحتوي على دور أقبية ودورين متكررين وأسطح، وعمل السلالم اللازمة للوصول إلى تلك الطوابق بيسر وسلام، مما زاد في مساحة المسجد الحرام أضعافاً مضاعفة. وتبين الدراسة إجمالي مساحة التوسعة الجديدة للمسجد، والتكلفة الإجمالية للمشروع بالبيانات والإحصائيات. ونظراً لاهتمام الدراسة بالجانب المعماري والفني لهذا المشروع العملاق، فقد تم إبراز الخصائص المعمارية لهذا الجانب من التوسعة السعودية الأولى في عهد الملوك الثلاثة رحمهم الله.

وفي **الفصل الثالث** تحدثت عن:

توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز للمسجد الحرام

وتشتمل الدراسة على إعطاء نبذة تاريخية عن حياة الملك فهد ـ حفظه الله ـ وتوليه حكم البلاد، واهتمامه بإعمار المسجد الحرام وتوسعته على أحدث طراز، وبداية مشروع التوسعة التي انطلقت بتحديد منطقة المشروع، وإزالة المباني الموجودة بها، أعقبها مراحل التنفيذ للمشروع حتى نهايته وإنارته وتكييفه وزيادة مآذنه، وإصلاح سطح

المسجد وربطه بالتوسعة السعودية السابقة، وتركيب سلالم كهربائية له، وتوسعة الساحات والشوارع المحيطة بالمسجد الحرام، والمساحة، والتكلفة الإجمالية للمشروع (بيانات إحصائية)، والخصائص المعمارية الحديثة للمشروع، وتاريخ انتهاء العمل فيه.

ويأتي **الفصل الرابع**: ليكون بمثابة تكملة للفصول الثلاثة السابقة وتحدثت فيه عن:

اهتمامات آل سعود بالكعبة المشرفة وكسوتها وبابها وصحن المطاف

وتشتمل الدراسة على نبذة عن عناصر الكعبة المشرفة، والترميمات السعودية التي تمت للكعبة المشرفة، والتي تمثلت في إعادة إعمار سقفي الكعبة المشرفة وداخلها، وصيانة بابها وإصلاحه، ثم تجديده وتذهيبه، وعمل سلم متحرك لتسهيل الدخول إليها، وتوسعة المطاف، وتطوير منطقة مقام إبراهيم، وبئر زمزم، وعمل منبر ومقصورة للإمام متحركة يتم إحضارهما في أيام الجمع والأعياد حتى لا تعيق حركة الطائفين، وعمل سلم مكيف حديث للصعود إلى الكعبة المشرفة عند فتحها، وتكييفها بمكيفات وضعت في أعلى السلم بطريقة حديثة. وتحدثت أيضاً عن إطار الحجر الأسود، وكسوة الكعبة، وستارة الباب والحزام، وبناء مصنع خاص بالكسوة في مكة المكرمة لأول مرة، وتجديده وتحديث معداته كلما لزم الأمر لذلك.

وفي **الباب الثاني** تناولت الحديث عن : الشق الثاني من البحث وهو:

عمارة المسجد النبوي الشريف في العهد السعودي

وجاءت تقسيماته بحيث يحتوي على: تمهيد وأربعة فصول..

وجاء **التمهيد** بعنوان:

تأسيس المسجد النبوي في عهد النبي ﷺ وتطور عمارته حتى عام ١٣٤٤هـ/١٩٣٦م

وتشمل الدراسة الحديث عن موقع المدينة المنورة، وتأسيس المسجد النبوي الشريف على يد رسول الله محمد ﷺ عندما قدم من مكة المكرمة مهاجراً إلى المدينة المنورة، حيث أرسى دعائم الدولة الإسلامية هناك، ومن هذا المسجد انطلق صوت الحق، وسارت الغزوات لنشر الإسلام. وكانت أعداد المسلمين تزداد عاماً بعد آخر، فجاءت توسعة المسجد النبوي وعمارته على يد رسول الله ﷺ في السنة السابعة للهجرة، وتلي ذلك توسعة المسجد النبوي وعمارته في عهد الخلفاء الراشدين، ثم توسعة المسجد النبوي وعمارته في العصرين الأموي والعباسي حتى سنة ٦٥٦هـ، وجاءت بعد ذلك توسعة المسجد النبوي وعمارته في العصرين المملوكي والعثماني حتى العهد السعودي (٦٥٦-١٣٤٤هـ).

أما **الفصل الأول** فعنوانه: «التوسعة السعودية الأولى»، وفيه نتحدث عن ضم المدينة المنورة للدولة السعودية في عهد الملك عبدالعزيز عام ١٣٤٤هـ، وما قام به الملك عبدالعزيز من إصلاحات وترميمات في المسجد النبوي الشريف، ثم البدء بالتوسعة السعودية الأولى لهذا الصرح الإسلامي العظيم التي بدأت في عام ١٣٦٨هـ، وانتهت في عهد ابنه الملك سعود بن عبدالعزيز في عام ١٣٧٥هـ، وكيفية هذه العمارة، ومساحتها، وتكلفتها، وحفل الافتتاح.

أما **الفصل الثاني** فهو بعنوان: «التوسعة السعودية للمسجد النبوي في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله»، وفيه تم الحديث عن عناية الملك فيصل بن عبدالعزيز بالمسجد النبوي وتوسعته (١٣٨٤-١٣٩٥هـ)، وتطرق الحديث هنا إلى اهتمام الملك فيصل بالمسجد النبوي وفرشه،

وتوفير الخدمات فيه، ثم الدراسة والتخطيط لتوسعة ثانية للمسجد النبوي، وما تلا ذلك من تقدير أثمان المباني والمتاجر وإزالتها، ومساحة التوسعة وتجهيزاتها وتظليلها، وتوفير الخدمات بها، ثم إضافة مساحة جديدة لمنطقة الخدمات، ومساحتها.

وننتقل بعد ذلك للحديث عن عناية الملك خالد بن عبدالعزيز - رحمه الله - بالمسجد النبوي وتوسعته منذ توليه الحكم عام ١٣٩٥هـ حتى وفاته عام ١٤٠٢هـ، وفيه نتحدث عن جهود الملك خالد في توفير الخدمات وتطويرها في المسجد النبوي الشريف، وكيف تمت التوسعة الجديدة في عهده، ومساحتها، وتكلفتها، وتوفير الخدمات للمصلين فيها.

أما **الفصل الثالث** فجاء بعنوان: «توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز للمسجد النبوي الشريف»، وفيه تحدثت عن اهتمامات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - حفظه الله - بالمسجد النبوي الشريف منذ توليه الحكم في البلاد، وكيف تم التخطيط الجاد، والدراسة المتأنية والدقيقة لتوسعة المسجد النبوي الشريف تحت إشرافه المباشر، ووضعه لحجر الأساس في شهر صفر من عام ١٤٠٥هـ، ثم تقدير أثمان الدور والمتاجر وإزالتها، ومراحل تنفيذ هذا المشروع الإسلامي الكبير، في الطابق السفلي (الأقبية)، ثم الطابق الأرضي الرئيس حتى تم الانتهاء من الطابق العلوي (الأسطح) الذي أقيمت عليه عدد من القباب المتحركة آلياً ويدوياً، ثم تحدثت عن مداخل المسجد وأبوابه ونوافذه، وعددها، وكيفية تصميمها، والمآذن وارتفاعها، وكيفية بنائها، والمظلات الآلية وطريقة عملها، وكيف تم تحديد مصليات خاصة بالنساء منعاً للاختلاط. وتلا ذلك الحديث عن الساحات المحيطة بالمسجد النبوي، وكيف تمت الاستفادة منها بإنشاء أدوار سفلية

تحتها لمواقف السيارات بأعداد كبيرة، وبناء دورات مياه، ونقاط لشرب الماء البارد بطريقة حديثة، طبقت فيها جميع وسائل السلامة والأمن ومكافحة الحريق، وتم ربطها بنفق تحت الأرض بطول سبعة كيلومترات لتكون في نهايته المحطة المركزية لتبريد المياه الخاصة بالتكييف المركزي، ومولدات الطاقة الكهربائية لإنارة المسجد النبوي الشريف وتكييفه والساحات المحيطة به، وموقف السيارات، والخدمات الأخرى. وتضمنت الدراسة الحديث عن الزخارف التي تميزت بها العمارة السعودية الأولى، والجديد منها في العمارة السعودية الكبرى لمسجد رسول الله ﷺ.

وقد كشفت الدراسة عن حجم التوسعة العملاقة التي قام بها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، وما وفرته من مساحات زادت معها مساحة المسجد النبوي الشريف إلى عشرة أضعاف المساحة السابقة في العمارة السعودية الأولى وما قبلها من عمارات في العصور الماضية. وكانت خاتمة هذا الفصل هو الحديث عن التكاليف الإجمالية للمشروع التي كشفت عن ضخامته، وما بذل من أموال ضخمة في سبيل إنجازه بصورة تليق بمكانة مسجد رسول الله ﷺ في قلب كل مسلم، كما تعكس مدى اهتمام قادة المملكة العربية السعودية بالحرمين الشريفين، وتحقيق الأمن والراحة والرعاية لقاصديهما.

وفى **الفصل الرابع والأخير** من هذا الباب الذي يحمل عنوان: «التجديدات السعودية في العمارة القديمة للمسجد النبوي الشريف»، قمنا بإعطاء نظرة عامة عن العمارة القديمة للمسجد النبوي الشريف ومحتوياتها، وجهود ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية منذ عهد الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ والمتمثلة في صيانة العمارة القديمة،

والمحافظة عليها لكونها تراثًا إسلاميًا عظيمًا، وتلا ذلك الحديث بتفصيل كامل عن محتويات العمارة القديمة، ومنها الحجرة النبوية الشريفة، والقبة الخضراء، والتجديدات في الروضة الشريفة والمنبر، وكيف تم تحديث الإنارة في المسجد القديم وتكييفه وتهويته على أحدث تقنية عالمية، وربطه بمكبرات الصوت، والكاميرات التلفزيونية، لنقل الشعائر مباشرة على الهواء لمختلف بقاع العالم عبر التلفزيون السعودي، والأقمار الصناعية. وانتقلت الدراسة بعد ذلك للحديث عن الأبواب والمآذن، وجملة الإصلاحات في العمارة القديمة للمسجد النبوي الشريف، واستحداث ساحات حوله، ومكتبة كبيرة حديثة.

وجاءت **نتائج الدراسة** لتكون مسك الختام، وتحدثنا فيها عن أهم النتائج التي تم التوصل إليها في هذا الكتاب. فأبرزنا الصفات التي تميزت بها العمارة السعودية في الحرمين الشريفين، والتي جاء إنجازها حلقة مستمرة منذ عهد الملك عبدالعزيز، ومن بعده أبناؤه الملك سعود، والملك فيصل، والملك خالد رحمهم الله، حتى توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ وعمارته، من حيث كبر المساحة، وبراعة التصميم، وسلامة التنفيذ، وجودة مواد البناء المستخدمة في هذه العمارة وحداثتها، والمتمثلة في استعمال الخرسانة المسلحة بالحديد والأسمنت والرخام، واستخدام أحدث أنواع الأخشاب والزجاج البللوري والملون، وتعدد أدوارها، وتوفر الخدمات اللازمة بها من سلالم كهربائية وعادية، ومصاعد، ومواقف سيارات، ودورات مياه، ونقاط شرب الماء المبرد، وإمدادها بالكهرباء لإنارتها بطرق حديثة، وتكييفها وتهويتها، وربطها بشبكة مراقبة لتحقيق الأمن والسلامة والراحة لروادها، وتزويدها بمكبرات الصوت، والكاميرات التلفزيونية لنقل الصلوات مباشرة عبر الأقمار الصناعية للعالم، وخاصة في أيام الحج ورمضان والعيدين. كما تم في التوسعات السعودية

للحرمين الشريفين إحاطتهما بساحات، وميادين عامة، وشوارع واسعة، وعدم التصاقهما بأي مبانٍ، وتطوير المناطق المحيطة بهما بإنشاء مبانٍ حديثة من أدوار عدة، لتقديم خدمات سكنية وفندقية متطورة لقاصدي الحرمين الشريفين من الحجاج والمعتمرين والزوار. وهذه مميزات كبيرة لم تتوافر إلا في التوسعات السعودية، وذلك بتوفيق من الله وعونه لولاة الأمر في المملكة العربية السعودية.

ونظراً لأهمية المصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها في هذا البحث، فإنه تم تزويد البحث بقائمة لها تكشف عن كثرة مصادر المادة العلمية وتنوعها، وتزويد البحث بنماذج من الصور القديمة والحديثة، والرسوم والأشكال الهندسية والمعمارية.

وإنني أشكر كل من قدم لي المساعدة في الحصول على هذه المادة العلمية، وخاصة مكتب مؤسسة ابن لادن السعودية بجدة، الذي زودني بالتفصيلات اللازمة، والمخططات والصور الخاصة بالمشروعين العملاقين في الحرمين الشريفين.

وأقدم خالص شكري وتقديري لصاحب السمو الملكي الأمير سلمان ابن عبدالعزيز آل سعود أمير منطقة الرياض، ورئيس اللجنة العليا للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، وذلك على الموافقة الكريمة لي بالكتابة في هذا الموضوع التاريخي الحضاري المهم.

وكذلك أشكر الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ودارة الملك عبدالعزيز على العناية بمثل هذا الموضوع الذي يتحدث عن مشروعين إسلاميين مهمين في الحرمين الشريفين، وإخراج هذه الدراسة إلى حيز الوجود. والله أسأل التوفيق، وأن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

وبالله التوفيق..

التمهيد

عمارة المسجد الحرام حتى عام (١٣٤٣هـ)

- التعريف بمكة المكرمة.
- التعريف بالكعبة المشرفة.
- خصائص البيت الحرام وفضائله.
- تاريخ عمارة المسجد الحرام من بناء آدم - عليه السلام - حتى عام ٨ هـ.
- تاريخ عمارة المسجد الحرام في العصور الإسلامية حتى بداية العمارة السعودية الأولى.

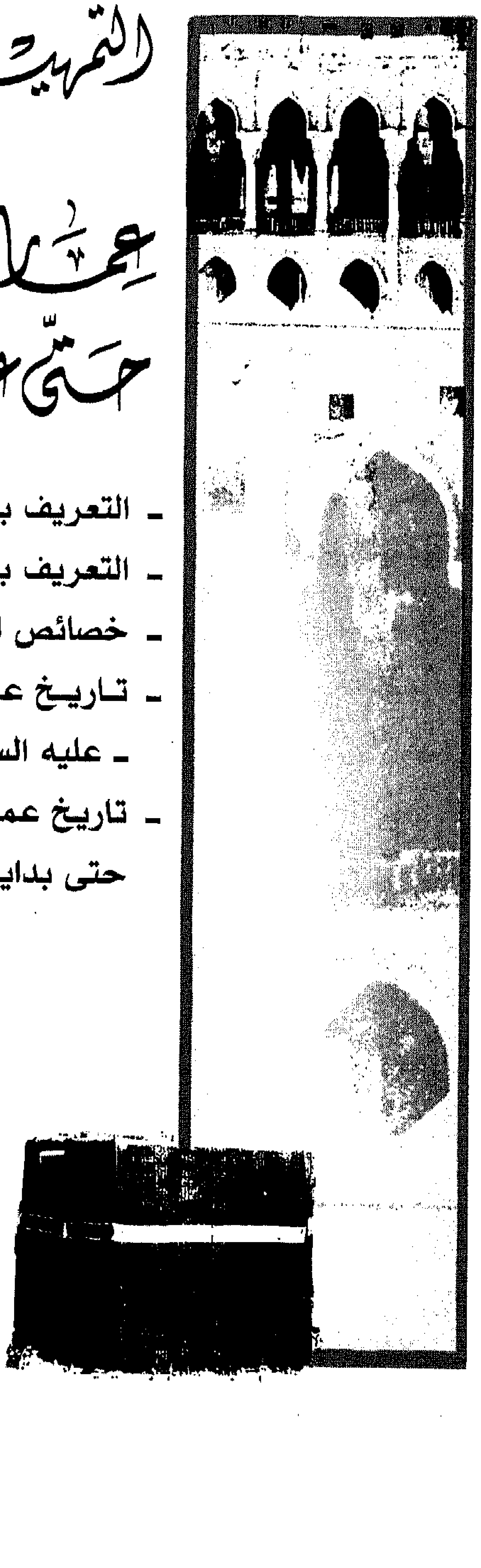

عمارة المسجد الحرام
حتى عام (١٣٤٣هـ)

إن دراسة تاريخ عمارة المسجد الحرام بمكة المكرمة هي بمثابة تقويم حضاري يكشف عن حجم التطور الحقيقي للعمل المعماري الذي ناله الحرم المكي الشريف، والمدارس المحيطة به، على مر العصور منذ بناء آدم ـ عليه السلام ـ للبيت الحرام، وما مر به بناء المسجد الحرام من توسعات وتعمير حتى بداية العهد السعودي ودخول الملك عبدالعزيز مكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ، أملاً في إعطاء هذا المكان المقدس حقه من الدراسة التاريخية والحضارية المعمارية التي يستحقها.

وقبل الحديث عن التطور المعماري للمسجد الحرام بمكة المكرمة، لا بد لنا أن نتعرف على البلد الذي يقع فيه الحرم، ألا وهو مكة المكرمة.

التعريف بمكة المكرمة وأسمائها:

لمكة المكرمة ـ شرفها الله ـ أسماء كثيرة منها: مكة بالميم لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[1]. وبكة بالباء لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٤.

وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾(١).

وأورد الفاسي أن بكة بالباء هو موضع البيت وهو الكعبة، ومكة بالميم موضع القرية، وهو ما يحيط بالكعبة المشرفة(٢). وقيل: إن بكة تشمل البيت والمسجد، ومكة اسم للحرم كله(٣).

ومن أسمائها أيضاً: «البلد» لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾(٤). وقوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾(٥).

وسماها الله تعالى «البلد الأمين» في قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾(٦). ووردت أيضاً باسم «البلدة» في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٧). ومن أسمائها أيضاً «معاد»، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٩٦، ٩٧.

(٢) تقي الدين محمد الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: مصطفى محمد الذهبي (الطبعة الثانية، مكة، مطبعة النهضة الحديثة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، جـ١، ص ٩٥.

(٣) أحمد بن عبد الله محب الدين الطبري: القرى لقاصد أم القرى (الطبعة الثانية، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، ص ٦٥٠.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٣٥.

(٥) سورة البلد، الآيتان: ١، ٢.

(٦) سورة التين، الآيات: ١، ٢، ٣.

(٧) سورة النمل، الآية: ٩١.

﴿هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[١]. وورد اسمها «أم القرى»، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾[٢]. وسميت أيضاً «الوادي» من قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[٣]، و«المسجد الحرام» في قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[٥]. وكان قد أسري برسول الله محمد ﷺ من الحجر، وقيل: من دار أم هانئ بجوار المسجد الحرام. وقال المفسّرون: إنه قد يطلق المسجد الحرام على مكة أو الحرم[٦] بدليل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾[٧]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[٨].

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٢.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٦) إسماعيل بن كثير: تفسير ابن كثير (طبعة المنار بالقاهرة، سنة ١٣٤٦هـ) جـ٥، ص ١٠٦-١٠٧، ومحمد بن أحمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ) جـ٨، ص ١٠٤.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

(٨) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

وأورد تقي الدين الفاسي أسماء عدة لمكة غير التي وردت في القرآن الكريم منها: الحاطمة، وكوتى، والسلام، وصلاح، والقادسة، والمقدسة، والباسة، والناسة، والبساسة، والقرية، وأم رحم، وأم الرحمن، والعريش، والرأس. وجاء بتعريفات لبعضها استقاها من مصادر عدة مما لا يسع المجال هنا لذكرها[(١)].

وقد نظم القاضي أبو البقاء ابن الضياء الحنفي سبعة أبيات جمع فيها من أسماء مكة نحو ثلاثين اسماً هي:

لمكة أسماء ثلاثون عدت
ومن بعد ذلك اثنان منها اسم بكة
صلاح وكوتى والحرام وقادس
وحاطمة البلد العريش بقرية
ومعطشة أم القرى رحم ناسة
ونساسة رأس بفتح لهمزة
مقدسة والقادسية باسة
ورأس وتاج أم كوثى كبيرة
سبوحة عرش أم رحمان عرشنا
كذا حرم البلد الأمين كبلدة
كذا اسمها البلد الحرام لأمنها
وبالمسجد الأسنى الحرام تسمت
وما كثرة الأسماء إلا لفضلها
حباها به الرحمن من أجل كعبة[(٢)]

(١) تقي الدين محمد الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: مصطفى محمد الذهبي، جـ١، ص ٩٣-١٠١.

(٢) محمد بن ظهير: الجامع اللطيف (الطبعة الثالثة، القاهرة، دار الفكر، ١٣٩٢هـ/ =

التعريف بالكعبة المشرفة:

للكعبة المشرفة أسماء كثيرة وردت في القرآن الكريم، وعدّدها الكثير من المؤرخين. قال ابن منظور: «الكعبة: البيت الحرام»[(١)]. وقال ياقوت: «إن أول ما خلق الله في الأرض مكان الكعبة»[(٢)]. وقد ذكرها الله في القرآن الكريم بعدة أسماء فجاءت باسم البيت. وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[(٣)]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[(٤)]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[(٥)]. وقال تعالى أيضاً: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[(٦)]. وقال تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[(٧)]. وقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ

= ١٩٧٢م)، ص ١٦٢، وأحمد بن محمد الأسدي المكي: إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، تحقيق: الحافظ غلام مصطفى (الطبعة الأولى، القاهرة، دار الصحوة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص ٢٠٤، وقد أوردنا الأبيات حسبما وردت في كتاب المكي، وذلك لقيام محقق الكتاب بمراجعة الأبيات على النسخ الخطية والمصادر الأخرى وتصويبها كما أشار إلى ذلك في ص ٢٠٤، هامش (١) و(٣) من الكتاب المذكور آنفاً.

(١) ابن منظور: لسان العرب (طبعة دار صادر، بيروت ب ت)، جـ١، ص ٧١٨.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان (حرف الكاف والعين)، (طبعة دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م) جـ٤، ص ٤٦٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٦.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

(٦) سورة الحج، الآية: ٢٦.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

﴿هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾(٣). وسماها الله تعالى «الكعبة»، و«البيت الحرام»، و«البيت المحرم» في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ . . .﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾(٦)، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾(٧).

وورد اسم الكعبة المشرفة في القرآن بالبيت العتيق، والبيت المعمور في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾(٨)، وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾(٩)، وقوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾(١٠).

ومن هذا يتضح لنا أن للكعبة المشرفة عدة أسماء وردت في القرآن الكريم في مواضع عدة، وأنها قبلة كل مسلم في كل أنحاء المعمورة،

(١) سورة قريش، الآية: ٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٩٧.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٩٥.
(٦) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.
(٧) سورة المائدة، الآية: ٢.
(٨) سورة الحج، الآية: ٢٩.
(٩) سورة الحج، الآية: ٣٣.
(١٠) سورة الطور، الآيات: ١-٤.

يتجه إليها المسلمون في صلاتهم خمس مرات في اليوم والليلة، قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾(١)، كما أن على كل مسلم ومسلمة حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾(٢)، مع القيام بمناسك الحج الأخرى طلباً للعفو والمغفرة من الله، ولأداء ركن من أركان الإسلام الخمسة وهو الحج.

جغرافية مكة:

يتخذ عمران مكة المكرمة في الوقت الحاضر شكل هلال يميل إلى الاستطالة، ويتجه جانباه نحو سفوح جبل قعيقعان، وهي على هذا النحو تبدو وقد ضيقت عليها سلسلتان مزدوجتان من التلال، فإلى الشرق يمتد جبل أبي قبيس، وإلى الغرب يحدها جبل قعيقعان، وتقع مكة على خط عرض (٢١,٢٥,٢٠) درجة، وخط طول (٣٩,٤٩,٣٥) درجة(٣).

ومكة تقوم في بطن وادٍ هو وادي إبراهيم عليه السلام، ويقع المسجد الحرام والكعبة المشرفة في بطنه، وتشرف عليها الجبال من جميع النواحي دائرة حول الكعبة، وكانت المناطق المنخفضة نسبياً في الساحات المحيطة بمكة تسمى البطحاء، وكل ما نزل عن الحرم يسمونه المسفلة، وما ارتفع يسمونه المعلاة(٤). وترتفع مكة حوالي ٢٧٧م عن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٣) الجمعية الجغرافية السعودية: دليل المواقع الجغرافية في المملكة العربية السعودية (الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ)، موضع مكة المكرمة.

(٤) أحمد أبو الفضل: مكة في عصر ما قبل الإسلام (طبعة دارة الملك عبدالعزيز) رقم ١٠، ص ٣٦-٣٧.

مستوى سطح البحر، وتعد مدينة جدة الميناء الرئيس لمدينة مكة، وتبعد عنها حوالي ٧٥ كم[١].

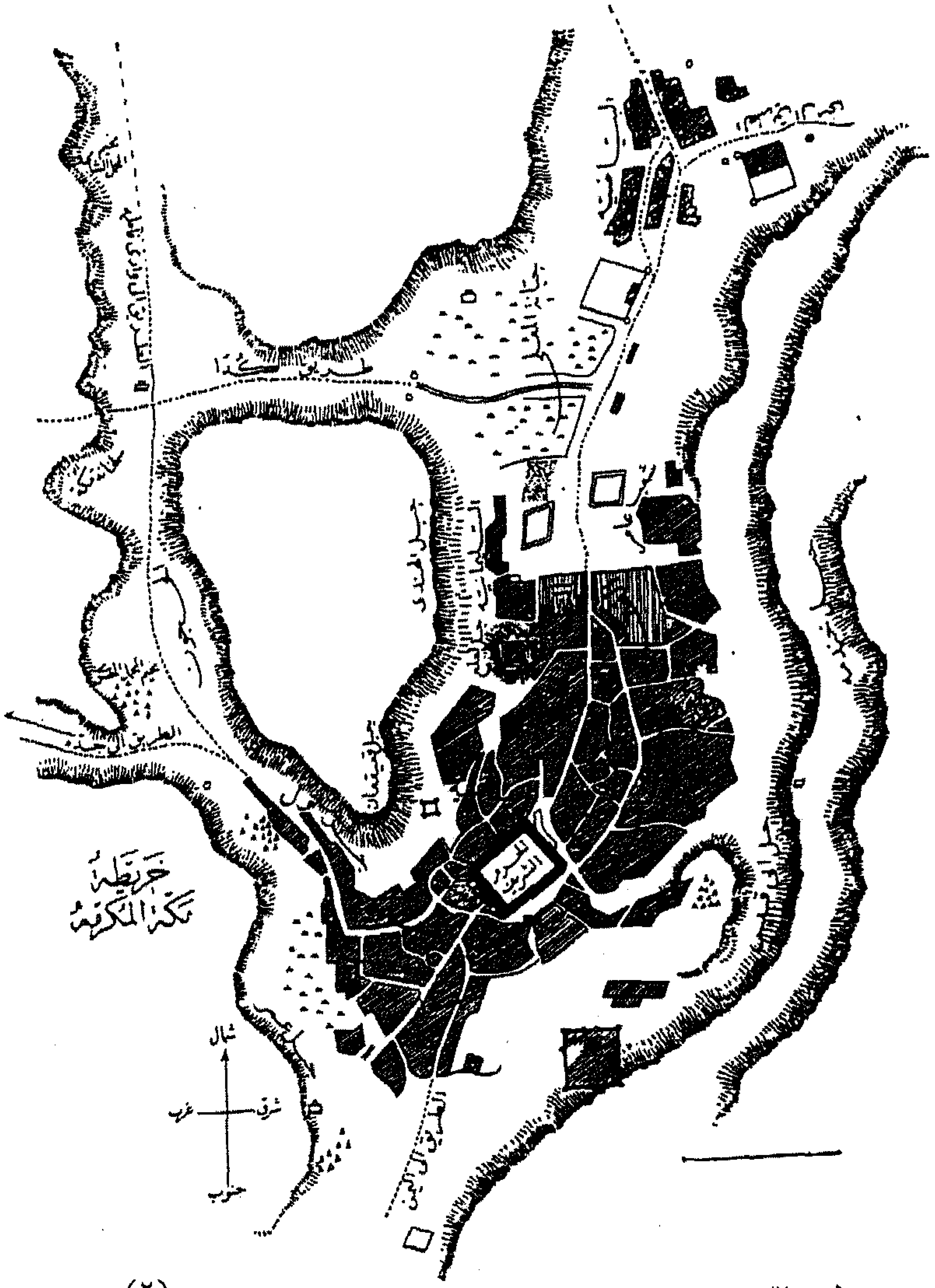

خريطة مكة المكرمة في مطلع القرن الرابع عشر الهجري[٢]

---

(١) وزارة الشؤون البلدية والقروية: مكتب تخطيط وتنمية مكة المكرمة ، التقرير الثالث، المشروع ٢٠٨، رجب ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، ص ٦.

(٢) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ص ١٧٩.

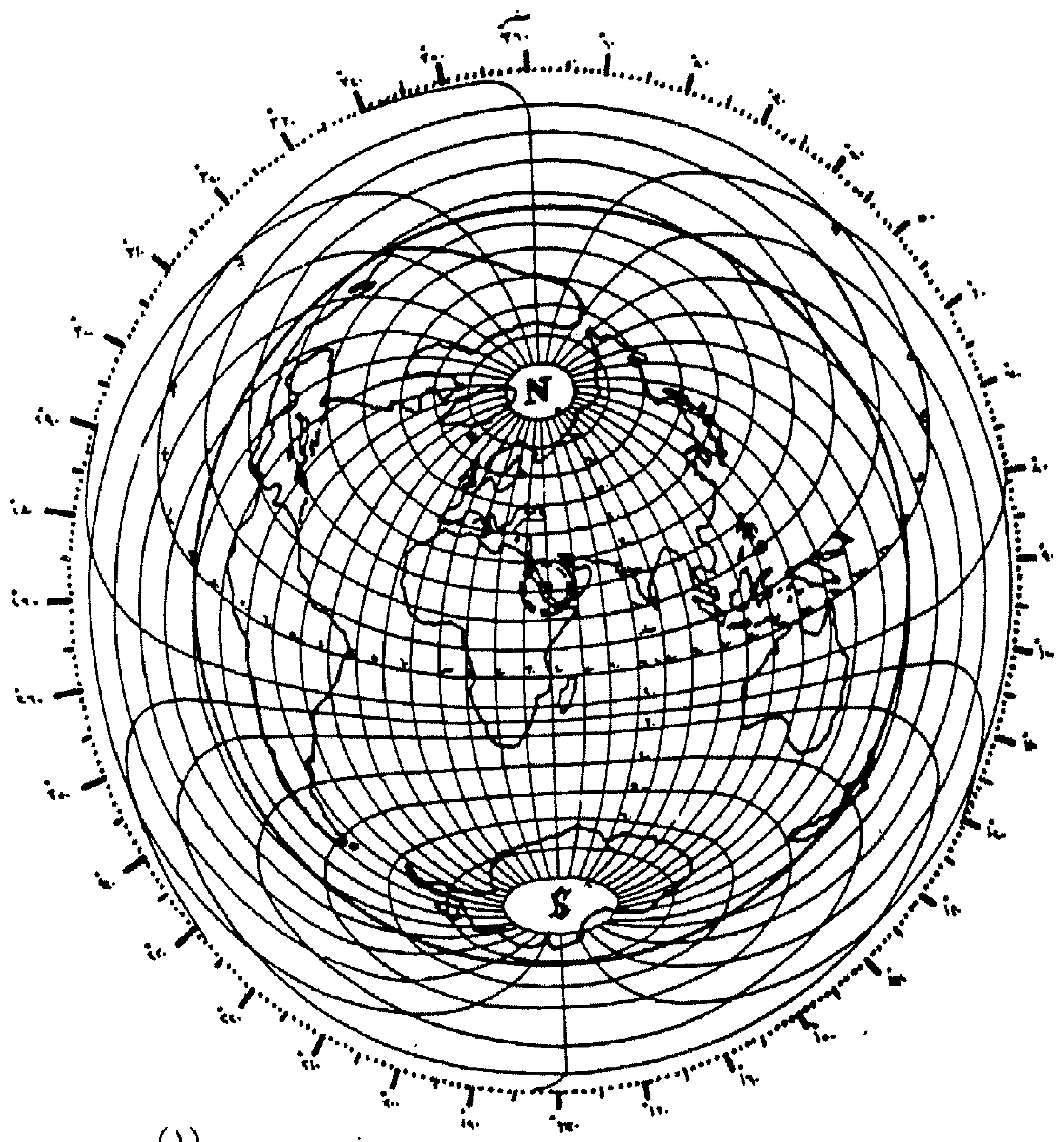

مكة المكرمة: في الإسقاط المساحي الفلكي هي مركز العالم(١)

خصائص البيت والبلد الحرام:

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ اصطفى البلد الحرام مكة المكرمة بأن جعل فيها مناسك عبادته، وأوجب الإتيان إليها من كل مكان في المعمورة، قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾(٢)، فلا يدخلونها إلا متواضعين متخشعين متذللين،

(١) د. سعد المرصفي: الكعبة مركز العالم، ص ١٨٣.

(٢) سورة الحج، الآية: ٢٧.

كاشفي رؤوسهم، متجردين عن لباس الدنيا إلا ملابس الإحرام للرجال. ويقصد عباد الله البيت الحرام وقد امتلأت قلوبهم بالرهبة من عظمة الله وقوته، مهللين مكبرين ابتغاء مرضاة ربهم في وحدانية لله وحده، ورغبة في رحمته وعفوه وكرمه، لا يذكرون في دعائهم إلا الله، ولا يهتفون لأحد سواه، استجابة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾(٢). وقد كفلَ الله ـ تعالى ـ لعباده في هذا المكان الطاهر الرزق، قال تعالى: ﴿... أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣).

وجعل الله البيت والبلد الحرام حرماً آمناً، لا يسفك فيه دم، ولا تعضد به شجرة، ولا ينفر له صيد، ولا يختلى خلاه، ولا تلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف فقط، وجعل قصده مكفِّراً لما سلف من الذنوب، ماحياً للأوزار، حاطاً للخطايا(٤). قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾(٥). وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام

(١) سورة النمل، الآية: ٩١.

(٢) سورة قريش بكاملها.

(٣) سورة القصص، الآية: ٥٧.

(٤) أبو البقاء محمد بن أبي الضياء الحنفي: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المشرفة، تحقيق علاء إبراهيم الأزهري و أيمن نصر الأزهري (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ)، ص ١.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٢.

بحرمة الله إلى يوم القيامة . . .» الحديث[١]. ومن خصائص هذا البلد الأمين مضاعفة الأجر والثواب لمن أحسن فيه، وتوعد الله من أراد به سوءًا أو حتى همّ بعمل ما حرّم الله بالعذاب الأليم، فقال جل من قائل: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[٣].

كما ورد أيضاً في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه»[٤]. وليس لقاصده للعبادة الخالصة لله كالحج والعمرة من الأجر ثواب دون الجنة، ففي السنن عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب دون الجنة»[٥]. وفي معناها ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[٦]. وثبت عن النبي ﷺ أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: ج٢، ص ٩٨٦، في كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها.

(٢) سورة الحج، الآية: ٢٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٤) أخرجه الترمذي: جـ ٣، ص ١٧٦، رقم ٨١١، كتاب الحج في ما جاء في ثواب الحج عن أبي هريرة مرفوعاً وابن عدي. انظر: الكامل ٤/١٣٢٦.

(٥) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب فضائل الحج المبرور، حديث (١٥٢١ - فتح)، ومسلم: كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، حديث (١٣٥٠)، واللفظ لمسلم.

(٦) أخرجه أحمد في المسند: ١/٣٨٧، والترمذي: كتاب الحج، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة حديث (٨١٠)، والنسائي: كتاب الحج، باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة: ٥/١١٥.

فعن عبد الله بن الزبير عن النبي ﷺ أنه قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة ألف صلاة»[(١)].

ومن خصائص مكة المكرمة أن بها الكعبة قِبلة المسلمين جميعاً، فليس على وجه الأرض قبلة غيرها، يتجه إليها المسلمون في صلاتهم آناء الليل والنهار، لأداء ركن من أركان الإسلام الخمسة وهي الصلاة استجابة لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(٢)]. ومما اختصت به أيضاً أن بها المسجد الحرام أول مسجد وضع في الأرض. كما ورد في الصحيحين عن أبي ذرّ قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض؟ فقال: «المسجد الحرام. قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عاماً». فإن الذي أسس المسجد الأقصى هو نبي الله يعقوب بن إسحاق عليه السلام، وكان بينه وبين بناء إبراهيم ـ عليه السلام ـ هذا المقدار، والله أعلم[(٣)].

ومما يدل على فضل مكة المكرمة أن الله ـ تعالى ـ أخبر أنها أم القرى، فالقرى كلها تبع لها وفرع عليها، وهي أصل القرى، فيجب ألا يكون لها في المدن والقرى عديل أو بديل.

ومن خصائصها: أنه لا يجوز دخولها - لغير أصحاب الحوائج المتكررة - إلا بإحرام، على أحد القولين للشافعي وأحمد[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العمرة، باب وجوب العمرة حديث (١٧٧٣- فتح)، ومسلم: كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة حديث (١٣٤٩).

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) رواه مسلم في مختصر صحيح مسلم: للحافظ المنذري، ص ٦٩-٧٠، وفي الجامع الصحيح المختصر: ٣/١٢٣١، وصحيح مسلم: ١/٣٧٠، والأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص٦٣.

(٤) أبو البقاء محمد بن أحمد، تاريخ مكة والمدينة والمسجد الحرام والمسجد النبوي: ص ٣٠٢.

تاريخ بناء الكعبة المشرفة
من بناء آدم عليه السلام حتى عام ١٤٢٦هـ

الكعبة المشرفة أول أثر معماري عرفته البقعة المقدسة الطاهرة التي يقوم عليها المسجد الحرام، بل عرفه بلد الله الأمين مكة المكرمة.

وتجدر الإشارة إلى أن العمارة الأولى للبيت الحرام كانت على يد خليل الله ونبيه أبي الأنبياء وابنه إسماعيل عليهما السلام، وسبق تلك العمارة أكثر من بناء للكعبة الشريفة، فلقد ورد أن أول بناء لبيت الله الحرام في مكة الطاهرة بناء الملائكة للكعبة، وذلك قبل بناء آدم عليه السلام.

وعن بناء الملائكة للبيت الحرام ذكر الأزرقي: «أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعث الملائكة وأمرهم ببناء بيت له في الأرض، فقال لهم: ابنوا لي بيتاً في الأرض على مثال البيت المعمور وقدره، ففعلوا، وأمر الله ـ سبحانه ـ من في الأرض أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور[1]، وأن هذا كان قبل خلق آدم، وقبل خلق الأرض بألفي عام»[2].

---

(١) محمد الأزرقي: أخبار مكة، تحقيق: رشدي ملحس (ط ٤، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٩م)، جـ ١، ص ٣٤.

(٢) أحمد المكي: إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، تحقيق: الحافظ غلام مصطفى (الطبعة الأولى، القاهرة، دار الصحوة للنشر، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، ص ١١٨.

وأضاف الأزرقي : « أن البيت الذي بوأه الله ـ تعالى ـ لآدم ـ عليه السلام ـ كان يومئذ ياقوتة من يواقيت الجنة، وكان له بابان؛ أحدهما شرقي، والآخر غربي، وكان فيه قناديل من نور آنيتها ذهب من تبر الجنة، وهو منظوم بنجوم من ياقوت أبيض، والركن يومئذ نجم من نجومه، وهو يومئذ ياقوتة بيضاء»(١).

فلم يزل البيت ياقوتة حتى كان زمن الغرق أيام نوح عليه السلام، فرفعها الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى السماء، واستودع الله ـ عز وجل ـ الركن من جبل أبي قبيس(٢).

وأورد الأزرقي: أن مكان البيت الحرام خفي بسبب الغرق فيما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام، وكان موضعه أكمة حمراء يتعبد عندها الناس، حتى بوأ الله مكان البيت لإبراهيم عليه السلام(٣). قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾(٤). وهنا جاء إبراهيم عليه السلام وسكن فيه ومعه أهله، وكانت مكة آنذاك واديًا لا زرع فيه، فدعا إبراهيم ربه .. قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾(٥). وقد استجاب الله ـ تعالى ـ لدعوة إبراهيم عليه السلام، وأخرج له ماء زمزم، وأمره ببناء البيت الحرام هناك ليكون

---

(١) الأزرقي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٠-٤١.

(٢) الأزرقي: أخبار مكة، تحقيق: رشدي ملحس (ط ٤، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٩م)، جـ ١، ص ٥١.

(٣) المصدر السابق نفسه، جـ ١، ص ٥٣.

(٤) سورة الحج، الآية: ٢٦.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

مكاناً لعبادة الله وحده؛ قال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾(١).

وقد بيّن الله ـ تعالى ـ لنا في القرآن الكريم كيفية بناء إبراهيم وولده إسماعيل - عليهما السلام - للكعبة المشرفة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٢).

ويضيف الأزرقي: أن بناء الكعبة المشرفة كان بالحجارة التي كانت الملائكة تأتي بها إلى إبراهيم من جبال عدة. وقد أورد لنا تفصيلاً عن ذرع الكعبة المشرفة وارتفاعها وصفتها، فقال: إن إبراهيم ـ عليه السلام ـ جعل طول البيت الحرام في السماء تسعة أذرع، وطوله من الركن الأسود إلى الركن الشامي الذي عند الحجر من وجهه اثنين وثلاثين ذراعاً، وجعل عرضه ما بين الركن الشامي إلى الركن الغربي الذي فيه الحجر اثنين وعشرين ذراعاً، وجعل طوله من الركن الغربي إلى الركن اليماني واحدًا وثلاثين ذراعاً، وجعل عرض شق البيت اليماني من الركن الأسود إلى الركن اليماني عشرين ذراعاً(٣)، كما جعل لها ركنين فقط هما: الركن الأسود، والركن اليماني، ولم يجعل لها أركان من جهة الحِجر، بل جعل ما يحيط بالحجر مدوراً على شكل نصف دائرة، ولذلك سميت الكعبة، وجعل بابها بالأرض غير مبوب(٤).

أما بالنسبة للحجر الأسود فكان قد استودعه الله ـ عز وجل ـ في جبل أبي قبيس زمن الغرق في عهد نوح ـ عليه السلام ـ، وعندما كان

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

(٣) الأزرقي: أخبار مكة، جـ١، ص ٦٤. وانظر أيضاً: عبدالقدوس الأنصاري: الكعبة المشرفة قبل الإسلام (الطبعة الأولى، جدة، مطابع الروضة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م)، ص ٢٥-٢٦.

(٤) المصدر السابق نفسه، جـ١، ص ٦٤.

إبراهيم وابنه إسماعيل ـ عليهما السلام ـ يبنيان الكعبة، جاء به جبريل ـ عليه السلام ـ ووضعه في مكانه المحدد له في الركن الشرقي من الكعبة المشرفة، وكان الحجر يتلألأ تلألؤاً شديداً من شدة بياضه، فأضاء نوره جميع الجهات، فكان نوره يضيء إلى منتهى أنصاب الحرم في كل ناحية من نواحي الحرم(١).

ويتضح لنا من هذا البناء أن بناء إبراهيم وابنه إسماعيل ـ عليهما السلام ـ للكعبة المشرفة كان بالحجارة دون غيرها، وأنها لا باب لها ولا قفل ولا سقف، وجاء بناؤهما للكعبة في الموضع الذي حدده الله لهما، وأنهما قاما بعد بناء الكعبة بالطواف حولها، والتعبد إلى الله عندها حمداً وشكراً لله تعالى(٢).

وقد استمر بناء البيت الحرام في هيئته وعظمته حتى قامت كل من قبيلتي العمالقة وجُرهم بتجديد عمارته، وهذه العمارة ثابتة تاريخياً، وأما كيفية البناء فهو غير محقق(٣)، وهذا الأمر لم يفصِّله المؤرخ الأزرقي بل أورده سريعاً. والواضح أن جُرهم حكمت مكة فترة من الزمن، وتولت الحجابة، وفي عهدها جاء سيل عظيم فدخل الكعبة فهدمها، فأعادت جُرهم بناء البيت مثل بناء إبراهيم عليه السلام، وبقي كذلك حتى عهد خزاعة(٤).

وفي أثناء حكم خزاعة يذكر ابن كثير أن قبيلة خزاعة حكمت مكة المكرمة وما حولها نحوًا من ثلاثمائة سنة، وقيل: خمسمائة سنة، ظلت خلالها ولاية البيت وشؤون مكة المكرمة في يد زعماء هذه القبيلة(٥).

(١) المصدر نفسه، جـ ١، ص ٦٥.
(٢) المصدر نفسه، جـ ١، ص ٦٦-٦٧.
(٣) عبدالقدوس الأنصاري: المرجع السابق، ص ٢٨.
(٤) الأزرقي: أخبار مكة، جـ ١، ص ٨٦.
(٥) الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية (الطبعة الثانية، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٧٧م)، جـ ٢، ص ١٨٧.

ويظهر أن خزاعة لم تقم بعمارة البيت الحرام أو ترميمه طيلة عهد حكمها الطويل لمكة(١). وقد استمر الحال كذلك حتى عهد قريش.

وفي عهد قريش لقيت الكعبة المشرفة كل عناية واهتمام، وخاصة في عهد زعيمها قصي بن كلاب الذي قام بتجديد بناء الكعبة، وكان سبب هذه العمارة الحريق الذي شبّ بالكعبة على أثر تجميرها ـ أي تبخيرها ـ من امرأة قرشية، ثم أعقب ذلك هطول أمطار غزيرة، ودخول السيل للكعبة، فأحدث ذلك الحريق ثم السيل أضراراً كبيرة أدت إلى إضعاف جدران الكعبة(٢)، فاضطرت قريش للنظر في الأمر والتشاور في هدم الكعبة وإعادة بنائها من جديد. وقد قام قصي بن كلاب بجمع النفقة لذلك، وقام ببنائها بناية حسنة لم تبن مثلها من قبل(٣)، وسقَفَها بخشب الدوم وجريد النخل، وزاد في ارتفاعها تسعة أذرع أخرى، حيث أصبح علوها ثمانية عشر ذراعاً، وجعل لها ميزاباً يسكب الماء في الحِجر(٤).

ويصف لنا الأزرقي طريقة بناء الكعبة وشكلها فيقول: إن قريشاً بنوا الكعبة حتى ارتفاع أربعة أذرع وشبر من الحجارة، ثم وضعوا بابها مرتفعاً عن الأرض أربعة أذرع، ثم رفعوا جدارها بعد ذلك، ووضعوا لها سقفاً خشبياً مسطحاً، وجعلوا فيها من الداخل ست دعائم في صفين، في كل صف ثلاث دعائم، من الشق الشامي الذي يلي حِجر

(١) عبدالقدوس الأنصاري: المرجع السابق، ص ٣٠.

(٢) تقي الدين محمد الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، (الطبعة الثانية، مكة، مطبعة النهضة الحديثة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ص ١٨٣.

(٣) حسين باسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة (الطبعة الثانية، القاهرة، دار مصر للطباعة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ص ٦٣.

(٤) عبدالقدوس الأنصاري: التاريخ المفصل للكعبة المشرفة قبل الإسلام، ص ٣٣ ـ ٣٥.

إسماعيل إلى الشق اليماني، وجعلوا ارتفاعها من خارجها من الأرض إلى أعلاها ثمانية عشر ذراعاً، وكان ارتفاعها قبل ذلك تسعة أذرع، فزادت قريش ارتفاعها في السماء تسعة أذرع أخرى، وكانوا يبنونها من أسفلها إلى أعلاها بمدماك من حجارة ومدماك من خشب، وكان الخشب خمسة عشر، والحجارة ستة عشر مدمكاً، وجعلوا ميزابها يسكب في حِجر إسماعيل عليه السلام، وفي الركن الشامي من الكعبة جعلوا درجاً يصعد منه إلى أعلاها، وزينوا سقفها وجدرانها من بطنها ودعائمها بصور الأنبياء، وصور الشجر، وصور الملائكة، وظلت هذه الصور حتى أمر الرسول ﷺ بإزالتها بعد فتح مكة في العام الثامن من الهجرة[١]؛ لأن ذلك منافٍ للإسلام.

ويضيف الأزرقي: أن بناء قريش لم يكن على دعائم أو قواعد إبراهيم عليه السلام، فقد زادت فيه قريش في ارتفاع الكعبة تسعة أذرع، ونقصت من عرضها ستة أذرع دخلت ضمن حِجر إسماعيل[٢].

وفي الجدول رقم (١) نستطيع أن نبرز الفروق المعمارية بين بناء قريش وبناء الخليل وولده إسماعيل عليهما السلام.

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة، جـ ١، ص ١٦٣-١٦٥.

(٢) المصدر السابق، جـ ١، ص ١٦٣.

جدول رقم (١): من إعداد المؤلف، يوضح الفروق بين بناء قريش وبناء الخليل وولده إسماعيل عليهما السلام

مسلسل	أوجه الفروق	بناء إبراهيم عليه السلام	بناء قريش
١	الارتفاع	٩ أذرع	١٨ ذراعًا
٢	العرض: الضلع الشرقي	٣٢ ذراعًا	٢٦ ذراعًا
	الضلع الغربي	٣١ ذراعًا	٢٥ ذراعًا
	الضلع الشمالي	٢٠ ذراعًا	٢٠ ذراعًا
٣	باب الكعبة	كان مساوياً للأرض	كان مرتفعًا أربعة أذرع
٤	سقف الكعبة	بدون سقف	سقف من الخشب يستند على أعمدة

وكان بناء قريش للكعبة المشرفة في حياة رسول الله ﷺ، وقد شاركهم ﷺ في هذا البناء وسنّه حينئذ خمس وثلاثون سنة على الأشهر، وقيل: خمس وعشرون سنة(١)، كما أنه حسم الخلاف حول من يضع الحجر الأسود في موضعه حتى رضوا بأول داخل، فكان رسول الله ﷺ أول داخل للمسجد، فجعل الحجر في ثوبه، وأمسكت كل قبيلة بطرف من أطرافه، ثم وضعه بيده الشريفة في موضعه، وكان ذلك قبل بعثته ﷺ(٢).

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام، جـ ١، ص ١٨٢-١٨٤.

(٢) الأزرقي: أخبار مكة، جـ ١، ص ١٦٤، وأحمد المكي: إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، ص ١٣١.

وفي عهد عبد المطلب جد النبي ﷺ وجدت الكعبة المشرفة والمسجد الحرام كل عناية واهتمام؛ فلقد قام بإعادة حفر بئر زمزم بعد أن غارت مياهها، مما وفر المياه الغزيرة لسكان مكة المكرمة، أو القادمين إليها، وهذا جعل الناس يفدون إليها بأعدادٍ كبيرة لعبادة الله، وطلب عفوه ومغفرته، فأصبحت مكة بجانب مكانتها الدينية محطاً للقوافل التجارية بين الشام واليمن في رحلتي الشتاء والصيف(١).

وفي عهد عبدالمطلب أيضاً حاول أبرهة الحبشي هدم الكعبة بغرض صرف نظر العرب عن الكعبة إلى كنيسة (القليس) التي بناها باليمن، ولكن الله أباد أبرهة وجيشه، وقد صور القرآن الكريم هذه الواقعة أعظم تصوير في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾(٢).

(١) الفاكهي: أخبار مكة، تحقيق الدكتور عبدالملك بن دهيش (الطبعة الثالثة، مكة ـ مطبعة النهضة الحديثة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) جـ٢، ص ١١ ـ ١٩.

(٢) سورة الفيل، الآيات: ١-٥، وانظر ما أورده الطبري في تاريخ الأمم والملوك، (طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م)، جـ١، ص ٩٢٥ ـ ٩٣٠.

تاريخ عمارة المسجد الحرام
في العصور الإسلامية حتى العصر السعودي

المسجد الحرام وتوسعته حتى نهاية العصر الأموي:

وقد استمرت أحوال مكة المكرمة والبيت الحرام على ما كانت عليه حتى بعث الله نبينا محمد ﷺ بالإسلام، والذي بدأ بالدعوة إلى الإسلام سراً، ثم أمره الله ـ تعالى ـ بالدعوة جهراً. وكانت سور القرآن وآياته تنزل على نبينا محمد ﷺ، تبين له أحكام الدين الإسلامي وشريعة الله في أرضه، فأخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، استجابة لدعوة الله خالق هذا الكون ومدبره، فانتشر الإسلام بين الناس، مما جعل أعداء الإسلام يعملون على محاربة هذا الدين وكل من أعلن إسلامه، فلقي المسلمون الأوائل كل أذى من مشركي قريش وغيرهم ممن نصبوا أنفسهم لمحاربة الإسلام، فهاجر الكثير من المسلمين إلى الحبشة فراراً بدينهم، كما أن النبي ﷺ لقي المتاعب والمصاعب الكثيرة من مشركي قريش وأعوانهم، ولكنه صبر واستمر في دعوته للإسلام، استجابة لدعوة الله، وبتوفيق من رب العزة والجلال، فلقد حوصر ﷺ في مكة المكرمة، وأدميت قدماه الشريفتان في الطائف، وأنجاه الله ممن تآمروا على قتله قبل هجرته للمدينة المنورة التي جاءت بتوجيه من الله وعونه. وكان النبي ﷺ يؤدي صلواته جهراً في المسجد الحرام بمكة المكرمة، وكذلك كان يفعل من معه ممن دخلوا في الدين الإسلامي، كما أنه كان

ﷺ يجلس في المسجد الحرام فيأتيه الناس ويستفتونه في أمور دينهم ودنياهم[١].

ولم يكن للمسجد الحرام آنذاك أي سور يحيط به، بل كانت منازل قريش وأهل مكة تحيط بالكعبة المشرفة من كل جانب، وكانت تتخللها الطرقات الضيقة التي تمر بين البيوت[٢]، وإلى البيت العتيق يتجه الناس للطواف به والدعوة إلى الله بالرحمة والمغفرة. ومن على جبل أبي قبيس كان بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ يصدع بالأذان، يدعو الناس إلى الصلاة.

وبعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، طيبة الطيبة الطاهرة، أقام هناك مسجده، المسجد النبوي الشريف، كما أسس مسجد قباء، وأقام الدولة الإسلامية هناك، وسيّر الغزوات لنصرة الدين الإسلامي. وكان يصلي بأمر من الله إلى بيت المقدس حتى ظهر يوم الثلاثاء الخامس عشر من شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة، حيث كان يصلي النبي ﷺ في المسجد الذي سمي فيما بعد بمسجد القبلتين صلاة الظهر، فأُمر وهو في الصلاة باستقبال الكعبة المشرفة وهو راكع في الثالثة، فاستدار واستدارت معه الصفوف خلفه ﷺ، فأتمَ الصلاة وهو مستقبل الكعبة المشرفة، فسمي ذلك المسجد بـ «مسجد القبلتين»[٣]، وبهذا تحولت القبلة إلى الكعبة المشرفة.

وفي السنة الثامنة من الهجرة تقدم النبي ﷺ إلى مكة وقام بفتحها، ودخل المسجد الحرام، واتجه إلى الكعبة المشرفة، وكانت تحيط بها

---

(١) أبو الحسن علي الندوي: السيرة النبوية (الطبعة الأولى، جدة، دار الشروق، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ص ٩٢.

(٢) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف (الطبعة الثالثة، مكة، مكتبة الثقافة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ص ١٩٧.

(٣) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ٢٢ ـ ٢٣.

الأصنام من كل جانب، وقد شدت بالرصاص، فجعل النبي ﷺ يشير إليها بقضيب يحمله في يده الكريمة[(١)] ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[(٢)]، فما أشار إلى أي صنم منها في وجهه أو ظهره إلا وقع إلى ظهره حتى أزالها جميعاً. ثم إن هذه الأصنام جمعت وكسرت وأخذت إلى خارج المسجد وأحرقت[(٣)]، وفي ذلك يقول فضالة ابن عمير بن الملوح الليثي في ذكرى يوم الفتح:

أو ما رأيت محمداً وجنوده
بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت نور الله أصبح بيِّنا
والشرك يغشى وجهه الإظلام[(٤)]

وقد واصل النبي ﷺ طوافه بالكعبة المشرفة سبعاً على راحلته، فلما قضى من طوافه دعا عثمان بن طلحة وفتح الكعبة المشرفة ودخلها، فوجد بداخلها صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وفي أيديهما الأزلام، فقال رسول الله ﷺ: «قاتلهم الله، أما والله قد علموا أنهما لم يستقيا بها قط»، فأمر بطمس الصور التي بها، فطمست، ثم عاد ودخل البيت العتيق فصلى فيه ركعتين وكبّر في نواحيه، ووحّد الله تعالى[(٥)]. وبذلك كان فتح مكة تطهيراً للكعبة والمسجد الحرام من الشرك والأوثان، ونصراً للحق على الباطل، وتوحيدًا لله تعالى في عبادته لا شريك له.

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية (الطبعة الأولى، القاهرة، شركة الطباعة الفنية المحدودة، ١٩٧٤م)، جـ ٤، ص ٤٤.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨١.
(٣) ابن هشام، المصدر السابق، جـ٤، ص ٤٤، ٤٧.
(٤) الأزرقي، أخبار مكة، جـ ١، ص ١٢١.
(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، مصدر سابق، جـ ٤، ص ٤١-٤٤.

وعندما خرج النبي ﷺ من الكعبة المشرفة استدعى عثمان بن طلحة وسلمه مفتاح الكعبة وقال له: «خذوها يا بني عبدالدار خالدة تالدة إلى يوم القيامة، لا ينزعها منكم إلا ظالم»(١).

وخلال إقامته في مكة أمر النبي ﷺ بكسوة جديدة للكعبة، فكسيت بالثياب اليمانية(٢)، وكان أول من كسا الكعبة قبل الإسلام هو أسعد أبو كرب ملك حمير، وكان ذلك قبل الهجرة النبوية بحوالي قرنين من الزمان(٣)، كما أن قريشاً كانت تكسو الكعبة بالثياب والبرد اليمانية الغليظة، والثياب المصنوعة من رقيق النسيج ونحوها. وقد سار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم على سنة النبي ﷺ، وكذلك فعل من جاء بعدهم من حكام المسلمين(٤).

كما أن النبي ﷺ قام بتعيين عتاب بن أسيد أميراً على مكة، وهو أول أمير على مكة في الإسلام، وهو من أفاضل بني أمية، ينتهي نسبه إلى قصي بن كلاب القرشي، وقد بقي في إمارة مكة مدة حياة النبي ﷺ مثالاً للسيرة الحميدة التي وصاه النبي ﷺ بها في قوله: «أتدري على من وليتك يا عتاب؟ على جيران بيت الله فاستوص بهم خيراً»(٥). ولما ولي الخلافة أبو بكر رضي الله عنه أقر عتاباً في إمارته.

وبعد فتح مكة عاد النبي ﷺ إلى المدينة المنورة وبقي فيها فترة من الزمن، عاد بعد ذلك في ذي القعدة من السنة العاشرة من الهجرة إلى

(١) الأزرقي، أخبار مكة، جـ ١، ص ١١٠ ـ ١١١.
(٢) المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٥٣، وابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٠٦.
(٣) الأزرقي، المصدر السابق، جـ ١، ص ١٨٥.
(٤) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين (الطبعة الأولى، بيروت، مطابع دار الكتب المصرية، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م)، جـ ١، ص ٢٨١.
(٥) المصدر السابق، جـ ١، ص ١٨٥، وأحمد السباعي: تاريخ مكة (الطبعة الرابعة، مكة، دار مكة للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، جـ ١، ص ٥٩-٦٧.

مكة المكرمة بقصد الحج، وكان معه عدد كبير من المسلمين، فأدى الجميع فريضة الحج، وكانت حجة الوداع له ﷺ. وبعد الحج غادر النبي ﷺ مكة إلى المدينة المنورة حيث توفي هناك في شهر ربيع الأول في السنة الحادية عشرة من الهجرة(١).

وبهذا النصر العظيم للإسلام والمسلمين أصبحت كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة مراكز إشعاع للدين الإسلامي، وانتشرت بعد ذلك الفتوحات التي قامت لنشر الإسلام، ومحاربة كل ما خالف ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فاتسعت أرجاء الدولة الإسلامية وزاد بذلك عدد المسلمين، وأخذت أحكام الإسلام تطبق في كل المعاملات وجميع نواحي الحياة.

لقد بقي المسجد الحرام والكعبة المشرفة على حالهما على عهد النبي ﷺ وعهد خليفته أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فلم يكن للمسجد الحرام جدران تحده، كما لم يكن بينه وبين البيوت سور أو حاجز، بل كانت البيوت تحيط به، والأزقة تفتح عليه، ولم تقع أي زيادة أو إضافة في عهد النبي ﷺ، ولا في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه(٢)؛ وذلك لانشغال النبي ﷺ بنشر الدعوة سراً ثم جهراً، وهجرته إلى المدينة المنورة، وتأسيس الدولة الإسلامية هناك، وغزواته، وقصر فترة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ـ الزيادة الأولى للمسجد الحرام عام ١٧هـ (٦٣٨م):

كانت التوسعة الأولى للمسجد الحرام في عهد الخليفة العادل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك أنه عندما قدم إلى مكة

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ ٤، ص ١٨٣، ٢١٢.

(٢) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٩٧.

المكرمة سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م لأداء فريضة العمرة، شاهد ـ رضي الله عنه ـ بنفسه ضيق المسجد الحرام بالمصلين والطائفين، وما يعانونه من ازدحام لكثرتهم بعد انتشار الإسلام ودخول الناس فيه أفواجاً، فأمر بشراء الدور المجاورة حول المسجد، وهدمها، وضم مساحتها للمسجد الحرام. وقد ضم بيوتاً أخرى للتوسعة على رغم معارضة بعض أصحابها له بعد أن اشتراها منهم، وقام بإحاطة المسجد الحرام بجدار قصير دون القامة، توضع عليه المصابيح لإنارة المسجد الحرام ليلاً(١)، وجعل له أبواباً على محاذاة تلك الأبواب السابقة(٢)، وأعاد وضع مقام إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى مكانه بعد حادثة السيل(٣). وتقدر زيادة أمير المؤمنين الفاروق ـ رضي الله عنه ـ بحوالي (٨٦٠) متراً مربعاً(٤).

ـ الزيادة الثانية للمسجد الحرام عام ٢٦هـ (٦٤٦م):

كانت الزيادة الثانية للمسجد الحرام هي التوسعة التي قام بها أمير المؤمنين عثمان بن عفان الذي قدم إلى مكة المكرمة لأداء العمرة سنة ٢٦هـ، وذلك لما رآه من ضيق لكثرة المصلين بالمسجد، فأمر بالتوسعة، فاشترى بيوتاً، وتصرَّف كما تصرف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما(٥)، وجعل حول المسجد أروقة يتظلل المصلون بها. وبذلك فهو أول من اتخذ الأروقة في المسجد الحرام فتظلل بها الناس

---

(١) الفاكهي: أخبار مكة (الطبعة الثالثة، بيروت، دار خضر للطباعة، ١٤١٩هـ) جـ ٢، ص ١٥٨.

(٢) حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام (الطبعة الأولى، جدة، المطبعة الشرفية، ١٣٥٤هـ) ص ١٣.

(٣) الأزرقي: أخبار مكة، جـ ٢، ص ٣٣-٣٤، ١٦٧.

(٤) محمد بن مساعد: الزيادات في الحرم المكي الشريف من العصر النبوي حتى العهد السعودي، (الطبعة الأولى، مكة، مطابع الصفا، ١٤١٦/ ١٩٩٥م)، ص ١٢.

(٥) الفاكهي: المصدر السابق، ص ١٥٨ - ١٥٩.

في أثناء الصلاة لتقيهم من حرارة الشمس ظهراً[١]، وقد بلغت مساحة المسجد الحرام تساوي تقريباً (٤٣٩٠) متراً مربعاً، وتقدر الزيادة التي قام بها الخليفة عثمان بن عفان في المسجد الحرام بمكة حوالي (٢٠٤٠) متراً مربعاً[٢]. ومن المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة انتشر هذا النوع من البناء للمساجد في البلدان والمدن التي انتشر فيها الإسلام فيما بعد[٣].

وقد استمر الخلفاء الراشدون ـ رضي الله عنهم ـ في كسوة الكعبة المشرفة، وكانت الكسوة مصنوعة من القباطي المصرية (وهو ثوب أبيض يصنع في مصر)، وكذلك البرود اليمنية، وقد حيكت في عهد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ في مصر[٤].

ـ عمارة عبد الله بن الزبير للكعبة والمسجد عام ٦٥هـ (٦٨٤م) :

وسبب ذلك أن الخليفة العباسي يزيد بن معاوية أراد قتال عبد الله ابن الزبير فتقدم الجيش الأموي إلى مكة المكرمة، وكان بقيادة الحصين ابن نمير، فلما علم ابن الزبير بتقدم الجيش الأموي سارع إلى جمع أصحابه وتحصن بهم في المسجد الحرام، ونصب فيه خياماً كي يستظلوا بها من الشمس، فقام الحصين بنصب المنجنيق على جبلي أبي قبيس والأحمر، وأخذ في ضرب عبد الله بن الزبير وأصحابه داخل المسجد الحرام، فأصابت الأحجار الكعبة المشرفة، وأدى ذلك إلى تهدم أجزاء

---

(١) حسين باسلامة، المصدر السابق، ص ١٦.

(٢) محمد بن مساعد: الزيادات في الحرم المكي الشريف، ص ١٥.

(٣) محمد عبدالعزيز: الفنون الزخرفية الإسلامية (الطبعة الأولى، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٧م)، ص ٧٣.

(٤) الأزرقي، المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٥٣. وإبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، جـ ١، ص ٢٨٢.

منها، وتمزق كسوتها، ثم إن رجلاً من أصحاب عبد الله بن الزبير، وقيل: من أصحاب الحصين، أوقد ناراً داخل إحدى الخيام مما يلي ما بين الركنين اليماني والأسود، وقد لامست النار الخيام فاشتعلت، فهبت ريح شديدة، فطارت شرارة من تلك النار وأصابت كسوة الكعبة، فاحترقت واحترق أيضاً السياج الذي بين البناء، مما زاد في تصدع جدران الكعبة، وخاصة فيما بين الركن اليماني والأسود. كما أن شدة الرياح ساعدت أيضاً على انتشار لهب النار فأصابت معظم الخيام، كما انتقلت النار وأصابت بعض أسقف أروقة المسجد فاحترقت، فتوقف القتال نظراً لهول ما حل بالمسجد الحرام والكعبة، ففزع أهل مكة والشام[1]، وكان ذلك في الثالث من شهر ربيع الأول عام ٦٤هـ[2].

وبعد هذا الدمار الذي أصاب الكعبة والمسجد الحرام رحل الحصين بن نمير بجيشه الأموي إلى الشام بعد وفاة يزيد بن معاوية، تاركاً الكعبة وقد تهدم معظم أجزائها، فتردد عبد الله بن الزبير في الطريقة التي يتبعها في بناء الكعبة، هل يهدمها تماماً، ثم يعيد بناءها من جديد، أو يحاول إصلاحها وترميمها؟ فاستشار وجوه الناس وأشرافهم وشاورهم في هدم الكعبة، فأشار عليه ناس غير كثير بهدمها، وأبى أكثر

(١) الأزرقي: أخبار مكة، جـ ١، ص ٢٠٢- ٢٠٣، والفاسي: العقد الثمين، جـ ٢، ص ١٨٥، وابن الظهير: الجامع اللطيف، ص ٨٥ - ٨٥، وأحمد المكي: إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، تحقيق د. الحافظ غلام مصطفى، ص ١٣٢-١٣٤، والمسعودي: مروج الذهب، (تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، (الطبعة الخامسة، القاهرة، دار الفكر، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، جـ ٣، ص٨١، واليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، (مطابع دار صادر، بيروت، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م)، جـ ٢، ص ٢٥١ - ٢٥٢.

(٢) الأزرقي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠٣، وأحمد رجب محمد علي: المسجد الحرام بمكة المكرمة (الطبعة الأولى، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ص ٣٦ نقلاً عن المسعودي في مروج الذهب (طبعة القاهرة، ١٩٨٥م)، جـ ٣، ص ٧٢.

الناس هدمها، واستقر أمره في النهاية على هدمها وبنائها من جديد؛ وذلك لأن بعض جدرانها قد مالت من شدة حجارة المنجنيق، مما يجعل أمر ترميمها عسيراً، إذ قد تنهار جدرانها في أي وقت على من فيها، وتصيب الطائفين من حولها، وأنه من الأفضل هدم الجدران المتهدمة من جراء ضربها بالمنجنيق وإعادة بنائها من جديد، ولذلك استعد لإنجاز هذا العمل على أحسن وجه، وقبل الشروع في ذلك أمر عبد الله بن الزبير بعمل ستارة حول الكعبة، وذلك بإقامة عدة أعمدة من الخشب، وستر عليها الستور المختلفة حتى يطوف الناس، ويصلوا من ورائها، وحتى لا يتعرض الطائفون لأي خطر في أثناء هدم الكعبة(١).

وفي يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة أربع وستين من الهجرة أمر عبد الله بن الزبير بهدمها، وقد تخوف الناس من القيام بهدم الكعبة، حتى لا يصيبهم العذاب، وخرج بعض أهل مكة إلى منى، أما عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقد خرج إلى الطائف، وكان أشد المعارضين لهدمها(٢).

فما كان من عبد الله بن الزبير إلا أن قام بنفسه وصعد إلى الجدران المهدمة من الكعبة المشرفة، وأخذ المعول وجعل يهدمها، ولم يصبه شيء، فصعد معه الناس وأخذوا في هدم الجدران المائلة بهدف إعادة بنائها من جديد، ثم أمر عبد الله بن الزبير عبيداً من الحبشة يهدمونها رجاء أن يكون فيهم صفة الحبشي(٣) الذي قال فيه النبي ﷺ: «يخرب الكعبة ذوي السويقتين من الحبشة»(٤).

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة، جـ ١، ص ٥٠٤، ٢٠٦.

(٢) الفاسي: شفاء الغرام، جـ ١، ص ١٨٦.

(٣) الأزرقي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠٥.

(٤) رواه البخاري عن أبي هريرة في صحيحه، في باب هدم الكعبة، من كتاب المناسك، جـ =

وقد باشر عبد الله بن الزبير حفر الأساس من نحو الحِجر ليقف على قواعد إبراهيم، فلم يصب شيئًا، فشق عليه، وتعمق في الحفر ونزل بنفسه، فكشفوا له قواعد إبراهيم، فإذا هي صخر أمثال الخلف من الإبل[١].

وعن عطاء قال: كنت في الأمناء الذين أجمعوا على حفره فحفروا قامة ونصفاً، فهجموا على حجارة لها عروق تتصل بزرد عروق المروة فحركوها بالعتل، فتحركت قواعد البيت وارتجت مكة بأسرها، ورأوه بنياناً مربوطاً بعضه ببعض؛ فما كان من عبدالله بن الزبير عندما رأى ذلك إلا أنه حمد الله وكبّر[٢].

وفي الوقت نفسه كان عبد الله بن الزبير قد أمر بجمع حجارة الكعبة المشرفة حولها لإعادة استخدامها في بنائها من جديد، وبعد أن استشار أهل العلم أشاروا عليه بفحص حجارتها لاختيار الصالح منها، فعزل الحجارة التي تصلح من بناء الكعبة ليعيد بها البناء[٣]، فقام بذلك ونقل ما احتاج إليه من حجارة ووضعها في مكان قريب من البناء، كما أرسل من يحضر الفسيفساء لتزيين الكعبة بها، وثلاثة أساطين من الرخام أحضرها من صنعاء[٤]، وبعد ذلك شرع عبد الله بن الزبير في بناء الكعبة

= ١، ص٢١٧، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده بإسناد صحيح (طبعة دار المعارف بالقاهرة، ١٩٥٥م)، جـ ٣، رقم الحديث (٢٠١٠).

(١) أحمد المكي: إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، تحقيق: الحافظ غلام مصطفى، ص ١٣٦.

(٢) الأزرقي، أخبار مكة، مصدر سابق، جـ ١، ص ٢٠٦ - ٢٠٧، وأحمد المكي، إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، مصدر سابق، ص٢١٧- ٢١٨.

(٣) الأزرقي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠٥.

(٤) أحمد المكي: إخبار الكرام، ص ١٣٨، وأحمد رجب محمد علي: المسجد الحرام، ص ٤٠ نقلاً عن المسعودي: مروج الذهب، جـ ١، ص ٩٣.

المشرفة على قواعد إبراهيم عليه السلام[١]، فجعل ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعاً بزيادة تسعة أذرع عن بناء قريش للكعبة، ووضع بداخلها ثلاثة أعمدة من الرخام الذي أحضره من اليمن في صف واحد لرفع سقفها، وفتح لها بابًا آخر فأصبح لها بابان متقابلان أحدهما يدخل منه، والآخر للخروج، وكانا ملاصقين للأرض، وكل باب له مصراعان، وطول الباب الواحد أحد عشر ذراعاً من الأرض إلى أعلاه. وعندما تم سقف الكعبة المشرفة جعل لها ميزابًا يسكب الماء في الحِجر، وأقام بداخل الكعبة درجة في الركن الشامي منها مصنوعة من الخشب معرجة يصعد فيها إلى ظهرها. كما أنه وضع الحجر الأسود في مكانه، وشده بالفضة في أثناء بنائه الكعبة[٢]. كما أنه أمر بجمع ما بقي من الحجارة وفرش أرض المطاف بتلك الحجارة بعرض عشرة أذرع، أي حوالي سبعة أمتار ونصف المتر[٣].

ولما فرغ عبد الله بن الزبير من بناء الكعبة، وذلك في اليوم السابع عشر من رجب سنة خمس وستين طيَّب الكعبة المشرفة بالعنبر والمسك من داخلها وخارجها، وكسا الكعبة بالديباج، وقيل: بالقباطي، وهي أقمشة مصنوعة من الكتان[٤].

وبعد الانتهاء من عمارة الكعبة شرع عبد الله بن الزبير في توسعة المسجد الحرام، فاشترى دوراً ملاصقة للمسجد وهدمها وأدخلها في المسجد من ناحية الصفا[٥]، أي من الناحية الشرقية وشيء من الجنوبية.

---

(١) الأزرقي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠٧.

(٢) الأزرقي، المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٣) حسين باسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة (الطبعة الثانية، القاهرة، دار مصر للطباعة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ص ٩١.

(٤) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ٩١، وأحمد المكي: إخبار الكرام، ص ١٤٣.

(٥) الفاكهي: أخبار مكة، تحقيق: د/ عبدالملك بن دهيش (الطبعة الثالثة، بيروت، دار خضر، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، جـ ٢، ص ١٥٩.

وتقدر مساحة المسجد في زمنه بـ (٨٤٤٠) متراً مربعاً تقريباً، ومقدار الزيادة التي قام بها عبد الله بن الزبير (٤٠٥٠) متراً مربعاً تقريباً[١].

عمارة الحجاج بن يوسف الثقفي للكعبة عام ٧٤هـ (٦٩٣م):

عندما تولى عبدالملك بن مروان الخلافة عهد إلى الحجاج بن يوسف الثقفي بالسير إلى مكة والقضاء على عبد الله بن الزبير، فسار حتى نزل بالطائف، فأقام بها شهراً، ثم تقدم إلى مكة في موسم حج سنة ٧٢هـ، ونصب المنجنيق على جبل أبي قبيس، فتحصن عبدالله بن الزبير وجماعته في المسجد الحرام، و أخذ الحجاج يرمي أحجار المنجنيق على من في المسجد، مما اضطر عبدالله بن الزبير وأتباعه للخروج من المسجد، فاحتدم القتال بين الحجاج وقواته وابن الزبير وأتباعه حتى قتل عدد كبير من أتباع عبدالله بن الزبير، واستمر القتال بين الفريقين فترة من الزمن انتهت بمقتل عبدالله بن الزبير في ٢٧ من جمادى الآخرة سنة ٧٣هـ[٢].

وبذلك أصبح أمر الحجاز بيد الحجاج، وقد استتب له الأمر بمكة، فلم يكن مقتنعاً بما قام به عبدالله بن الزبير من عمارة للكعبة المشرفة، فأراد إعادة بناء الكعبة المشرفة كما كانت عليه من بناء في عهد قريش؛ لأنه كان يرى أن عبدالله بن الزبير قد زاد في بناء الكعبة المشرفة عندما أدخل فيها ستة أذرع وشبراً مما يلي الحِجر، وفتح لها باباً آخر من جهة الغرب، فكتب الحجاج للخليفة عبدالملك بن مروان في الشام بذلك، فأجابه الخليفة عبدالملك بقوله : «إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في

---

(١) محمد بن مساعد: الزيادات في الحرم المكي الشريف، ص ١٧.

(٢) أحمد رجب محمد: المسجد الحرام بمكة المكرمة، ص ٤٠، والسيد عبدالعزيز السالم: تاريخ الدولة العربية (طبعة مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٨٥م)، ص ٣٩٩.

شيء، أما ما زاد في طوله فأقره، و أما ما زاد فيه من الحِجر فرده إلى بنائه، وسد الباب الذي فتحه»[١].

فقام الحجاج فهدم من الكعبة ستة أذرع وشبراً مما يلي الحِجر، وأعاد بناء ذلك الجدار من جديد على أساس بناء قريش، كما قام بسد الباب الذي في ظاهرها وكبسها بما هدم منها، ورفع بابها الشرقي أربعة أذرع وشبراً[٢]. أي حوالي مترين، وجعل طول بابها من عتبته إلى أعلاه حوالي ستة أذرع وشبر، وهو ما استمر عليه الوضع حتى وقتنا الحاضر. كما أنه جدد بابها وجعل لها مصراعين يغلقان بابها الوحيد[٣]، وقام بكسوتها بالديباج[٤]. وقد ترك الحجاج ما تبقى من الكعبة المشرفة لم يحرك منها شيئًا، وبذلك أصبح حِجر إسماعيل ـ عليه السلام ـ خارج بناء الكعبة.

وعلى ذلك فإن بناء الحجاج يعد بناءً خاصاً بالكعبة المشرفة من جهتها الشمالية فقط مع سد الباب الآخر للكعبة، ورفع الباب الشرقي ودفن جزء من أرضها، ولم تكن له أي عمارة للمسجد الحرام، وكان ذلك في سنة أربع وسبعين من الهجرة، وقيل: سنة ثلاث وسبعين، ثم إن عبدالملك بن مروان ندم على ما وقع منه في أمر الكعبة[٥].

(١) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، مصدر سابق، ص ٩٢.

(٢) الأزرقي: أخبار مكة، جـ ١، ص ٢١٠-٢١١.

(٣) الأزرقي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢١١.

(٤) السيد محمد الدقن: كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ (الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة الجبلاوي ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص ٣٠.

(٥) للمزيد عن ذلك انظر: الفاسي: شفاء الغرام، جـ ١، ص ١٨٩-١٩٠.

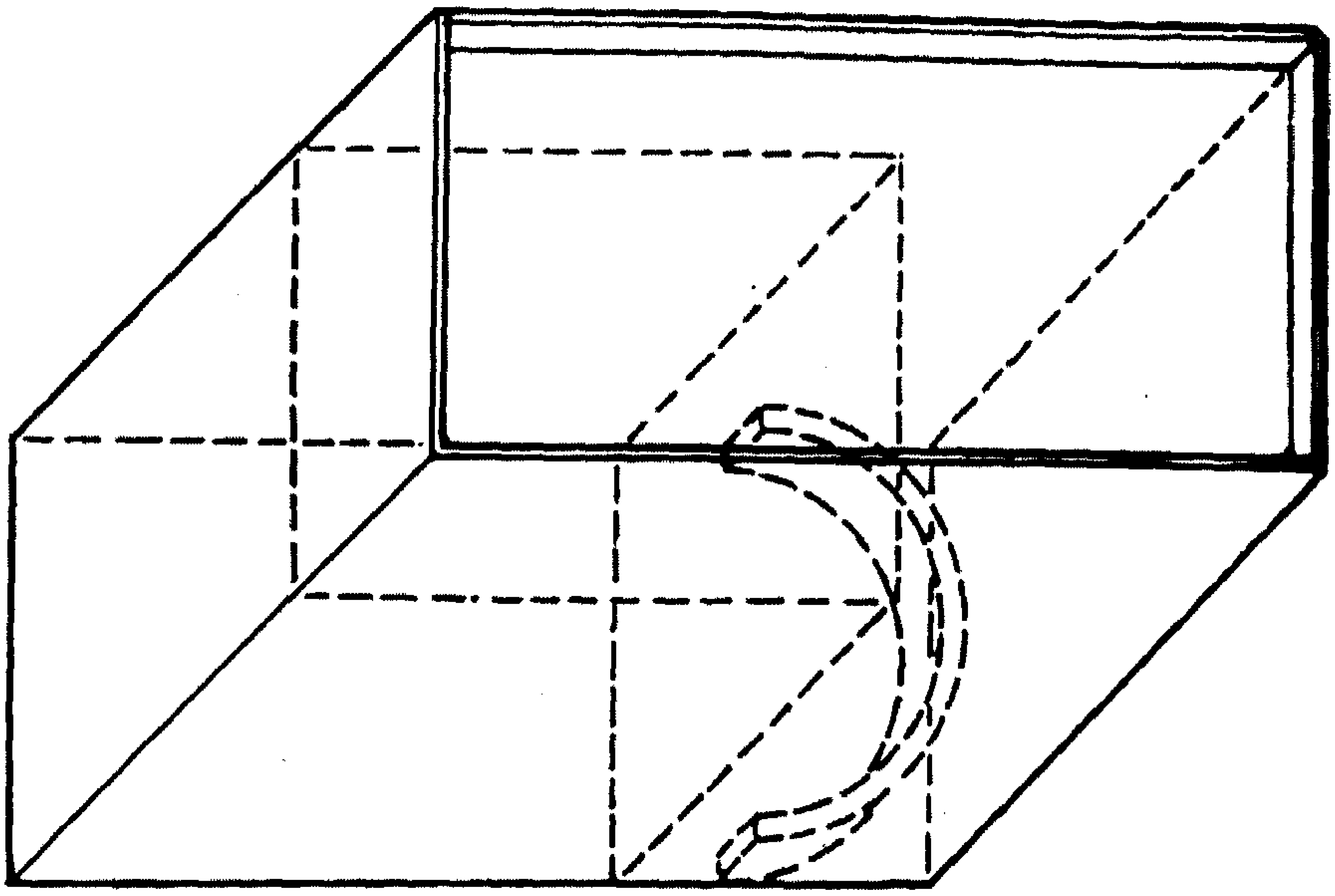

(شكل ١): عمارة عبدالله بن الزبير للكعبة المشرفة

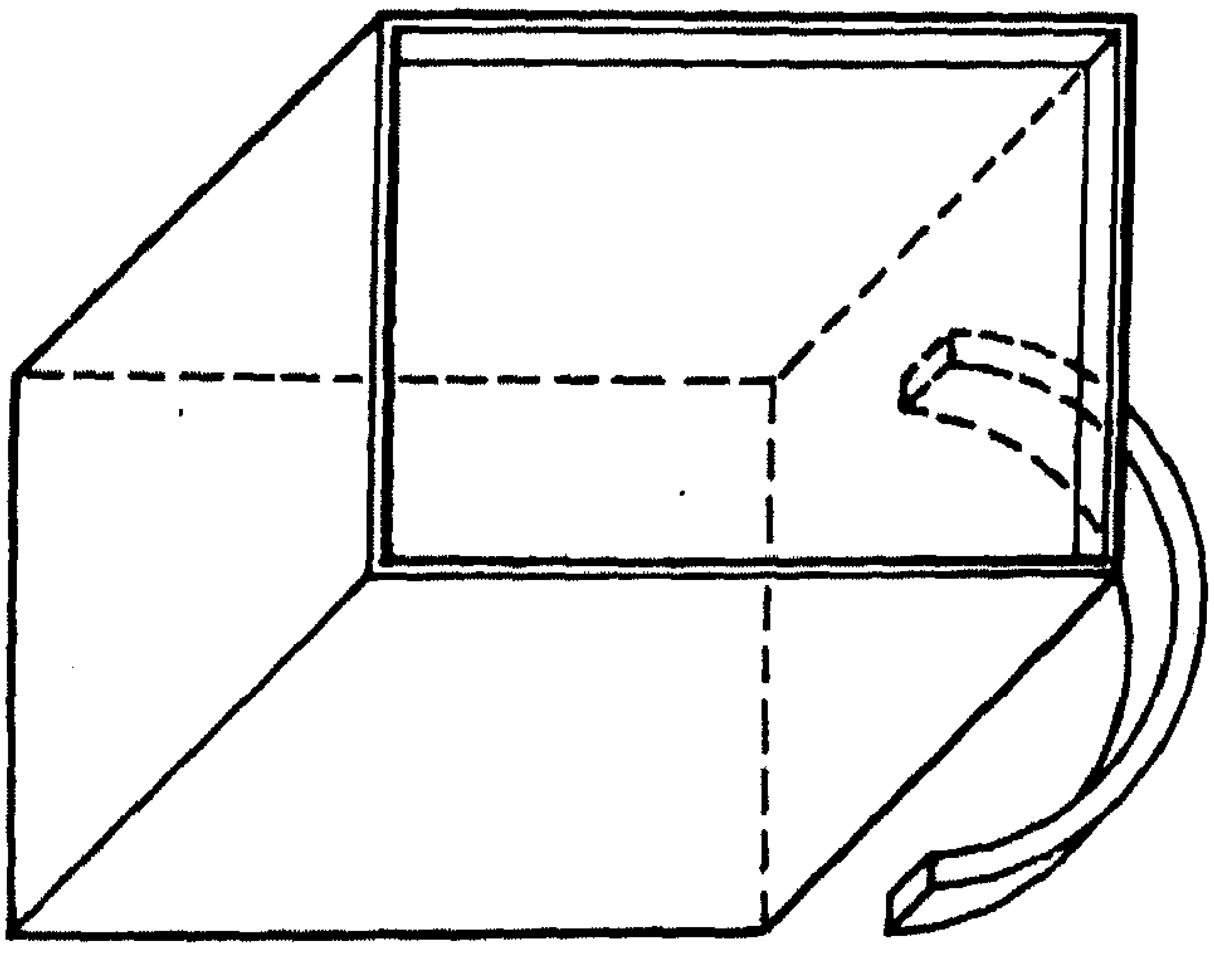

(شكل ٢): عمارة الحجاج بن يوسف الثقفي للكعبة المشرفة(١)

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، ص ٢١.

إصلاحات الخليفة عبدالملك بن مروان في المسجد الحرام:

أراد الخليفة عبدالملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) أن ينال شرف عمارة المسجد الحرام، وذلك بإدخال بعض الإصلاحات التي رأى أن المسجد الحرام في أمسِّ الحاجة إليها في تلك الفترة، ومن الأعمال العمرانية التي قام بها للمسجد الحرام في سنة ثمانين من الهجرة ما يأتي:

١- أنه أمر برفع جدران المسجد الحرام لحمايته وفصله عن المباني السكنية الملاصقة به، و ذلك بعد أن اخترق سيل عظيم جدار بعض الدور المحيطة بالمسجد، ودخل المسجد في سنة ٨٠ هـ، فكتب عبدالله بن سفيان عامل عبدالملك بن مروان على مكة يخبره بذلك، فأرسل إليه مالاً عظيماً وأمره أن يرفع جدار المسجد ويبنيه بناية حسنة، وعمل مصدات للبيوت الملاصقة للمسجد تحُول دون اختراق السيل لها(١).

٢- قام بتسقيف أروقة المسجد الموجودة بأخشاب من السياج الجديد.

٣- زيّن رؤوس الأسطوانات (أي الأعمدة) بالذهب، فجعل على رأس كل واحد منها خمسين مثقالاً(٢).

٤- أهدى للكعبة شمسيتين من الديباج وقدحين من زجاج فعلق ذلك في سقف الكعبة المشرفة.

٥- قام بإضاءة ما بين الصفا والمروة بالقناديل ليلاً، كما أمر باتخاذ مصباح كبير مقابل الركن الأسود مرفوعاً على عمود وضعه في طرف صحن المطاف بالقرب من بئر زمزم(٣).

---

(١) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ص ١٢٨.

(٢) الأزرقي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٥٥، و الفاكهي: أخبار مكة، تحقيق: د/ عبدالملك بن دهيش، جـ٢، ص ١٦١

(٣) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ص ١٢٨-١٢٩، ومحمد ماجد خلوصي: عمارة المساجد (الطبعة الأولى، القاهرة، مطابع سجل العرب، ١٩٩٨م)، ص ٥٠.

٦- كسا الكعبة المشرفة بالديباج حيث كان يرسل كسوة الكعبة كل عام من دمشق إلى المدينة المنورة، ثم إلى مكة المكرمة، فتكسى بها الكعبة في مواسم الحج، كما أن عبدالملك بن مروان كان يرسل بالطيب إلى الحرمين الشريفين لتطييبهما[١].

عمارة الخليفة الوليد بن عبدالملك للمسجد الحرام:

عندما تولى الخليفة الوليد بن عبدالملك الخلافة (٨٦-٩٦هـ) قام بتجديد عمارة المسجد الحرام، وقد بدأ هذا العمل منذ بداية سنة ٨٨هـ، وتركزت عمارته في نقض بناء الأروقة المحيطة بصحن المطاف، ثم قام ببنائها من جديد بعد أن أحضر لها من مصر والشام أعمدة جديدة من الرخام، وجعلها رواقاً واحداً محيطاً بصحن المطاف، وسقَّفَه بأخشاب الساج المزخرف، وجعل على رؤوس الأعمدة الذهب المرصع على صفائح من الصفر[٢]، في كل عامود ثلاثة وثلاثون مثقالاً من الذهب[٣]، وجعل في وجه الطيقان (الأقواس فوق الأعمدة)، وفي أعلاها وضع الفسيفساء. وهو أول من عمله في المسجد الحرام، وجعل للمسجد شرافات. كما أنه قام بعمل إزار من الرخام للجدار المحيط بالمسجد من داخله[٤] لوقايته من الأمطار والسيول، ولتظهر أروقة المسجد بالمظهر اللائق بها. وقد أدت هذه الأروقة خدمة جليلة للمصلين لوقايتهم من الشمس والمطر في أثناء صلاتهم وعبادتهم في أوقات الظهيرة، وفي أثناء سقوط الأمطار.

«كما أن الوليد بن عبدالملك بعث إلى واليه على مكة خالد بن عبدالله القسري بستة وثلاثين ألف دينار من الذهب، فضرب منها على

---

(١) الأزرقي، المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٥٥، والفاكهي: أخبار مكة، جـ ٢، ص ١٦١.
(٢) الأزرقي، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧١-٧٢.
(٣) الفاكهي، المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٦١-١٦٢.
(٤) الأزرقي، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٢.

باب الكعبة صفائح الذهب، وعلى ميزاب الكعبة وعلى الأساطين التي في داخل الكعبة»[١]، وأرسل له أيضاً بقدحين من قوارير علقت في جوف الكعبة[٢].

وذكر الأزرقي أن الوليد بن عبدالملك أول من فرش أرض الكعبة المشرفة بالرخام الأحمر والأخضر والأبيض الذي أرسله من الشام إلى مكة، وأزر به جدرانها[٣].

وقد كانت عمارة الوليد بن عبدالملك للمسجد الحرام عمارة قوية ومحكمة، تشبه إلى حد كبير العمارة الأموية للمسجد الأموي بدمشق. كما أنه زاد في مساحة المسحد الحرام من الناحية الشرقية منه. وقدرت هذه الزيادة بحوالي (٢٣٠٠) متر مربع، فأصبحت بذلك مساحة المسجد الحرام في عهده بعد الزيادة حوالي (١٠٧٤٠) متراً مربعاً. وقد كان الانتهاء من هذه العمارة في سنة ٩١هـ[٤]. ولم تحدث أي عمارة أخرى للمسجد الحرام أو الكعبة المشرفة حتى نهاية العصر الأموي.

---

(١) ابن الظهير: الجامع اللطيف، ص ١١٠.

(٢) ابن الظهير: المصدر السابق، ص ١١١.

(٣) الأزرقي: أخبار مكة، جـ ١، ٢١٣، و الفاسي: شفاء الغرام، جـ ١، ص ١٩١.

(٤) محمد بن مساعد: الزيادات في الحرم المكي الشريف، ص ١٩. وأحمد السباعي: تاريخ مكة، ص ١٣٠. ومحمد مليباري: المنتقى في أخبار أم القرى (الطبعة الأولى، مكة، مطابع الصفا، ١٤٠٥هـ)، ص٢٢٣.

عمارة المسجد الحرام في العصر العباسي
(١٣٢- ٦٥٦هـ)

بعد نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي تعاقب خلفاء الدولة العباسية على عمارة المسجد الحرام، كل منهم يزيد في مساحته، ويبذل الأموال الكبيرة في عمارته وإصلاحه، طالباً الأجر والثواب من الله، وكان أولَ هؤلاء الخلفاء الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور.

عمارة الخليفة أبي جعفر المنصور للمسجد الحرام:

في سنة ١٣٦هـ حج بالناس أبو جعفر المنصور، وقام في طريقه إلى مكة المكرمة ببذل الأموال والخيرات مما لا وصف له، حيث كان يطعم الناس الذين يلقاهم في طريقه الغداء والعشاء إلى أن دخل مكة، فلما وصلها دخلها ماشياً[(١)]. وخلال إقامته بمكة شاهد صغر مساحة المسجد الحرام وضيقه، فعقد العزم على توسعته وشراء ما حوله من دور[(٢)]. وفي نهاية العام توفي السفاح، فتولى الخلافة أبو جعفر المنصور، فكان من أول ما قام به من أعمال هو تحقيق رغبته في توسعة المسجد الحرام، ولذلك أمر عامله على مكة زياد بن عبيد الله الحارثي بزيادة مساحة المسجد الحرام وعمارته عمارة متقنة، مع إصلاح ما تهدم من عمارته

---

(١) السنجاري: منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، (الطبعة الأولى، الرياض، مطابع العبيكان، ١٤١٩هـ)، جـ٢، ص ٩٠.

(٢) محمد ماجد خلوصي: المسجد، ص ٥١.

السابقة. وقد قام زياد في المحرم سنة ١٣٧هـ بشراء مجموعة من الدور الملاصقة للمسجد وإزالتها، وأقام مكانها توسعة جديدة للمسجد[١].

وكانت الزيادة في الجانب الشمالي الشرقي من المسجد الذي يلي دار العجلة، وحتى الجانب الشمالي الغربي مما يلي دار الندوة، إلى أن ينتهي إلى منارة باب العمرة، وكان يعرف من قبل بـ (باب بني سهم). كما كانت الزيادة أيضاً من الناحية الغربية للمسجد، وجاءت هذه الزيادة على خط مستقيم إلى ما يلي باب إبراهيم، وكان يعرف من قبل بباب الخياطين، ولم يزد في الجهة الجنوبية للمسجد لاتصالها بمجرى سيل وادي إبراهيم ولصعوبة البناء فيه. ولم يزد أيضاً في الجهة الشرقية، وعمل في عام ١٣٩هـ منارة في الركن الغربي من الجانب الشمالي هي الأولى في تاريخ المسجد الحرام. وكانت زيادة الخليفة أبي جعفر المنصور رواقاً واحداً بأساطين من الرخام، أقيمت بشكل دائري حول صحن المطاف، زخرفت بالفسيفساء وماء الذهب، وزينت السقوف بأنواع من النقوش الزخرفية الإسلامية[٢].

كما قام المنصور بكسوة جدران المسجد الحرام من الداخل والخارج برخام جديد، وبارتفاع الجدار نفسه[٣]. وهذه أول مرة تتم فيها تغطية جدران المسجد الحرام بكامله من الداخل والخارج بالرخام لوقايته من السيول ولراحة المصلين، وألبس حِجر إسماعيل ـ عليه السلام ـ بالرخام من داخله وخارجه.

---

(١) الفاكهي: أخبار مكة، جـ ٢، ص ١٦٢.

(٢) الأزرقي: أخبار مكة، جـ ٢، ص ٧٢-٧٤، والفاكهي: أخبار مكة، جـ ٢، ص ١٦٣-١٦٤.

(٣) حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام (الطبعة الأولى، جدة، المطبعة الشرقية، ١٣٥٤هـ) ص ٢٥-٢٦، ومحمد خلوصي: المسجد، ص ٥١.

وعلى ضوء هذه الزيادة أصبحت مساحة المسجد الحرام في عهد الخليفة المنصور تقدر بحوالي (١٥,٤٤٠) متراً مربعاً تقريباً، بزيادة قدرها (٤٧٠٠) متر مربع، وبذلك بلغت الزيادة ضعف المساحة السابقة. وقد استمرت أعمال البناء ثلاثة أعوام، حيث انتهى العمل فيه في ذي الحجة سنة (١٤٠هـ)[١].

عمارة الخليفة المهدي للمسجد الحرام:

عمر الخليفة العباسي محمد المهدي (١٥٨-١٦٩هـ) المسجد الحرام عمارة شاملة، وزاد في مساحته، وقد جاءت عمارته على مرحلتين متتاليتين؛ كانت الأولى قد بدأت في عام ١٦٠هـ، وانتهت بعد أربع سنوات، ثم تلتها العمارة الثانية التي بدأت في عام ١٦٤هـ، وانتهت في عام ١٦٨هـ.

العمارة الأولى للخليفة المهدي:

عندما حج المهدي عام (١٦٠هـ) رأى ضيق المسجد الحرام بالمصلين، فأمر بعمارته وتوسعته في أعلاه، وأن يشترى ما كان في ذلك الموقع من الدور، فتهدم وتضاف مساحتها إلى مساحة المسجد الحرام، وأوكل للشيخ محمد بن عبدالرحمن بن هشام الأوقصي المخزومي قاضي مكة آنذاك بالقيام بهذا العمل، وأعطاه أموالاً كثيرة للإنفاق منها على أعمال التوسعة والبناء.

فما كاد الحج ينتهي ويغادر الخليفة المهدي حتى شرع المخزومي في شراء البيوت المراد هدمها للتوسعة، وكان يدفع في كل ذراع خمسة وعشرين ديناراً مما دخل في المسجد، وخمسة عشر ديناراً فيما دخل في

(١) محمد بن مساعد: الزيادات في الحرم المكي الشريف، ص ٢٣.

الوادي. فكان من جملة الدور التي هدمت دار للأزرقي، وكانت لاصقة بالمسجد عند باب بني شيبة بن عثمان، ودار خيرة بنت سباع الخزاعية، ودار لآل جبير بن مطعم، وبعض دار شيبة بن عثمان، كما اشترى جميع ما كان بين المسجد والمسعى من الدور وهدمها، وجعل موضع دار القوارير رحبة[(١)].

وما أن وصل الخليفة المهدي إلى بغداد حتى أرسل أموالاً كثيرة لعمارة المسجد الحرام، كما أنه أمر بالأساطين من الرخام فحملت من مصر والشام في المراكب إلى الشعيبة، فجمعت هناك وجيء بها على العربات التي تجرها الدواب إلى مكة[(٢)]. وقد أقيمت الأروقة على أساطين الرخام، وسقفت الأروقة بخشب الساج، وكانت ثلاثة صفوف[(٣)].

وقد استمر العمل في هذه العمارة أربع سنوات[(٤)]، وبلغت الزيادة الجديدة التي جاءت في الناحية الشرقية من المسجد الحرام مما يلي المسعى حوالي (٧٩٥٠) متراً مربعاً، وهي زيادة كبيرة زادت من مساحة المسجد إلى حوالي الثلث، حيث أصبحت مساحة المسجد الحرام بعد التوسعة الأولى للخليفة المهدي حوالي (٢٣,٣٩٠) متراً مربعاً[(٥)].

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة، جـ ٢، ص ٧٤-٧٥؛ والفاكهي: أخبار مكة، تحقيق د. عبدالملك بن دهيش، جـ٢، ص١٦٥-١٧١.

(٢) السنجاري: منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، جـ ٢، ص ١١٠، وأحمد السباعي: تاريخ مكة، ص ١٥٨.

(٣) الأزرقي: أخبار مكة، جـ ٢، ص ٧٦، وحسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٨-٣٠

(٤) حسين باسلامة، المصدر السابق، ص ٣٠.

(٥) محمد بن مساعد: الزيادات في الحرم المكي الشريف، ص ٢٩.

العمارة الثانية للخليفة المهدي:

جاءت عمارة الخليفة محمد المهدي الثانية للمسجد الحرام عندما قدم إلى مكة وقام بأداء مناسك حجته الثانية عام (١٦٤هـ) ورأى في أثناء ذلك أن الكعبة المشرفة لا تتوسط المسجد الحرام، وذلك لأن الجهة الجنوبية من المسجد أضيق الجهات[١]. وقد تأكد له ذلك عندما صعد إلى جبل أبي قبيس وشاهد بعينه ذلك[٢].

فأمر بتوسعة المسجد الحرام من الجهة الجنوبية المطلة على الوادي، فحددت البيوت المراد هدمها لصالح هذه التوسعة، ثم خرج المهدي من مكة عائداً إلى العراق بعد أن ترك أموالاً عظيمة، اشتريت بها الدور المطلة على الوادي في الجهة الجنوبية من المسجد، وتم هدمها، وجعلها مسيلاً، وأدخل مسيل الوادي الأصلي في المسجد[٣] بعد أن حرف مجرى الوادي للمجرى الجديد، فهدموا أكثر دار محمد بن عباد، ودار أم هانئ بنت أبي طالب، ثم أقيمت الأروقة على أعمدة الرخام التي تم إحضارها من مصر والشام، وسقفه بالساج المذهب المنقوش[٤]. وبهذه الزيادة صارت الكعبة في وسط المسجد، وكان ذلك في سنة مائة وثمان وستين[٥].

كما أنشأ المهدي ثلاث منارات إحداها على باب السلام، والثانية على باب عليّ، والثالثة على باب الوداع، أي أن بناء المنائر الثلاث

(١) الأزرقي: أخبار مكة، جـ ٢، ص ٧٩.

(٢) محمد مليباري: المنتقى من أخبار أم القرى، ص ٢٢٥.

(٣) السنجاري: منائح الكرم، جـ ٢، ص ١١٢.

(٤) الأزرقي: أخبار مكة، جـ ٢، ص ٨٠-٨١، والفاكهي: أخبار مكة، جـ ٢، ص ١٧١-١٧٤.

(٥) السنجاري: المصدر السابق، جـ ٢، ص ١١٢.

جاء في الجهات الشرقية الشمالية، والشرقية الجنوبية، والجنوبية الغربية على التوالي[(١)].

وقد أصبحت مساحة المسجد الحرام بعد الزيادة الثانية للخليفة المهدي (٢٥,٧٥٠) متراً مربعاً تقريباً، وبذلك تكون مقدار الزيادة حوالي (٢٣٦٠) متراً مربعاً[(٢)].

ولم تقتصر توسعة المهدي على زيادة المساحة وتعميرها، إنما صاحبها توسعات أخرى في مرافق المسجد الحرام المتعددة كالأبواب، حيث أصبح عدد أبواب المسجد في عهده تسعة عشر باباً، وثمانية وثلاثين مدخلاً[(٣)]، كما أنشأ قبتين بجوار زمزم إحداهما على السقاية، والأخرى على بيت المحفوظات التي كانت تحفظ فيه المصاحف. وجدد بناء الصفا والمروة، وأنشأ للأولى ١٢ درجة، والثانية ١٥ درجة، وأمر بحفر بئر خارج باب الحزورة[(٤)].

زيادة الخليفة المعتضد العباسي سنة ٢٨٤هـ/٨٩٤م:

قام الخليفة العباسي المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ) بتوسعة المسجد الحرام في عام ٢٨٤هـ/ ٨٩٤م، وذلك بضم القسم الباقي من دار الندوة في الجهة الشمالية منه، وتعميرها وتسقيفها بالساج المزخرف، وجعل سقفها مسامتاً لسقف المسجد، وبنى فيها منارة جديدة[(٥)]، كما أنه أضاف للمسجد باباً جديداً كان يعرف باسم باب الزيادة، وأمر بترميم وتجديد شامل للمسجد. وقد أصبحت مساحة المسجد في عهده حوالي

(١) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ص ١٦٠.

(٢) محمد بن مساعد: الزيادات في الحرم المكي الشريف، ص ٢٩.

(٣) حسين باسلامة، المرجع السابق، ص ١١٢.

(٤) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ص ١٦٠.

(٥) أحمد المكي: إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، ص ١٨٤.

(٢٧,٠٠٠) متر مربع، وبلغت الزيادة حوالي (١٢٥٠) متراً مربعاً [(١)]، وكان انتهاء ذلك سنة أربع وثمانين ومائتين من الهجرة[(٢)].

عمارة الخليفة المقتدر بالله العباسي سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م :

جاءت هذه التوسعة نابعة من اهتمام الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ) بشؤون المسجد الحرام، والتي جاءت الزيادة فيها من الجانب الغربي للمسجد، وعرفت بزيادة باب إبراهيم، وطول هذه الزيادة من الأساطين التي بالمسجد إلى القبة التي عليها باب إبراهيم سبعة وخمسون ذراعاً إلا سدسي ذراع، وعرض هذه الزيادة من جانبها الشامي إلى جانبها اليماني، أي من جدار رباط الحزورة إلى رباط رامشت[(٣)] المقابل له اثنان وخمسون ذراعاً وربع ذراع. وقد أقيمت عليها صفان من الأروقة مبنية على أعمدة من الحجارة المنحوتة، وفي جانبها الجنوبي سبيل ماء مقام وسط الأروقة، وفي نهاية هذه الزيادة توجد منارة[(٤)].

وتقدر مساحة المسجد بعد هذه الزيادة بحوالي (٨٥٠) متراً مربعاً، وبذلك أصبحت المساحة الكلية للمسجد الحرام بعد الزيادة حوالي (٢٧,٨٥٠) متراً مربعاً[(٥)].

---

(١) محمد بن مساعد: الزيادات في الحرم المكي الشريف، ص ٣٥.

(٢) أحمد المكي: المصدر السابق، ص ١٨٤.

(٣) ينسب هذا الرباط إلى الشيخ أبي القاسم إبراهيم بن الحسين الفارسي المعروف برامشت، وقد كان وقفاً على المحتاجين للسكن فيه . انظر: المكي: إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، ص ١٨٤، وعبدالملك العصامي: سمط النجوم العوالي، جـ ٤، ص ٣٣.

(٤) عبدالكريم بن محب الدين القطبي: إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، تحقيق: أحمد محمد جمال وعبدالعزيز الرفاعي، (الطبعة الثانية، الرياض، دار الرفاعي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص ٨٨، وانظر: النجم عمر بن فهد (ت ٨٨٥هـ): إتحاف الورى بأخبار أم القرى، (الطبعة الأولى، مكة، مطابع جامعة أم القرى، ١٤٠١هـ)، جـ ٢، ص ٣٦٦.

(٥) محمد بن مساعد: الزيادات في الحرم المكي الشريف، ص ٣٥.

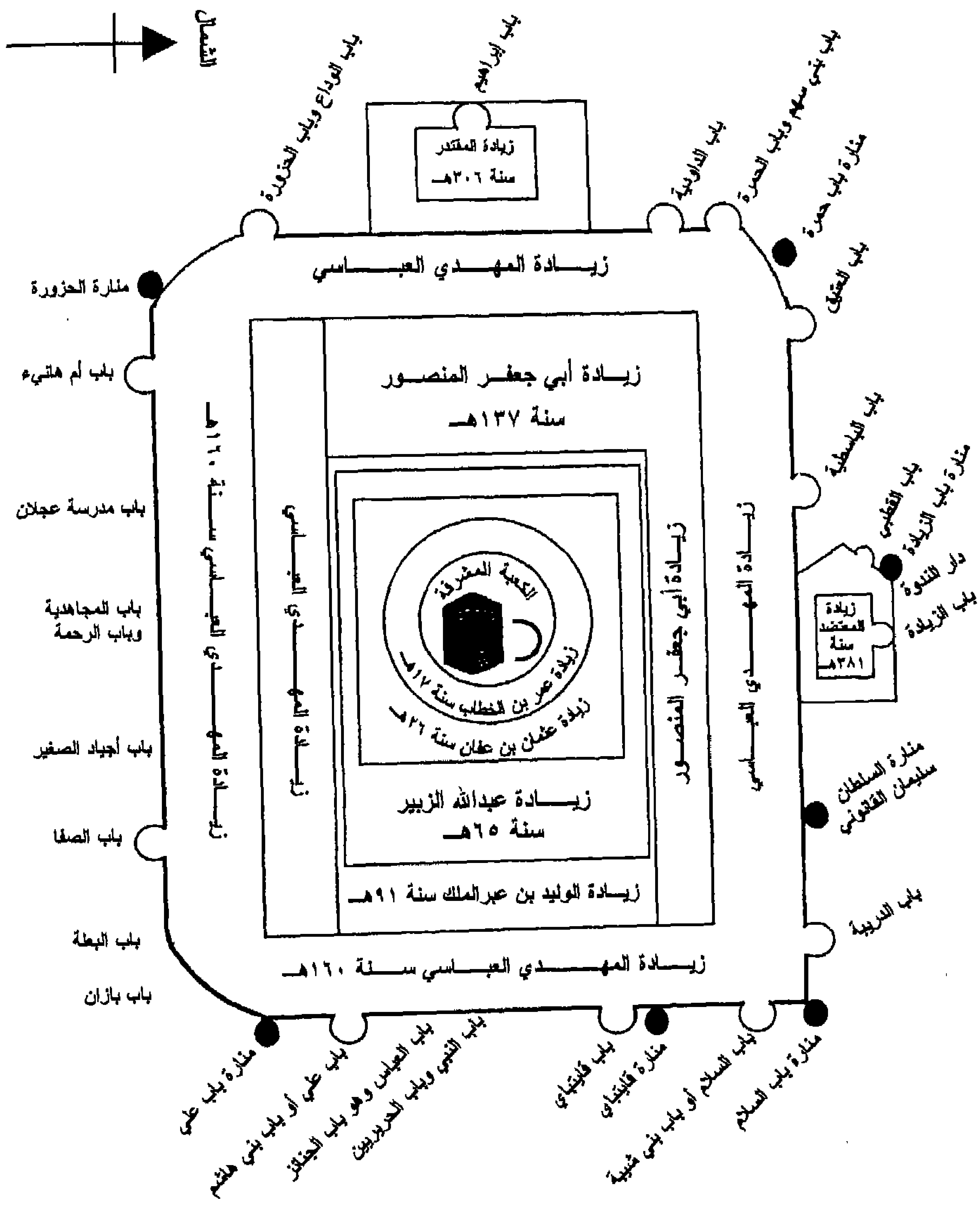

الزيادات التي طالت الحرم حتى عهد الخليفة المهدي العباسي
(من تصميم المؤلف)

المسجد الحرام في عصر المماليك

بعد سقوط الدولة العباسية على يد المغول سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م انتقل الإشراف على المسجد الحرام إلى المماليك في مصر الذين لم يدخروا جهداً في إعطاء المسجد الحرام قسطاً وافراً من الاهتمام طلباً للمثوبة والأجر. فلقد قام الكثير من سلاطين المماليك بعمل الإصلاحات والترميمات اللازمة في المسجد الحرام كلما دعت الحاجة إلى ذلك، كما قام بعضهم بتجديد عمارة المسجد الحرام في الجهات التي تحتاج إلى تجديد أو توسعة. وكانت أهم تلك العمارات كالآتي:

عمارة الناصر فرج بن برقوق «الفترة الأولى» (٨٠١ - ٨٠٨ هـ) :

وجاءت هذه العمارة نتيجة لما أصاب بعض جهات المسجد الحرام من سيل عظيم وحريق كبير حوّل تلك الجهات إلى أطلال من المباني وأكوام من الأتربة. فلقد جاء مكة سيل عظيم في ليلة الخميس العاشر من جمادى الأولى سنة ٨٠٢ هـ، ودخل المسجد وأحدث فيه عددًا من الأضرار في الأعمدة والجدران، وتلا ذلك أن شب حريق في المسجد الحرام ليلة السبت الثامن من شهر شوال من العام نفسه ٨٠٢ هـ. وكان سبب الحريق أن أحد أصحاب الخلاوي ترك سراجاً موقداً في خلوته وخرج عنها فاحترقت الخلوة، وخرجت النار من شباك الخلوة وعلقت بسقف المسجد الحرام لقربه منه، فاشتعل سقف المسجد، وقد عجز الناس عن إطفائه لعلوه، فامتد الحريق إلى الجانب الغربي من المسجد فاحترق بكامله، واستمرت النار حتى وصلت إلى الجانب الشامي حتى

انتهت إلى باب العجلة (الباسطية) فتوقف هناك. وتحولت أروقة المسجد من الجهة الغربية وبعض الرواقين الأماميين من الجهة الشمالية إلى مجموعة من الركام والأتربة.

وما كاد السلطان المملوكي الناصر بن برقوق يعلم بما أصاب المسجد الحرام من الحريق حتى سارع وأمر بإعادة تعمير ما احترق من أروقة المسجد، وكلف الأمير بيسق الظاهري بالإشراف على عمارة المسجد، وقد وصل بيسق إلى مكة المكرمة سنة ثلاث وثمانمائة، وكان أمير الحج المصري في ذلك العام، وتخلف بعد الحج للإشراف على تعمير المسجد الحرام، وما انتهى الحج ورحل الحجاج من مكة حتى شرع في إزالة الأنقاض والأتربة التي خلفها الحريق، وكشف عن أساس الأسطوانات في الأروقة التي أصابها الحريق، ثم بناها بالأحجار المشدودة بعضها إلى بعض بقضبان من الحديد وصب عليها الرصاص، ثم جعل لها قواعد من المرمر. واستمر في بناء الأعمدة حتى جعل طولها طول أعمدة المسجد، ثم عقد عليها العقود فأصبحت أعمدة الجانب الغربي مبنية من حجر الصوان المنحوت المدور، أما الجانب الشمالي فكانت أعمدته من الرخام.

وتمت عمارة هذه العمد في آخر شعبان سنة أربع وثمانمائة، ولم يبق غير عمل السقف، وأخَّر عمله لعدم وجود خشب يصلح لذلك في مكة، إذ لا يوجد غير خشب الدوم وخشب العرعر، وهو ليس له قوة مثل خشب الساج الذي يجلب من الهند، أو خشب الصنوبر والسرو الذي يجلب عادة من بلاد الشام، فلزم تأخر إكماله إلى إحضار القدر الذي يحتاجه سقف المسجد الحرام من الخشب، ولذلك عاد الأمير بيسق إلى مصر في أوائل عام ٨٠٥ هـ وقام بتجهيز الأخشاب اللازمة لعمارة سقف المسجد الحرام الذي أصابه الحريق.

وفي بداية عام ٨٠٧ هـ قدم الأمير بيسق إلى مكة ومعه كمية من الأخشاب المناسبة، وشرع في عمل السقف حتى انتهى من سقف جميع الجانب الغربي من المسجد والأجزاء التالفة من الجانب الشامي إلى باب العجلة، وعلق في السقف سلاسل من نحاس وحديد لتعليق القناديل. وقد تمت عمارة السقف في سنة سبع وثمانمائة. كما جدد المقامات الأربعة بالمسجد الحرام، وكان السلطان الناصر فرج بن برقوق قد صرف في هذه العمارة الأموال العظيمة[١]، وقد تم ذلك على أحسن وجه، خدمة لحرم الله، وطلباً للأجر والثواب من الله.

ـ عمارة السلطان الناصر فرج بن برقوق «الفترة الثانية» (٨٠٩-٨١٣هـ):

في سنة ٨١٠هـ، وخلال الفترة الثانية من حكم السلطان المملوكي الناصر فرج بن برقوق، قام بتجديد عمارة مقام إبراهيم، وبنى عليه قبة عالية من الخشب قائمة على أربعة أعمدة دقيقة من الحجارة المنحوتة، وجعل عليها أربعة شبابيك من حديد[٢].

ـ عمارة السلطان المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ) :

عندما تولى السلطان المملوكي المؤيد شيخ المحمودي أمر قاضي مكة الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة بالإشراف على عمل الترميمات التي يحتاجها المسجد الحرام. فتم في سنة خمس عشرة وثمانمائة تعمير أماكن عدة من سقف المسجد الحرام، وعقدين من جانب الركن اليماني المتصل بصحن المسجد.

(١) عبدالكريم بن محب الدين القطبي: إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، تحقيق: أحمد محمد جمال وعبدالعزيز الرفاعي (الطبعة الثانية، مكة، دار الرفاعي، ١٤٠٧هـ)، ص ٩٣-٩٦.

(٢) حسن الباشا: عمارة المسجد الحرام في عصر المماليك، (مقال بمجلة منبر الإسلام، عدد ربيع الأول سنة ١٤١٤هـ)، ص ١٨١.

وفي بداية سنة ٨٢٢هـ هدمت مظلة المؤذنين التي فوق بئر زمزم لخراب خشبها، وبنيت بالحجر المنحوت وسقفت بأخشاب جيدة، ووسعت أحواض زمزم وأتقن عملها، وتم الفراغ من هذا العمل في شهر رجب من السنة المذكورة[١].

ـ عمارة السلطان الأشرف برسباي الدقماقي (٨٢٥-٨٤١هـ):

ما أن علم السلطان الأشرف برسباي الدقماقي المملوكي بوجود خلل في بعض جدران المسجد الحرام وأبوابه وأعمدته وسقفه حتى أرسل الأمير زين الدين مقبل القديدي إلى مكة، وأمره بتعمير الأماكن التي أصابها التصدع والخراب. فقام زين الدين بتجديد تلك الأماكن وأحسن بناءها، فجدد المتهدم من بناء أروقة المسجد الحرام وأسقفه، وزاد في عرض العقود التي تلي الصحن في الجانب الشامي فأضاف إليها ثلاثة عقود في الصف الثالث، وأحكم الأساطين التي عليها هذه العقود وهي سبع أساطين في الرواق الأول، وثمان في الرواق الذي يليه، وسبع أساطين أخرى متصلة بجدار المسجد. كما جدد أبواب المسجد الحرام وهي: باب العباس وهو ثلاثة أبواب، وباب عليّ وهو ثلاثة أبواب أيضاً، والباب الأوسط من أبواب الصفا وهو خمسة، وباب العجلة (الباسطية) وهو باب واحد.. وأخيراً باب الزيادة وهو الواقع في الركن الغربي من الزيادة، ورمّم باقي أبواب المسجد، وبيّض غالبه وأصلح سقفه[٢]. كما جدّد الرخام المفروش في باطن الكعبة المشرفة،

(١) القطبي: إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، ص ٩٧، وإبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، جـ ١، ص ٢٤٠.

(٢) النجم عمر بن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: د. فهيم شلتوت، (الطبعة الأولى، مكة، جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ)، جـ ٣، ص ٥٩٨-٦٠٠، والقطبي: المصدر السابق، ص ٩٩.

وأصلح الأساطين التي في جوف الكعبة وأجزاء من سقفها وأحكمها بقاعدة من حديد[(١)].

عمارة السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ) :

وفي سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة قام السلطان الظاهر سيف الدين جقمق المملوكي بتكليف الأمير سودون المحمدي بإصلاح الرخام الذي في سطح الكعبة؛ لأنه كان ينقط منه الماء وقت المطر إلى جوف الكعبة. كما قام بتغيير الخشب الذي تربط فيه حبال الكسوة، وخشب الروازن الأربعة التي في سقف الكعبة التي كانت للضوء، وذلك لتآكل تلك الأخشاب. وتم أيضاً ترميم أسافل مئذنة باب عليّ وبياضها، وكذلك بيضت مئذنة باب العمرة، ومئذنة باب الحزورة، وقبة باب إبراهيم والأميال التي على دار العباس في المسعى، وعلو مقام إبراهيم، وعلو مقام الحنفية. وجعل في كل ميل وفي الصفا والمروة قناديل تسرج في رجب وشعبان ورمضان وبعض ذي الحجة، لإضاءة المسعى للساعين[(٢)].

وفي سنة ٨٥٢هـ عمر ناظر الحرم بيرم خواجا في الجانب الشرقي قطعة من جدار المسجد، وجدد في الرواق القبلي من الجانب الشامي سبعة عقود.

وفي سنة ٨٥٤هـ عمّر السلطان جقمق بعض سقوف المسجد الحرام التي أصابها التلف[(٣)].

---

(١) النجم عمر بن فهد: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٥٩٨.

(٢) النجم عمر بن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: د/ عبدالكريم الباز، (الطبعة الأولى، مكة، جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ) جـ ٤، ص ١٤٨-١٥١.

(٣) القطبي: المصدر السابق، ص ١٠٠-١٠١.

عمارة السلطان قايتباي (٨٧٢-٩٠٢هـ) :

عند تولى الملك الأشرف قايتباي السلطة في الدولة المملوكية أراد أن يقوم ببعض الإصلاحات في المسجد الحرام، فأمر في سنة ٨٨١ هـ بإصلاح بئر زمزم، وترميم مقام إبراهيم، وغيّر الرخام الذي بداخل الحجر، كما قام بعمل منبر جديد مرتفع، وأرسل كسوة جديدة للكعبة المشرفة، وأنشأ عند باب السلام مدرسة كبيرة سميت (مدرسة المذاهب الأربعة)، تم بناؤها عام ٨٨٤ هـ على يد الأمير سنقر الجمالي الأشرفي، وكان يدرَّس فيها مختلف العلوم الإسلامية والفقه على المذاهب الأربعة، وبها أربعة من المدرسين على المذاهب الأربعة، وعدد من الطلاب، وجعل فيها مكتبة قيمة أرسلها من مصر وجعلها وقفاً على طلاب العلم. كما بنى بجانب هذه المدرسة منارة تتميز بقاعدتها المربعة، يعلوها خوذة على شكل القلة(١).

وفي عهد السلطان قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠٠-١٥١٦م) عمّر باب إبراهيم بعقد كبير، وجعل على جانبيه غرفاً صغيرة لإيواء الفقراء، وكان ذلك سنة ٩١٧ هـ(٢).

(١) قطب الدين محمد النهرواني: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ملحق بهوامش كتاب خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام (الطبعة الأولى، القاهرة، المطبعة العثمانية، ١٣٠٥هـ)، ص ١٥١-١٥٢.

(٢) عبد الملك العصامي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (الطبعة الأولى، القاهرة، المطبعة السلفية، ب ت)، جـ ٤، ص ٥٢.

الترميمات والعمارة العثمانية في المسجد الحرام
(٩٢٣ - ١٣٣٤هـ)

أسهمت الدولة العثمانية بدور كبير في ترميم المسجد الحرام بمكة المكرمة وعمارته طوال العصر العثماني، وقد ظهر هذا الاهتمام منذ ضم الحجاز للدولة العثمانية في سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م على يد السلطان سليم الأول، بعد أن قضى على سلطان الدولة المملوكية في الشام ومصر والحجاز، وأصبحت الدولة العثمانية منذ ذلك التاريخ هي المسؤولة عن شؤون الحرمين الشريفين، حيث تكفل سلاطينها بإرسال الكسوة السنوية للكعبة المشرفة، والصرة والأرزاق والمعاشات السنوية للعاملين في الحرمين الشريفين والفقراء، ورأوا ذلك شرفاً كبيراً لهم. كما اهتموا بعمارة الحرمين الشريفين وترميمهما كلما اقتضت الحاجة إلى ذلك.

وفي عهد السلطان سليمان القانوني (٩٢٧-٩٧٤هـ) لقي المسجد الحرام عناية خاصة منه، فقد أمر في سنة ٩٣١هـ بترميم السقف الشرقي للمسجد الحرام بعد ظهور بعض الخلل في أخشابه، كما أمر بتبديل الأعمدة الموجودة حول المطاف بأعمدة مصنوعة من النحاس الأصفر، وجعل بينهما أخشابًا لتعليق القناديل عليها، كما قام في العام التالي ٩٣٢ هـ بتعمير المقام الحنبلي، والمالكي، وباب بني شيبة (السلام)، وباب علي. وفي عام ٩٤٧ هـ أمر السلطان سليمان بهدم المقام الحنفي وبنى مكانه مبنى جديدًا للمقام نفسه. كما أنشأ عدداً من الغرف في

الجانب الشرقي من المسجد، وجعلها مخزناً لحفظ مؤن المسجد الحرام من زيت للقناديل وشموع وقناديل ومسارج وأخشاب ونحوها.

وفي سنة ٩٥٩هـ جُددت أعمدة المسجد الحرام وأروقته، وبني الرواق الشرقي المتصل بباب الندوة، وتم البناء بالحجر من منطقة الشميسي، كما تم ترميم مدخل الباب الغربي، ومدخل باب إبراهيم، وفرش صحن المطاف ببلاط جديد، وأعيد بناء المآذن الثلاث؛ مئذنة في الناحية الشمالية الشرقية للمسجد، وأخرى من الناحية الشرقية في مكان المئذنة التي أنشئت في عهد السلطان الظاهر بيبرس، وثالثة عند باب العمرة في الناحية الشمالية الغربية من المسجد.

كما أمر السلطان سليمان بتجديد سطح الكعبة المشرفة، وأهدى للمسجد الحرام منبراً من الرخام، مطعَّماً بأحجار مختلفة، عليه قبة لتقي الخطيبَ من الشمس في أثناء خطبته، ويبلغ ارتفاعه (١٢م)(١). وقد استمرت هذه الترميمات حتى سنة ٩٦٢هـ.

وفي عهد السلطان سليم الثاني (٩٧٤-٩٨٢هـ/ ١٥٧٦-١٥٧٤م) رفع ناظر المسجد الحرام إلى السلطان تقريراً محرراً في سنة ٩٧٨هـ يفيده فيه بأن الرواق الواقع شرقي المسجد الحرام قد تكسرت بعض أخشابه فمال نحو صحن المطاف بنحو (٤٨ سم)، وأن أخشاب السقف التالف ظهرت من رؤوسها، فما كان من السلطان سليم الثاني إلا أن أمر بعمل الاستعدادات اللازمة، وتدبير الأموال الكافية من خزينة الدولة العثمانية لإصلاح ما أصاب السقف الشرقي للمسجد الحرام، وإرسال الفنيين اللازمين للقيام بعمل ذلك على وجه السرعة، وفعلاً جهزت السفن

---

(١) محمد أمين المكي: الآثار المبرورة لسلاطين آل عثمان في الحرمين الشريفين، ترجمة سعد الدين عثمان أونال، (مخطوط)، ورقة ١٩.

وعليها مجموعة من الفنيين والعمال المهرة، وتوجهت من إسطنبول إلى مصر، ومنها نقلت إلى البحر الأحمر، ثم إلى ينبع حيث وصلت إلى مكة المكرمة.

وفي أوائل ربيع الأول عام ٩٧٩هـ بدئ في تنفيذ مشروع ترميم الرواق التالف تحت إشراف أحمد كتخدا والي جدة، والقاضي بدر الدين حسين الحسيني ناظر المسجد الحرام آنذاك. وقد بدأ الهدم في ١٤ ربيع الأول سنة ٩٨٠هـ حيث هدم الرواق كاملًا من باب السلام إلى باب علي، وأُزيلت الأنقاض. وفي شهر ربيع الآخر عام ٩٨٠هـ بدئ البناء في الرواق المذكور، وحضر بداية العمل أمير مكة وأعيانها وعلماؤها. وقد تم بناء الأساسات واستبدل بالأعمدة الخشبية التي تحمل السقف أعمدة من الرخام، وبعد ذلك تم بناء القباب التي بنيت على الطراز المعماري الإسلامي العثماني(١)؛ فأصبح سقف المسجد مقبباً لأول مرة، وذلك ليؤمن تآكل الأخشاب الذي كان كثير التلف، وعدم الحاجة إلى استبداله بين الحين والآخر، وحتى تكون الأروقة أكثر تبريداً بشكلها المقبب، ولوقاية السقف من أن يكون مأوى للحيات والطيور والحشرات، حيث كان السقف الخشبي يتكون من سقفين بينهما فراغ حوالي ذراع مما يسمح بوجود الطيور والحيات بداخله.

وفي تلك الأثناء توفي السلطان سليم الثاني فخلفه السلطان مراد الثالث (٩٨٢-١٠٠٣هـ) الذي واصل العمل في إكمال عمارة المسجد الحرام التي بدأت وانتهى الجزء الأكبر منها في عهد سلفه السلطان سليم

(١) قطب الدين محمد النهرواني: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص ٢٦٤-٢٧٠، ومحمد أمين المكي: الآثار المبرورة لسلاطين آل عثمان، ورقة ٢٢-٢٣.

الثاني، فواصل البناء حتى انتهى من عمارة المسجد الحرام في عام ٩٨٤هـ، وقد أنفق عليها حوالي مئة ألف دينار عثماني من الذهب، وبلغ عدد القباب (١٥٢) قبة، محمولة على (٨٨١) عقداً كبيراً، وأكثر من ألف عقد صغير محمولة على (٢٧٨) عاموداً، وكانت الأعمدة على ثلاثة مقاطع مربع ومسدس، وغالبيتها ذات ثمانية أضلاع، وتم بناء الثلث السفلي للأعمدة من الحجر الصوان المنحوت، والثلثين الباقيين من حجر الشميسي، وقطر العامود الواحد (١,٢٥) ذراعاً حوالي (٦٠سم)، وهناك (٣١١) عاموداً من الرخام، ويربط كل عامودين بقندل من الخشب لحماية الأعمدة من الميلان، ومعلق عليها خمسة قناديل، وفي صرة كل قبة قنديل، والأروقة محاطة من الداخل والخارج بالشرفات، ومجموعها حوالي (١٣٨٠) شرفة. وبلغ عدد أبواب المسجد (٢٦) باباً[(١)].

وفي سنة (١٠٢٠هـ) جدد السلطان أحمد الأول (١٠١٢-١٠٢٦هـ) الميزاب الذهبي للكعبة المشرفة، كما قام بعمل قفص حديدي على بئر زمزم حتى يمنع الناس من رمي أي شيء داخل البئر.

وعندما هطلت أمطار غزيرة على مكة المكرمة سنة ١٠٣٩هـ، وسالت على إثرها الأودية بسيول عظيمة، فدخل جزء كبير منها داخل الحرم المكي الشريف، وتسبب في إتلاف بعض حجارة أركان الكعبة المشرفة، اجتمع العلماء والأعيان في مكة وكتبوا للسلطان العثماني مراد الرابع (١٠٣٢-١٠٤٩هـ/ ١٦٢٢-١٦٣٩م)، فأصدر أمراً سلطانياً بتعمير ما تهدم من الكعبة المشرفة بسبب السيول، وأرسل لذلك مبالغ كبيرة من المال من إسطنبول. وقد بدأ العمل في البناء في اليوم الحادي عشر من شهر

---

(١) يوسف عبدالرحيم: القصة الكاملة لبناء وتوسعة المسجد الحرام، مجلة عمار، العدد العشرون، ص٥٤-٥٥.

شعبان سنة ١٠٣٩هـ، وتم الانتهاء منه في اليوم السادس عشر من شعبان سنة ١٠٤٠هـ بعد عام وخمسة أيام من العمل المتواصل.

وفي سنة (١٠٧٢هـ) أمر السلطان محمد الرابع (١٠٥٨-١٠٩٩هـ/ ١٦٤٨-١٦٨٧م) بترميم المسجد الحرام والمنائر السبع وعمارة ما يحتاج منه للعمارة. وزاد في مساحة صحن المطاف وفرشه بالحجارة المنحوتة، ووضع ثمانية قناديل في المسعى[١].

وفي عهد السلطان مصطفى الثاني (١١٠٦-١١١٥هـ/ ١٦٩٤-١٧٠٣م) أجريت تعميرات كثيرة في الحرمين الشريفين سنة (١١١١هـ)، منها تجديد محفظة الحجر الأسود وإطاره، وتجديد خمسة أعمدة من أعمدة سقف الكعبة المشرفة والسلم الصاعد إلى سطحها، حيث بنيت أدراجه السبع الأولى من الرخام وباقيها صنعت من الخشب الجيد، مع عمل الاستراحات المطلوبة فيه.

وقام السلطان أحمد الثالث (١١١٥-١١٤٢هـ) خلال فترة حكمه بتجديد رخام صحن المطاف وبلاطاته. كما قام السلطان محمود الأول (١١٤٢-١١٦٨هـ) بإرسال ثريات جديدة، وشمعدانات ذات قيمة وبهاء إلى الحرمين الشريفين، وذلك في سنة ١١٦٢هـ[٢].

وعندما تولى السلطان عبدالحميد الأول (١١٨٧-١٢٠٣هـ) زمام السلطة في الدولة العثمانية قام بترميم مقام إبراهيم عليه السلام، والمقام الشافعي، وقام أيضاً بترميم المئذنة الواقعة على باب العمرة، كما أنه قام بإجراء بعض الترميمات في أحجار الكعبة المشرفة، والحجر

(١) النهرواني: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ . وأحمد السباعي: تاريخ مكة، ص ٥٩١ - ٥٩٢.

(٢) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ص ٥٩٢.

الأسود. وأحدث أرصفة تتخلل حصوات المسجد، تبدأ من صحن المطاف وتتجه إلى باب السلام، وباب علي، وباب الصفا، وباب إبراهيم، وباب العمرة حتى لا يسبب مرور القاصدين المطاف من هذه الأبواب أي تخطٍّ للمصلين في الحصوات، كما قام بتجديد بعض القبب وقواعد الأعمدة في عدد من الأروقة بالمسجد.

وفي سنة ١٢٦٠هـ أمر السلطان عبدالمجيد الأول (١٢٥٥-١٢٧٧هـ) بعمل معاليق لتعليق القناديل عليها في شكل شجرة النخيل في الجهات الأربع للحرم المكي بمسافات متساوية، وعلقت قناديل يتجاوز عددها ثلاثة آلاف قنديل تحت القباب، وفي جميع أنحاء المسجد وخارجه، وكانت هذه القناديل توقد ليلاً بدءًا من غرة شهر رجب وحتى نهاية شهر الحج، وذلك لكثرة القادمين إلى مكة المكرمة من الحجاج والمعتمرين في هذه الفترة من كل عام(١). ألا أن المؤرخ حسين باسلامة يذكر أن عدد القناديل كان (١٤٢٢) قنديلاً بعد أن قام بإحصائها بنفسه، وكانت هذه القناديل عبارة عن آنية من الزجاج موصلة من ثلاث جهات بسلاسل، يتم بواسطتها تعليق هذه القناديل، ويوضع في جوف هذه القناديل الزجاجية كأس يجعلون فيه الزيت والماء، في وسطه فتيلة رفيعة تضاء بمشاعل بها نار(٢). ويظهر أن هذه القناديل بعضها يضاء ليلاً وبعضها مجرد حلية، وأن عدد المضاء منها يختلف حسب الحاجة.

وفي عام ١٢٦٦هـ قام السلطان عبدالمجيد الأول بإجراء إصلاحات عامة في المسجد الحرام، وتم خلالها رصف الردهة الداخلية لباب السلام بالمرمر.

---

(١) أحمد السباعي: المصدر السابق، ص ٥٩٢.

(٢) حسين باسلامة: عمارة المسجد الحرام، ص ٢٥٤-٢٦٠.

كما تم في عام ١٢٧٠هـ تعمير الحائط المحيط بالحطيم، ووضع حول الحجر الأسود محفظة فضية جديدة لتقيه من الانكسار، ولتعطيه مظهراً يليق به. وفي عام ١٢٧٦هـ أرسل السلطان عبدالمجيد الأول ميزاباً للكعبة المشرفة صنع في إسطنبول، مصفحاً بنحو خمسين رطلاً من الذهب، وقد حمل القديم إلى اسطنبول لحفظه في متاحفها[(١)].

وفي تقرير رسمي مرفوع للسلطان العثماني عبدالحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٥هـ) كتبه القائمقام أركان حرب السيد محمد صادق ـ ضابط ومهندس عثماني ـ عن أحوال الحرم المكي الشريف، بصفته المسؤول الأول عن أعمال الدولة العثمانية في الحرمين الشريفين آنذاك، وفيه يطالب الحكومة العثمانية بسرعة عمل العمارة اللازمة للمسجد الحرام بمكة نظراً لوجود أماكن عدة تالفة في سقوف المسجد الحرام وحيطانه وأعمدته في مختلف جهاته.

وهذا التقرير مكون من ثلاث وثائق، تشتمل على رسوم وخرائط محدد عليها مواقع التلف، ومدى خطورتها، كما يشتمل أيضاً على بيانات للتكلفة المطلوبة للإصلاح، وقد كتب هذا التقرير في شهر ربيع الأول سنة ١٣٠١هـ.

ويبدأ التقرير بإبراز الحاجة الماسة إلى عمل الترميمات اللازمة في مباني الحرم المكي الشريف، ويحدد التقرير الترميمات المطلوبة فيما يأتي:

١- تعذر قراءة عشر لوحات خطية مكتوبة موضوعة على مبنى بئر زمزم، وعلى باب السلام، وحاجتها إلى إعادة كتابتها.

---

(١) أحمد السباعي: المصدر السابق، ص ٥٩٢-٥٩٣.

٢- تآكل طلاء معظم جدران الحرم المكي، وأنه لا بد من إعادة طلائها من جديد.

٣- أن الحجارة المفروشة على أرض صحن المطاف قد تكسرت لدرجة أنها أصبحت تعيق حركة الطائفين وتزعج المصلين، وأن الحاجة تدعو إلى ضرورة إعادة تركيبها بأسرع وقت ممكن لسلامة الطائفين والمصلين وراحتهم.

٤- المطالبة بإعادة بناء بعض مباني المقامات حول الكعبة المشرفة وترميمها، وخاصة المقام الحنفي، وترميم مبنى باب السلام، وإطار الحجر الأسود.

٥- الحاجة الماسة إلى تغيير أحجار البازلت المستطيلة السوداء تحت منطقة ما تحت القباب في بعض أروقة المسجد الحرام، وذلك بأحجار أخرى من أحجار تريستا.

٦- أن الكعبة المشرفة تحتاج إلى مشروع إصلاح وتعمير، وخاصة الجدار الواقع في الناحية الشرقية للكعبة.

٧- زيادة الأسبلة المقامة داخل مبنى بئر زمزم وخارجه لتسهيل الشرب منها، مع العمل على تنظيف بئر زمزم من وقت لآخر.

٨- إقامة مكان للأغوات وخزن للوازمهم.

٩- إحضار عدد (٢١٠) أعمدة رخامية، وصناعة (٢١) باباً من الخشب بأطرها القوية وأعمدتها الجديدة.

١٠- استبدال حصى الساحات الداخلية ورملها بأخرى جديدة.

١١- تحديد أماكن صلاة النساء وإحاطتها بشبك حديدي.

١٢- عمل حجر يكتب عليه اسم السلطان عبدالحميد الثاني بن عبدالمجيد الأول الذي تم البناء والترميم في عهده، وتاريخ البناء.

وينتهي التقرير بتقدير التكلفة الكلية لهذه الأعمال حسب تقدير الكاتب بمبلغ ألفين وثمانمائة وثمان وأربعين ليرة عثمانية(١).

ويظهر أن هناك استجابة سريعة من السلطان عبدالحميد الثاني ولكنها كانت محدودة لعمل العمارة والترميمات اللازمة في المسجد الحرام ـ نظراً للموقف السياسي الذي كان يحيط بالدولة العثمانية ـ وعلى الرغم من ذلك فإنه قام بإصلاحات عديدة كان من أهمها: إزالة بناء سقاية العباس، وبيت المحفوظات اللذين كانا قائمين بجوار مبنى بئر زمزم، مما تطلب نقل كتب مكتبة الحرم التي كانت في مبنى سقاية العباس إلى مبنى ملاصق للمسجد الحرام عند باب السليمانية(٢).

وفي ٢٣ من ذي الحجة سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م دخل المسجد الحرام سيل عظيم فملأ المسجد بكامله، وبلغ ارتفاعه إلى عتبة باب الكعبة المعظمة، وغطى الحجر الأسود وحِجر إسماعيل عليه السلام، ومكث الماء على هذا الشكل يوماً وليلة حتى تم تصريف المياه عبر منافذ خاصة في الأقبية. وقد أخل هذا السيل بنحو (٢٢) أسطوانة رخامية، وسبب أضراراً كبيرة في مباني المسجد، وسمي ذلك السيل بسيل (الخديوي)؛ وذلك لأن عباس حلمي خديوي مصر السابق قد حَجَّ في ذلك العام.

---

(١) محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة (الطبعة الأولى، دمشق، دار القلم، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، ص٥٩-٦٢. وسعيد بن سعد بن سفر الغامدي: الأوقاف الخيرية والجوامع والمساجد في الدولة العثمانية (مجلة التاريخ والمستقبل، جامعة المنيا، كلية الآداب، يوليو، ١٩٩٦م)، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٢) حسين باسلامة: عمارة المسجد الحرام، ص ٢٧٧، وأحمد السباعي: تاريخ مكة، ص ٥٩٢-٥٩٣.

واستمر العمل في نظافة المسجد نحو نصف شهر. فأمر السلطان محمد رشاد في أوائل عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م ناظر الحرم ووالي الحجاز بالقيام بعمارة عمومية للمسجد الحرام، شملت هدم أجزاء كبيرة من أروقة المسجد الحرام وإعادة بنائها، فتم تعديل نحو عشر أسطوانات من الأسطوانات المائلة، وإصلاح أجزاء محدودة من المسجد وترميمها شملت بعض الأروقة والأبواب والمنائر. كما أنه أراد استبدال الأسطوانات المتضررة بالسيل بغيرها جديدة، ولكنه تعذر عليه ذلك؛ لأن الحرب العالمية الأولى كانت مشتعلة في تلك الفترة، واستمرت أربعة أعوام (١٩١٤-١٩١٨م)، مما تسبب في قطع كثير من طرق المواصلات البحرية والبرية العالمية، فلم يتم تغيير الأسطوانات إلا واحدة منها، وتوقف العمل بعد ذلك نظراً لانتهاء الحكم العثماني على الحجاز في التاسع من شعبان من ذلك العام الموافق ١١يونيه سنة ١٩١٦م[١].

---

(١) حسين باسلامة، المصدر السابق، ص ٢٧٧-٢٨١، و أحمد السباعي، المصدر السابق، ص٥٩٣-٥٩٤.

الباب الأول

عمارة المسجد الحرام ومرافقه في العهد السعودي

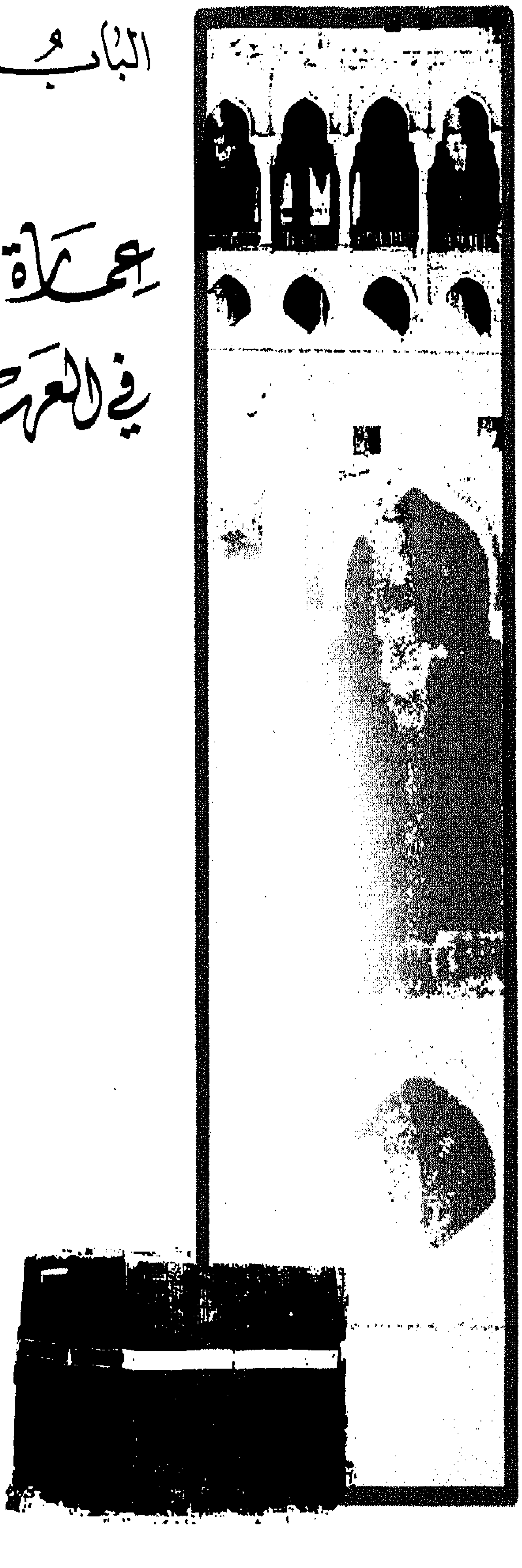

الفصل الأول

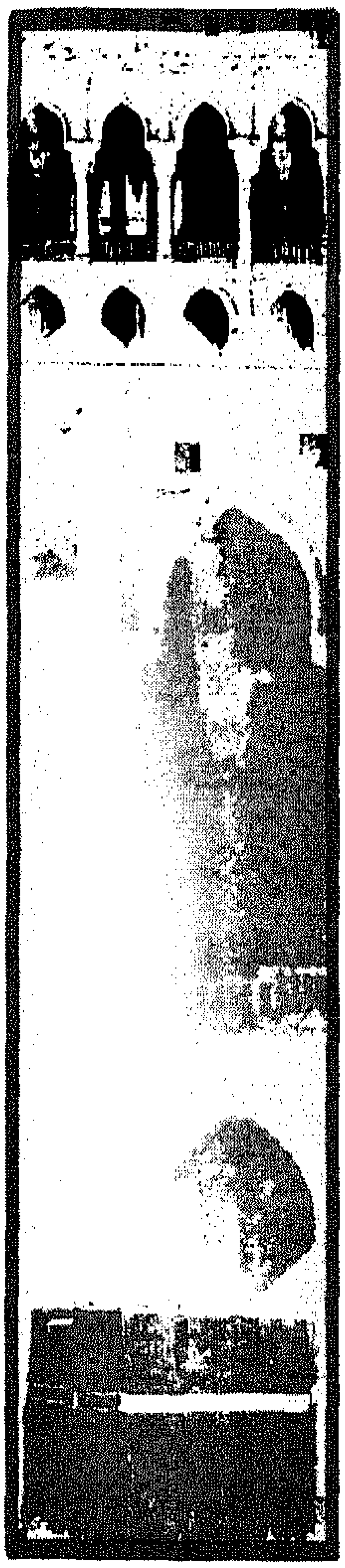

جهود الملك عبدالعزيز في إعمار المسجد الحرام وتوسعته

جهود الملك عبدالعزيز في إعمار المسجد الحرام وتوسعته

اهتمامه بالحرمين الشريفين:

إن نظرة ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية للحرمين الشريفين والعناية بهما نظرة تعبدية خالصة لله سبحانه وتعالى.

تلك النظرة التي تهدف إلى تحقيق مفهوم الأمن النفسي والروحي للحاج والمعتمر والزائر والمواطن، حتى يمكّنهم من أداء فرائضهم ونسكهم وواجباتهم في جو من الطمأنينة والهدوء الذي معه تتحقق العبودية لله ـ سبحانه ـ كما أرادها الله عز وجل.

ويظهر تحقق تلك النظرة بما يقدمه ولاة الأمر في هذه البلاد المقدسة من جهود جبارة في إعمار الحرمين الشريفين، ليقوم الحاج والمعتمر والمصلي والطائف بأداء فرائضهم وعباداتهم في طمأنينة واستقرار، فيتحقق بذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾[1].

وما كان هذا الاهتمام العظيم بالحرمين الشريفين إلا بتوفيق من الله للملك عبدالعزيز آل سعود ـ رحمه الله ـ الذي أقام هذه الوحدة على هدي من كتاب الله وسنة نبيه المطهرة، فتحقق معها الأمن بمعناه الحقيقي الواسع، فقامت دولة التوحيد دولة شامخة عظيمة بين الأمم، تحمل معها رسالة خدمة الإسلام والمسلمين في أعز البقاع إلى الله، ذلك البلد الأمين الذي أودعه الله هذه البقعة الطاهرة من أرضه العامرة

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

مكة المكرمة التي فيها قبلة المسلمين يتجهون إليها في عبادتهم كل يوم ويحجون إليها كل عام.

لقد ساعد الاستقرار والأمن الذي حققه الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ على توحيد الجهود لإعمار الحرمين الشريفين وخدمتهما، والتي كانت من أوليات القضايا التي شغلت باله رحمه الله، فكانت نظرته نظرة ثاقبة واعية؛ لأن نظرته إلى المستقبل كانت من أجل خدمة المسلمين بالنفس والنفيس، وجعل الحج إلى بيت الله الحرام ميسراً لجميع أبناء الأمة الإسلامية والعربية، انطلاقاً من موقع بلاده التي تضم أشرف بقاع الدنيا، ومن المسؤولية الملقاة على عاتقه لكونه خادمًا للحرمين الشريفين.

فالمملكة العربية السعودية بمثابة القلب في جسد الأمة، فهي القبلة والوجهة التعبدية التي يتوجه إليها كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.

ولذلك عمل الملك عبدالعزيز ومن بعده أبناؤه البررة على أن تكون اهتماماتهم بالوطن والمواطن شاملة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحياتية لتحقيق مفهوم الدولة الإسلامية العصرية.

وبتوفيق من الله ونصره المبين نجح الملك عبدالعزيز وأنجاله في تحقيق التطور المنشود، والقيام بكل إنجاز، والإنفاق على كل ما يفيد الوطن والمواطن والحاج بسخاء، خاصة بعد أن منَّ الله على هذه البلاد باستخراج البترول؛ لأن الملك عبدالعزيز لم يكن توحيده لهذه البلاد بغرض هوى في نفسه، أو غاية ينشدها لنفسه أو مجد شخصي، إنما غايته كانت تهدف إلى تحقيق العبادة المخلصة الخالصة لله وحده، وبناء وحدة تضم المناطق التابعة للدولة السعودية في طوريها الأول والثاني، يحكم فيها بشرع الله وسنة نبيه الخالدة، وبذلك يحقق الوئام والأمن والاستقرار والسعادة لشعبه وللأمة الإسلامية.

نعم لقد حقق القائد وحدة الأمة وأمنها وسلامتها، وسار على نهجه أبناؤه البررة الذين ما حادوا عن نهجه القويم في وئام ووفاق، واستمر على أيديهم تحقيق الاستقرار والازدهار والرفاهية للمواطن السعودي، والأمن والسعادة للزوار من حجاج ومعتمرين وزائرين للحرمين الشريفين.

فكانت وما زالت بحق: خدمة حجاج بيت الله الحرام والمعتمرين والزوار شرف عظيم للحكومة السعودية قيادة وشعباً، وكانت هذه الرسالة العظيمة هي الرسالة التي ربى عليها الملك عبدالعزيز أبناءه وشعبه وسار على هديها، فأصبحت رسالة دولة ونهج أمة [١].

لقد كان الملك عبدالعزيز قدوة صالحة لأبنائه وشعبه؛ لأنه أوفى بالعهود التي قطعها على نفسه، وأهمها أن جعل خدمة الحرمين الشريفين وتأمين الراحة للحجاج والزوار وتوفيرها، وإصلاح حال بلاده وشعبه من أهم مسؤولياته واهتماماته [٢]، وكان ذلك نبراساً وقدوة سار عليها أبناؤه وشعبه، فأصبحت رسالة خالدة تسير عليها الأجيال جيلاً بعد آخر.

وانطلاقاً من هذه المبادئ والقيم، وبتوفيق من الله تحقق للزعيم القائد الرائد ما أراده من قيام حكومة تحكم أرجاء المملكة بشرع الله الحكيم، ونبذ الخلافات بين القبائل، ونشر العلم، ومحاربة الجهل والفقر والمرض، والعمل على استتباب الأمن والاستقرار، وتوجيه الطاقات للعمل النافع، والقيام بالواجبات نحو الله سبحانه وتعالى، ثم نحو الأمة، وبذلك نجح - رحمه الله - في جمع كلمة شعبه وأمته،

---

(١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى (الطبعة الأولى، جدة، مطابع دار البلاد، ١٤١٦هـ)، ص ٢٢٩.

(٢) عبدالمنعم الغلامي: الملك الراشد (الطبعة الأولى، الرياض، مطابع دار اللواء، ب ت)، ص ٤٦.

وعمل على تطوير مرافق الدولة على أسس إسلامية رائدة، فأصبحت المملكة العربية السعودية دولة عصرية لها علم مرفوع بكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وصوت مسموع في جميع المحافل الدولية الخيّرة والبنّاءة، وكتاب مقروء يشع بالخير والنفع العظيم.

نبذة عن حياة الملك عبدالعزيز :

هو الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله ابن محمد بن سعود بن مقرن بن فرحان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة.

ولد في قصر الإمارة بمدينة الرياض ليلة التاسع عشر من شهر ذي الحجة عام ١٢٩٣هـ الموافق ١٤ يناير ١٨٧٧م (١). ولقد اختلفت الأقوال حول التحديد الدقيق لتاريخ ولادته، وما نرجحه يرجع إلى الاعتماد على رواية ابنه سمو الأمير طلال بن عبدالعزيز(٢).

فكان مولده - رحمه الله - في وقت اشتدت فيه الصراعات والمنازعات، وعم التمزق معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية، وقد تولى والده تربيته التربية الإسلامية الصحيحة. فلما اشتد عوده تعلم مبادئ القراءة والكتابة على يد الشيخ القاضي عبد الله الخرجي من علماء الرياض، وقرأ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد بن صبيح، كما درس التفسير وأصول الفقه والتوحيد على يد سماحة الشيخ عبد الله بن

---

(١) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز (الطبعة الثالثة، بيروت - دار العلم للملايين، ١٣٩٧هـ)، ج ١، ص ٥٧-٥٨.

(٢) عبداللطيف بن عبد الله بن دهيش: التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز نشأته وتطوره (الطبعة الأولى، مكة، مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٧ هـ)، ص ١٣، وطلال بن عبدالعزيز: صور من حياة عبدالعزيز (الطبعة الأولى، الرياض، مطابع حذيفة للأوفست، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص ٢٦.

عبداللطيف آل الشيخ، إلى جانب تعلمه بعض الدروس في اللغة العربية والسيرة النبوية الشريفة والتاريخ الإسلامي على يد بعض علماء الرياض.

بجانب أنه كان ملازماً لوالده في مجالسه وتحركاته، مما كان له أثره العظيم في تربيته وتكوينه، فكان يستمع لكل ما يدور حوله من أحاديث وقصص عن سيرة أجداده من آل سعود، وما حققوه لهذه الجزيرة من خير وأمن ووحدة وسلام، وموقف الأعداء منهم من أجل هدم هذه الوحدة وطمس معالمها، ونشر الفتن والصراعات والبدع والخرافات بين سكانها. وما آلت إليه الدولة السعودية في طورها الأول، ثم في طورها الثاني بسبب موقف الأعداء منها. وفي الوقت نفسه كان عبدالعزيز يمارس رياضات عدة منها الفروسية والرماية، فأكسبه ذلك أن نشأ قوي البنية، شديد المراس، عظيم الصبر والتحمل على المشاق والشدائد، عادلاً شجاعاً مقداماً، هذا إلى جانب علمه وثقافته الواسعة، مما جعله يتطلع إلى مستقبل زاهر يعيد به لشبه الجزيرة العربية مجدها وأمنها وعزها ووحدتها، في ظل تحكيم كتاب الله وسنة نبيه المطهرة [(١)].

لقد كانت أولى مشاهدات الشاب عبدالعزيز هي مشاهدته لما كان يدور حوله من أحداث سواء داخل الرياض أم خارجها، وما قام به والده الإمام عبدالرحمن من محاولات للمحافظة على كيان الدولة السعودية وما تبعها من نتائج أدت إلى تسلط الأعداء للقضاء عليها، مما دفع بوالده إلى الرحيل واستقراره بالكويت. وفي الكويت أدرك عبدالعزيز بنظرته الثاقبة ما يحيط به وببلاده من أحداث، وما يحاك حولها من مؤامرات، هدفها أن تعصف بهذه الأمة أحداث تلهب نارها كتل سياسية

(١) عبداللطيف بن دهيش: المرجع السابق، ص ١٣-١٤.

خارجية تعمل على خدمة مصالحها الاستعمارية في المنطقة. لذا كان إصرار عبد العزيز على تقويض تلك المحاولات، وإعادة المنطقة إلى سالف عهدها من الوحدة والاستقرار، والأمن والبناء.

ومن الكويت بدأ عبدالعزيز في تحقيق هدفه النبيل ليعيد لشبه الجزيرة العربية وحدتها وقوتها وتماسكها، ويضعها في مكانها الريادي قلعة للإسلام والمسلمين؛ فكانت تلك العملية الفدائية الخطوة الحكيمة التي أعاد بها زمام الأمور في الرياض. وكان ذلك في الخامس من شوال سنة ١٣١٩هـ الموافق للرابع والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٠٢م.

ومن الرياض كان الانطلاق نحو بناء المملكة العربية السعودية. لقد كان عبدالعزيز شهماً في حربه وسلمه، عظيماً في انتصاراته، لم يتعاون مع مستعمر، ولم يمد يده إلى جهات أجنبية لكي تساعده أو تنصره على خصومه. كما أن عبدالعزيز لم يراوغ، كما أنه لم يخادع، فسار إلى أهدافه بكل وضوح وثبات، عطوفاً متسامحاً عندما ينتصر، شديداً عندما يُستفز، صنع دولة وألّف من قبائلها وعشائرها المتنافرة المتقاتلة أمة واحدة، فوحد أرضاً مترامية الأطراف تعادل مساحتها ثلث مساحة أوربا تقريباً، وبنى شعباً واعداً قادراً على السير في مضمار الحضارة على أسس إسلامية ثابتة وجلية. لقد انتصرت قضية عبدالعزيز بعد كفاح شاق طويل؛ لأن اعتماده كان على الله ـ سبحانه وتعالى ـ أولاً، ثم على مؤهلاته وشخصيته الفذة، وعلى قدرات شعبه الوفي، لهذا كان النصر حليفه [1].

(١) عبدالكريم الغزال: المملكة العربية السعودية، أمام قدرها الكبير (الطبعة الأولى، دمشق، ب ت)، ص١٩.

إن المتأمل في سيرة عبدالعزيز يجد أن أبرز صفاته هي الكرم، وهي فضيلة بقيت تلازمه وقت الرخاء ووقت الشدة على السواء، كما أنه اتصف بالسلوك الحسن والعقيدة الصافية، والدعوة إلى الله في السر والعلانية، والشجاعة المتزنة، والذكاء الخارق والفراسة المتمكنة، وقوة الإرادة، والحرص على المشورة، وحسن القيادة السياسية والحربية، والوعي بالتاريخ في مختلف العصور مع عمق المعرفة بقومه؛ حاضرة وبادية[(١)]. لقد أودع الله في عبدالعزيز الذكاء والفطنة وقوة الإرادة والنظرة البعيدة والتطلع إلى المجد؛ بالإضافة إلى ما لديه من استعداد فطري في كل ما يفكر فيه أو يقرؤه أو يسمعه من غيره؛ لأنه كان شغوفاً بالبحث ومعرفة الحقائق. هكذا كانت حياة عبدالعزيز في سيرته وسلوكه وعمله، فجاء تحركه موفقاً، وعمله مثمراً، وإنجازه متواصلاً.

لقد اختار المولى ـ عز وجل ـ لهذه البلاد ولاية عادلة، توحدها وتطبق فيها شرع الله وسنة نبيه المطهرة. يقول الملك عبدالعزيز عندما أراد السفر إلى مكة المكرمة : « إنني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها بل لرفع المظالم عنها، إني مسافر إلى مهبط الوحي لبسط أحكام الشريعة، ولن يكون بعد اليوم سلطان لغير الشرع »[(٢)].

لقد كانت حروبه ـ رحمه الله ـ على مدار ثلاثين عاماً في أكثر من ميدان ملحمةَ توحيد وبناء، قائمة على نشر الأمن والعدل المبني على تحكيم كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ في كل مكان تطؤه قدماه.

تلك هي عبقرية الملك عبدالعزيز الفذة التي صنعت مجد أمة، ورسخت وجودها، ووجدت كيانها، ووضعتها في مكانها الصحيح بين

---

(١) عبدالله العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ٢، ص ٣٥٥.

(٢) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ج ١، ص ٣٣٥.

الأمم، رايتها لا إله إلا الله محمد رسول الله، عالية خفاقة وصوتها مسموع، محافظة على ما استودعه الله في أرضها من أماكن مقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، قائمة على خدمة الحرمين الشريفين ومن فيهما ومن يرد إليهما من عباد الله من جميع الأقطار والأمصار، ليؤدوا نسكهم وعباداتهم في أمن وطمأنينة وسلام، وكذلك كانت سياسته في جميع مناطق دولته ولجميع فئات شعبه الوفي الذي أحبه وتفانى في خدمته وولائه له.

إن جهود الملك عبدالعزيز كثيرة وعظيمة يضيق المجال عن حصرها، غير أن هذا البحث يعرج فقط على دخول الملك عبدالعزيز مكة المكرمة، واستقرار الأوضاع بها، لكشف النقاب عن جهوده الكريمة ـ رحمه الله ـ في إعمار بيت الله الحرام منذ عهده وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز.

ففى عام ١٣٤٣هـ دخل عبدالعزيز مكة المكرمة محرماً بسلام وأمان، وبعد عام استسلمت جدة، وتقدم للسلام عليه قادة القوات العسكرية والعلماء والأعيان من أهالي الحجاز، وكان ذلك في اليوم الأول في مخيمه بالكندرة، وفي اليوم التالي انتقل إلى قصر الشيخ محمد نصيف، وهناك تقدم إليه أهالي الحجاز معلنين ولاءهم وطاعتهم له، وهنؤوه بالنصر العظيم.

وبعد فترة أعلن الموحد الملك عبدالعزيز عن توحيد المملكة العربية السعودية تحت راية واحدة وعلم واحد، دولة شعارها وعلمها «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، هذا الشعار الذي يكشف عن أصالة العقيدة وقوة النظرة السياسية والاستقلال في اتخاذ القرار.

لقد وضع الملك عبدالعزيز أسس دولة مقاصدها الشريعة، وأهدافها الرخاء والخير والنماء والازدهار. إنها المملكة العربية السعودية، وكانت

مكة بمثابة الشغل الشاغل له في جهوده التنموية والتطويرية، لما لها من أثر بارز في قلوب المسلمين، فهي قلب الأمة الإسلامية قاطبة، وقبلتهم التي لا بد أن تكون في ثوبها القشيب تاج المدن في المعمورة قاطبة، إنها مكة المكرمة أم القرى المحروسة برعاية الله وحفظه، والعاصمة المقدسة للمملكة العربية السعودية.

إننا عندما نتصفح تاريخ الملك عبدالعزيز نجده مليئاً بالبطولات والإنجازات والمسؤوليات الجسام، وليس من السهل أن نلم بكل الجوانب في سيرته - رحمه الله - وذلك لكثرتها وتعدد جوانبها، ولأن كل جانب منها يصلح أن يكون موضوعاً قائماً بذاته تتم دراسته دراسة وافية.

وإذا كانت الدول الغربية والشرقية قد منحته أعلى الأوسمة، فإن شعبه ومعه شعوب العالم الإسلامي قد منحوه حبهم وتقديرهم العظيمين تقديراً لجهوده النبيلة[(١)].

وبعد عمر حافل بالكفاح والبناء وطاعة الله، ونشر الأمن والعدل والاستقرار بين أبناء شعبه، رحل الملك عبدالعزيز إلى جوار ربه في اليوم الثاني من شهر ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ الموافق ٨/ ١١/ ١٩٥٣م، رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه الله خير الجزاء.

الترميمات في المسجد الحرام:

منذ أن قام الملك عبدالعزيز بضم الحرمين الشريفين إلى دولته، فإنه وضع العناية بالحرمين الشريفين، وخدمة حجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد رسول الله ﷺ من أعظم اهتماماته وأجلّها رحمه الله.

---

(١) عبداللطيف بن دهيش: سيرة الملك عبدالعزيز وملحمة التوحيد، (بحث قدم بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى)، ص ١٣-١٤.

فمن إنجازاته في المسجد الحرام أنه أصدر أمره الكريم في أواخر عام ١٣٤٤هـ إلى الشيخ محمد سعيد أبو الخير مدير الأوقاف بعمل عموم الترميمات والإصلاحات اللازمة لجدار المسجد الحرام والأعمدة التي أصابها التلف، وإصلاح المماشي وحاشية المطاف، وإصلاح بعض الأبواب باستبدال المفصلات والمقابض والأقفال التالفة فيها بأخرى جديدة.

وفي الوقت نفسه قام العمال والبناؤون بعمل الترميمات اللازمة على المنائر التي تحتاج إلى ترميم، وذلك بالنورة البلدي، وتم تجديد طلاء مقام إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالدهان الأخضر، وتنظيف الأساطين النحاسية الواقعة حول المطاف، حتى أصبحت تسر الناظرين. وقد قام الشيخ محمد سعيد أبو الخير بهذا العمل خير قيام[(١)].

ولم تكن تلك الترميمات والإصلاحات هي الوحيدة في عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله، وإنما تلتها إصلاحات أخرى كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

ففي أوائل سنة ١٣٤٦هـ أصدر الملك عبدالعزيز أمره بإجراء عمارة عموم المسجد الحرام من الداخل والخارج، وعهد للشيخ عبدالله الدهلوي للقيام بالإشراف على هذه المهمة، وكان قد عمل في السابق في عمارة عين زبيدة واتقن عمله فيها، فقام الشيخ عبدالله الدهلوي بإحضار المواد اللازمة، واستعان ببعض البنائين والعمال ممن كانوا يعملون في عمارة عين زبيدة. وابتدأ العمل في مستهل شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة في ترميم عموم فرش أرضية أروقة المسجد الحرام من جهاته الأربع مع زيادة دار الندوة وباب إبراهيم وعموم الممرات واستبدال

---

(١) حسين باسلامة: تاريخ المسجد الحرام، ص ١٨٢-١٨٣.

التالف منها بأخرى جديدة. كما تم إصلاح جدار المسجد الحرام وأبوابه وأعمدته وعقوده وترميمها وطلاؤها، وتنظيف القباب باطناً وظاهراً، وكذلك الأعمدة الرخامية والحجرية، وإصلاح المقامات ومنها مظلة مقام إبراهيم الخليل عليه السلام وتغطيتها بالمعدن الأبيض، وإصلاح مظلة قبة بئر زمزم وتغطيتها بالمعدن الأبيض، وطلاء الأعمدة المحيطة بصحن المطاف التي عليها مصابيح الإضاءة باللون الأخضر وأعلاها باللون الذهبي، وإصلاح شاذروان الكعبة المشرفة وإحكام حجارته إحكاماً جيداً بمواد البناء اللازمة له، وفرش الساحات الداخلية للمسجد بالحصباء الجيدة الخالية من الأتربة. وقد استمر العمل إلى نهاية شهر ربيع الآخر سنة ١٣٤٧هـ، ولم يُترك شيء بالمسجد الحرام إلا وتم إصلاحه إصلاحاً متقناً، حتى أصبح المسجد الحرام ذا بهجة ورونق وجمال يليق بمكانته المقدسة. وقد صُرف على ذلك مال كثير، وكانت التجديدات والترميمات في المسجد الحرام بعد ذلك تتم حسب الحاجة[١].

ولتأكيد اهتمام الحكومة السعودية بالمسجد الحرام والعناية به فإنه في ١٢ شعبان ١٣٥٤هـ صدر الأمر الكريم بتشكيل لجنة برئاسة الشيخ عبدالله بن عبدالقادر الشيبي نائب رئيس مجلس الشورى، وعضوية كل من الشيخ سليمان أزهر معاون مديرية الأوقاف بمكة، والسيد هاشم بن سليمان نائب الحرم وكيل رئيس مجلس إدارة المسجد الحرام، والشيخ علي مفتي أحد أعضاء هيئة أمانة العاصمة، والشيخ حمزة المرزوقي أبو حسين السكرتير الثاني لمجلس الشورى - مقرراً للجنة. وعهد إلى هذه اللجنة إجراء الكشف المستمر على عموم ما يلزم المسجد الحرام من عمارةٍ وإصلاحٍ وتجديدِ كل ما يلزم تجديده من أبواب ونحوه، وأعطيت

(١) حسين باسلامة: عمارة المسجد الحرام، ص ٢٨٢ - ٢٨٥.

هذه اللجنة الحق في الاستعانة بمهندسي أمانة العاصمة، وكبار أصحاب المهن من بنائين ونجارين ومبيضين لإنجاز أعمالها كلما اقتضت الحاجة إلى ذلك. وقد قامت اللجنة حال تعيينها بإجراء الفحص اللازم على عموم المسجد الحرام، وقررت ما يأتي:

١- إصلاح الأرضية المفروشة الواقعة حول صحن المطاف والممرات والأروقة بالحجر الصوان، وإزالة جميع الأحجار التالفة ورصفها من جديد رصفاً جيداً باستخدام الأسمنت والنورة بطريقة حديثة.

٢- إزالة جص جميع الجدران المسبخة وإصلاحها بالأسمنت والنورة بطريقة تمنع معها تسرب الرطوبة إلى الجدران مرة أخرى، مع إزالة مسببات تلك الرطوبة بمنع وصول المياه إلى جدران المسجد.

٣- طلاء عموم المسجد من داخله وخارج الأبواب، وبيت زمزم، والمقامات، ودائر صحن المطاف بالألوان الجيدة، وترميم الشقوق الموجودة في بعض قباب المسجد الحرام.

٤- إصلاح باب بني شيبة وطلاؤه باللون المناسب، وكذلك إصلاح العقد الموالي لباب الصفا إصلاحاً متقناً.

٥- إصلاح أخشاب جميع أبواب المسجد الحرام واستبدال التالف منها بالخشب الجاوي القوي.

٦- فرش الساحات الداخلية للمسجد بحصباء جديدة بعد نقل الحصباء القديمة إلى خارج المنطقة العمرانية.

وعند عرض الأمر على الملك عبدالعزيز أصدر أمره الكريم بالموافقة على ما قررته اللجنة أعلاه ومباشرة العمل فوراً وأن ترصد لذلك المبالغ المطلوبة. وعلى أثر ذلك بدأ العمل بتنفيذ ما قررته اللجنة

من إصلاحات وترميمات وتجديدات وذلك بتاريخ ١٩رمضان سنة ١٣٥٤هـ، وتم إنجازه في فترة قياسية[١].

توفير ماء زمزم في المسجد الحـرام :

عندما رأى الملك عبدالعزيز شدة الزحام حول ماء زمزم وصعوبة الدخول إليها وخاصة في موسم حج عام ١٣٤٤هـ، فإنه أمر ـ رحمه الله ـ بتجديد عمارة السبيل القديم الموجود خارج مبنى بئر زمزم، وكتب عليه (جَدد هذا السبيل الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود عام ١٣٤٥هـ)، وقد تم ذلك في أسرع وقت ممكن.

وفي عام ١٣٤٦هـ أمر الملك عبدالعزيز ببناء سبيل جديد للشاربين من ماء زمزم في المبنى المخصص لبئر زمزم، داخل الحرم المكي الشريف والمسمى بمبنى قبة زمزم، وجاء هذا المبنى مطابقاً لمبنى السبيل السابق، وبني بحجر الرخام الجيد، وكتب عليه (أنشأ هذا السبيل الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود سنة ١٣٤٦هـ)، ويقع في الجهة الشرقية للمبنى.

وفي عام ١٣٤٦هـ أمر ـ رحمه الله ـ ببناء سبيل ثالث للشرب من بئر زمزم بعدما رأى شدة الازدحام على السبيلين السابقين، وكتب عليه (أنشأ هذا السبيل الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود سنة ١٣٤٦هـ)، ويقع بجوار حجرة الأغوات من الجهة الجنوبية بجانب السبيل القديم الذي جدده الملك عبدالعزيز[٢]. وقد قام بهذا العمل الشيخ عبدالله الدهلوي، وجعل لكل واحد من السبيلين الجديدين ثلاث فوهات حتى يسهل الشرب منه لأعداد كبيرة من الحجاج.

(١) حسين باسلامة: عمارة المسجد الحرام، ص ٢٨٥-٢٨٩.
(٢) حسين باسلامة: المرجع السابق، ص ١٨٣-١٨٤.

وقد كانت هذه الأسبلة الثلاثة كافية لسقيا الحجاج حتى تمت إزالة المبنى في عهد الملك سعود ضمن أعمال توسعة صحن المطاف، وجعلت بئر زمزم وسقياها تحت صحن المطاف، وأدخل على مبناها إصلاحات عدة من خلال التوسعات السعودية التي تمت في عهد أبناء الملك عبدالعزيز.

وضع المظلات لوقاية المصلين داخل المسجد الحرام:

في السنة الثالثة من دخول الملك عبدالعزيز لمكة المكرمة علم بأن الحجاج يعانون من شدة حرارة الشمس عند صلاتهم لفريضة الظهر داخل المسجد الحرام في الساحات الداخلية، فأمر بنصب الخيام في المناطق المكشوفة حتى تقي الحجاج حرارة الشمس، فاستظل تحتها آلاف الحجاج في حج تلك السنة(١).

وفي عام ١٣٤٦هـ أمر ـ رحمه الله ـ وزير المالية الشيخ عبدالله السليمان برفع الخيام لعدم صلاحيتها التامة، وأن يعمل بدلاً عنها مظلات قوية من قماش الأشرعة، توضع عند نهاية الأروقة مما يلي الساحات الداخلية للمسجد من الجهات الأربع، لكي يحتمي تحتها المصلون من الحجاج، وحتى تقيهم من حر الظهيرة، وقد حصل لها الكثير من التغيرات والإصلاحات، فكانت أولاً مركبة على أعمدة من الخشب، على هيئة مثلث رأسه إلى أعلى (جملون)، مكسوة بقماش الأشرعة (الكاكي) باللون الزيتي الخفيف، ثم رفعت الأعمدة الخشبية واستبدلت بأعمدة من الحديد، مثبتة في الأرض بالحجارة والنورة، تربط

(١) حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٨٩-٢٩٠، و محمد طاهر كردي: التاريخ القويم، (الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الخدمات الطباعية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ج٥، ص ١٩٠.

بها أسلاك حديدية قوية متصلة بزوايا حديدية مثبتة في جدار الأروقة من أعلى، وعليها قماش ثقيل خاص بالأشرعة، ويتم سحبها لتغطية المساحات التي تحتها في أثناء اشتداد حرارة الشمس، وسحبها لإعادتها إلى أماكنها عند الأروقة ليلاً. وقد أدت هذه الأشرعة خدمة ومنفعة كبيرة وعظيمة، إذ وقتهم من حرّ الظهيرة عند أدائهم صلاتي الظهر والعصر داخل هذه الساحات المظللة والمحيطة بصحن المطاف[(١)]، وقد أزيلت هذه الأشرعة في التوسعة السعودية، وذلك لما يحدث عندها من ازدحام شديد في أثناء الطواف وخاصة أيام الحج أو العشر الأخيرة من رمضان. وهذا يكشف لنا سرعة استجابة أولي الأمر في العهد السعودي لمتطلبات الحجاج والمواطنين واحتياجاتهم لتحقيق راحتهم وسلامتهم.

فرش أرض المسعى بالبلاط وتسقيفه:

في أوائل عام ١٣٤٥هـ أمر الملك عبدالعزيز بفرش أرض المسعى بالبلاط الحجري المربع المبني بالنورة، وذلك من بدايته من الصفا وحتى المروة، وقد استغرق العمل في هذا المشروع حتى أواخر شهر ذي القعدة من السنة نفسها. وهذه أول مرة تفرش فيه أرض المسعى بالبلاط الحجري، بعد أن كانت أرضيته ترابية يثور منها الغبار عند المشي عليها، وخاصة عند ازدحام الساعين، وعند مرور الدواب منه قبل وصول السيارات، وقبل ضم المسعى للمسجد الحرام، وبذلك استراح الناس من تلك الأتربة وسهل على الساعين السعي براحة دون التعرض للأتربة والغبار.

---

(١) حسين باسلامة، المصدر السابق، ص ٢٩٠، ومحمد طاهر كردي، المصدر السابق، جـ ٥، ص١٩١-١٩٢.

وفي عام ١٣٦٦هـ أمر الملك عبدالعزيز بعمل مظلة جديدة على المسعى، فتم عملها في العام نفسه، «فكانت ممتدة بطول المسعى من الصفا إلى المروة، ما عدا الجزء الذي يبلغ طوله ثمانية أمتار الذي يقع من أمام باب عليّ بامتداد الشارع القادم من الحميدية إلى سوق الليل قبل التوسعة السعودية التي أدخلت المسعى ضمن مباني المسجد الحرام. ويبلغ عرض السقيفة كلها عشرين متراً ونصف المتر، وطولها حوالي (٣٥٠) متراً من الصفا إلى المروة ما عدا المنطقة الواقعة أمام باب علي التي أصبحت بمثابة الميدان. وقد وضع على بدايتها عند باب عليّ لوحة كبيرة كتب عليها (أنشئت هذه المظلة في عهد حضرة صاحب الجلالة محيي مجد العرب والمسلمين خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية). وقد تم إنشاؤها في عام ألف وثلاثمائة وستة وستين من الهجرة، أثاب الله الملك عبدالعزيز وأدام توفيقه»[(١)].

إضاءة المسجد الحرام بالكهرباء:

في عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م صدر الأمر الملكي الكريم من الملك عبدالعزيز بتركيب ماكينة الكهرباء الجديدة - ذات قوة ثلاثين كيلوات - بجانب الماكينة القديمة، وذلك حتى يمكن إضاءة عموم المسجد الحرام، والتي تبرع بها أحد التجار المسلمين، مع تركيب مصابيح كهربائية حديثة في عموم المسجد من الداخل والخارج. وجاء في الأمر السامي الكريم أنه يجب العمل على صيانة ماكينة الكهرباء وتوفير الوقود اللازم لها مع صيانة المصابيح الكهربائية واستبدالها وزيادة عددها كلما اقتضت الحاجة لذلك. وبدأت الإنارة بها في غرة شهر ذي القعدة من السنة المذكورة.

---

(١) محمد طاهر كردي: التاريخ القويم، جـ ٥، ص ٣٥٦.

وفي شهر شعبان من عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م صدر الأمر الملكي بتجديد عموم المصابيح الكهربائية التي بالمسجد الحرام بمصابيح جديدة، وزيادة عددها إلى ألف لمبة، فقامت الجهة المعنية بإنجاز المطلوب، ولم يهل شهر رمضان من تلك السنة حتى أصبح المسجد الحرام مضاءً بالكهرباء. وكانت تستعمل الماكينة الكبيرة من قبل غروب الشمس حتى الساعة الرابعة ليلاً بالتوقيت الغروبي، ثم توقف تلك الماكينة الكبيرة، وتستعمل الماكينة الكهربائية الصغيرة من تلك الساعة وحتى قبيل أذان الفجر بنصف ساعة، ثم يتوقف العمل بالماكينة الصغيرة ويبدأ تشغيل الماكينة الكبيرة إلى شروق الشمس، وذلك خلال الأشهر من بداية محرم وحتى نهاية شهر شعبان، فإذا دخل شهر رمضان ابتدأت الإنارة بالماكينة الكبيرة طوال الليل حتى نهاية شهر ذي الحجة(١). كما أمر ـ رحمه الله ـ أن توضع ست شمعدانات على جدار حجر إسماعيل، فعملت من النحاس الأصفر الفاخر، وجعل حول دائرها الزجاج الشفاف، ووضعت بداخلها مصابيح كهربائية حتى تضيء منطقة حِجر إسماعيل. فكانت روعة فنية زادت من إنارة المنطقة المحيطة بالحِجر، وقد أزيلت هذه الشمعدانات في التوسعات الأخيرة لمنطقة صحن المطاف ووضعت في متحف الحرم(٢).

وفي عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م صدر الأمر السامي بشراء ماكينة كهربائية جديدة، وذلك لكثرة الخلل الذي أصاب الماكينة الكهربائية القديمة، وقد تم شراء الماكينة الجديدة وتركيبها. كما تم وضع (٢٦) أسطوانة

---

(١) حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٢) حسين باسلامة: المصدر السابق، ص ٢٥٩-٢٦٠، و محمد طاهر كردي: التاريخ القويم، جـ ٥، ص ٢٨٩.

خراسانية في الساحات الداخلية للمسجد الحرام بطول نحو ثلاثة أمتار، وعلق على كل أسطوانة مصابيح كهربائية عدة تشبه الثريات[١].

وقد استمر عمل الماكينة الكهربائية الجديدة حتى عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٣م حيث أضيف لها في ذلك العام ماكينة كهربائية جديدة، وبدأ عملها في أواخر شهر شعبان من العام نفسه، وقد أدى ذلك إلى مضاعفة الطاقة التحميلية بوجود الماكينة الكهربائية الإضافية. كما وضعت الثريات الكهربائية على مداخل المسجد الحرام وحول المقامات وبداخلها، حتى بلغ عدد مصابيح الإنارة الكهربائية بالمسجد الحرام وخارجه حوالي (١٣٠٠) مصباح كهربائي. ووضع على قبة زمزم مما يلي الكعبة والحجر الأسود كشافات كهربائية قوتها (١٥٠٠) شمعة[٢].

وعندما تم استخراج البترول وانتهت الحرب العالمية الثانية، أمر الملك عبدالعزيز باستيراد مكائن كهربائية لتعميم الكهرباء في جميع المدن في المملكة، وقد كان لمكة والمسجد الحرام الحظ الأكبر من هذا المشروع الذي بموجبه تم تركيب مكائن كهربائية عدة بمكة لتغذيتها بالكهرباء، وبذلك عمت الكهرباء كل بيت ومتجر. وبالنسبة للمسجد الحرام فإنه كان لاهتمام الملك عبدالعزيز بالكهرباء أثره الكبير في تحسين الإضاءة في المسجد الحرام وزيادة الطاقة الكهربائية به وانتشارها في عموم المسجد وخارجه، وعملها على مدار الساعة دون توقف، مع عمل الصيانة المستمرة لمكائن الكهرباء وتوفير الوقود اللازم لها. أما الشوارع في مكة فقد كانت إضاءتها بواسطة الأتاريك الموضوعة على أعمدة يقوم بإضاءتها متعهد مقابل مبالغ معينة تصرفها أمانة العاصمة له،

---

(١) حسين باسلامة: المصدر السابق، ص ٢٥٨.

(٢) حسين باسلامة: المصدر السابق، ص ٢٥٩-٢٦٠. و محمد طاهر كردي: التاريخ القويم، جـ٥، ص ٢٨٩.

فتضاء هذه الشوارع في المساء وتستمر مضاءة بالأتاريك حتى شروق الشمس. وقد استمر العمل بذلك حتى تم تعميم الكهرباء على جميع الشوارع الرئيسة وداخل الأحياء، وذلك عندما قام الشيخ إبراهيم الجفالي وإخوانه بتأسيس الشركة السعودية للكهرباء التي أخذت على عاتقها إنارة مكة المكرمة عامة، والمسجد الحرام خاصة بالكهرباء. وقد كانت إنارة المسجد الحرام بكامله بالمصابيح الكهربائية، وتم تشغيلها من هذه الشركة في يوم الخميس ١٤ صفر سنة ١٣٧٣هـ[(١)].

جدول رقم (٢)

بيان بعدد الحجاج في عهد الملك عبدالعزيز

أعداد الحجاج في ٢٨ عاماً (١٣٤٥-١٣٧٢هـ)

عدد الحجاج في عام ١٣٤٥هـ	(بحرًا وبرًا)	١٩٠٦٦٢
عدد الحجاج في عام ٤٦	(بحرًا وبرًا)	٩٦٢١٢
عدد الحجاج في عام ٤٧	(بحرًا وبرًا)	٩٠٧٦٤
عدد الحجاج في عام ٤٨	(بحرًا وبرًا)	٨١٦٦٦
عدد الحجاج في عام ٤٩	(بحرًا وبرًا)	٣٩٠٤٥
عدد الحجاج في عام ٥٠	(بحرًا وبرًا)	٢٩٠٦٥
عدد الحجاج في عام ٥١	(بحرًا وبرًا)	٢٠١٨١
عدد الحجاج في عام ٥٢	(بحرًا وبرًا)	٢٥٢٩١
عدد الحجاج في عام ٥٣	(بحرًا وبرًا)	٣٣٨٩٨
عدد الحجاج في عام ٥٤	(بحرًا وبرًا)	٣٣٨٣٠

(١) محمد طاهر كردي: التاريخ القويم، جـ ٥، ص ٢٧٥، ٢٨٦-٢٩٠، مع مشاهدات المؤلف في أوائل السبعينيات الهجرية.

تابع ـ أعداد الحجاج في ٢٨ عاماً (١٣٤٥-١٣٧٢هـ)

عدد الحجاج في عام ٥٥	(بحرًا وبرًا)	٤٩٥٩٧
عدد الحجاج في عام ٥٦	(بحرًا وبرًا)	٦٧٢٢٤
عدد الحجاج في عام ٥٧	(بحرًا وبرًا)	٥٩٥٧٧
عدد الحجاج في عام ٥٨	(بحرًا وبرًا)	٣٢١٥٢
عدد الحجاج في عام ٥٩	(بحرًا وبرًا)	٩٠٢٤
عدد الحجاج في عام ٦٠	(بحرًا وبرًا)	٢٣٨٦٣
عدد الحجاج في عام ٦١	(بحرًا وبرًا)	٢٤٧٤٣
عدد الحجاج في عام ٦٢	(بحرًا وبرًا)	٦٢٥٩٠
عدد الحجاج في عام ٦٣	(بحرًا وبرًا)	٣٧٨٥٧
عدد الحجاج في عام ٦٤	(بحرًا وبرًا)	٣٧٦٣٠
عدد الحجاج في عام ٦٥	(بحرًا وبرًا)	٦١٣٨٦
عدد الحجاج في عام ٦٦	(بحرًا وبرًا)	٥٥٢٤٤
عدد الحجاج في عام ٦٧	(بحرًا وبرًا وجوًا)	٧٥٦١٤
عدد الحجاج في عام ٦٨	(بحرًا وبرًا وجوًا)	٩٥٠٣٣
عدد الحجاج في عام ٦٨	(بحرًا وبرًا وجوًا)	١٠٧٦٥٢
عدد الحجاج في عام ٧٠	(بحرًا وبرًا وجوًا)	١٠٠٥٧٨
عدد الحجاج في عام ٧١	(بحرًا وبرًا وجوًا)	١٤٨٥١٥
عدد الحجاج في عام ٧٢	(بحرًا وبرًا وجوًا)	١٤٩٨٤١[١]

(١) عبدالمعين عثمان بشناق: الدليل العام للمملكة العربية السعودية، ص ٤١٥. وزارة الحج: الحج في مائة عام «كتاب وثائقي بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة»، (الطبعة الأولى، جدة، مطابع سحر، ١٤١٩هـ)، ص ١٨٦.

هذا بالنسبة لأعداد الحجاج من خارج المملكة، ويضاف إلى هذا العدد مثله أو أكثر منه من الحجاج القادمين من داخل المملكة العربية السعودية، وذلك خلال فترة حكم الملك عبدالعزيز، علماً بأنه منذ عام ١٣٦٧هـ بدأ توافد الحجاج عن طريق الجو وذلك بعد أن تم افتتاح مطار جدة، كما أنه يجب أن يلحظ أن هنالك انخفاضاً في عدد الحجاج خلال فترة قيام الحرب العالمية الثانية نظراً لتعطل الملاحة البحرية، وسوء الأحوال المالية في العالم، مما أثر في توافد الحجاج إلى الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج. وقد بذلت الحكومة السعودية كل إمكانياتها لتسهيل وصول الحجاج وأدائهم لحجهم في أمن وسلام، بل إنها قدمت لهم المساعدات اللازمة من مسكن ومأكل دون مقابل.

وفيما يلي بيان لمجموع الحجاج الواردين بحراً وجواً في موسم عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م عدا من ورد منهم عن طريق البر من أنحاء المملكة ومشيخات الخليج العربي، وذلك مثال فقط على جنسيات الحجاج القادمين:

جدول رقم (٣)

أعداد الحجاج في عام ١٣٧٠ هـ وجنسياتهم

العدد	الجنسية	العدد	الجنسية
٢٢٩١٦	مصريون	٦١	أريتريا ـ صومال
٢	كنديان	٢٣٧٩	سوريون
١٨٥٦	أندونيسيون	١٨٥٨	عراقيون
٥٧٨	لبنانيون	٥٧٦٧	ملايو
٦٩٥	إيرانيون	١٣٠	فلسطينيون
١٢٧٠	سيام	٢٧٠	زنجبار
٥٢٨٤	مغاربة	١١٨٣١	الهند
١١٥	البحرين	٣٢٨	بخارى
٣١٣٣٩	باكستان	٢١	الهند الصينية
٤٢٣	أتراك	١٠٠	كينيون
٣	برمة	١٨	يمنيون
٤٤٣	نيجيريا ـ لاجوس	١١٦	دبي والشارقة
١٣٩	أردنيون	٥	مصوع
١٦	ممباسة	٧٨٧	حضارمة
٢٢٧٧	فلبين	٤	مدغشقر
١٢١	عدنانيون	١	ألمان
٣	مسقط	١٧١٥	تكارنة
٣٢٠	أثيوبيا ـ أحباش	١٠	قطر
٦٣	شناقطة	٧١	مقديشو
١٤٠	عمانيون	٥٥٣٥	سودانيون
١٤١	أوغندا	٥٧٠	سنغال
١٩٠	الكويت	٦٤٩	أفغان
٦	صينيون		
المجموع		١٠٠٥٧٦(١)	

(١) محمد طاهر كردي: التاريخ القويم، جـ٢، ص ١٨٨ ـ ١٨٩.

توجيهات الملك عبدالعزيز للبدء
في عمل التصاميم لتوسعة الحرم المكي الشريف

لقد رأينا أن الملك عبدالعزيز أولى اهتمامه بالمسجد الحرام وعمل الإصلاحات اللازمة فيه، وعندما توافرت الأموال بعد استخراج البترول، وبعد أن سارت توسعة المسجد النبوي الشريف إلى مراحلها النهائية، رأى - رحمه الله - البدء في توسعة المسجد المكي الشريف مما يجسد رغبته في إعادة بناء المسجد الحرام بالشكل الذي يتناسب مع مشاعر المسلمين في أنحاء العالم، ويتلاءم وقدسية هذا المكان عند كل مسلم.

ففي سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٧م أُذيع في الإذاعة السعودية بلاغ وجهه ـ رحمه الله ـ للعالم الإسلامي تضمن البشرى لجميع أبناء الأمة الإسلامية بصدور الأمر الكريم بتوسعة المسجد الحرام بمكة، وتكوين هيئة فنية وهندسية لعمل التصاميم والمخططات اللازمة لهذا المشروع الإسلامي العملاق قبل البدء في التوسعة، وذلك لما رآه ـ رحمه الله ـ من تزايد أعداد الحجاج عاماً بعد آخر، حتى أصبح المسجد يضيق بهذه الأعداد الكبيرة وخاصة في أوقات الحج، وقد شرع الفنيون والمهندسون في عمل الدراسات والمخططات اللازمة لذلك. ونتيجة للنجاح الكبير الذي حققه محمد بن لادن في بناء المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة فإنه طلب منه أن يقوم بالعمل في بناء المسجد الحرام بمكة المكرمة، فقام ابن لادن بتكليف المهندس فهمي مؤمن المعماري الذي صمم المسجد النبوي أن يقوم بعمل التصميم الهندسي الجديد للمسجد

الحرام؛ فقام بعمل التصميم المطلوب بشكل دائري[١]، وتم عرض ذلك على الملك عبدالعزيز - رحمه الله - فأبدى ملحوظاته القيمة على المشروع، مما استدعى الأمر لعمل تصميمات أخرى بواسطة عدد من المهندسين من أصحاب الخبرة في العمارة الإسلامية، كما أمر - رحمه الله - بتحديد المنطقة التي سيقام عليها المشروع، وأعداد الدُّور والمتاجر التي تحتاج إلى إزالة لصالح المشروع، مع عمل التقديرات المالية لها والتي تشمل نزع الملكية والبناء، حتى يتم اعتماد الأموال المطلوبة للمشروع.

وبينما كانت هذه الأعمال تجري وافت المنية الملك عبدالعزيز قبل الشروع في هذا المشروع الإسلامي العملاق حيث لقي ربه في اليوم الثاني من شهر ربيع الأول من سنة ١٣٧٣هـ رحمه الله رحمة واسعة. وقد قام أبناؤه البررة من بعده بتنفيذ مشروع توسعة المسجد الحرام وعمارته على أحسن وجه.

فقد شرع الملك سعود في عام ١٣٧٥هـ في تنفيذ هذه التوسعة الأولى للمسجد الحرام بمكة بعد اعتماد التصاميم والمخططات الهندسية للمشروع، وقد استمر تنفيذ هذه التوسعة طوال عهد كل من الملك سعود والملك فيصل والملك خالد رحمهم الله تعالى. وقد تمت هذه التوسعة في أواخر عهد الملك خالد، ثم تلتها توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد حفظه الله، مما سوف يتم الحديث عنه في مكانه من هذا البحث.

---

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام (الطبعة الأولى، اتحاد المهندسين الاستشاريين، ١٣٩٧هـ)، جـ١، ص ٤٠.

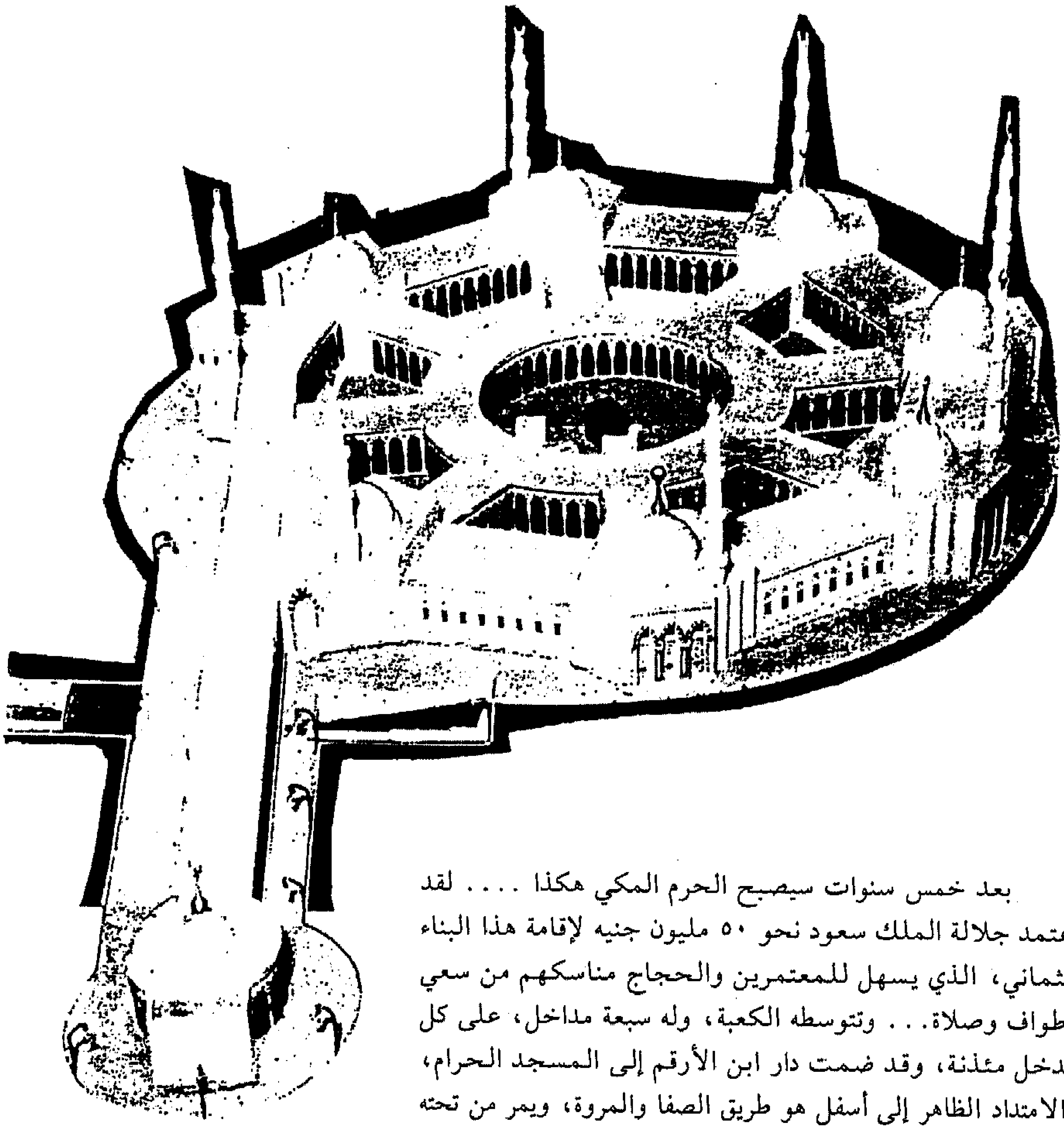

بعد خمس سنوات سيصبح الحرم المكي هكذا .... لقد اعتمد جلالة الملك سعود نحو ٥٠ مليون جنيه لإقامة هذا البناء الثماني، الذي يسهل للمعتمرين والحجاج مناسكهم من سعي وطواف وصلاة... وتتوسطه الكعبة، وله سبعة مداخل، على كل مدخل مئذنة، وقد ضمت دار ابن الأرقم إلى المسجد الحرام، والامتداد الظاهر إلى أسفل هو طريق الصفا والمروة، ويمر من تحته نفق أرضي للسيارات والعجلات

التصميم الدائري للمسجد الحرام الذي نشر في العدد الممتاز من مجلة المصور المصرية لعام ١٣٧٥ هـ

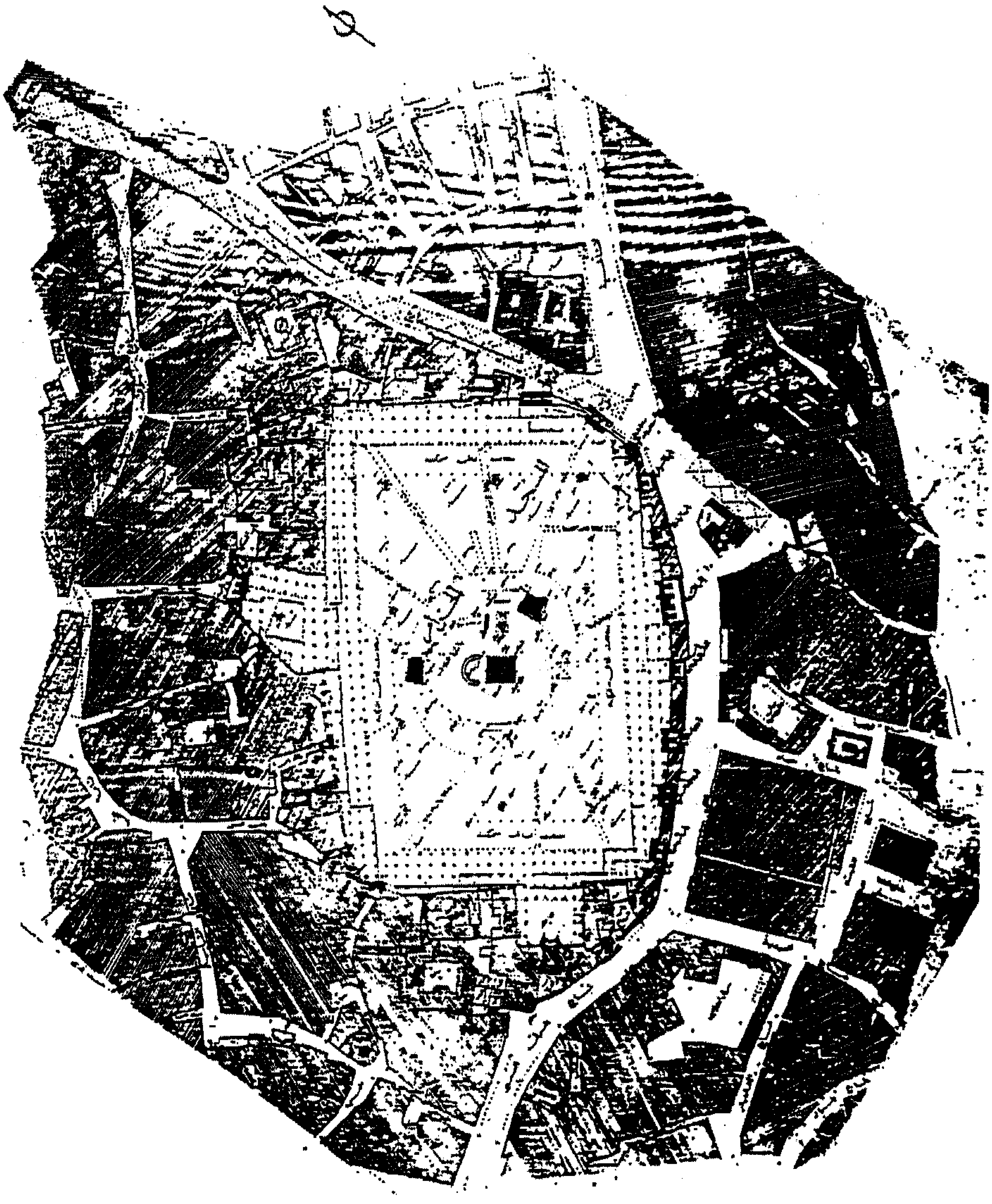

المسجد الحرام والمناطق المحيطة به في عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م
قبل التوسعة السعودية(١)

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، ملحق الصور، ص ١٠.

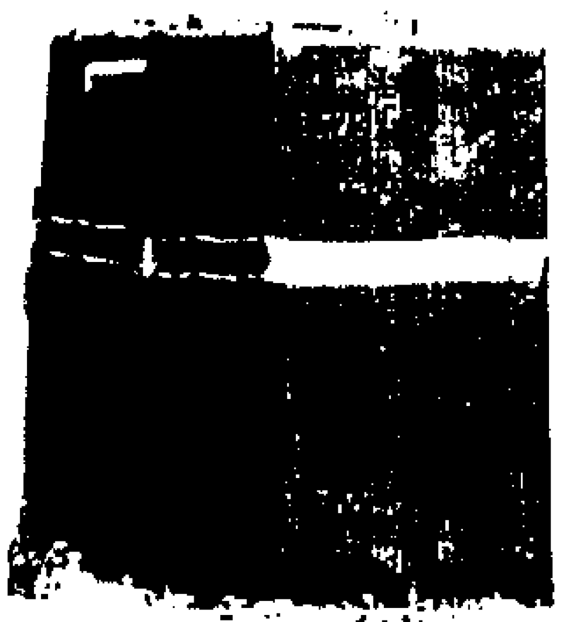

الفصل الثاني

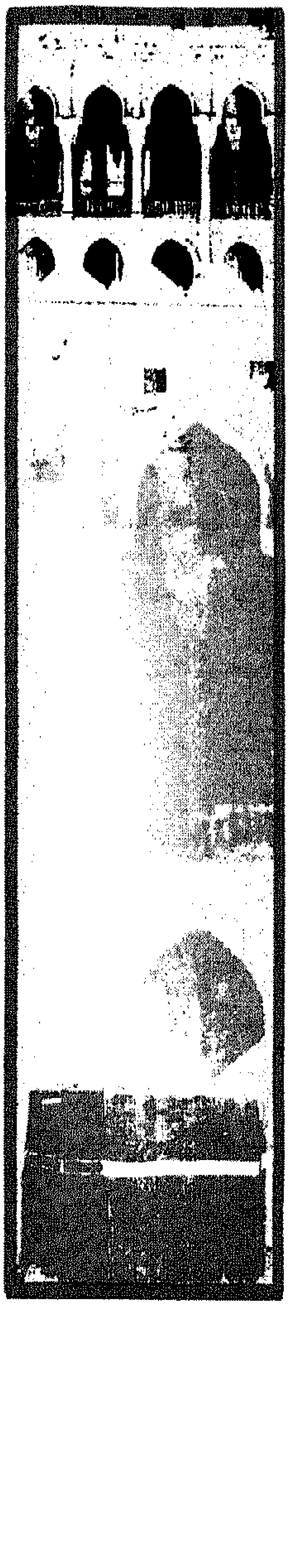

التوسعة السعودية للمسجد الحرام في عهد الملك سعود والملك فيصل والملك خالد

(يرحمهم الله)

أولاً: الملك سعود وجهوده في عمارة الحرم المكي الشريف وتوسعته

لمحة تاريخية عن الملك سعود (١٣١٩-١٣٨٤هـ/١٩٠٢-١٩٦٤م):

ولد الملك سعود بن عبدالعزيز في مدينة الكويت في الثالث من شهر شوال عام ١٣١٩هـ الموافق ١٤ يناير عام ١٩٠٢هـ في أثناء قيام والده الملك عبدالعزيز بالملحمة البطولية التي استعاد بها مدينة الرياض، والتي تمت في الخامس من شهر شوال من العام نفسه، ونشأ الشاب سعود وترعرع بمدينة الرياض بعد أن عادت الأسرة إليها في العام نفسه، وفيها تلقى علومه الدينية من قراءة وكتابة وحفظ للقرآن الكريم وتعلم الحساب، ثم أحضر له والده عدداً من المدرسين لإعداده إعداداً تربوياً جيداً وتعليمه مختلف العلوم الإسلامية واللغة العربية والتاريخ وسيرة الرسول ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين والعلماء، وأمره بحضور مجالس العلماء والأدباء والمجالس التي كان يعقدها والده مما أضاف إلى علمه العلم الواسع والخبرة العالية.

وفي العشرين من عمره عينه والده قائداً للقوات السعودية المحاربة في ملحمة توحيد المملكة الكبرى، فقاد حملات حربية عدة حقق خلالها انتصارات كبيرة، مما لا يسع المجال لسردها هنا.

وفي اليوم السادس عشر من شهر محرم سنة ١٣٥٢هـ الموافق ١١ مايو ١٩٣٣م عينه والده ولياً للعهد، وكان الملك عبدالعزيز قد عين ابنه

الأمير فيصل بن عبدالعزيز نائباً عنه في منطقة الحجاز وقائداً أعلى للقوات المحاربة في مناطق الحجاز وعسير والجنوب، فكان كل منهما نعم السند والعضد لوالدهما.

وفي يوم الاثنين الثاني من شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٣هـ الموافق ٨ نوفمبر ١٩٥٣م انتقل الملك عبدالعزيز إلى جوار ربه، وبايعت الأسرة والشعب الأمير سعود ملكاً على البلاد خلفاً لوالده الملك عبدالعزيز، وبويع الأمير فيصل ولياً للعهد، وقد تحقق على يديهما إنجازات عظيمة، وكان شغلهما الشاغل تنفيذ خطة والدهما وتحقيق رغبته في توسعة الحرمين الشريفين والسير بالبلاد نحو التطور والازدهار ودعم مسيرة الدولة القائمة على تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، خاصة بعد التنامي الكبير في أعداد المسلمين، واتساع رقعة العالم الإسلامي، لتشمل بلاداً وشعوباً في مختلف أنحاء المعمورة، وخاصة شعوب شرق آسيا وجنوبها وشعوب أفريقيا بعد أن استطاعت تلك الشعوب إزالة كابوس الاستعمار عن بلادهم، والعودة ببلدانهم إلى النهج الإسلامي الصحيح. فضلاً عن التطور الهائل الذي شهدته تلك الفترة، وما زال يسير سيراً جيداً إلى الأمام متمثلًا في تطور وسائل المواصلات والاتصالات مما سهل وصول المسلمين إلى الحرمين الشريفين براً وبحراً وجواً بجميع فئاتهم للعمرة والزيارة، والقيام بأداء فريضة الحج الركن الخامس من أركان الإسلام(١).

---

(١) صالح بن عون الغامدي: الملك سعود بن عبدالعزيز (الطبعة الأولى، القاهرة، مطابع الأهرام، ١٤٠٩هـ)، ص ١٩، وسعود بن هذلول: تاريخ ملوك آل سعود، جـ ١، ص ٢٢٥.
وانظر أيضاً: دارة الملك عبدالعزيز: الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية (الطبعة الأولى، الرياض، مرينا لخدمات الطباعة، ١٤١٩هـ)، ص ٢٣٨.

ولم يقتصر اهتمام الملك سعود بالحرمين الشريفين، وإنما شملت إصلاحاته جميع مدن المملكة وقراها. فلقد أنشأ بعض الوزارات وأقام لكل وزارة مبنى خاصاً بها جهز بأحدث الأجهزة والأثاث اللازم، وتوسع في تعيين الموظفين، والعمل على إنشاء الطرق والمطارات والمستشفيات والمستوصفات، واستقدام المدرسين والأطباء من الدول العربية الشقيقة وخاصة مصر. وافتتحت في عهده أول جامعة في المملكة هي جامعة الملك سعود.

وفي عهده صدر الأمر الملكي بإنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات في ٢٠/ ٤/ ١٣٧٩هـ تحت إشراف سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة.

وكان لجهود ولي عهده الأمير فيصل وإخوانه الأثر الكبير في تعضيده ومساندته ودعم مسيرة البلاد التنموية في عهده.

العمارة السعودية للمسجد الحرام في عهد الملك سعود

(١٣٧٣ - ١٣٧٤هـ)

تعد هذه العمارة هي الثامنة في تاريخ عمارة المسجد الحرام الشريف بمكة المكرمة، وهي عمارة لم يشهد الحرم المكي مثلها منذ أن بنى الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أول حائط بهذا المسجد، وما أعقبه من عمارات حتى بداية العمارة السعودية لهذا المسجد الشريف، وذلك من حيث مواد البناء المستخدمة فيه، وكذلك من حيث الجوانب المعمارية الآتية:

* المساحة.
* الهندسة المعمارية.
* الفخامة في البناء.
* الإنجاز المحكم.

إنها في الواقع تمثل درّة معمارية رائعة للمسجد الحرام؛ وذلك لأن هذا المكان المقدس يستحق بذل كل غالٍ ونفيس حتى يظهر بالمظهر اللائق به، إنه بيت الله الحرام الذي لا بد أن يكون في صورة عظيمة، تؤكد على ارتباط العباد برب العباد، ووفاء العباد لخالق هذا الكون.

وبذلك فإن عمارة المسجد الحرام بمكة ما هي إلا تعبير من ولاة الأمر في هذه البلاد عن قداسة المكان ووفاءً منهم لله ـ سبحانه وتعالى ـ على ما منّ به على هذه البلاد من نعم كثيرة، وخيرات وفيرة. كما أن هذا العمل يجسد أمنية عظيمة لملك عظيم هو الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ الذي كانت لديه رغبة جياشة لتوسعة المسجد الحرام وعمارته بعد

أن وفقه الله ـ تعالى ـ في إتمام توسعة المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة وعمارته، وأن تكون هذه العمارة بالضخامة والطراز المعماري الإسلامي الذي يتلاءم ومشاعر المسلمين في أنحاء المعمورة. وذلك لما رآه ـ رحمه الله ـ من تزايد أعداد الحجاج والمعتمرين في المسجد الحرام، فأصدر أمره الكريم في عام ١٣٦٨هـ بإجراء توسعة شاملة للمسجد الحرام وعمارته، وعمل الدراسات والمخططات اللازمة لهذا المشروع العملاق. وقد بدأ هذا المشروع العملاق بخطوة إيجابية تمثلت في تشكيل لجنة عليا للإشراف على توسعة المسجد الحرام، وعمل الدراسات والمخططات اللازمة لذلك، وتكليف الشيخ محمد بن لادن باتخاذ الخطوات اللازمة لمتابعة أعمال المشروع، نظراً لنجاحه في عمارة المسجد النبوي الشريف حيث استعان بعدد من المهندسين السعوديين ومجموعة من كبار المهندسين المعماريين العالميين لعمل الدراسات والمخططات اللازمة لهذا المشروع الإسلامي العظيم.

ويمكن تحديد الأهداف الرئيسة لمشروع توسعة المسجد الحرام في العهد السعودي في النقاط الآتية:

١- نظراً للاستقرار السياسي والاقتصادي واستتباب الأمن، وتطور وسائل المواصلات البرية والبحرية والجوية في المملكة العربية السعودية، فإن ذلك انعكس إيجاباً على زيادة أعداد الحجاج والمعتمرين عاماً بعد آخر، مما تطلب معه العمل جدياً على إضافة مساحات كبيرة في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف لتوفير أماكن للصلاة وخاصة في أيام الحج، حيث بدأت أروقة المسجد الحرام ورحابه تضيق بالحجاج في أوقات الصلاة مما يضطر الكثير منهم لأداء الفرائض في الطرقات والأزقة المحيطة بالمسجد(١)،

(١) الأزرقي: أخبار مكة، جـ٢، ملحق (٥)، ص ٣٣٠.

فلقد بلغ عدد الحجاج في عام ١٣٧٤هـ (٢٣٢,٩٧١) حاجاً[١]، بينما كانت القدرة الاستيعابية للمسجد الحرام في تلك الفترة لا تزيد عن خمسين ألف حاج[٢]، وذلك لأن المسجد الحرام لم يشهد أي توسعة منذ أكثر من (٤٠٠) سنة[٣]، مما جعل ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية يسارعون بتوسعة وعمارة شاملة للمسجد الحرام، وبأحدث أساليب التصميم والعمارة، ومن أدوار عدة.

٢- توسعة صحن المطاف، وإزالة العوائق من سطحه مثل المنبر، والمقامات، وبيت بئر زمزم ليسهل على الطائفين الطواف حول الكعبة المشرفة بسهولة ويسر. وكان شكل المطاف بيضاويًا بمحاور كبيرة وصغيرة تتراوح بين (٥٠) متراً و (٤٠) متراً، ومبلطًا بالرخام، وعلى محيطه الخارجي أعمدة صغيرة موصلة من أعلاها بحزام حديدي، عليها قناديل نحاسية تضاء ليلاً[٤].

٣- تحسين أحوال الساعين في المسعى وجعلهم يؤدون نسكهم في طمأنينة ويسر، وذلك بدمج المسعى داخل مباني المسجد الحرام، وتوسعته وجعله من دورين، بعد أن أصبحت المساكن تحيط به من كل جانب، وفصلت في أجزاء كبيرة منه بينه وبين المسجد الحرام حتى أصبح المسعى عبارة عن طريق ضيق متعرج تقوم على جانبيه المتاجر والمنازل[٥]، ويختلط فيه الساعون بأعداد كبيرة من

---

(١) وزارة الحج: الحج في مائة عام، ص ١٨٦.

(٢) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، جا، ص٢٣.

(٣) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٠.

(٤) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، ج٢، ص٢٠.

(٥) وزارة الإعلام: توسعة الحرمين الشريفين، ص ٧٣.

المتسوقين، مما يؤثر في روحانية المكان ويسبب الإزعاج للساعين عند أدائهم نسكهم.

٤- تسهيل حركة المواصلات المؤدية للمسجد الحرام، وذلك بتوسعة الشوارع المحيطة بالمسجد الحرام أو المؤدية إليه، وجعلها تحيط به من كل جانب، وإزالة جميع المباني السكنية أو التجارية الملاصقة لمبنى المسجد، وإنشاء عدد من الميادين أمام الأبواب الرئيسة للمسجد.

٥- إزالة أخطار غمر مياه السيول للمسجد التي كانت تحدث أضراراً خطيرة للكعبة المشرفة والمباني المحيطة بها، وتؤدي أحياناً إلى تدمير أجزاء من المسجد الحرام حسبما سجلته المصادر التاريخية خلال عصور التاريخ الماضية(١)، وذلك بصرف السيول في مجرى واسع يمر تحت المسجد من الناحية الشرقية الجنوبية منه.

٦- توفير الخدمات في مباني المسجد الجديدة والقديمة من إضاءة وتهوية حديثة ومياه شرب زمزم بهدف راحة قاصدي بيت الله وجعل ذلك على مدار الساعة(٢).

وتنفيذاً لرغبة الملك الباني عبدالعزيز، فقد بدأت اللجان في أعمالها بخطوات سريعة، إلا أن الملك عبد العزيز وافته المنية قبل البدء في تنفيذ المشروع، فقام الملك سعود من بعده باتخاذ الإجراءات اللازمة للبدء الفعلي في المشروع على الواقع بعد أن أنجزت اللجان الفنية والهندسية التصاميم والمخططات اللازمة له. وكان الشيخ محمد بن لادن قد كلف المهندس محمد طاهر الجويني المهندس المعماري

---

(١) محمد طاهر كردي: التاريخ القويم، جـ ٢، ص ١٩٤ - ٢٠٠.

(٢) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٣٨.

المصري الشهير، وأحد تلاميذ المهندس مصطفى فهمي باشا بأن يقوم بعمل تصاميم جديدة لمشروع توسعة المسجد الحرام نظراً لعدم إجازة التصاميم التي قام بها المهندس المعماري فهمي مؤمن، وقد قام المهندس محمد الجويني بعمل تصاميم جديدة[١].

وما أن تم عرض المخططات والتصاميم الجديدة على الملك سعود، وولي عهده الأمير فيصل، حتى أعلنا موافقتهما عليها، وجاء التصميم الثاني للمسجد الحرام على شكل مربع مع التركيز على جعل الاتجاهات متمركزة حول الكعبة المشرفة، ومن أجل أن تعم البشرى قلوب المواطنين والمقيمين في الداخل والمسلمين في كافة أرجاء المعمورة، فقد أعلن الملك سعود في الخامس من محرم سنة ١٣٧٥هـ الموافق ٢٢ أغسطس سنة ١٩٥٥م عن الرغبة الملكية في توسعة المسجد الحرام بمكة المكرمة وعمارته على أحدث أساليب العمارة الإسلامية، بناءً على المخططات والتصاميم المعتمدة، وأن يتم نقل الآلات والمعدات التي استعملت في عمارة المسجد النبوي إلى مكة المكرمة للعمل في مشروع توسعة المسجد الحرام، وأن تكوّن لجنة من أهل الخبرة تقوم بتقدير أثمان العقارات المراد إزالتها لصالح المشروع، وتتولى وزارة المالية والاقتصاد الوطني دفع التعويضات المطلوبة لأصحابها، وقد نشر ذلك في الجريدة الرسمية[٢].

وجاء تشكيل لجنة تقدير العقارات المراد إزالتها لصالح توسعة المسجد الحرام على النحو الآتي:

---

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، جـ ٢، ص٤٠-٤١.

(٢) جريدة أم القرى: عدد (١٥٧٩) بتاريخ الجمعة ٧ محرم ١٣٧٥هـ الموافق ١٦ أغسطس ١٩٥٥م.

١ ـ الشيخ عبدالله كعكي.
٢ ـ الشيخ عبدالرحمن عيد.
٣ ـ الشيخ أحمد محمد مفتي.
٤ ـ الشيخ داود عرفي.
٥ ـ الشيخ محمد صالح قزاز.
٦ ـ مندوب عن وزارة المالية.
٧ ـ مندوب عن أمانة العاصمة.
٨ ـ مندوب عن مديرية الأوقاف.
٩ ـ مندوب عن إدارة عين زبيدة(١).

وقد باشرت اللجنة أعمالها بأمانة وإخلاص، وكانت عملية تقدير العقارات ودفع أثمانها من خزينة الدولة من أدق أجزاء مشروع التوسعة وأكثرها تكاليف.

وجاءت بداية أعمال اللجنة بتحديد العقارات والمتاجر المطلوب نزع ملكيتها لصالح المشروع تمهيداً لشرائها، وقد شمل ذلك دورًا سكنية، ومباني حكومية كالمحكمة الشرعية الكبرى بباب الزيادة، والمدارس المحيطة بالمسجد الحرام، وإدارة الشرطة والأمن العام المعروفة (بالحميدية)، ومطبعة الحكومة، وأسواقًا تجارية، والتكية المصرية، ومجموعة كبيرة من المساكن الخاصة، وأبواب المسجد الحرام المقرر إزالتها وذلك لوصل العمارة الحديثة بأدوارها المتعددة بالعمارة السابقة ذات الأروقة المقببة، وقد تم ذلك بالتدريج وحسب سير

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، جـ١، ص ٣٦.

الأعمال بمشروع التوسعة. وقامت الدولة على الفور بدفع أثمان الدور التي تقرر اللجنة إزالتها لصالح مشروع التوسعة حال تثمينها، وقد بذلت الدولة في سبيل ذلك أموالاً كبيرة؛ لأنها دفعت لأصحاب الدور والمتاجر حقوقهم بسخاء تام، مما أثلج صدور أصحاب تلك الدور والمتاجر وجعلهم يلهجون بالدعاء للدولة، والشيء الذي سرهم أكثر أن منازلهم سوف تصبح بعد إزالتها جزءًا من المسجد الحرام، ومكاناً للعبادة والدعاء. وعندما يتقرر هدم أي عقار ويتسلم صاحبه ثمنه، فإن الأوامر تصدر لأصحاب هذه الدور والعقارات والمتاجر والمؤسسات الحكومية بالإخلاء الفوري والانتقال إلى أماكن أخرى، وقد استجاب أصحاب هذه الدور بكل ارتياح، فأخلوا مساكنهم على الفور، كما تم نقل المحكمة الشرعية الكبرى إلى مبنى النيابة العامة بالغزة، وكذلك تم نقل المدارس والمتاجر إلى دور ومتاجر مجاورة للمسجد الحرام. ثم قامت شركة الكهرباء على الفور بقطع التيار الكهربائي وإزالة الكابلات الكهربائية عن المواقع المراد هدمها، وكذلك تم فصل الهواتف وقفل مواسير المياه ونزعها عن الدور والمتاجر التي تقرر هدمها رغبة في تحقيق السلامة للعاملين في المشروع خشية تعرضهم لأي أخطار[١].

وفي اليوم السادس من شهر صفر سنة ١٣٧٥هـ صدر المرسوم الملكي رقم ٢٧/ ٤/ ٢/ ٣٨٦ بتشكيل هيئة عليا للإشراف على توسعة المسجد الحرام برئاسة الأمير فيصل ولي العهد، وعضوية كل من: الشيخ محمد بن مانع، والشيخ عبدالملك بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ علوي مالكي، والشيخ محمد سرور الصبان، والشيخ أحمد إبراهيم الغزاوي.

(١) وزارة الإعلام: توسعة الحرمين الشريفين، ص ٧٦ - ٧٧.

وفي ربيع الأول من عام ١٣٧٥هـ تقرر تحويل مسار الطريق الذي كان يربط منطقة القشاشية والغزة في شرق المسجد الحرام بمنطقة السوق الصغير في الجنوب والجنوب الغربي مخترقاً شارع المسعى على بعد (٨٠) مترًا تقريبًا من الصفا، والذي كان حلقة اتصال رئيسة للمارة والسيارات بين تلك المناطق، كما أن هذا الطريق كان بمثابة مجرى تسلكه السيول المنحدرة من ناحية الغزة إلى المسفلة. وجاء قرار تحويله من أول متطلبات اللجان الهندسية والفنية المسؤولة عن أعمال التوسعة للمسجد الحرام، على أن يكون تحويل مساره إلى خلف الصفا عند منحدر جبل أبي قبيس حتى يتم تأمين الاتصال المباشر لحركة مرور السيارات والمارة بين الجنوب الشرقي والجنوب الغربي للمسجد الحرام. وفي الوقت نفسه قام الفنيون والعمال بفك مظلة المسعى ونقلها إلى مكان آخر حيث تم تركيبها فيما بعد في شارع المدعي.

وفي الرابع من شهر ربيع الآخر من العام نفسه بدأ العمل في هدم المباني الواقعة في مسار الطريق الجديد الذي تقرر فتحه خلف منطقة الصفا[١]، كما أزيلت المنشآت السكنية والتجارية التي كانت قائمة في الجهة المقابلة للمسجد شرق المسعى، أو الواقعة في مسار مجرى السيل الجديد، وقد شمل ذلك كل المباني القائمة شرق المسجد الحرام وحول منطقة الصفا وعلى طول الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد، وكان من جملة تلك المباني مبنى دار الأرقم بن الأرقم، ومبنى المعهد العلمي السعودي، ومبنى المديرية العامة للمعارف سابقاً، ومبنى المديرية العامة للبريد، وعدد من المتاجر والمساكن الخاصة، وتم الهدم باستعمال

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، جـ٣، ص ٦٠.

المعدات اللازمة من الجرافات وكابلات السحب بمساعدة مجموعة كبيرة من العمال والفنيين، وسمح لأصحاب العقارات والمواطنين بأخذ ما يريدونه من واجهات ومشربيات وأبواب ونحو ذلك من العقارات المنزوعة تحت إشراف مسؤولي الشركة المنفذة للمشروع[١].

وتلا ذلك صدور المرسوم الملكي رقم ١٥/١/٢٩٢٥ وتاريخ ٢٢ رجب من العام نفسه، والذي ينص بالاعتماد النهائي للخرائط والتصاميم الجديدة الخاصة بمشروع توسعة المسجد الحرام، وتكليف المعلم محمد ابن لادن مدير الأبنية والإنشاءات بالإشراف المباشر على تنفيذ المشروع الإسلامي العملاق تحت إشراف هيئة هندسية وفنية متخصصة ذات خبرات عالية في العمارة الإسلامية، وعليه التنفيذ الدقيق للتصاميم المعدة والمعتمدة للمشروع، وتحديد نطاق العمل فيه على الطبيعة، وإنجاز أي خرائط ومجسمات يحتاجها المشروع فيما بعد، مع إعداد البيانات التفصيلية لمراحل التنفيذ الفعلي للمشروع، والمتابعة الدقيقة لذلك، والرفع للجنة العليا المشرفة على مشروع توسعة المسجد الحرام وعمارته بتقارير وافية عن سير العمل في المشروع بين الحين والآخر. على أن تعتمد وزارة المالية المبالغ اللازمة التي يحتاجها المشروع من البند المقرر له في ميزانية الدولة[٢].

وفي الثالث والعشرين من شعبان من السنة نفسها تم الاحتفال بوضع حجر الأساس لمشروع توسعة المسجد الحرام وعمارته تحت رعاية الملك سعود، وولي عهده الأمير فيصل، وأقيم الاحتفال أمام باب أم هانئ، وحضره عدد من الأمراء والوجهاء وكبار رجال الدولة، وممثلو

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني، مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، جـ ٣، ص ٥٢.
(٢) وزارة المالية والاقتصاد الوطني، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٦٢-٦٥.

البعثات الدبلوماسية الإسلامية، وقام الملك بوضع حجر الأساس في الموقع الذي به باب الملك عبدالعزيز، وكان ذلك إيذاناً بالبدء الرسمي لمرحلة التوسعة والبناء في المسجد الحرام[١].

وجاء الاحتفال بوضع حجر الأساس لمشروع توسعة المسجد الحرام وعمارته في وقت كانت فيه أعمال الهدم ورفع الأنقاض في المنطقة الشرقية للمسجد الحرام الواقعة في مسار السيل الجديد، حيث واصلت المعدات أعمالها في حفر مجرى السيل المغطى بعرض خمسة أمتار، وارتفاع يتراوح بين أربعة وستة أمتار في المنطقة الواقعة من بداية جدار المسعى الشرقي، ويستمر في منطقة المسعى مما يلي باب الصفا وباب عليّ بمسافة (٧٠) متراً تقريباً، ثم ينحدر بمحاذاة الجدار الداخلي في الجانب الجنوبي الشرقي للمسجد الحرام الذي خصص لنقل مياه السيول إلى منطقتي المسيال والمسفلة جنوب مكة المكرمة، وذلك حتى لا يتعرض المسجد الحرام وأروقته لأخطار السيول المارة بوادي إبراهيم من أعالي مكة إلى أسفلها[٢].

وما أن تم وضع حجر الأساس لمشروع توسعة المسجد الحرام، حتى أخذت المعدات في هدم المنشآت السكنية والتجارية الواقعة على امتداد جانبي المسعى من الصفا إلى المروة، وشملت عدداً من المتاجر والمنازل، والمدرسة المحمدية الابتدائية، وإزالة الأنقاض، وحفر الأرض لإنشاء طبقة من الأقبية بارتفاع ثلاثة أمتار ونصف المتر تحت

---

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني، مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، جـ ٢، ص ٧٧، وجـ٣، ص ٣٧.

(٢) الأزرقي: أخبار مكة، جـ٢، ملحق (٥) ص ٣٣٣-٣٣٤، و وزارة المالية والاقتصاد الوطني، المصدر السابق، جـ٣، ص ٥٤،
وانظر أيضاً: وزارة الإعلام: توسعة الحرمين الشريفين، ص ٧٧-٨٠.

أرض المناطق المحيطة بالمسجد. وما أن انتهت أعمال تشييد الأقبية حتى بدئ في بناء الدور الأرضي من المسعى وإدخاله داخل المسجد الحرام، كما تم أيضاً الانتهاء من بناء مجرى السيل الذي بني بكامله بالخرسانة المسلحة بشكل سميك، وقد تم الانتهاء من بنائه في عام ١٣٧٧هـ. وفي الوقت نفسه تواصلت أعمال البناء في المسعى، فتم بناؤه من طابقين لاستيعاب أكبر عدد ممكن من المصلين والساعين بطول (٣٩٥) متراً، وعرض (٢٠) متراً، وبلغ ارتفاع الطابق الأرضي للمسعى (١٢) متراً، والطابق العلوي تسعة أمتار. كما تم عمل حاجز وسط الدور الأرضي من المسعى بارتفاع (٧٥) سم يقسمه قسمين طوليين، خصص أحدهما للساعين المتجهين من الصفا للمروة، والآخر من المروة للساعين باتجاه الصفا لتسهيل السعي، ومنع تصادم الساعين أو ازدحامهم ذهاباً وإياباً. وتم إنشاء ستة عشر باباً على طول المسعى موزعة على الواجهة الشرقية المطلة على الشارع العام والداخلية المطلة على المسجد، وإنشاء مدخل من ناحية الصفا، وآخر من ناحية المروة في الطابق الثاني للمسعى، وبلغ عدد النوافذ (١٤٨) نافذة مصنوعة من الحديد المطعم بالنحاس، وتشمل معظم واجهات المسعى، وذلك لإدخال النور والتهوية الكافية. كما تم إنشاء سُلَّمَين؛ أحدهما عند باب السلام، والآخر عند باب الصفا، وأقيم فوق منطقة الصفا سقف شكله مستدير مقبب، وفي نهاية المسعى عند قبة الصفا أقيمت منارة عالية جديدة ارتفاعها حوالي اثنين وتسعين متراً. وبذلك انقطع مرور السيارات والأفراد الذين كانوا يرتادون المتاجر التي كانت في المسعى، وأصبح المعتمرون والحجاج لأول مرة يؤدون نسكهم بين الصفا والمروة وهم في اطمئنان وخشوع تام وبدون أي إزعاج. كما أخذ المصلون يؤدون

صلاتهم في المسعى مع جماعة المسجد مما ساعد على تخفيف الزحام الذي كان يشتد عند إقامة الصلاة في أيام الحج[١].

وبينما كانت أعمال البناء وتغطية الواجهات بالرخام في المسعى تسير بخطوات حثيثة، كانت المعدات أيضاً تقوم بأعمال هدم بقية المنازل والمتاجر في منطقة أجياد الواقعة خارج نطاق مجرى السيل.

ومع بداية عام ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م بدئ في حفر أساسات الرواق الجنوبي من جهة أجياد، بعد أن تمت إزالة المباني المحيطة بالمنطقة الجنوبية للمسجد. وفي الوقت نفسه تم بناء أساسات وأعمدة الأقبية (البدرومات) في هذه الجهة بارتفاع ثلاثة أمتار ونصف، وقد استغرق هذا العمل حوالي العام.

ومع بداية عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م تأسست شركة ابن لادن للمقاولات التي أخذت على عاتقها تنفيذ المشروع، فقامت بإنشاء أعمدة الدور الأرضي من الأروقة الجنوبية للمسجد الحرام وتسقيفه، وقد شمل ذلك ربط سقف مجرى السيل الواقع في المنطقة الجنوبية الشرقية بأرض العمارة العثمانية القديمة وربطه بالعمارتين، وجعل مستوى سطح هذه المنطقة في مستوى أرض الأروقة العثمانية. أما المنطقة التي بنيت تحتها الأقبية من الرواق الجنوبي فإن سطحها جاء مرتفعاً قليلاً لتوفير مداخل لتلك الأقبية من داخل المسجد الحرام، كما تم أيضاً إقامة ممر دائري فوق منطقة الصفا على مستوى الطابق الأول للمسجد والمسعى، بحيث تتصل أروقة الدور الأرضي من الجانب الجنوبي للمسجد بالدور الأرضي

(١) الأزرقي: أخبار مكة، جـ٢، ملحق (٥)، ص ٣٣٢-٣٣٣.

من المسعى، وتكون منطقة الصفا حلقة وصل بين الجانبين وعلى مستوى واحد(١).

وبعد الانتهاء من عمل المسلحات من أعمدة وسقوف للدور الأرضي من الناحية الجنوبية، بدئ في كسوة الأعمدة والجدران وعقود الأعمدة العلوية والسفلية بالرخام الممتاز ذي اللون الرصاصي والأبيض المموج، كما تمت كسوة السقوف بالزخارف الجبسية والحجرية الناعمة ذات النقوش الإسلامية المتميزة، معظمها مصنوع من الحجر المنقوش والمزخرف بمصانع الشركة الواقعة خارج منطقة العمل.

وبينما كانت أعمال التشييد تسير بخطى حثيثة في الدور الأرضي من المسعى والأروقة الجنوبية، كانت أعمال الهدم ونقل الأنقاض وحفر الأساسات قد انتهت في الرواق الشمالي الممتد من باب العمرة إلى باب السلام، وكذلك في الرواق الجنوبي الغربي الممتد من باب العمرة إلى باب الملك عبدالعزيز. وبدأت أعمال تشييد الأساسات تسير في عمل متواصل ليل نهار، مما جعل منطقة المسجد الحرام تتحول إلى ورشة عمل تنتشر فيها المعدات الثقيلة من الجرافات والرافعات وسيارات الشحن، تحت إشراف مجموعة من المهندسين والفنيين يساعدهم عدد كبير من العمال، وقد شُقَّ من خلال منطقة العمل في جهات عدة عدد من الممرات المظللة والمؤمنة بوسائل السلامة لدخول المصلين وخروجهم، لتسهيل حركة الدخول إلى المسجد الحرام والخروج منه بسلام وأمان.

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة، التوسعة السعودية، ملحق رقم (٥)، ص ٣٣٣، وحامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص٢٤٢-٢٤٣، وصالح بن عون الغامدي: الملك سعود بن عبدالعزيز، ص ٨١-٨٢.

وفي اليوم الثالث من شعبان سنة ١٣٨٠هـ الموافق ١٩ يناير عام ١٩٦١م صدر قرار مجلس الوزراء رقم(٢٤١) بتعيين لجنة تنفيذية جديدة للإشراف على أعمال توسعة المسجد الحرام برئاسة الأمير فيصل، وعضوية وزير المالية آنذاك الأمير طلال بن عبدالعزيز، والشيخ عبدالملك بن إبراهيم، والشيخ علوي مالكي، ومدير عام وزارة الداخلية، ونائب رئيس مجلس الشورى، ومدير عام توسعة المسجد الحرام، ومدير عام الأوقاف، وأمين العاصمة، ومدير الأمن العام، ورئيس هيئة عين زبيدة والعزيزية، والمعلم محمد بن لادن[١].

ومع بداية عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م شرع في بناء الأقبية الواقعة في الجانبين الشمالي والجنوبي الغربي من المسجد الحرام وتسقيفها، والاستمرار في بناء أعمدة الدور الأرضي من الرواق الجنوبي الغربي الممتد من باب الملك إلى باب العمرة، وبناء أعمدة الدور الأرضي من الرواق الشمالي الممتد من باب العمرة إلى باب السلام (الفتح) بعد إيصاله بالمسعى عند باب السلام على نحو مستوى المسعى والأروقة الأخرى، وتلا ذلك إنجاز سقف الدور الأرضي للأروقة في الجهة الجنوبية الغربية، والعمل على إكمال بناء الدور الأرضي لجميع الأروقة في كل جهات المسجد الحرام، مع الاحتفاظ بالأروقة القديمة من العمارة العثمانية ذات القبب الجميلة وإكمال عمل السقف المستدير فوق منطقة الصفا.

وشمل المشروع توسعة الطرق المحيطة بمنطقة المسجد الحرام وربطها بالمسجد الحرام، وذلك لتسهيل حركة الدخول والخروج من المسجد الحرام للمصلين والعمال العاملين في المشروع، وفك الاختناقات المرورية في المنطقة المحيطة بالمسجد الحرام أو المؤدية إليه.

---

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، جـ ٣، ص٧٥.

ونظراً لازدياد عدد الحجاج عاماً بعد آخر، فقد تقرر توسعة صحن المطاف، فتم في سنة ١٣٨٣هـ نقل المنبر من موقعه إلى مسافة سبعة أمتار نحو الشرق، وكذلك إزالة بيت زمزم القديم وأزيل معه المقام الشافعي الذي كان فوقه، وعمل تصميم هندسي جديد يجعل بئر زمزم في قبو (بدروم) تحت صحن المطاف مساحته (١٥,٨٨م × ٨,٤٨م) وعلى عمق (٢٧٠سم) من الداخل، وذلك لتوسعة صحن المطاف لتجنب الازدحام بين الحجاج في أوقات الحج، فأقيم البيت الجديد لزمزم في قبو تحت الأرض يتصل سقفه بأرض المطاف، وغطيت فوهة البئر من أعلى، وخفضت الفوهة الجديدة وجعلت فتحتها داخل القبو وركبت عليها مكائن لسحب الماء وضخه إلى المبردات الكهربائية ثم دفعه إلى صنابير الماء بارداً، فانتهت بذلك مرحلة سحب ماء زمزم بالدلاء. كما وضع حول فوهة البئر هيكل من قضبان الحديد يمكن من خلاله مشاهدة البئر من خلال هذه القضبان الحديدية، وعادة ما يكون هذا المكان مغلقًا بأبواب حديدية لحماية البئر من إلقاء أي شيء داخله، وجعل للقبو مدخلان؛ أحدهما للرجال، والآخر للنساء، وتبلغ مساحة مكان الشرب للرجال (٥٤,٢٧) متراً مربعاً به (٢٠) صنبور ماء شرب، كما تبلغ مساحة مكان الشرب للنساء (٤٦,٤٧) متراً مربعاً به (١٩) صنبور ماء للشرب، وينزل إليه بدرج عددها (٢٤) درجة تقع في وسط الساحة الشرقية المحيطة بصحن المطاف بعرض (١٤,٧٦) متراً ويحيط بثلاث جهات منه حاجز خرساني بارتفاع متر واحد، ووضعت به مجموعة من أجهزة تكييف الهواء والمراوح لتهويته، وأطلق على هذه العملية «المرحلة الأولى لبناء بيت زمزم»[١].

---

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد =

وفيما يأتي إحصائية لعدد الحجاج القادمين إلى المملكة لأداء فريضة الحج خلال فترة حكم الملك سعود رحمه الله.

جدول رقم (٤)
بيان بعدد الحجاج في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز من عام ١٣٧٣حتى عام ١٣٨٣هـ

م	السنة	عدد الحجيج	من حج بالناس
١	١٣٧٣ هـ	١٤٦,٠٧٢	الملك سعود
٢	١٣٧٤ هـ	٢٣٢,٩٧١	الملك سعود
٣	١٣٧٥ هـ	٢٢٠,٧٣٣	الملك سعود
٤	١٣٧٦ هـ	٢١٥,٥٧٥	الملك سعود
٥	١٣٧٧ هـ	٢٠٩,١٩٧	الملك سعود
٦	١٣٧٨ هـ	٢٠٧,١٧١	الملك سعود
٧	١٣٧٩ هـ	٢٥٣,٣٦٩	الملك سعود
٨	١٣٨٠ هـ	٢٨٥,٩٤٨	الملك سعود
٩	١٣٨١ هـ	٢١٦,٤٥٥	الملك سعود
١٠	١٣٨٢ هـ	١٩٩,٠٣٨	الملك سعود
١١	١٣٨٣ هـ	٢٦٦,٥٥٥	الأمير فيصل - ولي العهد نائب الملك (١)

= الحرام، جـ٣، ص٨٠، ومحمد طاهر كردي: التاريخ القويم، جـ ٥، ص ٣٣٠، وحامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ١٤١، ومحمد بن مساعد: درر الجامع الثمين لأعمال الملوك من آل سعود الميامين، ص ٣٨.

(١) وزارة الحج: الحج في مائة عام، ص ١٨٦ . .
وقد اختلفت هذه الإحصائية عما ورد في كتاب محمد طاهر الكردي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، جـ٢، ص ١٩٠-١٩١.

وقد بلغت مساحة المسجد الحرام بعد هذه التوسعة (١٦٠,١٦٨) متراً مربعاً، تفصيلها كالآتي:

- مساحة المسجد الحرام قبل التوسعة السعودية الأولى	٢٩,١٢٧ متراً مربعاً
- مساحة التوسعة الجديدة الأولى:	
(الطابق الأول والثاني من الأروقة الجديدة)	٣١,٣٠٩ أمتار مربعة
- مساحة المسعى بعد ضمه للمسجد الحرام	١٠,١٧٢ متراً مربعاً
- مساحة الدور الثاني بما فيه المسعى (الطابق الثاني)	٦٠,٥٦٠ متراً مربعاً
- مساحة الأقبية التي تحت الأروقة	٢٩,٠٠٠ متر مربع
المجموع	١٦٠,١٦٨ متراً مربعاً[١]

بعد أن كانت ٢٩,١٢٧ متراً مسطحاً؛ أي بزيادة قدرها (١٣١,٠٤١) متراً مربعاً، مما جعل المسجد الحرام بمكة يتسع لأكثر من أربعمائة ألف مصلٍ في أوقات الذروة. وقد شملت هذه التوسعة توسعة المطاف بإضافة الساحات إليه وتغطيتها بالرخام الأبيض، وتجديد مقام إبراهيم عليه السلام[٢].

كما زادت مساحة الصحن حول الكعبة المشرفة من أربعة آلاف وخمسمائة مترٍ مربعٍ، إلى عشرة آلاف متر مربع، مما أتاح للحجاج والعُمَّار سهولة الطوافِ حول الكعبة المشرفة[٣]، وقد أضفى هذا العمل على الطائفين الشعور بالأمن والأمان والراحة النفسية والروحانية حتى يؤدوا عبادتهم على أحسن وجه.

---

(١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ١٤٤.

(٢) الأزرقي: أخبار مكة، جـ٢، ملحق (٥)، ص ٣٣٧-٣٣٨، و خالد بن عبدالله الشريهي: لمحات من إنجازات خادم الحرمين الشريفين (الطبعة الثانية، الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤١٣هـ)، ص ٤٨.

(٣) صالح بن عون الغامدي: الملك سعود بن عبدالعزيز، ص ٨٧.

وبالإضافة للأعمال الجليلة التي قام بها الملك سعود في المسجد الحرام من بناء وتشييد، فإن ذلك شمل أيضاً الأعمال الآتية :

١ ـ إضاءة المسجد الحرام بالكهرباء وتهويته بالمراوح السقفية، وإنشاء محطة كهرباء جديدة خاصة بالمسجد الحرام، وشراء معدات وماكينات جديدة لتغذية المسجد بالكهرباء على مدار الساعة.

٢ ـ تغطية ساحات المسجد الحرام بما فيها صحن المطاف والساحات المحيطة به وأرضيات الدور الأرضي من الأروقة والمسعى بالرخام الناعم الممتاز.

٣ ـ عمل دورات مياه كافية في الساحات المحيطة بالمسجد الحرام حتى يسهل على المصلين الوضوء والتطهر استعداداً لصلواتهم وعباداتهم عند الحاجة لذلك.

٤ ـ عمل مظلات جديدة متحركة أمام الأروقة القديمة لتغطية جزء من الساحات الداخلية للمسجد الحرام لوقاية المصلين من حرارة الشمس في أثناء صلاة الظهر والعصر والجمعة.

٥ ـ إزالة مركز الصفا والمباني التي خلفه وضمها للمسعى.

٦ ـ إزالة بيت باناجه وضمه للمسعي.

٧ ـ إنشاء مظلة وخزانات وسبيل لسقيا ماء زمزم[١].

وقد قدرت تكاليف مشروع توسعة المسجد الحرام بمكة في عهد الملك سعود ـ رحمه الله ـ بألف مليون ريال سعودي حسب أسعار ذلك الزمان، ويشمل ذلك أثمان الدور والمساكن والمتاجر التي أزيلت

---

(١) صالح بن عون الغامدي: الملك سعود بن عبدالعزيز، ص ٧٧، ووزارة الحج: الحج في مائة عام، ص ٣٤.

لتوسعة المسجد الحرام، أو لتوسعة الشوارع وإقامة الميادين حوله، وكذلك تكاليف المباني وأدوات ومؤن بناء وأجور عمال ونحو ذلك[١]. وفيما يأتي تفصيل لذلك:

- بلغ عدد المنازل والأبنية التي أزيلت لصالح المشروع في عهد الملك سعود رحمه الله (٧٦٨) منزلاً وفناءً.
- بلغ عدد المتاجر والمخازن المزالة (٩٢٨) متجراً ومخزناً.
- بلغت جملة التعويضات التي دفعت لأصحاب الدور والمنازل والمتاجر والأبنية مبلغ (٢٣٩,٦١٥,٣٠٠) ريال سعودي.
- بلغ مجموع الأجور حوالي (٨٠,٠٠٠,٠٠٠) ثمانين مليون ريال.
- بلغت الردميات (١٥٠,٠٠٠) متر مكعب، وهي الردميات التي أزيلت من أنقاض المباني المزالة لصالح مشروع التوسعة.
- بلغت المناطق الجبلية التي أزيلت بالمتفجرات (الديناميت) في المناطق الجبلية والأرضية لإزالة الصخور التي تعترض تنفيذ مشروع التوسعة (٨٦,٠٠٠ م^3) ستاً وثمانين ألف متر مكعب.
- بلغت كمية الخرسانة البيضاء التي صبت (٧٠,٠٠٠ م^3) سبعين ألف متر مكعب.
- بلغت مساحة ما تم تغطيته بالرخام (٣٠,٠٠٠ م^3) ثلاثين ألف متر مكعب.
- بلغت مساحة ما تم تغطيته بالحجر الصناعي (المزايكو) (٤٨,٠٠٠م^3) ثمانية وأربعين ألف متر مكعب.

---

(١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٢٤٤.

- وبالنسبة لعدد الموظفين الإداريين، والمهندسين، والمسّاحين، والعمال الفنيين، والعمال العاديين العاملين بالمشروع يومياً على مدار الساعة، فقد بلغ عددهم على النحو الآتي:
- بلغ عدد موظفي المشروع الإداريين (٢٠٨) موظفين.
- بلغ عدد المهندسين العاملين (٢٠٨) مهندسين.
- بلغ عدد العمال الفنيين (١٥٠) عاملاً فنياً.
- بلغ عدد العمال المساعدين (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف عامل يومياً [(١)].

وقد قامت شركة محمد بن لادن للمقاولات في هذه المرحلة (١٣٧٥-١٣٨٤هـ) بإنجاز ما تم ترسيته عليها من هذا المشروع على أحسن وجه من حيث التصميم والإنشاء والتعمير، وبذلت في سبيل ذلك جهوداً كبيرة تقديراً منها لهذا العمل الإسلامي العملاق في بيت الله الحرام.

---

(١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ١٤٣-١٤٤.

ثانيًا: عمارة المسجد الحرام وتوسعته في عهد الملك فيصل

١٣٨٤ - ١٣٩٥هـ

نبذة عن حياة الملك فيصل :

ولد الملك فيصل في شهر صفر سنة ١٣٢٤هـ الموافق أبريل عام ١٩٠٦م في مدينة الرياض، وقد أظهر منذ طفولته المبكرة نبوغاً وذكاءً ملحوظين؛ وذلك لأنه نشأ في بيت علم وقيادة، فوالده الملك عبدالعزيز، وجده لأمه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، ولذلك فإنه تأثر بهما وكسب منهما السجايا الحميدة، والصلاح والتقوى، والعلم الوفير في الدين والسياسة والحياة، جعلته يشارك والده في قيادة المعارك منذ فجر شبابه لتوحيد المملكة، فأبرز خلال هذه المعارك التي قادها في عسير شجاعة ودراية كبيرة في الشؤون العسكرية والقيادية وحقق انتصارات كبيرة فيها.

تولى ـ رحمه الله ـ مناصب بارزة في إدارة شؤون الدولة، كان من أهمها: قيام والده بتعيينه نائباً عنه في حكم الحجاز منذ عام ١٣٤٤هـ، كما تولى منصب وزير الخارجية منذ إنشائها بجدة عام ١٣٤٩هـ، وأسهم إسهامات كبيرة في أن يكون للمملكة مكانة رفيعة بين الأمم، وصوت مسموع، وعلم مرفوع، ومشاركة فاعلة في المحافل الدولية والمؤتمرات واللقاءات الدولية والإقليمية. فكان يدير الأمور بحنكة وسياسة عظيمة

شهد له بها سياسيو العالم، وظهر ذلك في إسهاماته الشجاعة بالقول والعمل في إيجاد الحلول المناسبة في حل قضايا العالم الإسلامي في تلك الفترة، على أساس أن المملكة العربية السعودية قلعة الإسلام الصامدة في وجه أعداء الإسلام والسلام، وقد قاده ذلك إلى القيام برحلات عديدة في مهمات سياسية، أبرز خلالها حنكة سياسية وحكمة عالية.

بويع ـ رحمه الله ـ في السابع والعشرين من شهر جمادى الآخر عام ١٣٨٤هـ الموافق ٢ نوفمبر عام ١٩٦٤م ملكاً على البلاد، وفي الوقت نفسه تم تعيين الأمير خالد بن عبدالعزيز ولياً للعهد. وقد شهدت البلاد في عهده نهضة كبيرة في جميع مجالات الحياة يصعب ذكرها بالتفصيل، وشملت تطوير نظم المملكة الإدارية والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية، وإنشاء قاعدة صناعية وطنية وعمل على حمايتها من المنافسة الخارجية، كما عمل على توفير المياه من خلال مشروعات التحلية الكبرى، وحفر الآبار، كما اهتم بالزراعة والثروة الحيوانية في مشروع حرض الكبير وغيره، وسارع إلى التوسع في مد شبكة الطرق بين مدن المملكة وقراها، كما عمل على إلغاء الرق وتحرير جميع الأرقاء، والاهتمام بالرعاية الصحية عن طريق بناء المستشفيات المتخصصة، ونشر المستوصفات في جميع أرجاء المملكة، وتوفير ما تحتاجه من أطباء وأدوية ومعدات طبية مع التوسع في الابتعاث، وخاصة في التخصصات التي تحتاجها الدولة، وفتح الجامعات والكليات، والتوسع في تعليم البنات.

وعمل ـ رحمه الله ـ أيضاً على إيجاد موارد أخرى من الثروة المعدنية، وعدم الاعتماد الكلي على البترول، وتخصيص جزء كبير من ميزانية الدولة للمشروعات العمرانية والزراعية والصناعية والتعليمية والصحية والاجتماعية والإعلامية، حيث تم إدخال التلفزيون وتعميمه،

وتحويل الصحافة من صحافة أفراد إلى صحافة مؤسسات، والاهتمام بالإعلام الخارجي، كما تم تعميم الهاتف الآلي داخلياً ودولياً.

أما في الميدان السياسي والخارجي فلقد اهتم الملك فيصل ـ رحمه الله ـ بالسياسة الخارجية للدولة على المستوى العربي والإسلامي والعالمي، وذلك منذ أن تم تعيينه وزيراً للخارجية في عام ١٣٤٩هـ. وعندما تولى مُلك البلاد سار على السياسة الحكيمة للدولة نفسها والمتمثلة في دعم مسيرة السلام، وعدم التدخل في شؤون البلاد الأخرى، مع عدم السماح لأي دولة بالتدخل في شؤون المملكة الداخلية، على أساس أن المملكة دولة الإسلام الكبرى تحافظ على السلم والسلام، وهي عضو في المنظمات الدولية، مثل هيئة الأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية، وغيرها من المنظمات العالمية الداعية إلى السلام.

اهتم طوال حياته بوحدة المسلمين وتضامنهم، ولذلك تبنى الدعوة إلى التضامن الإسلامي من أجل توحيد كلمة المسلمين، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾(١)؛ فدعا إلى عقد مؤتمر إسلامي على مستوى القمة، والذي عقد في عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م لترسيخ مفهوم دعوة التضامن الإسلامي، وأنشئت في عهده رابطة العالم الإسلامي، وقد قام في سبيل تحقيق دعوة التضامن الإسلامي برحلات عديدة، زار خلالها العديد من الدول الإسلامية في أفريقيا وآسيا، شرح خلالها لشعوبها وقادتها حقيقة دعوته المتضمنة الدفاع عن القيم الإسلامية لمواجهة حملات الإلحاد والأفكار الهدامة وتوحيد الأمة الإسلامية استجابة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[١]. مع العمل على تحرير القدس الشريف من أيدي الصهاينة الغاصبين، وكان يأمل في أن يصلي في القدس الشريف، كما قام بالمتابعة الجادة لاستكمال مشروعات توسعة الحرمين الشريفين.

واستشهد ـ رحمه الله ـ في يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٩٥هـ الموافق ٢٥/ مارس/ ١٩٧٥م بعد اعتداء أثيم عليه، فتولى من بعده أخوه الملك خالد بن عبدالعزيز رحمهما الله تعالى رحمة واسعة[٢].

عمارة المسجد الحرام وتوسعته في عهده:

عندما تولى الملك فيصل دفة الحكم في البلاد عام ١٣٨٤هـ سارع إلى مواصلة الجهود السعودية في مشروع توسعة المسجد الحرام، فأعطى هذا المشروع الإسلامي العملاق جلّ اهتمامه، خدمة للإسلام والمسلمين.

فلم يكن هذا المشروع بعيداً عن أنظاره لحظة واحدة، بل كان معايشاً له خطوة خطوة منذ بدايته، ويعد ما قام به من إنجازات في هذا المشروع استمرارًا لإنجازات ومتابعة سابقة منه رحمه الله. ولذلك جاءت اهتماماته وإنجازاته في هذه المرحلة استمراراً لما تم إنجازه في مشروع توسعة المسجد الحرام بمكة المكرمة في المرحلة السابقة.

فلقد واصلت المعدات أعمالها، وتم في عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م إزالة المنازل والمتاجر التي تقرر إزالتها لإقامة الميادين الخمسة حول المسجد الحرام التي أعلن عنها الملك فيصل في ذلك العام، وتقع هذه المنازل

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز: الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، ص ٢٤٢.

والمتاجر في الجهة الغربية عند باب الملك عبدالعزيز وفي الجهة المعروفة بمنطقة المسيال وجزء من المنطقة الواقعة أمام باب العمرة، وفي الجهة الشرقية للصفا والمروة والمعروفة بمنطقتي سوق الليل والشامية وبداية أسواق المدعى.

وأعقب ذلك نقل الأنقاض وتسوية الأرض، وتخطيط الميادين والشوارع المحيطة بالمسجد الحرام في المنطقة التي تم إزالة المباني منها، بداية من المنطقة الواقعة ما بين باب الوداع وباب العمرة، ومن ثم زفلتتها وإنارتها ورصفها.

وفي الوقت نفسه كانت أعمال بناء أعمدة الدور الأول وتسقيفه في المنطقة الغربية للمسجد الحرام الواقعة بين باب العمرة وباب الوداع، مع تكملة منارتي باب العمرة ومنارتي باب الملك. وبذلك انتهى البناء في الجهة الغربية للمسجد الحرام الواقعة ما بين باب الملك عبدالعزيز جنوباً إلى باب العمرة في الشمال الغربي للمسجد.

وشرع على الفور في بناء أعمدة الرواق الشمالي في المنطقة الواقعة ما بين باب السلام وباب الباسطية(١).

وفي العاشر من جمادى الأولى سنة ١٣٨٦هـ الموافق ٢٦ أغسطس ١٩٦٦م تم تعيين مكتب اتحاد المهندسين الاستشاريين من الباكستان للإشراف المباشر على الأعمال الفنية والهندسية لمشروع توسعة المسجد الحرام وعمارته، وبمجرد تسلمهم العمل أعد الاستشاريون منهجاً لجدولة العمل بالاشتراك مع مقاول المشروع بهدف إنجاز المشروع في التاريخ الذي حدد له من اللجان المختصة وهو جمادى الآخر من عام

---

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام (الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ) جـ٣، ص ٥٧ ـ ٥٩.

١٣٩٠هـ[١]. واستمرار العمل في بناء الدور الأول من أروقة المسجد الحرام في الجهات الشمالية والغربية والجنوبية وتسقيفه، ومن ثم كسوة أرضيتها وجدرانها وأعمدتها بالرخام، وكسوة أسقفها بالزخارف المصنوعة من الأحجار الصناعية، وتكملة العمل في المنارتين الواقعتين على جانبي باب الفتح الجديد وجعلهما على غرار منارتي باب الملك عبدالعزيز ومنارتي باب العمرة. وكذلك إكمال بناء الدور الأول من المسعى وتشييد قبة الصفا المقببة، وإكمال بناء المنارة الواقعة عند قبة الصفا وجعلها مثل طراز المنارات الست المذكورة سابقاً، وكسوة واجهات الدور الأول من المسعى وأعمدته وأرضيته بالرخام الفاخر، وتغطية سقفه بالزخارف المصنوعة من الحجر الصناعي الملون. وقد أصبحت مساحة المسعى بعد أن ألحق بالمسجد (١٦,٧٠٠م^2) للطابقين مما يمكِّنه من استيعاب حوالي (١٥,٠٠٠) مصلٍّ. وتعد إضافة دور علوي إلى الدور الأرضي للمسعى فكرة عظيمة لمواجهة الزيادة المطردة في عدد الحجاج[٢].

وما أن تم الانتهاء من بناء المسعى، حتى أصبح المسجد الحرام محاطاً بالأروقة من جميع جهاته، وأصبح بناء المسجد مكونًا من طوابق عدة (أقبية، دور أرضي، ودور أول، وأسطح)، كما أصبح المسعى مكونًا من دورين وأسطح.

وفي سنة ١٣٨٨هـ أصدر الملك فيصل بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ أمره الكريم بعدم هدم الرواق العثماني ووصله بالمباني الجديدة للمسجد مع

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، جـ٣، ص ٣٧.

(٢) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: المصدر السابق، جـ٣، ص ٨٦، ومحمد مليباري: المنتقى في أخبار أم القرى، ص٢٤٤.

ترميم الأجزاء التالفة من الرواق العثماني وتعديل التصاميم المعمارية المعدة سابقاً، وذلك تحت إشراف اتحاد المهندسين الاستشاريين، واتخاذ الحلول المناسبة لذلك على ضوء ما تقرر في الاجتماع الذي عقد في مكة المكرمة للمهندسين المسلمين المختصين في العمارة الإسلامية[١]. وقد تطلب تجديد المبنى القديم للمسجد الحرام أعمالاً يدوية دقيقة استلزمت وقتاً طويلاً مما جعل الاستشاريين يقررون تعديل موعد إتمام المشروع حتى عام ١٣٩٣هـ[٢]، وكذلك تعديل التصاميم الخاصة بالمنطقة المحيطة بالمبنى القديم وجعل أرضيتها مساوية لأرض الأروقة العثمانية، مع ربط المنطقة بالأروقة العثمانية بطريقة هندسية متقنة، و جعل المناطق التي تلي المنطقة المحيطة بالأروقة القديمة خالية من الأقبية وعلى طرقها تقع مداخل هذه الأقبية، وهذا الجزء من التوسعة السعودية بعرض عشرين متراً، ويتكون من صالات مساحة الواحدة منها (١٥ × ١٥م)، ويليها وبينها ممرات بعرض أربعة إلى خمسة أمتار[٣].

وعلى أثر ذلك أخذ الفنيون والعمال في ربط المبنى العثماني القديم بأروقة الدور الأرضي للتوسعة السعودية في المنطقة المحيطة بالمبنى القديم، وتغطية الواجهات في المبنى الجديد والأعمدة الملاصقة للمبنى القديم بالرخام وأحجار المزايكو، وفرش أرض التوسعة والمبنى القديم في المنطقة الواقعة بين المبنيين بالرخام الفاخر.

---

(١) محمد بن مساعد الحسيني: درر الجامع الثمين لأعمال الملوك من آل سعود الميامين في مسجد البلد الأمين ١٣٤٣-١٤١٨هـ (الطبعة الأولى، مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص ٤٧. نقلاً عن حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٢٤١.

(٢) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، ج٣، ص ٣٧.

(٣) وزارة المالية والاقتصاد الوطني، المرجع السابق، ج ٣، ص ٥٨، ٩٠.

ومساحة المبنى العثماني (٥٨٧٠) متراً مربعاً، وقد أدخلت عليه في التوسعة السعودية إصلاحات وترميمات عدة. كما أزيل من المبنى العثماني الجزءان البارزان عن خط التنظيم العام لتوسعة المسجد الحرام وعمارته عند باب الزيادة وباب إبراهيم، والأجزاء البارزة في الأركان الخارجية للمبنى القديم وذلك من أجل جعل العمارة الجديدة تسير في خطوط مستقيمة. كما قامت الحكومة السعودية خلال العمارة السعودية الأولى بتجديد الأروقة والقباب في العمارة العثمانية التي كانت في حالة تهدم، وأعيد بناؤها على طراز بناء الحرم القديم، وشيدت أيضاً مناطق إضافية عند الأركان الأربعة للمسجد، وجعلت منسجمة في طرازها المعماري مع الطراز العثماني في المبنى القديم، والأعمدة في المبنى العثماني متعددة الأشكال والأنواع؛ فمنها (١٠١) عمود من الرخام في شكل دائري تتراوح أقطارها بين (٠,٣٠) إلى (١,٤٢) متراً، ومنها (٣٠٦) أعمدة من أعمدة حجر الشمسي ذات قواعد مثمنة، ومنها (٧٥) عموداً أقيم بالخرسانة المسلحة على شكل دائري مزين بالمزايكو، ارتفاع كل عمود منها (٤,٨٥) متراً، وتقوم على هذه الأعمدة (١١٩) قبة، وتعين التيجان نقط انفراج القباب والبواكي التي تواجه الكعبة المشرفة وهي تغطي مساحة (٩٦٠٠) متر مربع تمثل مباني الحرم القديم، وفرشت أرضية المسجد الحرام المسقوف منها والساحات بجميع الأدوار والمسعى والأقبية بالرخام الأبيض والسنجابي والأسود، ووضعت بأشكال هندسية بديعة التصميم والتشكيل(١).

وفي سنة ١٣٨٧هـ أمر الملك فيصل بإنشاء مبنى المكبرية في جنوب ساحة المطاف ملاصقة لواجهة الرواق الجنوبي. وقد شرع على الفور في

---

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، ج٣، ص٨٤- ٨٥.

بنائها وتشغل مساحة (٥٠) متراً مربعاً في مبنى الحرم القديم، و (١١٠) أمتار مربعة في المبنى البارز في الساحة الجنوبية، والجزء الداخل في مبنى الحرم القديم على دور وسط بين مستوى الأرض والقبب التي تعلوه بحيث تم تقسيم مسافة ارتفاع سقف مبنى الحرم القديم الذي تقع فيه المكبرية إلى قسمين متساويين، أما الجزء الممتد إلى خارج المبنى القديم فيتكون من مبنى مربع تقريباً بسطح مستوٍ يستند إلى أعمدة دائرية.

وتستخدم المكبرية عادة للمؤذنين والمكبرين ووضعت بها أجهزة للإذاعة والتلفاز وأجهزة تقوية الصوت للدائرة الإذاعية والتلفازية الخاصة بالمسجد الحرام التي منها يبث الأذان والصلاة والخطبة إلى جميع أرجاء المعمورة، ويقوم عدد من موظفي الإذاعة الداخلية للمسجد بتشغيل أجهزة الإرسال والاستقبال ومتابعة الإمام والمؤذنين والمكبرين عند قيام الصلاة وحتى الانتهاء منها. وقد وضعت في مكان مرتفع حتى يمكن منها متابعة الإمام في صلاته، وفي خطبة الجمعة والعيدين.

وبالنسبة لمبنى المسجد الحرام فإنه أصبح يشمل العمارة العثمانية القديمة والعمارة السعودية الحديثة، وأصبح المسجد الحرام محاطاً من جميع جهاته بالعمارة السعودية الحديثة، كما أصبح المسجد يشتمل على أجزاء مفتوحة، وهي صحن المطاف، والساحات الداخلية للمسجد، وتتكون العمارة العثمانية من دور واحد فقط، أما العمارة السعودية فتتكون من دورين وأسطح، مع وجود أقبية تحت أروقة المسجد الجنوبية والغربية والشمالية. أما المسعى والمنطقة الواقعة في محاذاة العمارة العثمانية بعرض عشرين متراً فلا توجد تحتها أي أقبية.

كما تم فصل مباني التوسعة السعودية للمسجد الحرام من جميع الجهات بشوارع فسيحة، وهذا يُعد من المميزات التي ميزت التوسعة السعودية عن غيرها من التوسعات السابقة؛ لأن المساكن قبل هذه

التوسعة كانت محيطة بالمسجد الحرام وأحياناً مطلة عليه، والشوارع التي كانت تتخللها المساكن والمتاجر القريبة من المسجد الحرام ضيقة. أما التوسعة السعودية فإنها أبعدت المساكن والمتاجر عن محيط المسجد الحرام، وأحاطته بميادين وشوارع فسيحة.

ولقد كان من الضروري تأمين حركة المرور وإيجاد مكان لوقوف السيارات ومنطقة إضافية للصلاة، حيث أكَّدَ الملك فيصل ـ رحمه الله ـ أكثر من مرة عن رغبته في إنشاء ميادين فسيحة حول المسجد الحرام، ولذلك جاء إنشاء خمسة ميادين عامة محيطة بالمسجد الحرام خطوة جيدة لفك الاختناقات المرورية، وتسهيل دخول الحجاج والمعتمرين إلى المسجد الحرام وخروجهم منه في أوقات الذروة، خاصة في أيام الحج والعشر الأخيرة من رمضان، وهذه الميادين هي : ميدان باب الملك عبدالعزيز، ميدان السوق الصغير، ميدان باب السلام (الفتح)، وميدان باب عليّ (القشاشية)، وميدان المدعى، وتفصيلها كالآتي:

١ ـ ميدان باب الملك عبدالعزيز: ويقع عند تلاقي شارع أجياد وشارع الصفا بشارع المسيال أمام باب الملك عبدالعزيز، وتبلغ مساحة هذا الميدان (١٠,٨٠٠) متر مربع وبني على أحد جوانبه (مكتبة الحرم المكي الشريف)، وخصص جزء منه مواقف للسيارات، ومنه يدخل عظماء العالم الإسلامي وزعماؤه.

٢ ـ ميدان السوق الصغير: ويقع في الجهة الغربية للمسجد الحرام، ومساحته (٧١٥٠) متراً مربعاً، وخصص جزء منه لدورات المياه؛ إحداهما للرجال، والأخرى للنساء، وبه موقف للسيارات.

٣ ـ ميدان باب السلام (الفتح): ويقع في المنطقة المقابلة للباب، وهو على مستويين، المنطقة المساوية لمستوى الباب، وهي مثلثة الشكل وبها عدد من الدكاكين ودورة مياه على الجانب الأخير منها، ويقع المسعى على الجانب الشمالي الشرقي منها، والمنطقة

العليا وبها الشارع العام المحيط بالمسجد الحرام من الناحية الشمالية، وخصصت أجزاء منه مواقف للسيارة، وترتبط منطقتي هذا الميدان بسلالم عادية. وفي عام ١٣٩٢هـ تم ربط المنطقة العلوية بجسر يربط منطقة الشامية بالطابق الأول من المسجد عند باب الزيادة.

٤ ـ ميدان المسعى: وهو الساحة الواقعة في الجانب الشرقي الموازي للمسعي، ويمتد من المدعى شمالاً إلى منطقة القشاشية وسوق الليل شرقاً، ومساحته حوالي (٧٠٠٠) متر مربع، وبه مواقف للسيارات ودورات مياه للرجال والنساء[١].

وفي عام ١٣٩٢هـ تم ربط الطابق الأول من المسعى عند نهاية المروة بجسر يوصله بالشارع العام في المنطقة المؤدية إلى حي القرارة[٢].

وفي عام ١٣٩٣هـ تم عمل شبابيك حديدية لواجهات المسعى، كما تم أيضاً إضافة قبو (بدروم) في منطقة المثلث عند الصفا وجهز بمداخل داخلية وخارجية[٣].

ولتسهيل وقوف السيارات، تم بناء موقف متعدد الأدوار للسيارات في منطقة الشامية يسع أكثر من (٦٠٠) سيارة، وعمل جسر حديدي لنقل الحركة المرورية للسيارات من منطقة المروة وأمام المسعى في الجهة الشرقية منه، وربطه بالطريق المحاذي للمسجد الحرام من الجهة الشمالية إلى الجهة الشرقية حتى منطقة الشامية، وقد عرف هذا الجسر بالجسر

---

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، جـ٣، ص١١٣-١١٤

(٢) محمد بن مساعد: درر الجامع الثمين، ص ٤٩.

(٣) محمد بن مساعد: درر الجامع الثمين، ص ٤٩.

الأخضر، وتطلب إنشاؤه إزالة مبنى مكتبة الحرم ومبنى مشروع التوسعة الذي تأسس في عهد الملك سعود، وتم نقل مكتبة الحرم ومكاتب المشروع إلى مواقع أخرى بعيدة عن المسجد الحرام.

كما تم شق أنفاق عدة لربط منطقة الحرم عند الصفا بمنطقة السد في حي أجياد، ومنها إلى حي العزيزية، ووضعت في بعضها دورات للمياه ومغاسل للوضوء، وذلك لتأمين وصول الحجاج والمعتمرين إليها بسهولة، وحمايتهم من حوادث الحركة المرورية. وقد استخدمت هذه الأنفاق في تسهيل حركة سير السيارات أيام الحج ورمضان(١).

وقد أظهرت التوسعة السعودية الأولى ثلاثة مداخل رئيسة للمسجد الحرام رائعة من الناحية الجمالية، وتعد وظيفتها ذات أهمية عظيمة، إذ إن الداخل من أي منها أول ما تقع عيناه على الكعبة المشرفة، وهي مدخل باب الملك عبدالعزيز، ومدخل باب السلام، ومدخل باب العمرة. ويوجد لكل مدخل ثلاثة أبواب، سعة الباب الواحد منها (٥,٢٨م)، وارتفاعه (٣,١٠م)، وصنعت من النحاس المؤكسد، وأمام كل مدخل ردهة عرضها ستة أمتار وبطول واجهة فتحات الأبواب الثلاث، وهي بمثابة مكان انتقال قبل أن يدخل المصلي إلى المسجد الحرام. وعند الدخول من هذه الأبواب، توجد صالة كبيرة تقع على جانبيها سلالم عادية تؤدي إلى الدور الأول من المسجد ومنه إلى السطح، وهذه الصالة توصل المرء إلى صالات الصلاة الرئيسة الموجودة في أروقة المسجد في العمارة السعودية، ومنها إلى العمارة العثمانية، ثم إلى الساحات وصحن المطاف(٢).

(١) من مشاهدات المؤلف.

(٢) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، جـ٣، ص ٨٦-٨٩.

وفي الوقت نفسه تم إنشاء أبواب جديدة للمسجد الحرام في التوسعة السعودية ذات دلفتين ومصنوعة من الخشب الممتاز، ومدعمة بزوايا حديدية من جميع أطرافها ووسطها، ومزينة بمسامير ومقابض نحاسية فاخرة تليق بمكانة المسجد الحرام. وقد بلغ عدد أبواب المسجد الحرام بعد التوسعة السعودية الأولى أربعة وستين باباً، مما سهل عملية دخول المصلين إلى المسجد الحرام وخروجهم منه في جميع الأوقات وخاصة في أيام الحج ورمضان[(١)].

كما كان لتحسين الإضاءة بنور الفلورسنت، والكشافات، والثريات الكبيرة أكبر الأثر في زيادة الإضاءة، وأصبح المسجد الحرام بعد هذه التوسعة يتسع لأكثر من (٥٥٠) ألف حاج[(٢)].

وقد اهتم الملك فيصل ببئر زمزم، فأمر بتوسعة قبو بيت زمزم، وعمل على توفير ماء زمزم للحجاج والمصلين بالمسجد الحرام، حيث تم إنشاء خزان كبير عند باب السلام ومدت منه ماسورة مياه إلى البدروم وقبو بيت زمزم، وذلك لتغذية غرف الزمازمة والخلاوي التي في قبو المسجد الحرام ونقط الشرب في قبو بيت زمزم بماء زمزم النقي بعد سحبه من البئر بواسطة مضخات خاصة إلى الخزان ثم دفعه إلى صنابير الزمازمة والخلاوي التي بلغ عددها (١٥٥) صنبور ماء لتعبئة الأواني الفخارية (الدوارق) بواسطة الزمازمة وتوزيعها في المسجد الحرام وخاصة في رمضان وسقيا الحجاج في أيام الحج[(٣)]. وأصبح كل فرد باستطاعته أن يشرب من ماء زمزم بكل راحة وسهولة نظراً لاتساع المكان الجديد وتوافر عدد كبير من الصنابير التي وضعت في مبنى بيت

(١) وزارة الإعلام: الحرمان الشريفان (الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ) ص ١٦-١٧.

(٢) وزارة الإعلام: دولة في قائمة الشرف العالمية في خدمة الإسلام والمسلمين: ص ٧٠.

(٣) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: المصدر السابق، جـ ٣، ص ١٠٠.

زمزم، وفي أماكن متعددة من المسجد الحرام والمسعى، مما سوف يأتي تفصيله أكثر في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

ونظراً لإضافة أعمال خارجية كالأنفاق والجسور والميادين، ودورات المياه، وتهيئة الشوارع المحيطة بالمسجد الحرام مع رصفها، فإن ذلك أدى إلى تأخير التسليم المبدئي للمشروع إلى ٧ رجب من سنة ١٣٩٦هـ الموافق ٤ يوليه من عام ١٩٧٦م[١].

وفي عهد الملك فيصل زاد عدد الحجاج زيادة كبيرة لم تشهدها مكة المكرمة من قبل. وفيما يأتي إحصائية رسمية لعدد الحجاج يمكن من خلالها مشاهدة النمو العظيم في عدد الحجاج عاماً بعد آخر، وخاصة بعد أن شارف مشروع توسعة المسجد الحرام على الانتهاء في نهاية عهده رحمه الله رحمة واسعة.

---

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني، المصدر السابق، جـ٣، ص ٧٧.

جدول رقم (٥)

بيان بعدد الحجاج في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز

من عام ١٣٨٤ حتى عام ١٣٩٥ هـ

م	السنة الهجرية	عدد الحجيج	من حج بالناس
١	١٣٨٤	٢٨٣٣١٩	الملك فيصل بن عبدالعزيز
٢	١٣٨٥	٢٩٤١١٨	الملك فيصل بن عبدالعزيز
٣	١٣٨٦	٣١٦٢٢٦	الملك فيصل بن عبدالعزيز
٤	١٣٨٧	٣١٨٥٠٧	الملك فيصل بن عبدالعزيز
٥	١٣٨٨	٣٧٤٧٨٢	الملك فيصل بن عبدالعزيز
٦	١٣٨٩	٤٠٦٢٩٥	الملك فيصل بن عبدالعزيز
٧	١٣٩٠	٤٣١٢٧٠	الملك فيصل بن عبدالعزيز
٨	١٣٩١	٤٧٩٣٩٩	الملك فيصل بن عبدالعزيز
٩	١٣٩٢	٦٤٥١٨٣	الملك فيصل بن عبدالعزيز
١٠	١٣٩٣	٦٠٧٧٥٥	الملك فيصل بن عبدالعزيز
١١	١٣٩٤	٩١٨٧٧٧	الملك فيصل بن عبدالعزيز (١)

(١) وزارة الحج: الحج في مائة عام، ص ١٨٦، و مجلة الحج: س ٥٤، الأعداد: ٣، ٤، ٥ لعام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٨١.

ثالثاً: عمارة المسجد الحرام في عهد الملك خالد

١٣٩٥ - ١٤٠٢هـ

نبذة عن حياة الملك خالد:

ولد الملك خالد بن عبدالعزيز بمدينة الرياض في ربيع الأول عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م في السنة نفسها التي تمكن فيها والده الملك عبدالعزيز من ضم الأحساء، حيث استطاع والده في تاريخ ١٨ جمادى الأولى من العام نفسه ضم الأحساء إلى دولته، وقد نشأ الملك خالد في رعاية والده، فتعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم في طفولته، كما درس العلوم الدينية، والعلوم العربية، والسيرة النبوية على يد نخبة من علماء الرياض، فكان لهذه التنشئة الدينية أثرها المتميز في حياته التي اتصفت بالصلاح والأخلاق الفاضلة والتصرفات الحكيمة، كما كان لها أثرها الكبير في إدارته لدفة الدولة عندما تسلم مقاليد الحكم في البلاد.

كان الملك خالد ـ رحمه الله ـ يرافق والده في كثير من المعارك والعمليات العسكرية المظفرة التي انتهت بتوحيد المملكة العربية السعودية، كما أنه مثَّل والده في بعض المهام الرسمية، ومنها توقيع اتفاقية الطائف بين الحكومة السعودية والحكومة اليمنية في ٦ صفر سنة ١٣٥٣هـ /١٩مايو عام ١٩٣٤م[(١)].

---

(١) إبراهيم بن عبيد: تذكرة أولي النهى والعرفان، (الطبعة الأولى، الرياض، مؤسسة النور، ب ت)، جـ ٤، ص ٤١ - ٤٨.

عين الملك خالد مستشاراً لأخيه الأمير فيصل بن عبدالعزيز عندما كان نائباً لوالده على الحجاز، وفي الوقت نفسه تولى إمارة مكة المكرمة نيابة عن أخيه الأمير فيصل مدة من الزمن.

كما صحب خالد أخاه الفيصل في رحلات كثيرة خارج المملكة، فزار كثيراً من الدول العربية والأوربية، والتقى قادتها وتعرف على أحوالها، فاستفاد من هذه الرحلات الشيء الكثير، وأهمها أنه عُيِّن مساعداً لأخيه فيصل في مؤتمر لندن عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م لبحث القضية الفلسطينية، وباشر كثيراً من المهام في بعض القضايا السياسية المهمة[(١)].

كما عُين ولياً للعهد بعد مبايعة الملك فيصل بن عبدالعزيز ملكاً على البلاد، وكان ذلك في ٢٧ من ذي القعدة عام ١٣٨٤هـ الموافق ٣ مارس عام ١٩٦٥م، وأصبح النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء، فواصل جهوده في تطوير البلاد تحقيقاً للنماء والازدهار في جميع مرافق الدولة.

وقد استعان به الملك فيصل في الإشراف على بعض المهام السياسية والإدارية، فقام بها خير قيام. وبعد استشهاد الملك فيصل في يوم الثلاثاء ١٣ من ربيع الأول عام ١٣٩٥هـ الموافق ٢٥ مارس عام ١٩٧٥م بويع الملك خالد ملكاً للبلاد، وتم تعيين الأمير فهد بن عبدالعزيز (خادم الحرمين الشريفين) ولياً للعهد، وتولى الملك خالد رئاسة مجلس الوزراء، وصدرت في بداية عهده خطة التنمية الخمسية الثانية (١٣٩٥-١٤٠٠هـ).

وقد سار الملك خالد على النهج السياسي نفسه الذي اختطه وسار عليه أسلافه في التمسك بهدي الإسلام، وحماية البلاد والعباد من الأخطار والمبادئ الهدامة.

---

(١) الموسوعة العربية العالمية: جـ ١٠، ص ١٠.

وفي تاريخ ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٩٥هـ الموافق ٢٨ مارس سنة ١٩٧٥م أصدر الملك خالد أمراً يقضي بأن ينوب عنه ولي عهده وعضده الأمين الأمير فهد بن عبدالعزيز في تصريف أمور الدولة، في حضوره وغيابه، فتمتعت البلاد في عهدهما بالخير العميم والرخاء الاقتصادي، بفضل الله ثم بفضل سياستهما الحكيمة، وقد انعكس ذلك على رقي البلاد وتقدمها في شتى المجالات.

شهدت البلاد في عهد الملك خالد نهضة تعليمية عظيمة، حيث تم افتتاح جامعة الملك فيصل بالدمام عام ١٣٩٧هـ، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤٠١هـ، ونهضة زراعية عمت معها المشروعات الزراعية والحيوانية، وأنشأ صوامع الغلال ومطاحن الدقيق، وكثر محصول القمح، ونهضة صناعية انتشرت معها المدن الصناعية، والمصانع، وأنشأ وزارة للصناعة والكهرباء، واهتمت الدولة في عهد الملك خالد وولي عهده الأمير فهد برفع المستوى الصحي في البلاد، والتوسع في إنشاء المستشفيات والمستوصفات في مختلف أرجاء البلاد، وتوفير المياه، والعمل على اتساع شبكة الطرق البرية والجوية، فعم الرخاء في جميع أنحاء المملكة.

وفي عهد الملك خالد عقد مؤتمر القمة الثالث عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م بجوار الكعبة المشرفة في مكة المكرمة قبلة المسلمين، حيث اجتمع زعماء العالم الإسلامي لمناقشة قضايا المسلمين وتوحيد صفوفهم، ورأب الصدع بين الإخوة الأشقاء، وصدر عن المؤتمر بيان مكة التاريخي.

توفي الملك خالد في ٢١ شعبان ١٤٠٢هـ الموافق ١٣ يونيه ١٩٨٢م، وذلك إثر نوبة قلبية، تغمده الله بواسع رحمته. وقد دفن رحمه الله في مدينة الرياض(١).

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز: الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، ص ٢٤٦.

عمارة المسجد الحرام في عهد الملك خالد :

عندما تولى الملك خالد مقاليد الحكم في البلاد بعد استشهاد الملك فيصل في الثالث عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٩٥هـ تابع ـ رحمه الله ـ ما قام به أسلافه من أعمال جليلة في سبيل عمارة المسجد الحرام بمكة المكرمة والاهتمام بكسوة الكعبة، وأمر بعمل باب جديد لها. وقد تمت في عهده أعمال عظيمة عدة لإنجاز هذا المشروع الإسلامي العملاق.

وفي بداية عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م تقرر نقل مدخل قبو بئر زمزم من موقعه إلى موقع أبعد شرق الساحة الشرقية للمطاف، وذلك للاستفادة من المساحة التي يحتلها مدخل البئر في محيط المطاف. وقد تم حفر المنطقة الواقعة في شرق الساحة الشرقية قرب الرواق الشرقي للمسجد الحرام وبناء مدخل جديد للقبو في تلك المنطقة، وتسقيف المساحة التي يحتلها المدخل السابق بمستوى صحن المطاف مع تركيب بلاط جديد للساحة الشرقية لتغطية مكان قبو بئر زمزم السابق، وكذلك فرش بلاط جديد للمطاف والساحات المحيطة به، فزاد ذلك مساحة المطاف من (٣٢٩٨) متراً مربعاً إلى (٨٥٠٠) متر مربع، وعُمِلَ مدخل جديد للبئر يتم النزول إليه بمدخل واسع مقسم قسمين، أحدهما للرجال والآخر للنساء عند التقاء الرواق الشرقي القديم بمنطقة الصفا في نهاية الساحة الشرقية للمسجد، وذلك حتى تكون حركة النزول والصعود من بئر زمزم بعيدة عن منطقة المطاف، وليسهل على الطائفين أداء طوافهم براحة ويسر وهدوء، وقد تم وضع عدد من حنفيات الشرب لماء زمزم المبرد في منطقة قبو زمزم، وتوفير الإضاءة والتكييف اللازم لها حتى لا يحدث أي اختناقات من ازدحام الناس داخل قبو بيت زمزم، وبلغت مساحة سقيا زمزم التي تحت الجزء المغطى من المطاف، وهي المنطقة المعروف بقبو

بيت زمزم (١٢١٠) أمتار مربعة، تستوعب أكثر من (٢٥٠٠) شخص في أوقات الذروة، زودت بـ (٣٥٠) صنبوراً للماء البارد، تستوعب العدد نفسه للشاربين من ماء زمزم في آن واحد[١]. وقد سهل هذا المشروع عملية سقيا زمزم والوضوء، كما زودت ساحات المسجد الحرام (بالزمزميات والترامس)، وهي عبارة عن أوعية بلاستيكية يحفظ فيها ماء زمزم مبرداً، ولها صنبور يمكن أخذ الماء منه بسهولة، بدلاً من الدوارق الفخارية التي كثيراً ما كانت تتعرض للكسر، فيبتل المكان والمصلون بالماء، وبلغ عددها أكثر من ألف وعاء بلاستيكي وزعت على ساحات المسجد والأروقة. كما وضعت أماكن خارج المسجد الحرام وفي منطقة كدي لسقيا ماء زمزم ولملء الترامس لمن يريد ماء زمزم من المواطنين والمعتمرين والحجاج وغيرهم.

وفي الوقت نفسه تم إعادة ربط مباني التوسعة الجديدة للحرم مع مباني الحرم القديم من جهاته الأربع، وذلك بإعادة النظر في مستوى الانحدارات أو الارتفاعات في أرضيات المسجد الداخلية بعد إعادة تبليط صحن المطاف والمناطق المحيطة به، وربط ذلك بالعمارة العثمانية والسعودية، بحيث لا يشعر من يدخل إلى المسجد بأي مصاعب في تحركاته وتنقلاته وصلواته من حين دخول المسجد وحتى وصوله إلى صحن المطاف[٢].

كما أمر الملك خالد ـ رحمه الله ـ بتركيب مكيفات صحراوية ومراوح عادية في المسعى، وذلك لوقاية الساعين بين الصفا والمروة من

---

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع جلالة الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، ملحق (١)، ص١٣٣، ومحمد مليباري: المنتقى في أخبار أم القرى، ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) من مشاهدات المؤلف.

شدة الحرارة، وخاصة في فصل الصيف وأوقات الذروة في رمضان والحج حتى يتمكنوا من تأدية نسكهم براحة وفي جو لطيف[١]. وتم تركيب حواجز معدنية على جانبي الحاجز الأوسط على طول الطابق الأرضي للمسعى بعرض متر واحد في كل اتجاه، وذلك ليستخدمها أصحاب العربات التي يستعملها العجزة وكبار السن من الساعين في سعيهم بين الصفا والمروة، وحتى لا تعرقل تحركاتهم حركة الساعين على أقدامهم، وقد سهلت هذه الحواجز حركة عربات السعى، وحددت تحركاتهم في مسارات خاصة في وسط المسعى. كما غطيت المنحدرات في منطقة الصفا والمروة برخام محفور عليه خطوط تقسمه إلى مربعات صغيرة حتى تحمي الساعي خطر الانزلاق عند صعوده أو نزوله من منحدرات الصفا والمروة[٢].

وقد تم أيضاً إنجاز جميع أعمال البناء والزخرفة والإنارة في المنارات السبع التي بلغ ارتفاع كل واحدة منها (٩٥) متراً، وهي ذات طراز موحد بحيث لا يمكن التمييز بينها، وأقيمت كل منارة على قاعدة مربعة ملتصقة بجدران المسجد بارتفاع سبعة أمتار، وكسيت من أسفلها إلى أعلاها بالرخام الممتاز المتناسق مع الغطاء الخارجي لجدران المسجد الحرام، وتحتوي كل منارة على شرفتين على شكل مثمن؛ الشرفة الأولى أكبر من الشرفة العليا، وفي أعلى كل واحدة منهما قاعدة برونزية تزن حوالي أربعة أطنان ونصف أقيم عليها عامود برونزي بارتفاع (١,٦) متر، ركب عليه هلال مصنوع من البرونز محلى بقشرة ذهبية عيار(١٤) قيراطًا وبارتفاع (٦,٤) متراً، ويزن العامود والهلال حوالي

(١) وزارة الإعلام: المملكة العربية السعودية، عام ١٤١٧هـ، ص ٢١.
(٢) محمد عبد الله مليباري: المنتقى فى أخبار أم القرى، ص ٢٤٠.

(١٥٤٠) كيلو غرامًا مطليًا بمادة لامعة غير قابلة للصدأ، وفي كل شرفة توجد ثمان نوافذ صغيرة مفصولة بثمانية أعمدة مدورة ورفيعة تشكل أضلاع المثمن الواقع تحت الشرفة، ومظلة كل شرفة بارزة ومغطاة بالقرميد الأخضر اللون، وارتفاع المنارة فيما بين أعلى شرفة الطابق الأول ومن أسفل الشرفة الثانية (٢٢,٢) متراً، وشكلها مثمن، وهذه المنارات السبع موزعة على الأبواب الآتية: منارتان على جانبي مدخل باب الملك عبدالعزيز، ومثلهما على باب العمرة، وباب السلام. أما المنارة السابعة فهي مقامة علي جانب قبة الصفا، وفي وسط كل منارة سلم دائري يؤدي إلى الشرفات يستعمل عند الحاجة[١].

وفي الوقت نفسه أمر الملك خالد بتوسعة جديدة للمنطقة الواقعة أمام باب الملك عبدالعزيز وباب عليّ وباب العمرة لتسهيل حركة مرور السيارات والأفراد في المناطق والميادين المحيطة بالمسجد الحرام أو المؤدية إليه، ولذلك تمت إزالة مجموعة كبيرة من المساكن والمتاجر والمدارس في منطقة أجياد والسد، وذلك لربط منطقة المسجد الحرام بأنفاق المسفلة ونفق سد العزيزية، كما تم هدم عدد من المتاجر والمنازل في منطقة سوق الليل، والغزة، والمدعى، وجبل أبي قبيس. وقد ساعد ذلك في ربط المسجد الحرام بالمناطق المحيطة به بشوارع فسيحة وميادين كبيرة أسهمت في استيعاب أعداد كبيرة من المصلين في أوقات الحج ورمضان، وسهلت حركة الانتقال حول المسجد الحرام

---

(١) محمد عبدالله مليباري: المصدر السابق، ص ٢٤٦-٢٤٧، و د. سيد عبدالمجيد بكر: أشهر المساجد في الإسلام، جـ ١، ص ٨٥، و عبد الله الأفغاني: مآذن الحرم المكي الشريف، (ضمن كتاب توسعة وعمارة الحرمين الشريفين (رؤية حضارية)، الطبعة الأولى، جدة، مؤسسة عكاظ (٢) رجب ١٤١٣هـ)، ص ٥٢-٥٣، ومحمد بن مساعد: منائر المسجد الحرام من العهد العباسي حتى العهد السعودي (مجلة عمار، عدد ٣٩، الكويت، ديسمبر ١٩٩٩م) ص ٤٨-٥٤.

وخاصة بعد أن تم إنجاز أنفاق جبل خندمة وافتتاحها في عهده، والتي تصل العزيزية ومنى بالمسجد الحرام.

كما جند الملك خالد وولي عهده الأمير فهد بن عبدالعزيز (خادم الحرمين الشريفين) جهودهما لإتمام توسعة المسجد الحرام، وتوفير جميع الاحتياجات لإنجاز المشروع، فلم ينته عام ١٤٠٠هـ إلا وجميع أعمال التوسعة والإضافات الجديدة قد انتهت بالمسجد الحرام بمكة المكرمة، وقد حققت هذه التوسعة استيعاباً كبيراً للقادمين إلى هذا المسجد الذي هو أول المساجد التي تشد إليها الرحال من الحجاج والمعتمرين والزوار، وأظهرت هذه التوسعة مدى اهتمام قادة هذه المملكة بالحرمين الشريفين، والاعتزاز بخدمتهما، وبذل الغالي والنفيس في تعميرهما، وتوفير جميع الخدمات بهما لراحة القادمين إليهما من الحجاج والمعتمرين والزوار وسلامتهم، فتحقق بذلك الكثير من النتائج الطيبة والعظيمة التي كان لها الأثر الطيب في الإسلام والمسلمين، أبرزها هذه العمارة والتوسعة الضخمة المبنية على أسس قوية وهندسة متقنة تليق بمكانة بيت الله الحرام، وتظهر قدسيته وعظمته التي تحتل درجة روحانية عالية في نفوس جميع المسلمين.

ومن الملاحظ أن أعداد الحجاج في عهد الملك خالد ـ رحمه الله ـ اقتربت من المليون حاج سنوياً، هذا إذا أضيف لهم أعداد الحجاج من الداخل من المواطنين السعوديين والمقيمين في المملكة.

وفيما يأتي بيان بأعداد الحجاج من الخارج في عهد الملك خالد رحمه الله:

جدول رقم (٦)
بيان بعدد الحجيج في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز
من عام ١٣٩٥ حتى عام ١٤٠١ هـ

م	السنة الهجرية	عدد الحجيج	من حج بالناس
١	١٣٩٥	٨٩٤٥٧٣	الأمير فواز نيابة عن الملك خالد
٢	١٣٩٦	٧١٩٠٤٠	الأمير فواز نيابة عن الملك خالد
٣	١٣٩٧	٧٣٩٣١٩	الملك خالد بن عبدالعزيز
٤	١٣٩٨	٨٣٠٢٣٦	الملك خالد بن عبدالعزيز
٥	١٣٩٩	٨٦٢٥٢٠	الأمير فواز نيابة عن الملك خالد
٦	١٤٠٠	٨١٢٨٩٢	الملك خالد بن عبدالعزيز
٧	١٤٠١	٨٧٩٣٦٨	الملك خالد بن عبدالعزيز(١)

وبعد الانتهاء من العمارة السعودية الأولى التي شملت عهد الملك عبدالعزيز والملك سعود بن عبدالعزيز، والملك فيصل بن عبدالعزيز وحتى نهاية عهد الملك خالد بن عبدالعزيز ـ رحمهم الله ـ فإن المساحات النهائية للمسجد الحرام، والميادين والساحات المحيطة به بلغت في عام ١٤٠١هـ (١٦٠,١٦٨) متراً مربعاً. أما إذا أضفنا إليها الميادين والساحات المحيطة بالمسجد الحرام فإنها تصبح كالآتي:

- مساحة المسجد الحرام قبل التوسعة السعودية (٢٩,١٢٧) م٢
- مساحة المسجد الحرام بعد التوسعة السعودية (١٣١,٠٤١)م٢
- مساحة الميادين التي حول المسجد الحـرام (٢٩,٠٥٠)م٢

(١) وزارة الحج: الحج في مائة عام، ص ١٨٦، ومجلة الحج، س ٥٤ (الأعداد ٣، ٤، ٥ لعام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) ص ١٨١.

- مساحة الأماكن المكشوفة حول المسجد الحرام (١٣,٢٥٠)م٢ (١).

- مجموع المساحة التي يمكن الصلاة فيها في أوقات الذروة (٢٠٢,٤٦٨)م٢.

ويستوعب المسجد الحرام بعد التوسعة أكثر من ستمائة ألف مصلٍ، تصل إلى أكثر من ذلك في أوقات الذروة، وبذلك فإنه لا يوجد في العالم كله مكان أو مبنى يستوعب كل هذا الجمع الكبير من الأمة في وقت واحد، كلهم في خشوع وتوجه لله وحده لا شريك له.

وتوجد في المبنى الجديد للمسجد (٣٩) صالة مربعة للصلاة مساحة كل منها (١٥ × ١٥متراً)، وثمان صالات مستطيلة الشكل مساحة الواحدة منها (١٥ × ٢٥متراً)، و(٢١) صالة بأشكال هندسية رائعة، وتقع الصالات المستقلة غالباً أمام المداخل الرئيسة للمسجد الحرام(٢).

ويدخل الناس للمسجد الحرام من أربعة وستين باباً صممت على أحدث طراز معماري إسلامي، وظهر عليها فخامة المظهر وروعة البناء وقوته وجمال التصميم ودقته، وأكبر هذه الأبواب باب الملك عبدالعزيز، ويقع في الجهة الغربية الجنوبية من المسجد الحرام، ويتكون من ثلاث فتحات كبيرة، وباب العمرة في الجهة الغربية من المسجد، وباب السلام في الجهة الشمالية الشرقية من المسجد، وقد رُكِّبَ عليها أبواب ضخمة منقوشة بزخارف إسلامية بديعة الشكل. وتم الإبقاء على أسماء أبواب المسجد الحرام التي كانت موجودة قبل التوسعة السعودية، وجعل مواقعها في التوسعة السعودية مسامتة لمواقعها السابقة في العمارة العثمانية(٣).

---

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، جـ٣، ص ٩٠ ـ ٩١. وحامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ١٤٤.

(٢) محمد ملياري: المنتقى في أخبار أم القرى، ص ٢٤٣.

(٣) وزارة الإعلام: توسعة الحرمين الشريفين، ص ١٠٢.

وبلغ عدد مداخل الأقبية سبعة مداخل متفرقة، يصل إليها الشخص بواسطة سلالم ومنحدر واحد على يسار باب السلام، كلها تؤدي إلى الأقبية، وهي مجهزة لمرور العربات والسيارات للاستعمال في حالات الطوارئ، وقد أمنت شبكة المداخل إليها حتى يسهل الدخول والخروج منها بسلام(١).

ومن أجل الإشراف المباشر من ولاة الأمر في هذه البلاد على الأعمال والخدمات التي تقدمها الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام، ومن أجل أداء الصلاة جماعة مع المصلين في المسجد الحرام في شهر رمضان، فإن الملك خالد أعطى أوامره ببناء مجموعة من المباني في أعلى جبل أبي قبيس مطلة على المسجد الحرام مباشرة، لتكون مصلى له ولضيوف الدولة، وخاصة في العشر الأخيرة من شهر رمضان المبارك بدلاً من النزول إلى المسجد الحرام بين فترة وأخرى، مع ما يرافق هذا من إجراءات الحراسة اللازمة له في قدومه وإيابه. وقد كان لهذه المباني أثرها الكبير في الإشراف المباشر من إمام المسلمين على أحوالهم وتحركاتهم وراحتهم وخدماتهم في المسجد الحرام. وقد تم إنجاز هذا القصر في عام ١٤٠١هـ، وكان عملاً عظيماً يؤكد حرص ولاة الأمر على الرعاية والعناية المباشرة بالحجاج والمعتمرين لبيت الله الحرام .

---

(١) محمد عبدالله مليباري: المرجع السابق، ص ٢٤٢.

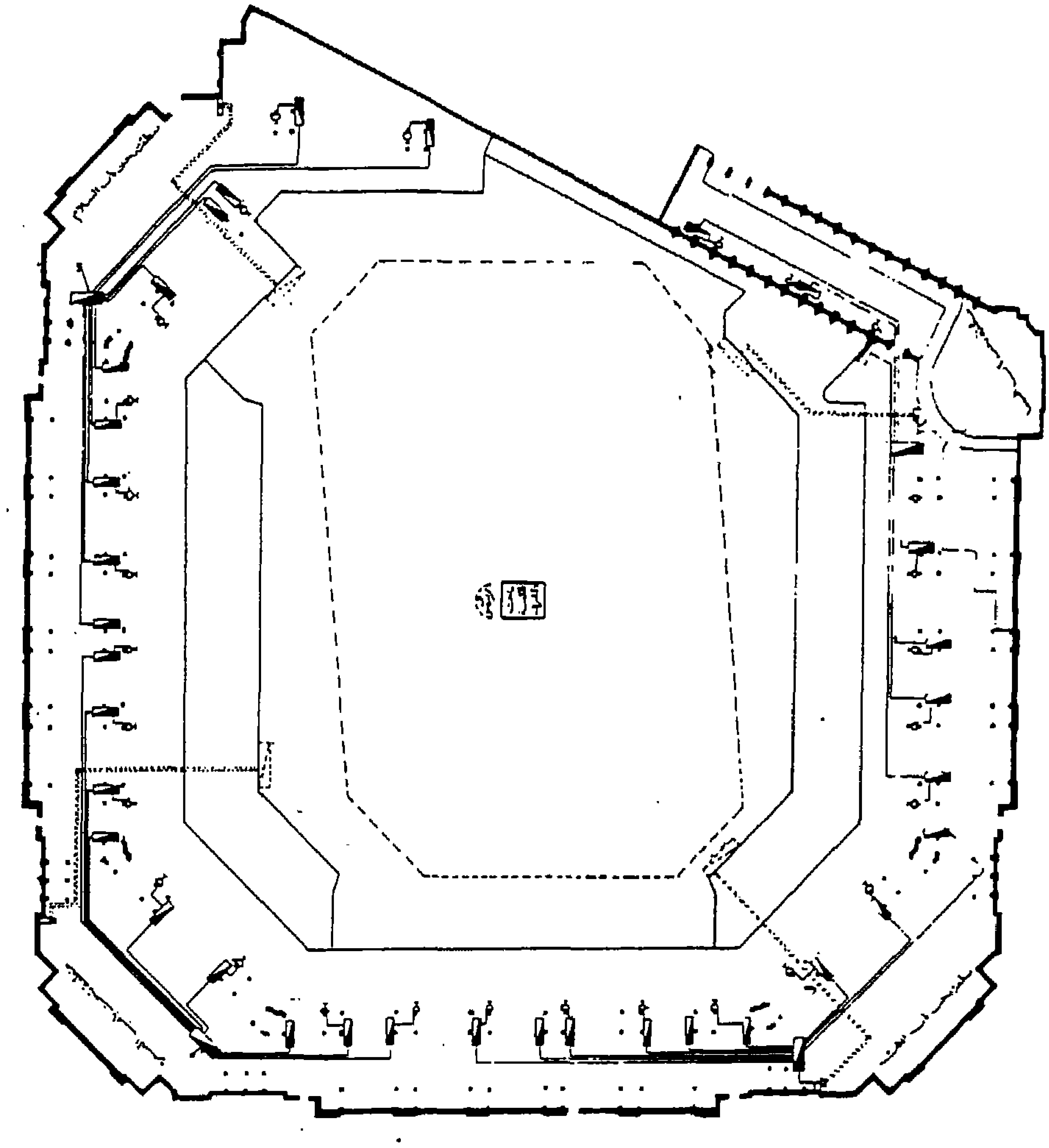

مخطط تفصيلي للبدروم بالمسجد الحرام في التوسعة السعودية الأولى الذي لا يشمل المسعى (١)

---

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، ملحق الصور، ص ١٢٤.

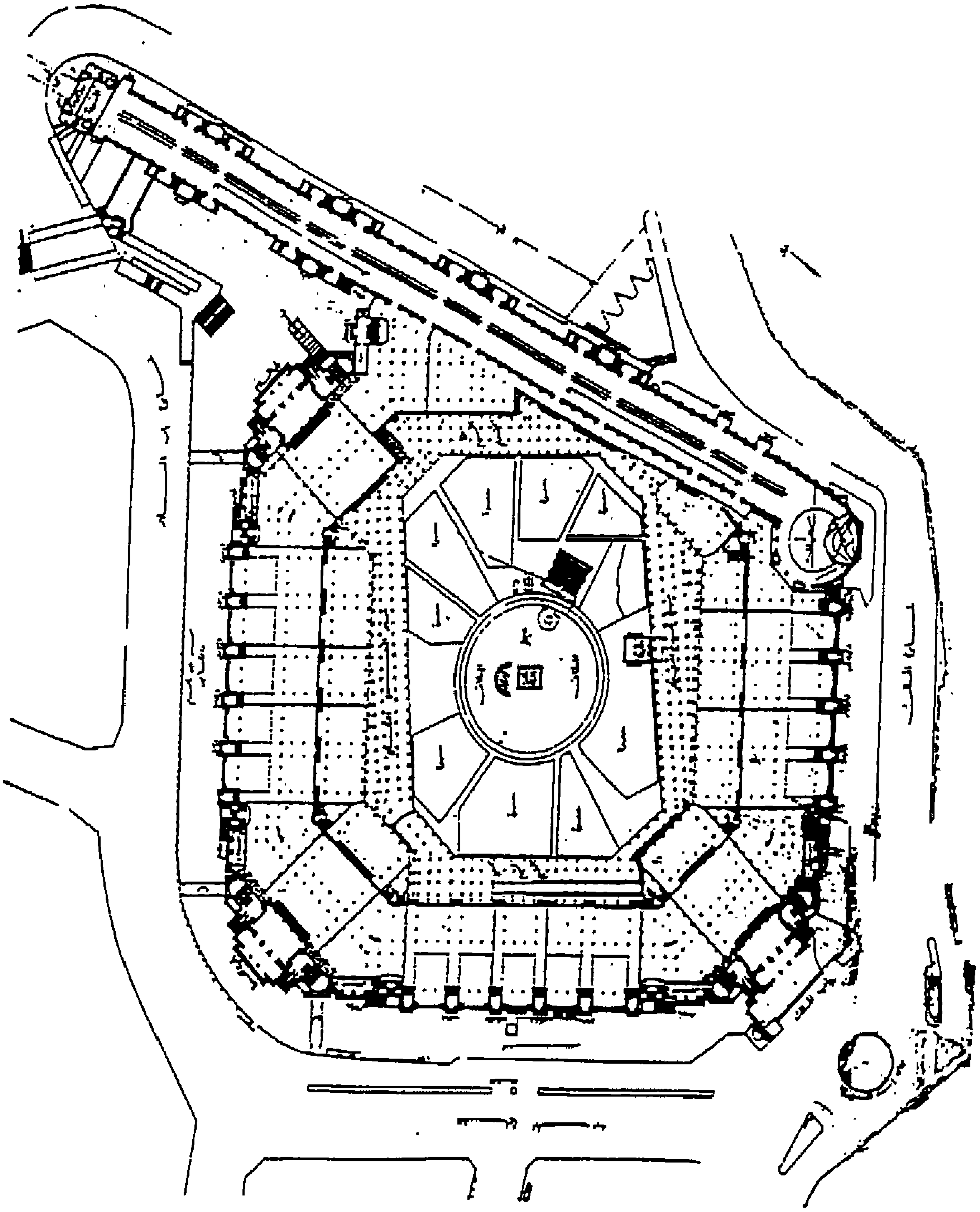

مخطط تفصيلي للدور الأرضي للمسجد الحرام والمسعى
في التوسعة السعودية الأولى(١)

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، ملحق الصور، ص ١٩.

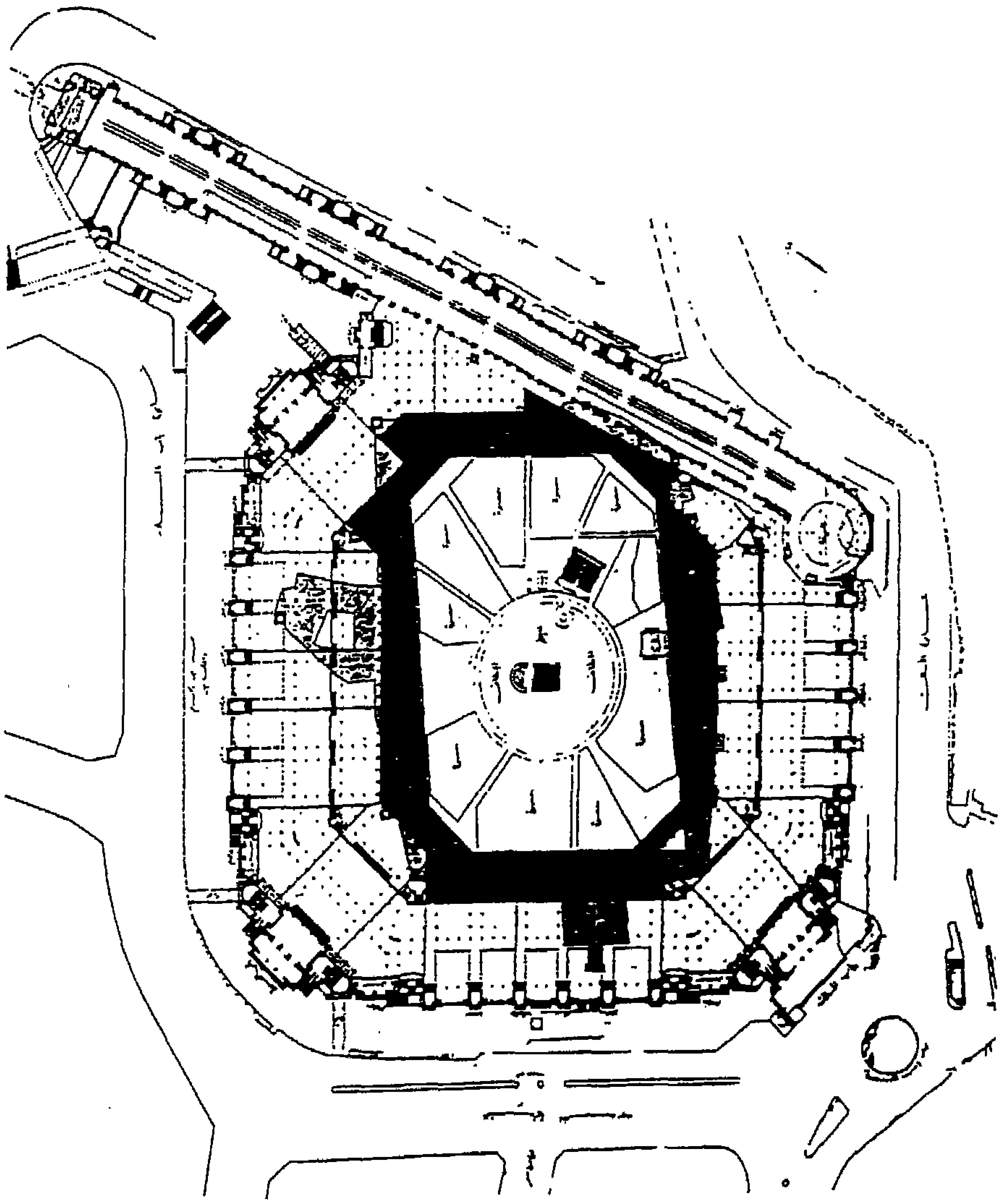

مخطط ربط المبنى العثماني في المسجد الحرام بمبنى التوسعة السعودية الأولى(١)

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، ملحق الصور، ص ١٤.

الفصل الثالث

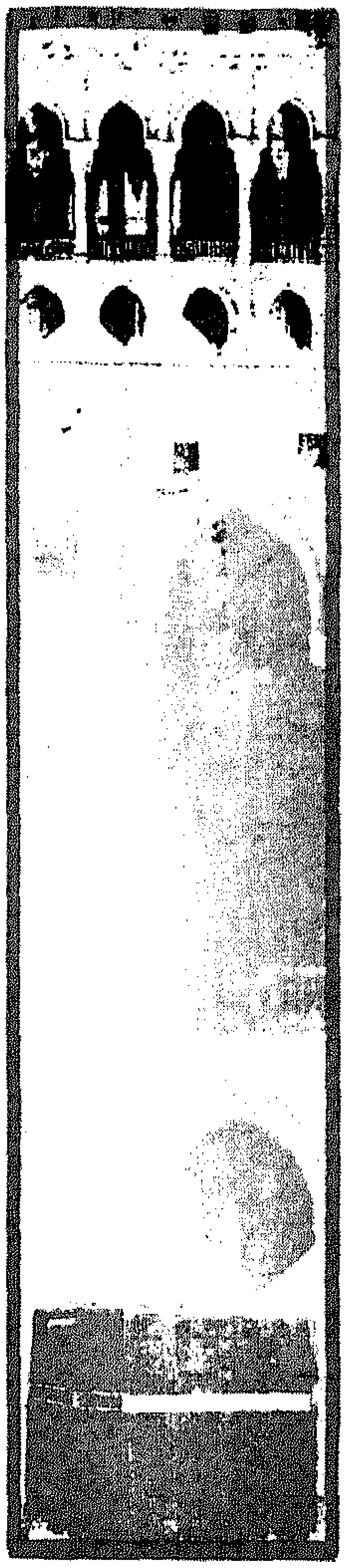

توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز للمسجد الحرام

توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز للمسجد الحرام

ـ الملك فهد بن عبدالعزيز، وتوليه حكم البـلاد :

ولد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م في مدينة الرياض، وقد التحق منذ طفولته بمدرسة الأمراء التي أسسها والده في مدينة الرياض، وأثبت خلال دراسته نبوغاً وتفوقاً عالياً جعله في مقدمة زملائه، كما أنه كان يواصل الاطلاع على الكتب والدوريات من صحف ومجلات علمية وثقافية، فكان لها الأثر الكبير في اتساع ثقافته، وعمق اطلاعه على الكثير من المعارف، وهذا في الواقع أهَّله لمواصلة دراسته، فالتحق بالمعهد العلمي بمكة المكرمة، وواصل دراسته فيه بجد ومثابرة حتى نال من العلم والمعرفة الشيء الكثير.

وقد عُرف عن الملك فهد حبه للعلم وحضوره لمجالس العلماء، فكان منزله مقصداً للعلماء والأدباء، وملتقى رجال الفكر والسياسة، يتجاذب معهم الحديث في شؤون الحياة المختلفة. من أهم صفاته أنه ذكي، واسع المعرفة، كثير الاطلاع، يميل للاتزان والتروي في جميع الأمور، حريص على الدفاع عن القضايا العربية العادلة، وقد رأس وفد المملكة في احتفالات تتويج ملكة بريطانيا في عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.

ونظراً لنبوغه وعلمه الواسع، فقد اختير وزيراً للمعارف في عام ١٣٧٣هـ عندما تحولت من مديرية عامة للمعارف إلى وزارة، وكان بذلك أول وزير للمعارف، فقفز التعليم في عهده إلى أعلى المستويات، وشمل ذلك جميع المراحل. وخلال عمله وزيراً للمعارف تأسست أول جامعة متخصصة في المملكة وهي جامعة الملك سعود بالرياض في عام ١٣٧٧هـ، كما تم ابتعاث عدد كبير من الطلاب إلى مختلف البلدان وخاصة مصر، فالتحقوا بالجامعات في مختلف التخصصات، وعندما عادوا كانوا النواة الأولى، وتسلموا أعلى المناصب في الدولة تقديراً من الدولة لعلمهم.

وفي عام ١٣٨٠هـ رأس وفد المملكة إلى مجلس جامعة الدول العربية في اجتماع دورته الثالثة والثلاثين الاستثنائية التي عقدت في بيروت بلبنان.

عين وزيراً للداخلية سنة ١٣٨٢هـ فنهض بهذا المرفق المهم، وأدخل على هذه الوزارة كثيراً من التطورات الكبيرة، من فتح إدارات جديدة للشرطة والأمن العام والجوازات وحرس الحدود في مختلف مدن المملكة، إلى إرسال البعثات العسكرية للتدريب على أحدث وسائل التقنية في مجال الشرطة والأمن العام.

وفي سنة ١٣٨٧هـ أصبح نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء؛ بالإضافة إلى عمله وزيراً للداخلية، ورأس خلال فترات متفاوتة عدداً من المجالس والهيئات العليا في المملكة.

وبعد استشهاد الملك فيصل بويع الملك خالد ملكاً للبلاد، وتم تعيين الأمير فهد ولياً للعهد، وذلك في ١٣ربيع الأول سنة ١٣٩٥هـ، وفي الوقت نفسه أصبح سموه نائباً لرئيس مجلس الوزراء، وقد عرف عن سموه تمتعه بقدرات قيادية رائعة، لا يلجأ إلى القرارات

الاستعراضية، أو التصريحات الرنانة، بل يرى أن الأعمال الجادة هي التي تعبر عن الإنجازات وليس الأقوال، ولذلك أنابه الملك خالد في القيام بجميع المهام سواء في حضوره أم غيابه، وقد قام بجميع المهام التي سعى فيها على خير ما يكون.

بويع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ملكاً على البلاد بعد وفاة الملك خالد ـ رحمه الله ـ في ٢١ شعبان ١٤٠٢هـ الموافق ١٣يونيو١٩٨٢م، كما تم تعيين صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولياً للعهد ونائباً لرئيس مجلس الوزراء[١].

إن عظمة القادة تقاس بما قدموه لشعوبهم من أعمال جليلة، وإنجازات حضارية لتبقى شاهداً على عظيم أعمالهم، ورفعة شأنهم بين شعوبهم وشعوب العالم قاطبة. وإذا كان الملك عبدالعزيز وأبناؤه الملك سعود والملك فيصل والملك خالد - رحمهم الله - قد قدموا الكثير لهذا البلد المعطاء وتطوير مرافقه، حتى أصبح له كيانه السياسي والحضاري المرموق، فإن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وولي عهده الأمين عبد الله بن عبدالعزيز - حفظهما الله - قد ساروا بالمملكة سيراً حثيثاً إلى الأمام، وسخروا كل غالٍ وثمين لتطوير البلاد، حتى أصبحت دولة متقدمة، لها في كل البلدان والمحافل والمؤتمرات واللقاءات علم مرفوع، وصوت مسموع، وكتاب مقروء.

وبفضل من الله ثم بفضل الجهود الخيّرة والبنّاءة لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز أصبحت المملكة رائدة العالم الإسلامي، وذلك لما تقدمه من خدمات وإنجازات جليلة في الحرمين الشريفين، لراحة حجاج بيت الله الحرام والمعتمرين وزوار مسجد

(١) دارة الملك عبدالعزيز: الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، ص ٢٥٠.

رسوله ﷺ، وما تبذله من جهود موفقة في خدمة القضايا الإسلامية، هذا بجانب ما يجده شعب المملكة الوفي من حكومته الرشيدة من رعاية وعناية، وما تشهده البلاد من تطور ورقي في جميع مجالات الحياة.

توسعة خادم الحرمين الشريفين للمسجد الحرام بمكة المكرّمة

تعد توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ـ حفظه الله وأدام عزه ـ ورعايته للحرمين الشريفين من أعظم الأعمال في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين؛ وذلك لأن هذه التوسعة العملاقة تمت على أحدث طراز معماري، وزودت مرافقها بجميع وسائل الراحة من سلالم كهربائية متحركة، وتكييف للهواء على أحدث المبتكرات، وإضاءة جيدة حولت الليل إلى نهار ساطع، هذا بجانب ما قام به خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز من تطوير وتعمير في المشاعر المقدسة منى وعرفات والمزدلفة، كل ذلك قام به ـ حفظه الله ـ بقلب عامر بالإيمان والتقوى، فحق عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾(١) جعل الله ذلك في موازين حسناته، وأثابه الخير الوفير والأجر العظيم.

ولعل هذه الأعداد الهائلة من المسلمين التي تدفقت على الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج، والقيام بالعمرة أو زيارة مسجد رسول الله ﷺ، دفعت خادم الحرمين الشريفين إلى سرعة البدء في توسعة المسجد الحرام بمكة المكرمة مثله مثل ما قام به ـ رعاه الله ـ في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة، هذه التوسعة تقف بفضل الله خير شاهد

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٨.

ودليل على عظمة العطاء والأداء من ولاة الأمر في بلادنا العزيزة في حق الله سبحانه وتعالى وحق زوار بيته الشريف، فلم يمر عام واحد فقط من تقلد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز مسؤولية الحكم في البلاد، إلا وسارع إلى توجيه اهتمامه الشديد لتوسعة الحرمين الشريفين وعمارتهما في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وعندما ينال مشروع كهذا أولوية مطلقة في برنامج أي زعيم، فإن ذلك يعكس أهمية مثل هذا التوجه، ونمط التفكير الذي يحمله، وطبيعة المهام التي تحظى بالأولوية المطلقة لديه، ولذلك كان القرار مهمًا بقدر المسؤول وعِظم المسؤولية لعدة أسباب:

١ ـ أن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز يدرك حجم المسؤولية الملقاة على كاهل هذه البلاد تجاه الإسلام والمسلمين في كل مكان، كما يدرك أهمية أن تكون المملكة في أعلى درجات الاستعداد لتوفير سبل أداء الحجاج والمعتمرين والزوار لواجباتهم الدينية على أكمل وجه.

٢ ـ الصحوة الإسلامية التي تشهدها الأمة الإسلامية التي عززت صلة الأمة بهذه الأرض وتوجه المسلمين نحو مصادر الهداية والنور في البلد الأمين.

٣ ـ أن المملكة العربية السعودية مقبلة على مرحلة جديدة من التطور والتغيير الشامل في الاتجاه الذي يخدم الوطن والمواطن، ويسهم في الارتقاء بمستوى الخدمات المقدمة للإخوة الوافدين إلى هذه البلاد، ولا سيما في نطاق المشاعر الدينية والمقدسات الإسلامية الخالدة[١].

---

(١) د. هاشم عبده هاشم: صناعة القرار في المملكة العربية السعودية، (الطبعة الأولى، جدة، مطابع الإسراء للخدمات الإعلامية، ١٤١٥هـ)، ص ٤٥-٤٦.

٤ - أن الوفرة المالية التي أنعم الله بها على هذه البلاد، تم توجيه جزء كبير منها لأفضل البقاع وأطهرها استيعاباً للاحتياج الفعلي والمستقبلي إلى توسعة تحقق أهداف الدولة وتطلعاتها، في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين، وتحقق آمال الملك فهد وطموحاته في أن يرى مكة المكرمة والمدينة المنورة في مقدمة مدن العالم وأرقاها.

لقد كان القرار إذن انعكاساً لتوجه صادق لدى الملك فهد نحو تجسيد دور المملكة الإسلامي البارز، وتعميقه في أذهان الأجيال المتعاقبة(١).

وها هو خادم الحرمين الشريفين الملك فهد - رعاه الله - يقول بمناسبة الاحتفال بأسبوع العناية بالمساجد في عام ١٤٠٨هـ : (ونحن نفخر بحمل الأمانة، ونحمد الله - تعالى - على أن جعلنا من منفذي أحكام الدين الحنيف، ومن السائرين على نهجه القويم، ولما كانت المساجد هي بيوت الله التي أذن الله - عز وجل - أن ترفع ويذكر فيها اسمه، والتي هي رمز الإسلام، ومحط أنظار المسلمين، ومهوى أفئدتهم، فلا عجب أن نوليها جل اهتمامنا وبالغ عنايتنا؛ لأنها مكان العبادة، وموطن تصفية القلب من أدران المادة، والالتجاء إلى المعبود الواحد الأحد، وإخلاص العمل له وحده لا شريك له. وإنني أدعو الله العلي القدير أن يعيننا على خدمة بيوته، وأن يأخذ بأيدينا لنصرة دينه الحنيف)(٢).

---

(١) د. هاشم عبده هاشم: المرجع السابق، ص ٤٦.

(٢) جزء من كلمة خادم الحرمين الشريفين في الاحتفال بأسبوع العناية بالمساجد في ٣٠ ربيع الأول سنة ١٤٠٨هـ (مجلة التضامن الإسلامي، جـ ١١، جمادى الأولى سنة ١٤٠٨هـ)، ص٥.

واستمراراً لمسيرة العطاء والإنجاز في عهد خادم الحرمين الشريفين نجده -حفظه الله - يؤكد دائماً على الاستمرار في مضاعفة الجهود البنّاءة لإعمار بيوت الله، ففي هذا يقول : (أيها الإخوة في الله، إننا في المملكة العربية السعودية نسير على نهج كتاب الله، ونستن بسنة رسول الله ﷺ، وبإذن الله سوف تعلو كلمة الحق، ويرفرف علم التوحيد على المسلمين في سائر أقطارهم وأمصارهم، كما أننا نشعر بمسؤوليات عديدة وكبيرة تجاه عقيدتنا، وشريعتنا، وبلادنا، وأمتنا الإسلامية، وإن من أعظم هذه المسؤوليات قيامنا على خدمة بيوت الله في مختلف مناطق المملكة، والفضل من قبل ومن بعد لله وحده لا شريك له، له الحمد، وله الشكر، وهو على كل شيء قدير، وإن الله ـ تعالى ـ الذي شرفنا وكرمنا بخدمة الحرمين الشريفين، رزقنا ـ جلّ شأنه ـ العزيمة على القيام بالمسؤولية، ويسّر لنا أسباب النهوض بها عاماً بعد عام، وخطة بعد خطة، وعملاً بعد عمل، لتوفير أفضل الخدمات لبيوت الله، وتهيئة أكرم الأجواء لمرتادي المساجد)(١). وكذلك قال ـ حفظه الله ـ في إحدى خطبه: إنه إنما ينطلق في كل توجهاته لخدمة الحرمين الشريفين من واقع إحساسه المتعاظم أنه خادم لهما، وأن فيهما قبلة المسلمين، وأنه لا ينشد الأجر والثواب إلا من الله سبحانه وتعالى(٢).

فمن الثابت أن مشروع خادم الحرمين الشريفين لتوسعة الحرمين الشريفين وعمارتهما يعد معلماً حضارياً، وصرحاً من الصروح الإسلامية الشامخة على مر العصور، وشاهداً قوياً يبرز الجهود الجبارة التي تقوم بها حكومة المملكة نحو بيوت الله . وخاصة الحرمين الشريفين، بهدف

---

(١) كلمة خادم الحرمين الشريفين في الاحتفال بأسبوع العناية بالمساجد سنة ١٤١٣هـ، مجلة التضامن الإسلامي، ج ٢، سنة ١٤١٣هـ، ص ٦.

(٢) عادل رضا: فهد بن عبدالعزيز - الإنسان الملك، ص ٨٣.

خدمة الإسلام وتلمس احتياجات المسلمين. ويعبر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد عن ذلك بقوله : (إن الإنفاق على مشروعات الحرمين الشريفين شرف أولانا الله إياه، وخصّنا به، ودعانا إليه، فامتثلنا لله بتلبية نداء رب العزة والجلال)(١).

ولقد كان مشروع التوسعة حلماً يراود المليك المفدى منذ سنين، فحققه الله على يديه، وجاء عملاً رائعاً، وجهداً جباراً وسخاءً متواصلاً، وفقه الله إليه.

ويعد هذا العمل نابعًا من إرادة المملكة نحو جعل الاهتمام بالمسجد سلوكاً فاعلاً، ومسؤولية اجتماعية وحضارية (٢)تبرز الدور الفاعل للمسجد في حياة المسلمين، لا في الماضي فحسب، بل في الحاضر والمستقبل.

ونعيد إلى الذاكرة قول خادم الحرمين الشريفين الملك فهد - حفظه الله - بأن مكة المكرمة والمدينة المنورة ستكونان ـ إن شاء الله ـ من أجمل مدن العالم، وقد تحقق ذلك في عهده وعهد أسلافه الميامين، وذلك بفضل الله الذي وفق ولاة الأمر في حكومتنا الرشيدة إلى تحقيق الكثير من الإنجازات والمشروعات(٣).

وهذا الإنجاز السعودي لتوسعة المسجد الحرام وعمارته قد أحدث صدى عالمياً لضخامته، وانعكست عنه ردود فعل مشرفة وواسعة في العالم الإسلامي(٤).

---

(١) التوسعة السعودية: رؤية حضارية، ص ٩.
(٢) وزارة الإعلام: دولة في قائمة الشرف العالمية خدمة الإسلام والمسلمين، ص ٤٩-٥٠.
(٣) إبراهيم الراشد الحديثي: عناية خادم الحرمين الشريفين بالمقدسات تفوق الوصف، (مجلة الحج، عدد رجب ١٤١٨هـ)، ص ١٩.
(٤) وزارة الإعلام: دولة في قائمة الشرف العالمية في خدمة الإسلام والمسلمين، ص ٥٦.

أهداف التوسعة الكبرى للمسجد الحرام :

١ ـ إضافة جزء جديد إلى مبنى المسجد الحرام من الناحية الغربية يقع بين باب العمرة وباب الملك عبدالعزيز في المنطقة المعروفة بالسوق الصغير وما جاوره، وربطه بالعمارة السعودية السابقة وجعلها مماثلة لها من الداخل والخارج.

٢ ـ تجهيز التوسعة الجديدة بأحدث أجهزة التهوية والتكييف والإنارة.

٣ ـ تزويد المسجد الحرام بأجهزة السلامة للمصلين ومراقبة ذلك عبر شبكة الدائرة التلفازية، وتسهيل نقل الصلوات إلى جميع أرجاء العالم مباشرة في أيام الحج ورمضان.

٤ ـ زيادة القدرة الاستيعابية للمصلين بالمسجد الحرام عن طريق الاستفادة من جميع المساحات المتاحة للصلاة فيها، وخاصة في أوقات الذروة في المواسم كالحج ورمضان، بما في ذلك أسطح العمارة السعودية السابقة واللاحقة للمسجد والساحات المحيطة به[١].

٥ ـ إنشاء مدخل رئيس جديد في وسط هذه التوسعة باتجاه الناحية الغربية من المسجد الحرام، ويتفق تصميمه مع تصميم المداخل الرئيسة الثلاثة التي أنشئت في التوسعة السعودية السابقة.

٦ ـ إيجاد شوارع وميادين فسيحة حول المسجد الحرام تساعد على حرية الحركة والتنقل خارج الحرم، ولتسهيل الدخول والخروج من المسجد الحرام للأعداد الكبيرة من المصلين لحل مشكلة الازدحام حول المسجد الحرام.

---

(١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٢٣٨.

٧ - العمل على تطوير المناطق المحيطة بالمسجد الحرام بحيث تستوعب أكبر عدد ممكن من النزلاء، وإعادة تشييدها بامتداد رأسي بما يتفق وأحدث طرز البناء من حيث التصميم والسلامة.

مرحلة الدراسة والتخطيط المعماري والإنشائي للمشروع

أولاً ـ الدراسة والتخطيط المعماري :

انطلاقاً من توجيهات خادم الحرمين الشريفين السامية بأن تقوم تلك العمارة على أرفع مستوى من الناحية المعمارية والجمالية، وكذلك أرقى مستوى من الناحية التقنية، وذلك عن طريق الدراسة والتخطيط المسبق بواسطة أمهر المهندسين في العمارة الإسلامية للأعمال الإنشائية والمعمارية، بحيث يستخدم فيها أفضل المعايير والمقاييس الهندسية والفنية، وكذلك استخدام أجود الخامات، لتحقق تلك العمارة الرائعة الحضارية الإسلامية التي توحي بعظمة وقدسية المكانة لبيت الله الحرام، مع مراعاة مطابقة هذا التصميم مع منظر العمارة السعودية السابقة في داخل المسجد وخارجه بقدر الإمكان.

ولذلك أخذ المهندسون في عمل الدراسات الآتية:

أ ـ دراسة تفصيلية تتناول عناصر التربة، والأحمال وأنواع الخامات، والمواد المستخدمة، وأنواع الخراسانات، وحاجة كل موقع وفق احتياجاته.

ب ـ أن تكون التصاميم معبرة بدقة بالغة عن كل المطالب، وترجمة دقيقة لكل تفصيلاتها مع محاولة تلافي الخطأ مهما كان صغيراً.

جـ ـ أن تعبِّر التوسعة الجديدة معمارياً عن التجانس الكامل بين التوسعة والإنشاءات المعمارية السابقة، بحيث يتضح التداخل طبيعياً ومتآلفاً في الشكل والموضوع.

د ـ استخدام أفضل ما وصلت إليه التقنية الحديثة من آليات ومعدات وخامات لتوفير أداء وتنفيذ مميزين يحققان الجودة المطلوبة والعمر الأطول بإذن الله(١).

هـ ـ تصميم السقف من الخرسانة المسلحة المستندة إلى جسور على شكل مربعات مرتبطة بالأعمدة، مع مراعاة دقة المسافات بين تلك الأعمدة، على أن تتراوح المسافة ما بين خمسة أمتار للممرات وخمسة عشر متراً للقاعات.

و ـ تتكون التوسعة من طابقين وأقبية وأسطح بكامل المساحة، ارتفاع الأقبية أربعة أمتار و (٣٠) سم، وارتفاع الطابقين المتكررين عشرة أمتار لكل منهما مع استخدام السطح للصلاة ووصله بالعمارة السابقة للمسجد والمسعى.

ومن هنا يتضح لنا الرؤية البعيدة للمليك المفدى في أن تظهر هذه التوسعة الكبرى في عهده الميمون لبيت الله الحرام في أبهى صورةٍ، وبأحدث الأساليب المعمارية، والتجهيزات الحديثة في التكييف والإنارة بما لا يخرج جمال هذا البيت عن الإطار الشرعي الذي حدده أهل العلم، وحددته الشريعة الغراء. ومن هنا وضعت ضوابط ومعايير علمية محددة أساسًا للانطلاق نحو التنفيذ، وبعد دراسة هندسية ومعمارية متأنية.

(١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣٣٧.

ثانياً ـ الدراسة والتخطيط الإنشائي للمسجد الحرام :

خضعت أعمال توسعة المسجد الحرام لنظام شديد الصرامة من حيث التصميم وفقاً للقواعد الأساسية التي جاءت حسب توجيهات خادم الحرمين الشريفين، والتي راعت الآتي:

أ ـ قوة المباني لصد عوامل التعرية وتصريف السيول.

ب ـ قوة المباني لمقاومة الزلازل لا قدر الله.

جـ ـ أن تقوم المباني على قواعد خرسانية مسلحة وأعمدة قوية لها عمق تحت الأرض عن طريق ضرب (مداميك) داخل الأرض بأعماق مناسبة.

د ـ أن تكون شبكة التكييف والتمديدات الكهربائية داخل الأعمدة.

وبعد الدراسة المستفيضة، واستعراض التصاميم والمخططات، تقرر ما يأتي:

١) أن يحتوي كل طابق على خمسمائة وثلاثين عموداً دائرياً ومربعاً.

٢) تم تقسيم مبنى التوسعة إلى خمس عشرة وحدة مستقلة، على أن يراعى في تصميم كل وحدة عمل دراسات منفصلة لكل وحدة منها.

٣) أن يكون ارتفاع الواجهات الخارجية لمبنى التوسعة بارتفاع واحد وهو (٢٢,٥٧) متراً.

٤) إنشاء باب جديد من ثلاث فتحات من الناحية الغربية للمسجد الحرام باسم «باب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد»(١).

---

(١) عبيد الله محمد أمين كردي: الكعبة المشرفة والحرمان الشريفان (عمارة وتاريخاً)، ص ٢٠٤-٢٠٥، ٢١٢.

مرحلة التنفيذ:

بعد الانتهاء من الدراسات المعمارية والإنشائية تم عرضها على خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، فأصدر ـ حفظه الله ـ أوامره السامية بالموافقة عليها بعد أن زود القائمين على تنفيذ المشروع بتوجيهاته الكريمة.

كما أصدر ـ حفظه الله ـ أمره الكريم بتكوين لجنة من أهل الخبرة والمعرفة تقوم بمهمة تقدير أثمان الدور والمتاجر الواقعة في نطاق المشروع. وقد قامت هذه اللجنة بتحديد أقيام الدور والمتاجر التي تقرر إزالتها، وأصدرت أمانة العاصمة المقدسة بعد حج عام ١٤٠٨هـ بياناً بالدور والمتاجر والإدارات التي تقرر إزالتها لصالح مشروع التوسعة الكبرى، وطالبت أصحابها بمراجعة الأمانة لتسلم حقوقهم، والإخلاء الفوري لها مع بداية عام ١٤٠٩هـ.

وفي ظهر يوم الثلاثاء الثاني من شهر صفر ١٤٠٩هـ الموافق ١٣سبتمبر ١٩٨٨م، أقيم في منطقة المشروع حفل رسمي عظيم، وذلك بمناسبة وضع حجر الأساس لتوسعة المسجد الحرام بمكة المكرمة وعمارته، والتي عُرفت بـ «توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبدالعزيز»، وقد حضر هذا الحفل عدد من الأمراء والوزراء والعلماء وشخصيات دينية ورسمية من خارج المملكة، وسفراء الدول الإسلامية المعتمدين بالمملكة، وكبار المسؤولين من مدنيين وعسكريين، وقد شرّف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ هذا الحفل، وقام بوضع حجر الأساس لتوسعة خادم الحرمين الشريفين الكبرى إيذاناً بالبدء في المشروع[1]، وكان حفلاً بهيجاً

---

(١) طلال محمود سلطان: عمارة المسجد (مجلة التضامن الإسلامي، السنة ٤٤، جـ١١، جمادى الأولى ١٤١٣هـ)، وحامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣.

يتناسب مع المكان والمكانة للمسجد الحرام في قلب كل مسلم، كما أنه يبرز مدى اهتمام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز بمسرى رسول الله ﷺ.

وفي اليوم الثامن من شهر جمادى الآخر من العام نفسه كانت البداية بقيام المعدات الثقيلة بإزالة المباني الواقعة في موقع المشروع بعد أن تم تقدير أثمانها ودفع أقيامها لأصحابها.

وتلا ذلك إزالة الأتربة وبقايا الهدميات والشروع في حفر الأساس بأبعاد عميقة، كما تم تسوير منطقة المشروع بالصاج الثقيل لوقاية المارة من السقوط في حفريات أساسات المشروع، ولتحقيق وسائل الأمن والسلامة للمتنقلين حول منطقة المشروع من المارة والسيارات، مع إضاءة منطقة المشروع، والمنطقة المحيطة به بكشافات عالية الإضاءة ليلاً حتى يتمكن العمال من العمل على مدار الساعة بنظام الورديات. وقد سار العمل في حفر الأساسات بانتظام تام وحسب الأعماق المطلوبة.

وبعد حفر الأساسات شرع في وضع القواعد الخرسانية وإقامة (٤٩٢) عموداً بقطر (٨١سم) للأعمدة المستديرة، و(٩٣سم) للأعمدة المربعة، وتبلغ أبعاد القواعد للأعمدة المربعة (١٠٢ × ١٠٢ × ٥٤سم). أما قواعد الأعمدة المستديرة فهي مسدسة الشكل بعرض كلي (٩٧سم) وارتفاع (٥٤سم)[١]، وهذه الأعمدة هي مجموع أعمدة التوسعة والتي سوف تستمر في العلوي والطابق الأرضي ثم الطابق الأول حسب ارتفاع كل طابق، ويبلغ ارتفاعها في الأقبية (البدروم) أربعة أمتار وثلاثين

(١) منصور حسين عطار: الحرمان الشريفان قمة العمارة الإسلامية المعاصرة (الطبعة الأولى، جدة، مطابع إخوان، ١٤١٤هـ)، ص ٥٣.

سنتيمتراً غير القواعد، وقد جاء تصميمها وسمكها بما يتناسب مع علوها وقوة تحملها، كما تم توصيل القواعد بأعمدة في داخل التربة (خوازيق) على أعماق مناسبة، وقد سار العمل حسب الخطة الموضوعة له في بناء الأقبية. وتغطي هذه الأعمدة مساحة (١٨,٠٠٠) متر مربع هي مجموع مساحة الأقبية في توسعة الملك فهد، وتم تقسيم هذه المساحة إلى خمس عشرة وحدة مستقلة بهدف التوفيق بين متطلبات الهيكل الإنشائي وبين المتطلبات المعمارية، وخضعت كل وحدة لدراسة منفصلة لتقدير تحملها وكفاءتها لمقاومة الأحمال الرأسية والأفقية، وأقيمت الأعمدة في صفوف متوازية، وتتراوح المسافة ما بين كل عمود وآخر خمسة عشر متراً لأماكن الصلاة وخمسة أمتار للممرات، كما وضعت أساسات البوابة الرئيسة للمشروع وعلى جانبيها أقيمت مئذنتان جديدتان، ودقت لها أوتاد خرسانية عدة في باطن الأرض بأعماق بعيدة، وقد روعي في تصميمهما أن تتناسب مع المآذن السبع التي يضمها المسجد الحرام من العمارة السعودية السابقة من حيث التصميم وأسلوب العمران والمواد المستخدمة في البناء، وكذلك مراعاة قوة تحملهما لتأثير الرياح والعوامل الطبيعية الأخرى[١].

وتختلف توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ـ حفظه الله ـ عن غيرها من التوسعات السابقة بمراعاتها للحركة المرورية، وإنشاء أنفاق للسيارات تحت الساحات الخارجية للمسجد لتسهيل الانسياب المروري حول المسجد الحرام مما تطلب مراعاته وأخذه بالحسبان عند إنشاء القواعد والأساسات للمشروع، وكذلك إنشاء عددٍ من دورات

---

(١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣٣٨، ووزارة الإعلام: عمارة المساجد، ص ٥١.

المياه وغيرها من الخدمات المساعدة لقاصدي بيت الله الحرام، مع عمل مجرى للسيل وتصريف المياه تحت أنفاق السيارات.

وفي الوقت نفسه الذي كانت فيه أعمال الإنشاء والتعمير تسير في أساسات التوسعة الجديدة كانت أعمال بناء أخرى كشق أنفاق، وتشييد مجاري السيل، وتصريف المياه بجانب منطقة المشروع، لنقل مياه السيول من وادي إبراهيم القادم من أعلى مكة إلى أسفلها، والذي كان في السابق يهدد المسجد الحرام ويغرقه، ويسبب فيه تلفيات كبيرة.

وما أن انتهت أعمال البناء في قواعد الأقبية وأعمدتها حتى تم تسقيفها بالخرسانة المسلحة المستندة إلى جسور تربط الأعمدة من أعلاها في كل الاتجاهات، وتلا ذلك إقامة أعمدة الطابق الأرضي وبعددها نفسه في الأقبية وبارتفاع (٩,٨٠) م على مساحة (٢٠,٠٠٠) متر مربع وهي كامل مساحة الطابق الأرضي، ومن ثم تسقيفه بالكامل، وأعقب ذلك بناء الطابق الأول وتسقيفه بالطريقة نفسها التي تم بها بناء الطابق الأرضي وجاء ارتفاعه (٩,٦٤م)، ومساحته أقل من مساحة الطابق الأرضي حيث بلغت (١٩,٠٠٠) متر مربع[(١)]. وإذا حسبنا ذروة السطح فإن ارتفاع الواجهات الخارجية لمبنى التوسعة هو (٢٢,٥٧م)[(٢)]. وقد سارت أعمال البناء بكل دقة وإتقان تام، واستخدم في ذلك أحدث الرافعات والخلاطات والدقاقات الخاصة بصب الأسمنت في الأعمدة والأسقف، كما تم تركيب العقود السابقة الصنع على الأعمدة برافعات عالية التقنية، واستخدم في ذلك أجود أنواع حديد التسليح وبكميات كبيرة جداً. ولتسهيل عملية نقل مواد البناء إلى موقع المشروع فإن شركة

---

(١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣٣٨.

(٢) عبيد الله كردي: الكعبة المشرفة والحرمان الشريفان، ص ٣٠٥.

(ابن لادن) بالاتفاق مع مرور العاصمة المقدسة خصصت خطوط الأنفاق القادمة من كدي إلى منطقة الحرم لعبور الشاحنات التي تحمل المواد الخام والخرسانة الجاهزة والمسلحات سابقة الصنع والخاصة بالمشروع، وذلك حتى لا تسبب تحركات هذه الشاحنات الكبيرة أي أخطار أو أي إزعاج للمصلين أو قاصدي المسجد الحرام في أثناء انتقالها بين منطقة المشروع وورش العمل.

وفي الوقت نفسه كانت عمليات تشييد شبكات الكهرباء والتكييف والأمور الكهربائية الأخرى التي تحتاجها عملية التوسعة تسير بانتظام وبطريقة فنية وتقنية عالية، كما كانت أعمال تلبيس الأعمدة والحيطان وفرش الأرض بالرخام الفاخر تسير جنباً إلى جنب مع أعمال البناء والتشييد بطريقة منظمة في كل مرحلة من مراحل البناء للأقبية والطابقين الأرضي والأول وبإشراف فني وهندسي عالي التدريب.

وقد جندت مجموعة ابن لادن السعودية للقيام بهذه الأعمال آلاف العمال والصناع والفنيين من ذوي الاختصاصات والمهارات المختلفة، حيث تنوع العمل من أعمال حفر وتشييد وتركيب إلى استخدام أدق الأنظمة التي تدار بالحاسب الآلي للتحكم في الإضاءة والصوت والتكييف والمراقبة التلفازية، وصولاً إلى التشطيبات المعمارية الدقيقة التي تشمل أعمال تركيب الرخام والجرانيت والزخارف المعدنية والخشبية والفسيفساء والسيراميك في كامل منطقة المشروع.

وللنهوض بمتطلبات هذا المشروع الضخم وضمان توريد المواد اللازمة للعمل في مواعيدها، مع المحافظة على تقديم أعلى مستوى من الجودة والإتقان فقد أقامت مجموعة ابن لادن السعودية مصانع خاصة بها لتغطية خدمات المشروع في نهاية نفق كدي الجديد، كما قامت الشركة بإعداد وتجهيز المواد الخام والجرانيت والحجر الصناعي والزخارف في

مصانع خاصة بالشركة خارج مكة المكرمة، وفي حالة الحاجة إلى توريد أي مواد خام أو أجهزة ومعدات وأدوات كهربائية فإن الشركة المنفذة تقوم بإحضارها من أي مكان في العالم وبوجه السرعة المتناهية، مما حقق إنجاز هذا المشروع الكبير في وقت قياسي(١).

ولتسهيل انتقال أفواج المصلين إلى الطابق الثاني وسطح المسجد في جميع الأوقات وخاصة في أوقات الكثافة، فقد تم إقامة مبنيين ملاصقين لواجهات المسجد الحرام ركبت فيهما سلالم كهربائية متحركة، أحدهما في شمال مبنى التوسعة والآخر في جنوبه، مساحة كل منهما ٣٧٥م٢، ويحتوي كل مبنى على مجموعتين من السلالم المتحركة، طاقة كل مجموعة خمسة عشر ألف شخص في الساعة، ينتقلون بحرية وسلام صعوداً ونزولاً إلى جميع أدوار المسجد؛ إضافة إلى مجموعة السلالم الكهربائية المتحركة الموجودة في العمارة السعودية الأولى وعددها (١٥) سلماً كهربائيًا موزعة حول محيط المسجد الحرام، وقد صممت كلها بطريقة عملية تساعد في نقل المصلين ولا سيما كبار السن إلى الأدوار العليا بيسر وسهولة، وبجانب هذه الوحدات من السلالم الكهربائية المتحركة فقد أضيفت ستة سلالم ثابتة جديدة في توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد، ليصبح عدد السلالم الثابتة ثلاثة عشر سلماً موزعة في مختلف أرجاء المسجد الحرام، وقد أنشئت هذه السلالم بالخرسانة المسلحة، وكسيت بالرخام الجيد(٢).

كما جرى تحسين سطح المسجد الحرام وتغطية أرضيته بالكامل بالرخام الناعم، ويشمل ذلك التوسعة السعودية السابقة وتوسعة خادم

---

(١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣٨٧، ٤١٩، ومشاهدات المؤلف.

(٢) عبيد الله كردي: الكعبة المشرفة والحرمان الشريفان، ص ٢٠٧، وحامد عباس، المصدر السابق، ص ٢٤١.

الحرمين الشريفين، وتمت تهيئته للمصلين وذلك بفرشه بالسجاد، وتزويده بعدد من أوعية ماء زمزم البارد لسقيا المصلين، كما تم توفير المصاحف للقراء وخاصة في رمضان والحج، حيث يزدحم المسجد بالمصلين والمعتمرين والحجاج.

وفي سطح التوسعة تم إقامة ثلاث قباب تقع جميعها في وسط سطح التوسعة الجديدة تشغل كل قبة مساحة (١٥ × ١٥) متراً وبارتفاع سبعة عشر متراً، وترتكز كل قبة على أربعة أعمدة تبعد عن بعضها (٩,١٥) متراً، وشكلها مقبب يشبه الخيمة وليس القبة، وتحتوي القبة الواحدة على فتحات عدة عليها شبابيك علوية مصنوعة من الخشب الساج تغطي معظم محيطها، وتطل هذه القباب على الفناء في الدورين الأول والأرضي، وشكلها الداخلي مزخرف بأحجار الجرانيت الصناعي في خطوط مذهبة، وبعض المساحات غطيت بحجر الأمازونيت، وبعضها الآخر بالقاشاني المتعدد الألوان وفق تشكيل هندسي إسلامي(١). أما العقود فغطي بعضها بالرخام الأبيض والأخضر بأبعاد خاصة تختلف عن جميع العقود في المسجد، وركب بداخلها ثريات فخمة مصنوعة من النحاس والبللور عليها رسوم هندسية جميلة متعددة الألوان، أما جسمها الخارجي فمكسو بالأزمالدو الملون(٢).

وقد تم ربط توسعة خادم الحرمين الشريفين بالتوسعة السعودية الأولى عن طريق توسيع الفتحات الموجودة على واجهة التوسعة السعودية الأولى الواقعة ما بين باب الملك عبدالعزيز وباب العمرة، مع

(١) مؤسسة عكاظ ومجموعة ابن لادن السعودية: توسعة وعمارة الحرمين الشريفين - رؤية حضارية (١)، ص ٢٩، ومنصور حسين عطار: الحرمان الشريفان، ص ٤٣، وحامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣٣٩.

(٢) عبيد الله محمد كردي: الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان، ص ٢١١.

المحافظة على العناصر الإنشائية الأساسية للتوسعة الأولى، كما تم التغلب على مشكلات ربط الأسطح بأعمال خرسانية إضافية، مع مراعاة إمكانية إقامة طابق ثانٍ فوق الطابقين الأرضي والأول في حالة الحاجة إلى ذلك مستقبلاً وذلك باستخدام وصلات ميكانيكية مسننة (حلزونية) عند تركيب (أشاير) نهايات الأعمدة في السطح بتثبيتها بالوصلات الميكانيكية المثبتة داخل السطح، وتعد هذه الوصلات من الاختراعات الهندسية الحديثة[١].

أما غطاء أسقف التوسعة من الداخل وأعمدتها وعقودها فقد تمت تغطية الأسقف بالجرانيت الصناعي (والمكونة من مكسرات الجرانيت الصغيرة وبودرة الجرانيت المصنوعة بطريقة آلية ومجلية بإتقان تام لضمان ثبات ألوانها)[٢]. أما العقود فغطيت بالموزاييك المزخرف زخرفة فنية إسلامية، واستعمل الرخام الفاخر في تغطية الأعمدة في جميع أدوار التوسعة[٣]، وجعلت بعض الأعمدة بالرخام الأبيض. وتم إكمال ارتفاع الحوائط بمداميك من الأحجار التي تشبه الجرانيت وردية اللون لتضفي دفئًا وهدوءًا على جو المسجد الحرام[٤].

وغطيت أرضيات المسجد في توسعة خادم الحرمين الشريفين بالرخام الأبيض تتخلله خطوط من الرخام الأسود بأشكال هندسية جميلة، كما تم تكسية الواجهات بالرخام الفاخر بألوانه المموجة والمتداخلة في بعضها، ويغلب عليها اللون الأسود والأبيض والبني، وتم استخدام أحدث الطرق في تثبيت الرخام بربطه بجدار المبنى بزوايا

---

(١) منصور حسين عطار: المصدر السابق، ص ٥٣-٥٤.

(٢) منصور حسين عطار: الحرمان الشريفان، ص ٥٣.

(٣) وزارة الإعلام: عمارة المساجد، ص ٥٣.

(٤) منصور عطار، المصدر السابق، ص ٥٣.

مصنوعة من مواد غير قابلة للصدأ لضمان عمر أطول ولتجنب سقوطه. أما واجهات الفتحات وعقودها ومظلاتها وكذلك الأحزمة التي تزين الواجهات بزخارفها الإسلامية البديعة فإنها كلها مصنوعة من الحجر الصناعي(١).

وصنعت الأبواب في توسعة خادم الحرمين الشريفين من معدن مصقول، تزينه حليات نحاسية بأشكال وأحجام مختلفة. أما الشبابيك فإنها صنعت من الألمونيوم الأصفر المخروط والمعدن المصقول، وجعلت على شكل مشربيات زينت بحليات نحاسية، وروعي في ذلك أن يكون تصميم الأبواب والشبابيك في توسعة خادم الحرمين الشريفين مماثلًا لنظيرتها في التوسعة السعودية الأولى(٢).

وفي عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بتحسين الساحات المحيطة بالمسجد الحرام، وذلك من أجل توفير مساحات كافية لأداء الصلاة فيها في أوقات الذروة كالحج ورمضان(٣). وقد أدى ذلك إلى إعادة النظر في تصميم الساحات الخارجية، فتمت إزالة المرافق الموجودة عليها وإقامة مرافق أخرى جديدة تخدم الساحات بشكل أفضل، كما فصلت حركة سير السيارات عنها بإنشاء أنفاق لتفريغ هذه المناطق للصلوات والمشاة فقط. ففي الساحة الشرقية للمسعى تم إنشاء مبنى خدمات من دورين بمنطقة الشامية بمساحة إجمالية تبلغ أربعة عشر متراً مربعاً، ويحتوي المبنى على (١٤٤٠) مرفقاً صحياً، و(١٠٩١) نقطة وضوء، و(١٦٢) نافورة مياه للشرب، مع عمل ممرات واسعة

(١) المصدر السابق، ص ٥٣-٥٤، ومشاهدات المؤلف.
(٢) المصدر السابق، ص ٥٤.
(٣) محمد بن مساعد: درر الجامع الثمين، ص ٧٦-٧٧.

لتسهل على قاصدي المسجد الحرام الانتقال من القشاشية والغزة إلى ساحات الصلاة الجديدة. وفي الوقت نفسه تم توسعة الساحة الشرقية للمسعى وفرشها بالرخام الأبيض الفاخر وإحاطتها بسياج عليه شبابيك، وعدد من الأبواب المصنوعة من البرونز، وتقدر مساحة هذه الساحة (٤٦,٠٠٠) متر مربع عدا مبنى الخدمات السالف الذكر[١].

وفي الساحة الجنوبية الغربية الواقعة أمام باب الملك عبدالعزيز وباب الملك فهد والتي تبلغ مساحتها (٢٨,٠٠٠م^2) تم تحقيق مشروع عظيم يهدف إلى فصل حركة السيارات نهائياً عن هذه الساحة، وبما أن السيارات وسيلة وصول ضرورية خاصة إلى هذه المنطقة المركزية التي تحتاج إلى خدمات مستمرة ومتنوعة لراحة زوار بيت الله الحرام من المواطنين والزوار والمعتمرين والحجاج وتمكينهم من الوصول إلى المسجد الحرام والفنادق والشقق السكنية والمحلات التجارية المحيطة بالمنطقة بكل يسر وأمان، وكذلك توفير التموينات الضرورية، والسلع الغذائية لسكان هذه المناطق، فإن الحاجة أصبحت ملحة لإنشاء نفق تحت أرض هذه الساحة عُرف بنفق (سوق الصغير) الذي يعد شرياناً حيوياً يربط منطقة المسجد الحرام من الناحيتين الغربية والجنوبية بالأحياء الشرقية لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة ويمتد من شارع أم القرى وشارع جبل الكعبة حتى شارع أجياد السد، ماراً بمحاذاة التوسعة وباب الملك عبدالعزيز، وباب الملك فهد، ومستشفى أجياد، ويبلغ طوله (١٥٠٠م)، والجزء المغطى منه وعليه الساحة هو (٦٦١م)، ويبلغ أقل ارتفاع للنفق (٥,٥م). ويتألف هذا النفق من مسارين منفصلين بحاجز خرساني بارتفاع متر، ويتسع كل مسار لسيارتين، وخصص

(١) عبيدالله محمد أمين كردي: الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان، ص ٢٠٩.

المسار الأول منه للسيارات القادمة من غرب مكة المكرمة وجدة عبر شارع أم القرى، والمسار الثاني للسيارات القادمة من شرق مكة المكرمة والمشاعر المقدسة عن طريق أجياد أنفاق السد، ولكل مسار منهما عدة مخارج؛ فللمسار الأول: مخرج شارع أجياد، وجبل بخش ومخرج شارع أجياد السد. والثاني: مخرج جبل الكعبة، ومخرج شارع أم القرى، وعلى جانبيه خصصت أربعة مواقف للسيارات والحافلات لإنزال أو إركاب الركاب فقط من قاصدي المسجد الحرام، وهذه المواقف مزودة بسلالم كهربائية وأخرى عادية لنقل المصلين من النفق إلى الساحات الواقعة أمام باب الملك عبدالعزيز وباب الملك فهد. ووضعت به علامات إرشادية ومرورية. وزود مشروع النفق بنظام حديث للتهوية يعتمد على عملية شفط الهواء وطرده بواسطة طربيانات كبيرة معلقة في سقف النفق، وأجهزة مراقبة كميات غاز أول أكسيد الكربون حتى لا يحدث اختناقات نتيجة للأبخرة التي تطلقها عوادم السيارات في أثناء مرورها بالنفق، وربطه بمحطات كهربائية خاصة، ولوحات توزيع الطاقة الكهربائية، ومولد احتياطي للطاقة يعمل في حالة انقطاع التيار الكهربائي، وأقيمت على جانبيه شبكة لتصريف مياه الأمطار والصرف الصحي، وتم ربط النفق بنظام مراقبة تلفازية داخلية[١].

وقد تم أيضاً إنشاء قبو (بدروم) في طرف هذه الساحة مما يلي المساكن، وضع به عدد من دورات المياه بلغت (٦٩٠) مرفقاً صحياً، و(٤٤٩) نقطة وضوء، و(١١٤) نقطة لشرب المياه الباردة من زمزم. وقسمت هذه المجموعات قسمين؛ أحدها للرجال، والآخر للنساء، ولكل منهما مدخل خاص به يدخل إليه من طرف الساحة.

---

(١) حامد محمد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣٤٣.

وتفادياً لأي إزعاج لحركة المعتمرين والحجاج خلال الفترة الممتدة من شهر رمضان المبارك إلى نهاية موسم الحج، فقد تم تنفيذ معظم أعمال تشييد النفق وقبو الخدمات في هذه الساحة بسرعة فائقة[١]. وخلال الفترة الواقعة بين شهر محرم وشعبان من عام ١٤١٠هـ.

وبالنسبة لإمداد المسجد الحرام بالطاقة الكهربائية على مدار الساعة لتشغيل الإنارة والتكييف والتهوية والأجهزة المختلفة الأخرى، فإن ذلك وضع في الاعتبار منذ اللحظة الأولى حينما اعتمد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد تصاميم مشروع هذه التوسعة التي تحمل اسمه، وعلى ضوء ذلك سارت الأعمال الكهربائية كما خطط لها في هذا المشروع الإسلامي العملاق، وتم تزويد المسجد الحرام بالطاقة من مصادر متعددة، اعتمدت على مغذيات رئيسة من كهرباء المنطقة الغربية وعددها أربعة مغذيات؛ اثنان منها من مخارج محطتي جبل أبي قبيس، والثالثة من محطة حارة الباب، والرابعة من محطة الحرم للمغذيات الاحتياطية لتوفير طاقة احتياطية تبلغ (١٠٠٪) من الأحمال المطلوبة. وهنالك أيضاً محطة التوليد الاحتياطي لكهرباء المسجد الحرام المقامة بكدي، وهذه المحطة تبعد عن المسجد (٣,٥)كم، وقد تمت زيادة طاقتها إلى (٣٢) ميجاوات، بزيادة عدد المولدات الاحتياطية من أربعة إلى ثمانية، قوة الواحدة منها أربعة ميجاوات، ويوجد أيضاً نظام طاقة تيار مستمر (U.P.S) يُغذي الإدارة الضرورية ونظام الصوت. وبجانب ذلك تم إنشاء مصدر تغذية تيار مستمر يعمل على بطاريات خاصة لإنارة المسجد الحرام والمحافظة على

---

(١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣٤٢-٣٤٣، ويوسف علي عبدالرحيم: التوسعات السعودية للمسجد الحرام (٢/٢) مجلة عمار، الكويت، العدد (٢٢) أبريل ١٩٩٨م، ص ٣٣، وعبيدالله كردي: الكعبة المشرفة والحرمان الشريفان، ص ٢٠٩، ومشاهدات المؤلف.

استمرارية الخدمات الحيوية، وتعمل هذه البطاريات لأكثر من ثلاثين دقيقة لتأمين التغذية الكهربائية عند انقطاع الشبكة العامة، وحتى يتم تشغيل المولدات الاحتياطية(١).

وتتميز توسعة خادم الحرمين الشريفين عن التوسعات السابقة بأنها وضعت نظامًا خاصًا للتهوية والتكييف، ويعتمد هذا النظام على تلطيف الهواء في جميع أجزاء التوسعة على أسس علمية مدروسة بدقة تمت مراعاتها عند التأسيس، فبالنسبة للقبو (البدروم) الذي يقع بكامل ارتفاعه تحت منسوب سطح الأرض، فقد جاء تصميمه المعماري على أساس أن تتم تهويته تهوية طبيعية من خلال الفتحات المتقابلة للشبابيك الموجودة به، مع تركيب مراوح على الأعمدة لتحريك الهواء في مختلف الاتجاهات للمساعدة في التقليل من الإحساس بحرارة الجو(٢).

أما في الطابقين الأرضي والأول لتوسعة الملك فهد، فإن عملية تلطيف الهواء تتم على نوعين من نظم التهوية، هما:

١ - المراوح الكهربائية: السقفية والجدارية، وتعمل على تحريك الهواء لتلطيف الجو.

٢ - التكييف: ويعتمد على مبدأ دفع الهواء وتوزيعه خلال مجارٍ هوائية من الصاج المجلفن موزعة في الطابق الأرضي والطابق العلوي للمسجد الحرام، وتمتد هذه التمديدات إلى الأعمدة في الطابقين، ومنها يتم ضخ الهواء البارد عبر فتحات مثبتة عند تيجان الأعمدة المربعة الشكل، بينما يُمتص الهواء الساخن إلى خارج أروقة

(١) عبيدالله محمد كردي، المصدر السابق، ص ٢١٢.

(٢) منصور حسين عطار: الحرمان الشريفان، ص ٤٥.

المسجد الحرام عبر فتحات مثبتة عند أسفل الأعمدة المستديرة الشكل.

وقد أنشئت محطة مركزية لتبريد الهواء على بعد (٤٥٠م) من المسجد الحرام في موقع المالية السابق بأجياد، وتشغل مبنى مكوناً من ستة أدوار تضم أحدث نظم تبريد الهواء، وتتكون من اثنتين وثلاثين وحدة تبريد، يصل معدل طاقتها إلى أكثر من (١٣) ألف طن من الهواء المبرد، حيث يُضخ منها ماء للتبريد من خلال أنابيب معزولة عبر نفق خاص يربط المحطة بالمسجد الحرام، ويضم هذا النفق أنابيب قطرها (١١٠٠) ملم تحمل الماء المبرد إلى المسجد، وأنابيب أخرى تعود بالماء المستعمل لإعادة تبريده من جديد. وقد وضعت المحطة بعيداً نسبياً عن المسجد الحرام لتجنيب المصلين الضوضاء التي تحدثها ماكينات التبريد، وتم اتخاذ كل إجراءات عزل الضوضاء التي تحدثها المحطة عند تشغيلها عن الخارج وذلك عند تشييدها.

ويبلغ عدد وحدات معالجة الهواء في المحطة المركزية (١٤٢) وحدة معالجة، إنتاجها (١٧٥٥) كم في الثانية الواحدة، من خلال فلاتر وماكينات سحب الهواء وضخها إلى مناطق تحت الدور الأرضي بالمسجد الحرام، وينطلق منه الهواء عبر أنابيب فرعية معزولة إلى وحدات تبريد الهواء الموجودة بالدور الأرضي، وتم أخيراً مد أنابيب التبريد إلى فتحات خاصة وضعت في شبابيك المسعى وذلك لضخ الهواء البارد بقوة عالية لتكييف المسعى بجانب المراوح التي ركبت فيه من أجل راحة الساعين[١].

وتمت إضاءة المسجد الحرام بالثريات والفوانيس ومصابيح الفلورسنت المصنوعة بمواصفات خاصة وبطابع إسلامي فريد، ووضعت

(١) عبيدالله كردي: الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان، ص ١١٢-١١٣.

كشافات عالية الإضاءة في محيط سطح المسجد الحرام، وذلك لإضاءة الساحة الداخلية للمسجد والأسطح مما حوّل الليل إلى نهار[١].

وأنشئت في المسجد الحرام محطة إذاعية ذات نظام إذاعي متطور، وأخرى تلفازية مجهزة بمعدات وكاميرات حديثة، وذلك لتغطية المسجد الحرام بكامله للبث الإذاعي والتلفازي في داخل المسجد، مع تركيب عدد كبير من مكبرات الصوت الموزعة على مختلف أرجاء المسجد، حتى يمكن للمصلين متابعة الإمام في صلاته اليومية وسماع خطبة يوم الجمعة والعيدين بصوت نقي وتوزيع حسن، ولبثِّ الصلوات وخطبة الجمعة والعيدين إلى مختلف أنحاء العالم عبر الأقمار الصناعية عن طريق الإذاعة والتلفزيون السعودي، مما جعل الناس في مختلف أرجاء العالم يتعرفون على الأماكن الإسلامية في الحرمين الشريفين، ويتابعون مشاهدة الصلوات والخطب وخاصة في رمضان وموسم الحج، فيشعرون بالرغبة في شد رحالهم إلى الحرمين الشريفين لأداء العمرة أو الحج أو الزيارة.

وفي كل ساحة من ساحات المداخل الرئيسة للمسجد الحرام وفي أماكن مختلفة من الدور الأول، تم تركيب ساعات إلكترونية تبين مواعيد أوقات إقامة الصلوات الخمس ومواعيد شروق الشمس وغروبها اليومي بالتوقيتين الغروبي والزوالي، حتى يتأهب الناس للصلاة قبل إقامتها بوقت كافٍ، كما تم تركيب مقسم كبير وأجهزة اتصال داخلية وذلك لتسهيل عملية الاتصال بين العاملين في إدارة المسجد الحرام، ومتابعة الأعمال المطلوبة من الأجهزة المختلفة من أمنية، ونظافة وفرش، وسقيا زمزم على مدار الساعة[٢].

---

(١) محمد بن مساعد الحسيني: درر الجامع الثمين، ص ٨٦، ومشاهدات المؤلف.

(٢) منصور عطار: الحرمان الشريفان، ص ٤٥، ومحمد بن مساعد الحسيني: درر الجامع الثمين، ص ٨٦.

وأنشئت أيضاً نقاط عدة لنظام شبكة متكاملة لإطفاء الحريق بجميع الأدوار في المسجد الحرام لإطفاء أي حريق - لا قدر الله - باستخدام أحدث الأساليب الحديثة وأسرعها في الإطفاء(١).

وبعد الانتهاء من أعمال البناء بالمسجد الحرام في توسعة الملك فهد، أمر ـ حفظه الله ـ بفرش المسجد الحرام كاملًا بالسجاد الطولي الفاخر بما في ذلك الساحات والأسطح، وتحديد أماكن لتجميع السجاد في الساحات وفرشها منذ صلاة العصر وحتى الانتهاء من صلاة الفجر. أما بالنسبة لفرش الأسطح فإنه يتم فرشها في أوقات الذروة وخاصة في رمضان وموسم الحج.

وبجانب ذلك يتم توزيع ماء زمزم مبرداً في جميع أنحاء المسجد الحرام في أوعية بلاستيكية كبيرة (ترمس) لها صنابير يؤخذ منها ماء زمزم بواسطة الشاربين منه، ويبلغ عدد هذه الأوعية أكثر من ثلاثة آلاف وعاء، تزداد في مواسم الحج ورمضان إلى الضعف ويقوم عمال ـ تم تخصيصهم لهذا الغرض ـ بتعبئتها بماء زمزم والثلج المصنوع من ماء زمزم، وتوزيعها في أماكن متفرقة من المسجد الحرام والساحات والأسطح، ووضع كاسات بلاستيكية نظيفة حولها، ثم رفعها وتنظيفها بين الحين والآخر بطريقة صحية. وذلك بعد أن ألغيت الدوارق المصنوعة من الفخار التي كانت كثيراً ما تكسر بمجرد وقوعها على الأرض، أو اصطدام بعضها ببعض، فيتناثر الماء منها على أرض المسجد، أو على السجاد فيسبب البلل.

كما أنه توجد مواقع عدة داخل المسجد الحرام، وخاصة عند الأبواب الكبيرة وفي المسعى وضعت بها ثلاجات كبيرة لتبريد ماء

---

(١) منصور عطار، المصدر السابق، ص ٤٧.

زمزم، تخرج منها صنابير عدة تقدم مياه زمزم باردة عذبة سائغة إلى قاصدي المسجد الحرام.

ووجدت أيضاً مواقع خارج المسجد الحرام عند نهاية الساحة الخارجية لباب عليّ، وفي منطقة كدي، عند موقف السيارات، يمكن للأشخاص تعبئة الأوعية البلاستيكية منها (الجوالين)، وأخذها لبيوتهم في داخل المملكة وخارجها.

وهناك أيضاً سبيل الملك عبدالعزيز المقام في (كدي) الذي بُني به خزانٌ خرسانيٌّ مُسلَّحٌ سعته (١٥٠,٠٠٠) مترٍ مكعبٍ من مياه زمزم، تنقل منه يومياً حوالي أربعين طناً من مياه زمزم، وإرسالها بواسطة شاحنات كبيرة (وايتات) إلى المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة لسقيا الناس هناك.

ويتم التحكم في سحب مياه زمزم وتبريده وتوزيعه بواسطة محطة كبيرة أقيمت حول المسجد الحرام بمكة المكرمة، بها أجهزة حديثة تعمل بواسطة الحاسب الآلي، وفي هذه المحطة يتم تمرير المياه تحت الأشعة فوق البنفسجية زيادة في الحرص على تنقيتها وتعقيمها، وهذا لا يؤثر تماماً في مذاق المياه، أو لونها، أو تركيبها، وبذلك تصل مياه زمزم إلى شاربها باردة نقية دون أن يضاف إليها شيء(١).

وقد تأسس أخيراً مكتب الزمازمة الموحد الذي يتم من خلاله توزيع عبوات كبيرة من ماء زمزم على مساكن الحجاج طوال أيام الحج ورمضان، كما يقوم المكتب بتقديم ماء زمزم بواسطة سقاة متخصصين يحملون دوارق فخارية، يقدمون ماء زمزم للمدعوين، وذلك في

---

(١) وزارة الإعلام: في خدمة ضيوف الرحمن، ص ٨٦-٨٨.

المناسبات والاستقبالات الرسمية وغير الرسمية، محافظة على التراث الإسلامي في تكريم الضيوف من ماء زمزم المبارك[١].

ونظراً لزيادة أعداد السيارات المتوجهة بركابها إلى المسجد الحرام، فإن الحاجة استدعت استحداث نظم مرورية تحد من تدفق المركبات بمختلف أنواعها على المنطقة المركزية حول المسجد الحرام وخاصة في رمضان وموسم الحج، والعمل على القضاء على الاختناقات المرورية وتداخل المشاة بالسيارات، ولذلك تم تخصيص مواقف لسيارات المعتمرين والحجاج في كدي، وخارج أنفاق السد في بداية العزيزية من ناحية منى، على مسافة تبعد عن المسجد الحرام حوالي عشر إلى عشرين دقيقة، ويتم في هذه المواقف إيقاف سيارات المعتمرين والحجاج ونقلهم إلى المسجد الحرام بحافلات النقل الجماعي وعبر شبكات الأنفاق الموصلة للمسجد الحرام دون صعوبة أو مشقة، ويقدر استيعاب هذه المواقف من السيارات في حدود (١٢) ألف سيارة، وكلها مواقف مجانية ومضاءة، وعليها الحراسة الأمنية اللازمة، وتتوافر بها جميع المرافق العامة[٢].

وفي ذي القعدة من سنة ١٤١٣هـ تم الانتهاء من توسعة خادم الحرمين الشريفين للمسجد الحرام وعمارته، واستغرق العمل المتواصل في هذه التوسعة العملاقة حوالي خمس سنوات، وبلغت مساحة هذه التوسعة (٥٧,٠٠٠) متر مربع، موزعة على القبو والدورين الأرضي والأول، وتبلغ مساحة السطح بعد أن تم تجهيزه للصلاة (٦١,٠٠٠) متر مربع[٣]، ومجموع مساحة الساحات الجديدة في توسعة الملك فهد

(١) وزارة الحج: الحج في مائة عام، ص ٢١٨.

(٢) عبدالله محمد كردي: الكعبة المشرفة والحرمان الشريفان، ص ٢٠٩.

(٣) منصور عطار: الحرمان الشريفان، ص ٤٠.

والمضافة إلى الساحات السابقة في التوسعة السعودية الأولى حوالي (٧٠,٠٠٠) متر مربع[(١)].

وبذلك تصبح مساحة المسجد الحرام بعد توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد، وكذلك مجموع المساحة الجديدة التي يمكن أداء الصلاة فيها والسطح حوالي (٤٠٠) ألف متر مربع، ويمكن بهذه المساحة استيعاب عدد كبير من المصلين يصل في أوقات الحج إلى أكثر من مليون مصلٍ[(٢)].

وهكذا تمت توسعة خادم الحرمين الشريفين للمسجد الحرام بمكة على أحسن وجه، وأتقن عمل، وأصبحت هذه التوسعة والتوسعة السعودية الأولى للمسجد الحرام مصدر إعجاب لكل مواطن ومقيم، ولكل زائر ومعتمر وحاج يصل إلى هذا المكان الطاهر المقدس، وفي الوقت نفسه فهي مصدر فخر واعتزاز لحكومة المملكة العربية السعودية، وملوكها الذين بذلوا بسخاء على الحرمين الشريفين طلباً للمثوبة والأجر من الله عز وجل، فجزاهم الله خير الجزاء، وجعل الله ذلك في موازين حسناتهم.

(١) عبيدالله محمد كردي: الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان، ص ٢٠٩ و ٢١٤.
(٢) وزارة الحج: الحج في مائة عام، ص ١٥٩-١٦٠.

توسعة خادم الحرمين الشريفين للمسجد الحرام

وتشمل الساحات المحيطة بالمسجد والتوسعات السابقة (١)

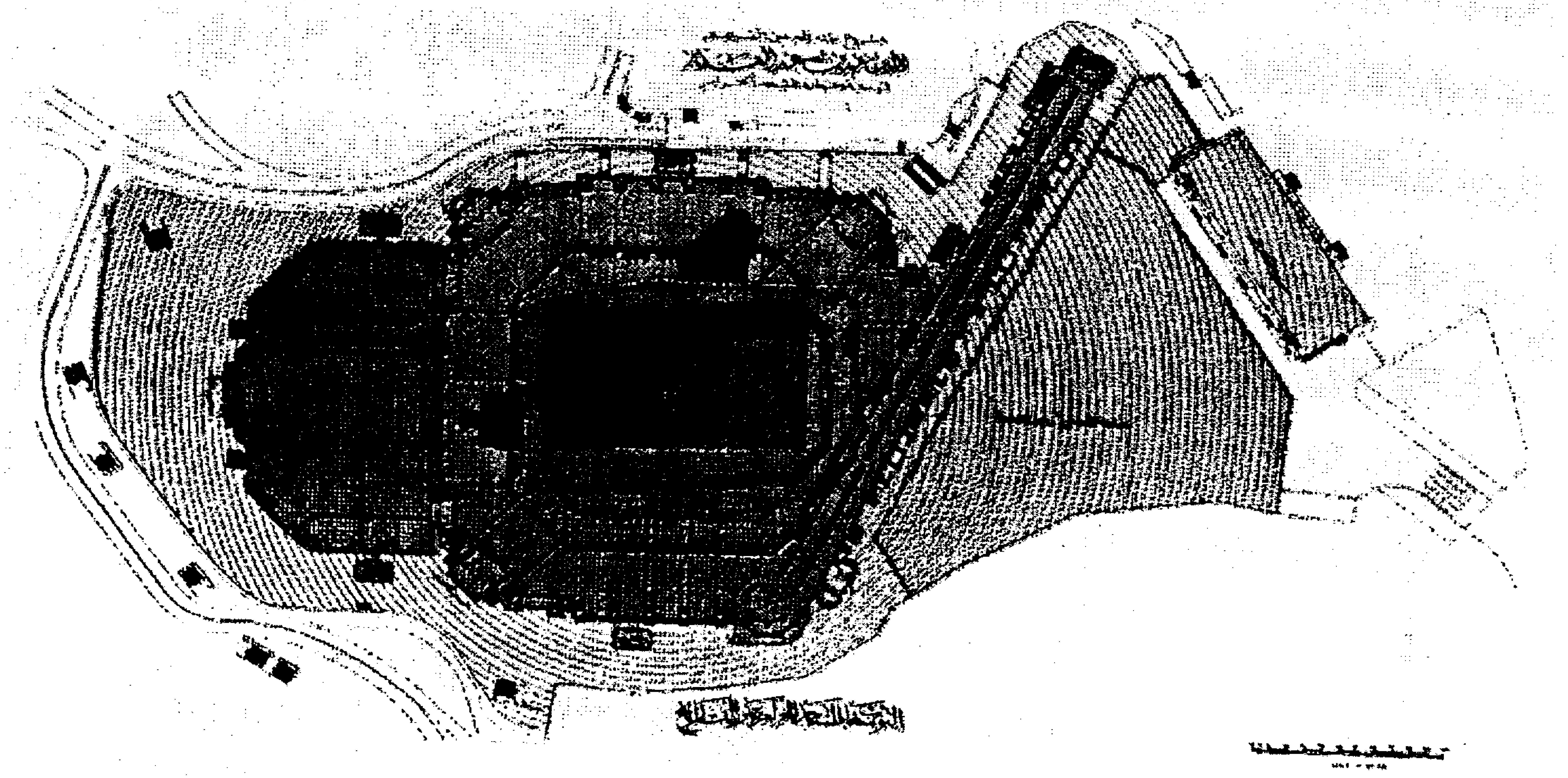

(١) مجموعة ابن لادن السعودية.

الفصل الرابع

اهتمامات آل سعود بالكعبة والمطاف

أولاً: الكعبة المشرفة وما حولها قبل العهد السعودي

الكعبة المشرفة بيت الله الحرام على وجه هذه الأرض، وهو أول بيت وضعه الله ـ عز وجل ـ لعباده المؤمنين، لعبادته والطواف حوله تحقيقاً لرسالة نبيه محمد ﷺ الذي أرسله الله برسالة الإسلام الخالدة، وجعله خاتم النبيين حتى يكون بنو البشر إخوة تجمعهم وحدة الدين، ووحدة الاتجاه إلى قبلة واحدة هي الكعبة الشريفة بيت الله الحرام(١).

ومنذ بناء الكعبة في تلك البقعة المباركة الطاهرة وهي موضع الإجلال والإعزاز والتقدير والتقديس من عباد الله جميعاً، وستبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

فالاهتمام بالكعبة لا يقتصر على كسوتها فحسب، وإنما يشمل أيضاً عمارتها وصيانتها والاهتمام بكسوتها حتى يؤدي الزائر والمعتمر والحاج والمقيم والمواطن نسكه وفرائضه في يسر وطمأنينة وراحة، تجعله يحقق مفهوم العبادة لله كما أرادها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لعباده المؤمنين.

وهذا الذي حدا بآل سعود منذ أن مكن الله لهم توحيد هذه البلاد في دولة واحدة مترامية الأطراف إلى بذل قصارى جهدهم نحو إعمار الكعبة المشرفة، بجانب إعمارهم للحرمين الشريفين، حتى يظهر بيت

---

(١) أحمد عبدالغفور عطار: الكعبة المشرفة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم (الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٩٧هـ) ص ٧.

الله الحرام في الصورة التي تليق به، والتي ترضي الله عز وجل، فما أن قام الملك عبدالعزيز بضم الحجاز لدولته حتى بادر ـ رحمه الله ـ بالعناية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف وإعمارهما، وقد سار أبناؤه البررة على سيرته من بعده في البناء والتوسعة والصيانة لهذه البقاع الطاهرة، وفي هذا الفصل خصصنا الحديث عن اهتمامات البيت السعودي بالكعبة المشرفة وكسوتها وبئر زمزم والمطاف ومقام إبراهيم عليه السلام.

وقد ذكرنا في الفصل التمهيدي الخاص بالمسجد الحرام بمكة أهم العِمارات والترميمات التي تمت للكعبة المشرفة منذ آدم عليه السلام، ثم بناء إبراهيم وولده إسماعيل ـ عليهما السلام ـ ومن جاء بعدهما حتى العصر الإسلامي، ثم عمارة عبدالله بن الزبير، وعمارة الحجاج بن يوسف الثقفي، وما تبعهما من عمارات وترميمات للكعبة المشرفة في العصور الإسلامية المختلفة، وحتى العهد السعودي، حيث لقيت الكعبة المشرفة كل عناية واهتمام من آل سعود.

وسوف ينصب حديثنا في هذا الفصل أولاً على إعطاء لمحة عن عناصر البيت العتيق وما حوله قبل العهد السعودي، ثم نتحدث بإسهاب عن اهتمامات آل سعود بالكعبة المشرفة وما حولها حتى وقتنا الحاضر.

فمن الملحوظ أن الكعبة المشرفة تحتوي على عناصر عدة هي كالآتي:

عناصر الكعبة المشرفة:

من المعروف أن لكل بيت عناصره ومكوناته، وبيت الله الكريم أهم البيوت وأقدسها قاطبة في الدنيا كلها، ومفرداته لها قيمتها الدينية والتاريخية، وهي أجزاء من بيت الله، حرم الله الآمن .

وتتمثل هذه العناصر في محتويات البيت العتيق وهي :

الحجر الأسود:

«ويقع في ركن الكعبة الشرقي وارتفاعه من أرض المطاف متر واحد ونصف المتر، ولا يمكن وصفه الآن بدقة؛ لأن الذي يظهر في زماننا ونستلمه ونقبله إنما هو ثماني قطع صغيرة مختلفة الحجم، وأما باقيه فإنه داخل في بناء ركن الكعبة الشرقي»(١).

وكان ذرع الحجر الأسود عام ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م وذلك في أثناء بناء الكعبة في زمن السلطان العثماني مراد الرابع عام ١٠٣٣-١٠٥٠هـ/ ١٦٢٣-١٦٤٠م بطول نصف ذراع بذراع العمل(٢)، «وعرضه ثلث ذراع وسمكه أربعة قراريط والسواد على الظاهر من الحجر، أما بقية حرمه فهو على ما هو من البياض، ومن أمام الحجر الأسود يبدأ الطواف»(٣). وقد شرع تقبيل الحجر الأسود في الطواف لمن أراد ذلك مع عدم الازدحام.

الركن اليماني:

وهو ركن الكعبة المشرفة الذي يسبق الحجر الأسود في الطواف، وكلاهما على القواعد الأولى للبيت التي رفعها إبراهيم عليه السلام(٤).

---

(١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٨٥.

(٢) لمعرفة طول الذراع فإن هنالك اختلافًا بين مقاس الذراع الشرعي وهو المعتمد في تلك الأيام والذراع المعماري، فمقاس الذراع الشرعي ٤٦ سم، ومقاس الذراع المعماري ٥٤ سم.

(٣) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٨٥. وانظر أيضاً: محمد علوي المالكي: في رحاب البيت الحرام، (الطبعة الرابعة، جدة، دار القبلة، ١٤١٢هـ) ص ١٢٣.

(٤) الفاكهي: أخبار مكة، تحقيق: د. عبدالملك بن دهيش، ج ١، ص ١٢٥ - ١٣٣.

حجر إسماعيل عليه السلام:

وهو الحائط الواقع شمال الكعبة المعظمة، وهو على شكل نصف دائرة، وقد جعله إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ عريشاً إلى جانب الكعبة وكانت زوجته هاجر وابنها إسماعيل تقيم فيه(١)، لكن قريشاً أدخلته ضمن بناء الكعبة المشرفة، ثم أخرج منها ويسمى أيضاً الحطيم. وفيه يصلي الناس النوافل، ويدعون بما شاؤوا ولا تصلى فيه الصلوات الخمس(٢).

شاذروان الكعبة:

وهو البناء المحاط بأسفل جدار الكعبة مما يلي أرض المطاف، وهو أصل جدار الكعبة المعظمة حينما كانت على قواعد إبراهيم عليه السلام، وقد انتقصته قريش من عرض أساس جدار الكعبة.

الملتزم:

هو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة وسمي بالملتزم؛ لأن الناس يلزمونه ويدعون عنده طلباً للرحمة والمغفرة من الله تعالى(٣).

ميزاب الكعبة:

وأول من وضع لها ميزاباً قريش سنة ٣٥ من ولادة النبي ﷺ، حيث كانت قبل ذلك بدون سقف، وتغير الميزاب نظراً لخرابه، ففي عهد عبدالله بن الزبير عندما بنى الكعبة عمل لها ميزابًا، وجعل مصبه على حجر إسماعيل كما فعلت قريش، وأمر الوليد بن عبدالملك بتلبيس

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة، جـ١، ص ٥٤-٥٦.
(٢) الفاكهي: أخبار مكة، تحقيق: د. عبدالملك بن دهيش، جـ١، ص ٣٣٧.
(٣) الأزرقي: أخبار مكة، جـ١، ص ٣٤٧ - ٣٤٩.

ميزاب الكعبة بالذهب من داخله وخارجه[١]. ثم عمل لها ميزاب آخر ثم آخر حتى جاء عهد السلطان العثماني عبدالمجيد فأمر بصنع ميزاب جديد للكعبة من الذهب الخالص أرسله من إسطنبول في سنة ١٢٧٦هـ، ويزن حوالي خمسين رطلاً، وهو آخر ميزاب صنع للكعبة المشرفة قبل العهد السعودي.

باب الكعبة:

لقد اختلفت الروايات في تحديد أول من عمل باباً للكعبة المشرفة؛ فمن قائل: إنه كان أنوش بن شيث بن آدم، على قول: إنها مبنية بالحجر في زمن شيث، ومن قائل بأن جرهم كانت أول من صنع باباً للكعبة، وقيل: إن تبعًا الثالث أحد ملوك اليمن قبل البعثة النبوية أول من عمل باباً للكعبة، وإنه قال في ذلك شعراً منه هذا البيت:

وأقمنا به من الشهر عشراً
وجعلنا لبابه إقليداً

كما أن قريشاً قامت بصنع باب للكعبة المشرفة من الخشب بمصراعين طوله أحد عشر ذراعاً من الأرض إلى منتهى أعلاه، وكذلك فعل عبدالله بن الزبير عندما قام بتجديد بناء الكعبة المشرفة، فصنع لها باباً جديداً بطول الباب السابق نفسه الذي صنعته قريش.

فلما جاء الحَجَّاج عمل لها باباً طوله ستة أذرع وشبر؛ وذلك لأن الحجاج رفع باب الكعبة عما كان عليه في زمن ابن الزبير، وكذلك صار الباب الذي عمله على قدر الفتحة، وفي عام ١٩٤هـ أمر الخليفة الأمين محمد بن هارون الرشيد العباسي بوضع صفائح من الذهب على باب الكعبة قُدِّر ثمنها بثمانية عشر ألف دينار.

---

(١) حسين باسلامة: تاريخ الكعبة المشرفة، ص ١٨١.

وذكر المؤرخ حسين باسلامة: أن باب الكعبة جدد مرات عدة، كان آخرها عام ١٠٤٥هـ في عهد السلطان العثماني مراد بن أحمد، وأنه جعل فيه من الحلية الفضية ما زنته (١٦٦) رطلاً، وطلي بالذهب بما قيمته ألف دينار، وأن الباب القديم أرسل إلى إسطنبول[١]. وهذا يعني أن صنع باب الكعبة وإجراء التعديلات والترميمات والتجديدات عليه كان مستمراً على مر العصور الإسلامية المتتالية حتى عصرنا الحاضر.

وكان يحيط بالكعبة المشرفة بيت الله العتيق المطافُ، ومقام إبراهيم عليه السلام، والمنبر، والمقامات، وبئر زمزم، والحصاوي، وسوف نعطي لمحة عنها:

- المطاف:

وكان بيضاوي الشكل وبمحاور كبيرة وصغيرة أطوالها ٥٠ متراً و٤٠ متراً، وكان مبلطاً بالرخام وعلى محيطه قناديل مناسبة للإضاءة.

- مقام إبراهيم عليه السلام:

وقد وضع في بناء مسقوف ومن خلفه باب عليه طاق يسمى باب شيبة، وكانت مساحة تلك المقصورة ٦ × ٣ = ١٨ متراً مربعاً.

- بئر زمزم:

وهي البئر التي ترجع إلى عهد نبي الله إبراهيم عليه السلام، وكانت مغطاة ببناء ذي قبة بني عام ١٠٧٤هـ، وكان يعرقل الطائفين وبداخله بئر زمزم التي يستقي منها الناس ماءً طهوراً مباركاً شفاءً لكل سقم.

---

(١) حسين باسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة، ص ١٨٤ - ١٩٠، وعلي السنجاري: منائح الكرم في أخبار مكة والبيت الحرام وولاة الحرم (الطبعة الأولى، الرياض، مطابع العبيكان، ١٤١٩هـ) ج٤، ص١٧١-١٧٤.

إن ماء زمزم هو من أعظم النعم التي منّ الله بها على مكة المكرمة، أم القرى، فهو نعمة عظيمة وهبة من الله لهذا البلد الأمين، استجابة لدعوة نبيه إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾(١).

هذا الماء المبارك أخرجه جبريل عليه السلام بأمر ربه، و كان أول من شرب منه نبي الله إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر، وبدأ هذا الماء المبارك يجذب الناس إلى بيت الله الحرام لعبادة الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، وبالرغم مما أصاب البئر من دمار في بعض الفترات التاريخية نتيجة لعوامل الزمان والأمطار، لكن منذ أن أعاد عبدالمطلب جد النبي ﷺ حفر بئر زمزم وهي تتدفق بالخير والبركة إلى أن يشاء الله(٢).

وماء زمزم هو خير ماء على وجه الأرض، إن شربته بنية الشبع أشبعك بإذن الله، وإن شربته بنية الشفاء شفاك الله؛ لأنه طعام طُعْم وشفاء سقم، قال عنه النبي ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له»(٣). وقد سنّ رسول الله ﷺ التزود منه وحمله إلى البلدان كافة، وهو ماء كثير لا يفنى ولا ينقطع بالرغم من كثرة الاستقاء منه، باقٍ ما بقيت الدنيا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها(٤).

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

(٢) الفاسي: شفاء الغرام، جـ١، ص ٢٤٧، والأزرقي: أخبار مكة، جـ٢، ص ٤١، والفاكهي: أخبار مكة، تحقيق: د. عبدالملك بن دهيش، جـ٢، ص ٧٤.

(٣) سنن ابن ماجة في المناسك، باب شرب ماء زمزم: ٢/١٠١٨، ومسند أحمد: ٣/٣٥٧، سنن البيهقي: ٥/١٤٨، والحافظ الدمياطي في المتجر الرابح، تحقيق: د.عبدالملك بن دهيش: ص ٣١٨ قال عنه: إسناده حسن، وابن القيم في زاد المعاد: جـ٤، ص ٣٩٣.

(٤) سائد بكداش: فضل ماء زمزم (الطبعة الثالثة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٦هـ)، ص ٦-٧.

وتقع فتحة بئر زمزم في شرق صحن المطاف، قريباً من الركن الشرقي للكعبة المشرفة الذي به الحجر الأسود، وقريباً من مقام إبراهيم عليه السلام، وتبعد عن الكعبة المشرفة حوالي ثمانية عشر متراً شرقاً.

وينقسم عمق البئر قسمين:

الأول: جزء مبني بالحجر (مطويّ) عمقه (١٤,٨٠) مترًا من فتحة البئر.

الثاني: جزء محفور في الصخر وطوله (١٧,٣٠) مترًا من انتهاء عمق الجزء المبني بالحجر.

وبذلك يكون عمق البئر (٣٢,١٠) متراً من فتحة البئر العلوية إلى نهاية أسفله.

ويبلغ عمق المياه من فتحة البئر حوالي أربعة أمتار، حيث يبلغ ارتفاع الماء داخل البئر من عمقها حوالي (٢٨) مترًا، أما قطر البئر فيختلف باختلاف العمق، حيث يتسع من أعلاها، ويضيق من أسفلها، ويتراوح بين مترين ومتر ونصف، أو أقل.

أما العيون، أو المنابع التي تغذي بئر زمزم فهي ثلاث عيون (منابع) هي كالآتي:

١ ـ عين، أو (منبع) قادمة من الركن المواجه لحجر إسماعيل عليه السلام، ويتدفق منها الجزء الأكبر من مياه زمزم المباركة.

٢ ـ عين، أو (منبع) قادمة من جهة أجياد وجبل أبي قبيس والصفا.

٣ ـ عين، أو (منبع) قادمة من جهة المروة.

وهذه العيون، أو المنابع، أو الفتحات لا توجد في مستوى واحد، بل في مستويات عدة في عمق البئر(١).

(١) يحيى حمزة كوشك: زمزم طعام وشفاء سقم (الطبعة الأولى، جدة، دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ)، ص ٦٠ - ٦١.

ونظراً لأهمية بئر زمزم فقد امتدت إليها يد الرعاية الكريمة في العهد السعودي الزاهر، حيث أولى الملك عبدالعزيز وأبناؤه الملك سعود، والملك فيصل، والملك خالد ـ رحمهم الله ـ جميعاً وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ورعاه ـ عناية خاصة لبئر زمزم ترميماً وعمارة وصيانة، والحفاظ على تدفق مياهها وتوفيرها للحجاج والمعتمرين والمواطنين والمقيمين(١).

- المنبر :

وقد أقيم ذلك المبنى على الطراز الإسلامي مكسوًا بالرخام الأبيض قدمه السلطان سليمان ابن السلطان سليم الأول هدية للمسجد الحرام في عام ٩٦٦هـ، وكان ملاصقاً لمقام إبراهيم في الجهة الشمالية، وقد أعد لإلقاء الخطب في أيام الجمعة والأعياد، فيصعد عليه الخطيب ويخطب بالناس.

- المقامات :

وقد أقيمت أربعة مقامات، وكانت تقع في الجانب الشرقي، والغربي، والشمالي الغربي، والجنوب الشرقي على التعاقب، ويمثل كل مقام مذهبًا معينًا من المذاهب الإسلامية الأربعة المعتبرة(٢).

- الحصاوي :

وهي المناطق المكشوفة غير المبلطة الواقعة بين المطاف وأروقة المسجد، وكانت قبل العمارة السعودية مغطاة بالحصى الصغير ويصلي

---

(١) لقد تمت الإشارة إلى مشروعات عمارة بئر زمزم ضمن الحديث عن عمارة المسجد الحرام في عهد الملك عبدالعزيز وأبنائه في هذه الدراسة.

(٢) انظر: صورة المسجد الحرام قبل العهد السعودي في الملحق الخاص بالصور.

بها الناس، وتتخللها ممرات مرصوفة بالحجارة متجهة من الأبواب الرئيسة للمسجد إلى صحن المطاف.

هذه هي حالة المسجد الحرام من الداخل في المنطقة الواقعة حول الكعبة المشرفة قبل ظهور الجهود السعودية في تطوير الكعبة المشرفة والمطاف ومقام إبراهيم عليه السلام وبئر زمزم وإعمارها(١).

---

(١) وزارة الإعلام: دولة في قائمة الشرف العالمية في خدمة الإسلام والمسلمين (الطبعة الأولى، الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ) ص ٦٥، وانظر أيضاً: إبراهيم الراشد الحديثي: بناية المسجد الحرام (مجلة التضامن الإسلامي، الجزء السابع، ربيع الأول، ١٤١٤هـ) ص ٦.

ثانياً: عناية آل سعود بالكعبة المشرفة وما حولها

- الترميم الأول للكعبة المشرفة في العهد السعودي :

لقد لقيت الكعبة المشرفة في العهد السعودي كل عناية ورعاية، فمن حيث ترميمها، فإنه لوحظ في سنة ١٣٧٧هـ وجود خلل في سقف الكعبة وتصدع في الجدران، نتيجة تآكل الأخشاب الحاملة للسقف؛ بفعل دودة الخشب وعوامل الزمان والأمطار والحرارة. وكانت آخر عملية ترميم أجريت على الكعبة المشرفة تعود إلى ستمائة سنة خلت، ولذلك رفع آل الشيبي سدنة الكعبة المشرفة الأمر إلى الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود - يرحمه الله - فأمر حالاً بعمل الدراسات والاستعدادات اللازمة لتجديد سقف الكعبة المشرفة، وترميم الجدران التي حول السقف وفي أعلاه، وتكونت لهذه المهمة لجنة علمية وفنية من المهندسين المعماريين للنظر فيما وقع للكعبة المشرفة من أضرار، وتكونت اللجنة بأمر سام من الملك سعود وهم :

- الشيخ عبدالملك بن إبراهيم آل الشيخ.
- الشيخ عبدالله بن جابر.
- السيد علوي بن عباس المالكي.
- الشيخ محمد بن علي الحركان.
- الشيخ محمد بن لادن (مدير الإنشاءات العمومية) وصاحب مؤسسة ابن لادن.

- الشيخ محمد صالح القزاز.
- المعلم حسين عجاج.

والمهندسان الفنيان : طارق الشواف، وطه القرملي.

وبعد الدراسة والمعاينة تبين للجنة أن للكعبة المشرفة سقفين من الخشب يتخلل كل سقف جذوع كبيرة تآكل معظمها بمرور الزمن، وأنه يفصل بين السقفين فراغ ارتفاعه ١,٣٥سم، وأن الجدارين الشمالي والغربي بهما عدة تصدعات وبروز مما يعرض سقوف الكعبة للسقوط على بعضها، وقد رفعت اللجنة تقريراً علمياً وفنياً بما يجب عليه العمل في تجديد سقفي الكعبة، وترميم كل ما يقابلهم من الداخل والخارج في جدران الكعبة، بحيث تظهر الكعبة المشرفة بحالتها الطيبة وبنائها السليم، بما يليق بها من قدسية وتعظيم.

وما أن اطلع الملك سعود ـ رحمه الله ـ على التقرير حتى أصدر أمراً سامياً آخر في أواخر شهر محرم عام ١٣٧٧هـ بإصلاح سقفي الكعبة المطهرة وعمارتهما، وترميمهما، وإصلاحهما . وقد حدد الأمر الكريم سير العمل في النقاط الآتية :

- إزالة السقف الأعلى للكعبة المشرفة بتاتاً، ووضع سقف جديد بدلاً منه لتلف أخشابه.
- إزالة السقف الأدنى للكعبة وتجديده؛ لقدم أخشابه وتآكلها.
- عمل ميدة (بكسر الميم) بين السقفين تحيط بجميع جدران الكعبة المشرفة لتقويتها.
- ترميم الجدران الأصلية للكعبة ترميماً جيداً، وبناء جدران جديدة للكعبة من السقف الأدنى إلى السقف الأعلى، ثم إلى ذروة السقف بعد إزالة الجدران القديمة.

- إصلاح الرخام المحيط بجدران الكعبة من باطنها في أرضها وحول جدرانها.
- ترميم الدرج التي في باطن الكعبة المؤدية إلى سطحها وإصلاحها، وتجديد ما يجب تجديده منها.
- يجب مراعاة عدم بروز شيء من أعمال التعمير والإصلاح عن الكعبة المشرفة وجدرانها وأطرافها عما هو موجود آنذاك.
- عدم تذهيب سقف الكعبة المطهرة أو تفضيضه أو تمويهه.
- جميع أعمال الترميم والتعمير يستخدم فيها مواد البناء البلدية الجيدة.
- جميع ما يصرف على بناء الكعبة المشرفة وترميمها يجب أن يكون من الكسب الحلال الطيب[١].

فتح باب الكعبة وإصلاح سقفيها:

وبعد صدور الأمر السامي بالبدء في أعمال عمارة الكعبة المشرفة حسب الصيغة المدونة أعلاه، حضر سادن الكعبة المشرفة، واللجنة المشكلة بالأمر السامي لإصلاح الكعبة المشرفة وعمارتها، وذلك للوقوف على تنفيذ ما تقرر عمله بكل دقة، وتم فتح باب الكعبة ودخلها سادن الكعبة واللجنة، وقاموا بالصلاة فيها ركعتين تضرعًا إلى الله وقاموا بإعادة فحص المواضع التي تحتاج إلى إصلاح وترميم، وقام المهندسون والفنيون بأخذ القياسات الخاصة بالأبواب والأعمدة الثلاثة،

(١) محمد طاهر كردي، التاريخ القويم لمكة المكرمة وبيت الله الحرام، ج ٤، ص ٦٨ . انظر أيضاً: ملحق رقم (٥) الذي كتبه المحقق رشدي ملحس في آخر كتاب الأزرقي: أخبار مكة، جـ٢، ص ٣٣٨-٣٣٩.

وأتموا ذلك في أدب واحترام يليق ببيت الله الحرام، ثم أحضرت الأدوات اللازمة للبناء استعداداً لعمليتي الهدم والتعمير، وقام العمال بوضع ساتر من الخشب حول الكعبة المشرفة؛ حتى لا تعرقل عملية البناء حركة الطائفين حول الكعبة المشرفة، وحتى لا يتعرضوا لأي خطر من جراء أعمال الهدم والبناء التي تتم في أعلى الكعبة.

ولما كان ضحى يوم الجمعة الثامن عشر من شهر رجب ١٣٧٧هـ حضر الأمير فيصل ـ ولي العهد ـ نائباً عن الملك سعود ـ يرحمهما الله ـ ترافقه لجنة العمل بالكعبة المشرفة، كما دعي لحضور هذه المناسبة الإسلامية العظيمة عدد من الممثلين السياسيين في السلك الدبلوماسي الذين يمثلون حكوماتهم العربية والإسلامية، وعدد كبير من الأمراء والوزراء والعلماء، فدخل الأمير فيصل ومعه مجموعة من الحضور، وبعد أن قاموا بالصلاة بالكعبة المشرفة سمى الأمير فيصل باسم الله عز وجل، وصلى على نبيه المختار ﷺ وأعطى عندئذ إشارة البدء بعمارة سقف الكعبة الشريفة.

وفي اليوم التالي التاسع عشر من شهر رجب قام العمال المكلفون بالمهمة برفع أنقاض السقف الأعلى والأعواد والأخشاب التي فيه، وتلاه كشف السقف الأدنى، وقد سار العمل في الوقت المحدد، ومن ثم بدئ في تركيب الميدات على الحيطان الأربعة من كل جانب ميدة واحدة، وتبع ذلك تنظيف الجدران، ووضع أعواد الخشب للسقف الأول وتم وزنها ووضعها بأبعاد متساوية، وقد بلغت أعواد السقف واحداً وعشرين عوداً غليظاً قوياً.

وبعدها تم فرش ألواح الخشب السميكة فوقها وحوائط الإفريز، وتم الانتهاء من ذلك ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر رجب. وفي الليلة نفسها بدئ العمل في بناء جدران الكعبة حتى ارتفاع السقف الثاني، ثم

أخذ العمال في إحضار الأخشاب لتسقيف السقف الثاني بالطريقة نفسها التي تم بها وضع السقف الأدنى، وروعي عمل الانحدار اللازم حتى يسهل نزول المطر من الميزاب بسهولة.

كما تم استبدال المقابض الخشبية التي وضعت على جدار ذروة سطح الكعبة بمقابض حديدية وهي التي تربط بها كسوة الكعبة عند تعليقها على الجدار الخارجي لها[١].

وتلا ذلك وضع طبقة من الأسمنت والنورة على سطح الكعبة بعد وضع المواد العازلة لمنع تسرب مياه الأمطار إلى داخل الكعبة، ثم بدئ في وضع الرخام الأبيض الجيد على السطح، وبلغ عدد رخامات السطح (٢٢٤) مئتين وأربعًا وعشرين رخامة، طول الرخامة الواحدة ٦٦سم × ٥٦ سم، وثمان وخمسون رخامة، طول الرخامة ٧١ × ٦٠سم، ليصبح إجمالي عدد الرخام (٢٨٢) رخامة.

وبعد الانتهاء من تركيب رخام سطح الكعبة المشرفة، تم عمل رباط من الرصاص بين كل رخامة وأخرى من الرخام الذي على سطحها لحفظ السقف من تسرب ماء المطر إلى داخل جوف الكعبة وجدرانها[٢].

إصلاح فتحة باب الدرج المؤدي لسطح الكعبة:

وفي يوم الاثنين الحادي والعشرين من رجب من السنة المذكورة قام المهندسون والعمال بإصلاح فتحة الدرج التي بسطح الكعبة المشرفة، وهذه الفتحة واقعة في الركن الشامي من السطح، أي فوق الدرج الذي

(١) محمد طاهر كردي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الحرام، جـ ٤، ص ٧٠.
(٢) محمد طاهر كردي، المصدر السابق، جـ ٤، ص ٧٦.

بباطن الكعبة تماماً، تبعد عن الجدار الشرقي مسافة متر واحد، وعن الجدار الشامي الذي فيه الميزاب مسافة عشرين سنتيمتراً فقط.

وتم استبدال غطاء سطح الدرج بغطاء من الخشب السميك مكسو بصحائف جديدة مساحته (١٨٥ × ١١٠سم) محاطٍ بإطار من الحديد حتى لا ينزل الماء إلى جوف الكعبة، كما تم إصلاح الدرج الموصل من جوف الكعبة المشرفة إلى سطحها الأول والثاني.

وفي اليوم الثالث من شهر شعبان سنة ١٣٧٧هـ بُدئ في إصلاح الخلل في النورة والجص، وكذلك إصلاح بعض الرخامات المكسورة التي على الجدران، فتم تلييس حيطان الكعبة، وإصلاح عتبة باب الكعبة من داخلها مع الباب، وإصلاح ميزاب الكعبة، وفرش أرضية الكعبة بالرخام مع وضع الرخام على الجدار الداخلي للكعبة بارتفاع مناسب.

وبمناسبة الانتهاء من ترميم الكعبة المشرفة، فقد دعا الملك سعود ابن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ملك المملكة العربية السعودية - يرحمه الله - حضرات السعادة السفراء، ووزراء الشؤون الإسلامية في الدول العربية والإسلامية لحضور الاحتفال بهذه المناسبة الكريمة، والذي أقيم في المسجد الحرام، وقد كان لهم شرف الاشتراك في هذا الاحتفال الكبير باسمهم واسم شعوبهم وحكوماتهم، حيث بدأ الاحتفال في تمام الساعة التاسعة صباحاً من يوم الأحد الثاني عشر من شهر شعبان سنة ١٣٧٧هـ الموافق ٢ مارس من عام ١٩٥٨م، وأسماء من حضر الاحتفال كالآتي:

١ - سعادة سفير الجمهورية الباكستانية الخاجا شهاب الدين.

٢ - سعادة سفير المملكة الأفغانية السردار فيض محمد زكريا.

٣ - سعادة سفير إيران السيد محمود صلاحي.

٤ ـ سعادة سفير الجمهورية اللبنانية السيد حسين الجسر.
٥ ـ سعادة سفير المملكة المغربية السيد محمد غازي.
٦ ـ سعادة سفير الجمهورية الهندية السيد مصطفى كمال كداوي.
٧ ـ سعادة سفير الجمهورية السودانية السيد محجوب مكاوي.
٨ ـ سعادة سفير جمهورية الصين الوطنية الجنرال محمد حسين مايو فاتغ.
٩ ـ سعادة سفير العراق السيد نجيب الربيعي.
١٠ ـ سعادة سفير الجمهورية العربية المتحدة (آنذاك) الدكتور زكي الجابي.
١١ ـ سعادة سفير الجمهورية الليبية السيد علي العابدية.
١٢ ـ سعادة الوزير المفوض للجمهورية الإندونيسية السيد أحمد زبيدي.
١٣ ـ سعادة الوزير المفوض للجمهورية التركية السيد عرفان قره صار.
١٤ ـ سعادة القائم بأعمال المملكة الأردنية الهاشمية السيد ضياء الدين الرفاعي.
١٥ ـ سعادة القائم بأعمال الجمهورية التونسية السيد بشير العاشوراء.
١٦ ـ سعادة القنصل العام الأثيوبي السيد عبد الله مدني.
١٧ ـ سعادة قنصل الملايو السيد أحمد جمال الدين.

كما حضر هذا الحفل الكبير عدد من العلماء والقضاة وحضرات أصحاب السمو الأمراء، وأصحاب المعالي الوزراء والمستشارون، وجمع كبير من أعيان البلاد وشخصيات إسلامية أخرى من شتى بقاع الأرض، وقام الملك سعود بوضع آخر بلاطة في الكسوة الرخامية الداخلية على جدار الكعبة، وكان ذلك إيذاناً بانتهاء العمل في العمارة المباركة للكعبة المشرفة.

وبهذه المناسبة ألقى الملك سعود كلمة قيّمة من جوف الكعبة المشرفة بعد أن صلى فيها ركعتين وابتهل إلى الله تعالى وقام بتعطير داخلها هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن والاه، أما بعد؛ فإننا نحمد الله ـ سبحانه وتعالى ـ على ما أنعم به علينا من عمارة بيته الحرام، هذا البيت الذي جعله الله مثابة للناس وأمنًا، ونسأله القبول والمزيد من فضله والتوفيق، وندعوه بدعوة الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، ونزف هذه البُشرى من موقفنا هذا من جوف الكعبة المطهرة إلى عموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها (بانتهاء العمل في تجديد سقفي الكعبة المشرفة وترميم جدرانها، وعمل الصيانة اللازمة لها). نسأله أن يهدينا ويلهمنا رشدنا ويتقبل منا، وأن يجمع كلمة المسلمين والعرب على ما فيه صالح دينهم ودنياهم إنه سميع مجيب»(١).

وقد استغرق العمل في تجديد سقفي الكعبة وعمل الترميمات اللازمة فيها حوالي الشهرين. وهذا التجديد والترميم يُعد التجديد والترميم الثالث عشر في تاريخ ترميم الكعبة المشرفة منذ عمارتها الأولى(٢).

---

(١) المملكة العربية السعودية: ذكرى عمارة الكعبة المشرفة، عام ١٣٧٧هـ، ص ٨-٩.

(٢) وزارة الإعلام: في خدمة ضيوف الرحمن (الطبعة الأولى، الرياض، دار الموسوعة العربية للنشر، ١٤١٣هـ)، ص ٧٠.

ترميم الكعبة المشرفة في عهد خادم الحرمين الشريفين

أ ـ الترميم الخارجي لجدران الكعبة المشرفة:

انطلاقاً من الرعاية والعناية المتواصلة لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ بالمسجد الحرام والكعبة المشرفة، جاء أمره السامي الكريم في أوائل شهر ذي الحجة من عام ١٤١٤هـ بإصلاح الفواصل الخارجية للتقشرات والفجوات في الحجارة الخارجية للكعبة، وكل ما يحتاجه جدار الكعبة المشرفة الخارجي من الإصلاح والترميم، فجاء التنفيذ من بعد حج ذلك العام مباشرة، وتم ذلك على النحو الآتي:

- تم نخر الفواصل بين الحجارة وتفريغها إلى أبعد حد يحتاجه الإصلاح مما لا يؤثر في عمارة الكعبة المشرفة، ولقد وجد في هذه الفواصل آثار رطوبة تسربت بين الحجارة بفعل العوامل الجوية وغيرها، كما أن دودة الأرض (العثة) اتخذت من هذه الفواصل مرتعاً لها.

- جرى تنظيف الحجارة الخارجية لجدار الكعبة المشرفة وإزالة الطبقة المفتتة منها، ثم غسلها وتجفيف الجدار والفواصل آلياً.

- قامت مؤسسة مجموعة ابن لادن السعودية المنفذة للمشروع بعمل دراسة كاملة لنوعية صخور الكعبة المشرفة ومطابقتها بصخور

مجانسة لها من جبال مكة، ثم صنع من كساراتها عجينة بطريقة علمية كُسيت بها الأسطح الخارجية للحجارة بأسلوب حديث غاية في الدقة والإتقان.

- أما الفواصل التي بين الحجارة، فقد حقنت بمعجون متماسك بطريقة آلية يجعل المعجون يتخلل إلى أدق جزئيات الفراغات الداخلية بحيث لا يبقى أي فراغ، ويعيش ـ بإذن الله ـ أكبر عمر افتراضي ممكن، ثم سوي السطح الخارجي للفواصل بشكل بارز يجعل كل حجر يظهر بشكله وطوله بطريقة فنية عالية الدقة والإتقان[١].

ب ـ الترميم الشامل لداخل الكعبة وتجديد سقفيها:

بأمر من خادم الحرمين الشريفين ـ حفظه الله ـ تم في عام ١٤١٥هـ عمل ترميم شامل لجدران الكعبة المشرفة الداخلية، وذلك بعدما لوحظ تسرب الرطوبة إليها بعوامل مناخية، ووجود دودة الأرض (العثة) بين شقوق الجدران الداخلية كما هو حادث في الجدران الخارجية للكعبة المشرفة حسبما مر بنا.

وعلى إثر ذلك كانت الدراسة والبحث العلمي والفني والهندسي الدقيق في داخل الكعبة بواسطة مهندسين متخصصين في العمارة الإسلامية، للوقوف على الوضع الحقيقي لجدران الكعبة الداخلية. فكانت النتيجة أن تبين وجود الكثير من الحشرات الأرضية والفطريات مستترة بين الفواصل وتحت اللوحات، أما السقف فقد تبين أن به تآكلًا وتلفًا كبيرين؛ فالأعمدة الخشبية والأكسية المكونة من خليط الطين

---

(١) عبيدالله محمد أمين كردي: الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان عمارةً وتاريخاً، ص ١٣٦ - ١٣٩.

والرمل والجير، كلها غزتها الحشرات الدقيقة، والفطريات، وساعدتها الرطوبة على التكاثر والنمو، فأكلت ونخرت كل ما وصلت إليه مستترة تحت القشرة السطحية للمونة، وبذلك أصبح الإصلاح والترميم ضروريًا جداً مع تجديد التالف بما هو أفضل وأقوى، وفي غاية الدقة والإتقان مع تفادي تكرار ما حدث إلى أبعد مدى زمني ممكن بإذن الله تعالى.

وعندما اطلع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز على تقارير اللجان الفنية حول وضع جدران وسقف الكعبة المشرفة أصدر ـ حفظه الله ـ أمره الكريم إلى مجموعة ابن لادن السعودية بعمل الإصلاحات والترميمات والتجديدات اللازمة حالاً. ونظراً لقرب حلول شهر رمضان وموسم الحج لعام ١٤١٦هـ، فقد بدأ العمل في العاشر من شهر محرم سنة ١٤١٧هـ، وذلك بعمل ستار خشبي خارجي يحيط بالكعبة من جميع جوانبها، ولا يظهر منها إلا ما يحتاجه الطائفون من استلام الحجر الأسود وتقبيله[١].

وكانت بداية العمل داخل الكعبة المشرفة بجمع اللوحات التذكارية الملصقة على جدرانها، وحفظها مع مقتنيات الكعبة من الهدايا والتحف وجميع المنقولات، والعناية بها وتنظيفها لإعادتها بعد الانتهاء من الإصلاحات اللازمة.

ومن ثم باشر الفنيون والعمال في العمل بإزالة السقف الخشبي للكعبة، وكذا الأعمدة الخشبية الحاملة له؛ لأنها تمثل الجزء الأكثر تعرضاً للتلف، وتلا ذلك إزالة اللياسة الكاسية لجميع الأوجه الداخلية لحوائط الكعبة المشرفة، وقد لوحظ أن المونة الموجودة بين بعض الحجارة المكونة للجسم الداخلي للحوائط قد فقدت تماسكها، كما أن العوارض

(١) عبيدالله محمد أمين كردي: الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان، ص ١٤٠ - ١٤٤.

الخشبية الموجودة بالحوائط وجد أنها تالفة بفعل حشرات الأرضة والفطريات والرطوبة، مما استدعى الأمر فك الحجارة وترقيمها، ثم إعادة تركيبها بمواد ماسكة وخلطةٍ تتناسب مع الأسلوب الحديث للبناء بدقة وإتقان، وتم القيام بالعمل السابق نفسه في الحائط الخارجي للكعبة المشرفة بوضع قضبان معدنية معالجة ضد التلف إلى أمد بعيد بين الحجارة والمونة. وقد أثبتت الدراسة والفحص للجدران والأساسات سلامتها من أي عيوب إنشائية، وذلك بعد حفر أرض الكعبة من منسوبها الذي هو عليه إلى عمق منسوب المطاف أي إلى عمق (٢,٢) متراً.

وبعد الانتهاء من عمل الترميمات والتجديدات على أرض الكعبة المشرفة والحوائط الداخلية لها، تم الشروع في عمل سقف جديد للكعبة المشرفة، وكانت الدراسات قد أجريت على نوع الخشب الذي يجب إحضاره لأعمدة الكعبة المشرفة وأسقفها وأطوالها وسمكها، وقدرتها على المقاومة لأطول عمر افتراضي ممكن ـ بإذن الله ـ بالاستعانة ـ بعد الله ـ بمراكز الأبحاث الخشبية العالمية التي أوصت باستخدام خشب (الشيك) المعروف بمتانته وطول عمره، ووجوده بأطوال كبيرة، وأنه طارد للأرضة، بشرط أن يكون مأخوذاً من مزارعه الأصلية، وليس مستزرعاً، مع مراعاة تجفيفه بطريقة علمية وحديثة، ومن ثم قامت لجان متخصصة بمعاينة نوعية الأخشاب المطلوبة، ووجدت أن أفضلها في غابات بورما، وبجهود من المسؤولين في الحكومتين، تم جلب تلك الأخشاب إلى المملكة وتجفيفها بطرق علمية حديثة ومعالجتها، وتم تسقيف سقف الكعبة المشرفة بها بعد عمل الأعمدة الثلاثة الحاملة للسقف، وقد تم توزيع أعمدة السقف على مسافات متساوية بحيث تتوزع أحمال السقف بشكل متوازن على جميع الجدران والأعمدة الداخلية الحاملة للسقف، وتلا ذلك وضع طبقة من مواد العزل فوق السقف

الخشبي وفوقها طبقة من مواد البناء الخفيفة، مع تأمين الميول لتصريف مياه الأمطار عن السطح إلى ميزاب الكعبة المشرفة، وتم تغطية السطح بالرخام على كامل مساحته وجوانبه، وسد فراغاته بمونة خاصة، كما تم استبدال ميزاب الكعبة بميزاب جديد بالمقاسات والكتابات نفسها، روعي فيه القوة والمتانة، والمظهر الجميل، وفي الوقت نفسه تم تجديد رخام الشاذروان المحيط بأسفل جدار الكعبة برخام جديد يحاكي ألوان الرخام السابق ونوعيته، مع المحافظة على الرخامات الموجودة تحت ناحية باب الكعبة لجودتها ومتانتها. وكذلك تم استبدال رخام حجر إسماعيل عليه السلام، وأنشئت إلى جانب الحجر الأسود مصطبة ذات تكييف سفلي مرتفعة من أجل أن يقف عليها جندي الحراسة لتنظيم عملية تقبيل الطائفين للحجر الأسود. وقد تم الانتهاء من ذلك بتوفيق من الله، ثم بدعم خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين في شهر شعبان من عام ١٤١٨هـ(١).

. باب الكعبة في عهد آل سعود :

في عام ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٢م رأى الملك عبد العزيز أن باب الكعبة المشرفة آخذ في التآكل والتلف بسبب تقادم الزمن عليه، ويحتاج إلى استبداله بباب جديد، فأمر بصنع باب جديد للكعبة، وصنع الباب الجديد بمصراعين من الألمونيوم القوي بسمك ٢,٥سم، وبارتفاع ٣,١ متر، وتم دعم الباب بقضيبين من الحديد في وسطه، كما جرى تغليف الوجه الخارجي للباب بصفائح من الفضة المطلية بالذهب، وتم صنعه في مصنع شيخ الصاغة بمكة المكرمة الشيخ محمود يوسف بدر، كما

(١) للمزيد من المعلومات والتفصيلات يرجع إلى المصدر: عبيدالله محمد أمين كردي، الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان، ص ١٤٠-١٥٦.

صفح الباب بثلاث عشرة لوحة ذات شكل بيضاوي مكتوب في وسطها أسماء الله الحسنى، وقد صنعت من الفضة المطلية بالذهب، واستغرق العمل في هذا الباب ثلاثة أعوام[١]. وتم تركيبه في ١٥ ذي القعدة ١٣٦٦هـ، واستمر حتى سنة ١٣٩٨هـ مع عمل الصيانة اللازمة عليه كلما تطلب الأمر ذلك.

وفي جمادى الأولى من سنة ١٣٩٨هـ، الموافق أبريل عام ١٩٧٨م، وبينما كان الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود ـ يرحمه الله ـ يؤدي الصلاة داخل الكعبة المشرفة رأى أن بابها قد اعتراه الخلل من جراء تآكل الجزء المتصل بإطاره الخارجي، مما أصبح من الصعب فتحه وإغلاقه بسهولة.

وكان هذا الباب قد مضى على صنعه حوالي خمس وثلاثين سنة (١٣٦٣-١٣٩٨هـ)، فأمر الملك خالد بصناعة باب جديد، بمواصفات متطورة لوضعه مكان الباب الأول، وقد بوشر في وضع الدراسات والتصميمات الفنية للباب الجديد، وقام بتصميمها مهندسون مختصون في الزخارف الإسلامية، وبعد أن تمت الموافقة الكريمة على التصميمات النهائية أنشئت ورشة خاصة، يشرف عليها شيخ الصاغة في مكة وعدد من الفنيين المهرة.

وتضمنت التصميمات النهائية تحقيق الانسجام بين ستارة الكعبة المشرفة وبابها، واعتماد خط (الثلث) في كتابة الآيات الكريمة وأسماء الله الحسنى، مع تنفيذ أعمال الزخرفة حفراً ونقشًا بالذهب مع وضع نسبة قليلة من الفضة[٢].

---

(١) مؤسسة عكاظ ومجموعة ابن لادن السعودية: توسعة الحرمين الشريفين ـ رؤية حضارية، ص ٢٠، وحامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٢٠.

(٢) مؤسسة عكاظ، ومجموعة ابن لادن السعودية: توسعة الحرمين الشريفين ـ رؤية حضارية، ص ٩١.

وبعد إكمال التجارب الأولية، بوشر في التنفيذ الفعلي لصنع الباب، وتولت مؤسسة النقد العربي السعودي تأمين كميات الذهب اللازمة التي بلغت (٢٨٠ كيلوجراماً) من عيار ٩٩٩٪، وبلغت تكلفته ١٣,٤٢٠,٠٠٠ ريالاً، كما صنع باب داخلي للسلم المؤدي للسطح الخارجي يحمل الزخرفة والخطوط والنقوش نفسها التي على الباب الخارجي للكعبة، ويبلغ عرضه ٧٠سم وطوله ١٣٠سم، وصنع من الخشب وبسمك أقل من باب الكعبة، ثم تمت كسوته بصحائف من الحديد المحلاة بمسامير وشرائح مصنوعة من الفضة والذهب[(١)].

وكذلك صنع قفل جديد لباب الكعبة المشرفة، حيث إن القفل القديم يعود عهده إلى عهد السلطان العثماني عبدالحميد الثاني، وتم الانتهاء من صنع البابين الداخلي والخارجي للكعبة المشرفة في غرة ذي الحجة سنة ١٣٩٨هـ، وهذا يدل على اهتمام الحكام من آل سعود بأمور الحرمين الشريفين وعمارتهما، والعناية بهما.

ـ إطار الحجر الأسود:

أما عن إطار الحجر الأسود فيقال: إن أول من قام بعمل إطار للحجر الأسود هو عبدالله بن الزبير رضي الله عنه، ثم الخليفة العباسي هارون الرشيد.

أما في العهد السعودي فقد جدد الإطار الفضي المحيط بالحجر الأسود مرتين كان آخرها عام ١٣٩٩هـ، وقد بلغت كمية الفضة المصنوع منها الإطار خمسين كيلو جرامًا، وصنع في مكة وبأيد سعودية[(٢)].

---

(١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٨٦-٩١.

(٢) فايز بدر: وقفة أمام الكعبة، (الطبعة الأولى، الرياض، مطابع سفير، ب ت)، ص ١٧٤.

تجديد مقام إبراهيم عليه السلام وتوسعة المطاف:

مقام إبراهيم ـ عليه السلام ـ هو الحجر المعروف في المسجد الحرام الذي كان يعتلي عليه إبراهيم ـ عليه السلام ـ عند بناء الكعبة المشرفة، كما ورد في الأحاديث والآثار، وهو أثر إسلامي عظيم[(١)]. قال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[(٢)].

كان المطاف يضيق بأعداد الطائفين في مواسم الحج وغيره من المواسم الدينية، الأمر الذي أدى إلى التفكير في إيجاد حل لإزالة المباني المقامة قرب الكعبة المشرفة مثل المبنى المقام فوق بئر زمزم، والمنبر المقام بجانب مقام إبراهيم عليه السلام[(٣)].

وقد تم إزالة مبنى بئر زمزم وجعلت البئر أسفل صحن المطاف بحيث ينزل الحجاج إليها بدرج يصل إلى فوهة البئر وتوجد بجانب البئر أماكن للشرب مركب عليها عدد من الصنابير ومنها يشرب الناس ماء زمزم بارداً، وتم فصل الرجال عن النساء، فخصصت مداخل وأماكن للرجال وأخرى للنساء[(٤)]. كما تم بعد ذلك إزالة المبنى المقام حول مقام إبراهيم عليه السلام، وقد جاء ذلك بناءً على اقتراح من المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي الذي اقترح إزالة الزوائد التي تعيق الطائفين والقائمين والركع السجود، وذلك عندما رفعت مذكرة إلى الملك فيصل ـ يرحمه الله ـ بتاريخ ٢٧/ ١٢/ ١٣٨٤هـ بتوقيع عدد من

---

(١) رابطة العالم الإسلامي: بيان حول مقام إبراهيم عليه السلام (الطبعة الأولى، مكة، مكة للطباعة والنشر)، ص ٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

(٣) وزارة الإعلام في خدمة ضيوف الرحمن، ص ٧٦.

(٤) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، ج٣، ص٨٠.

العلماء الذين يضمهم مجلس الرابطة، وجاء في المذكرة ما يأتي : «نظراً لما يسببه مقام إبراهيم من عرقلة لحركة الطائفين وما يحدث من ازدحام شديد عنده، فإن أعضاء المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي يرون ما يأتي :

١ ـ إزالة جميع الزوائد التي فوق مقام إبراهيم عليه السلام كالهيكل القائم عليه، والعقد المسمى «باب بني شيبة»؛ لأن معظم الزحام في المطاف إنما نشأ عن وجود هذه الزوائد التي لا ضرورة لبقائها .

٢ ـ أن يجعل على المقام صندوق من البللور السميك القوي، ويكون مدوراً، وبارتفاع مناسب لا يعيق حركة الطائفين، وبذلك تحصل التوسعة لهذا الجزء من المطاف، ويزول الزحام من المنطقة الواقعة بين مقام إبراهيم عليه السلام والكعبة المشرفة» .

ومن هنا ينتفي اعتقاد بعض العوام بأن قبراً لإبراهيم ـ عليه السلام ـ في هذا الموضع عندما يتسنى لهم رؤية مقام إبراهيم عليه السلام على الواقع . وقد أقر الملك فيصل ما قرره العلماء في المجلس التأسيسي للرابطة، وأمر بتنفيذه على الفور، وتم عمل ذلك على أحسن وجه[١] .

وقد صنف الأستاذ عبدالرحمن المعلمي رسالة في مقام إبراهيم حول جواز تأخير المقام عن موضعه عند الحاجة؛ لتوسعة المطاف؟ وتحمل هذه الرسالة الأدلة القاطعة على جواز ذلك مما حسم أي خلاف حول هذا الموضوع[٢] .

---

(١) رابطة العالم الإسلامي : بيان حول مقام إبراهيم عليه السلام، ص ٧-٨ .

(٢) عبدالرحمن بن يحيى المعلمي : مقام إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام (الطبعة الأولى، ١٣٧٨هـ) ص ١٣ ، وزارة الإعلام : عمارة المساجد الأنموذج السعودي لبناء بيوت الله، ص ٤٩ .

وصف المقام الجديد ومقاساته:

مساحة مقصورة المقام قبل التوسعة ٣ × ٦ = ١٨ متراً مربعًا.

مساحة المقام بعد التوسعة ١٨٠ × ١٣٠ سم = ٢,٣٤٥ متراً مربعاً تقريباً.

وقد بلغ قطر الغطاء الزجاجي (٨٠سم)، وسمكه (٢٠سم)، وارتفاعه (١٢٥سم)، ووزنه (١٧٠٠كج)، منها (٦٠٠ كج) وزن القاعدة النحاسية والباقي وزن الغطاء الزجاجي، ووضع في أعلاه حلية من النحاس تشبه الكرة عليها هلال، أما القاعدة الرخامية فإنها صنعت من أجود أنواع الرخام المحلي بارتفاع (٧٥سم).

وبذلك تصبح التوسعة التي أضيفت للمطاف حوالي ١٥,٦٦ متراً مربعاً، مما سهل حركة الطائفين، ويسرت الرؤية الجيدة للطائفين حول الكعبة، كما يسرت لهم رؤية مقام إبراهيم ـ عليه السلام ـ بوضوح داخل القفص البلّوري(١). وقد أقيم احتفال عظيم بمناسبة إزاحة الستارة عن الغطاء في يوم السبت ١٨ من شهر رجب سنة ١٣٨٧هـ الموافق ٢١ أكتوبر عام ١٩٦٧م على شرف الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ـ رحمه الله ـ حضره جمع غفير من العلماء والوزراء وشخصيات إسلامية بارزة، وعدد من أعضاء السلك الدبلوماسي المعتمدين لدى المملكة لتمثيل بلدانهم، وأعضاء المجلس التأسيسي للرابطة آنذاك، وكان هذا العمل إضافة عظيمة أضيفت إلى مشروعات الخير والعطاء التي تقوم بها حكومة المملكة العربية السعودية باستمرار لخدمة الحرمين الشريفين لراحة ضيوف الله من الطائفين والمعتمرين وحجاج بيته الحرام وسلامتهم وأمنهم(٢).

---

(١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ١٤٩-١٥١.

(٢) وزارة الإعلام السعودية: عمارة المساجد الأنموذج السعودي لبناء بيوت الله، ص ٥٠.
وعبيدالله محمد أمين كردي: الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان، ص ١٨٢ - ١٨٣.

وقد سلم الملك فيصل بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ مفتاح الغطاء البللوري لمقام إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى آل الشيبي ـ سدنة بيت الله الحرام ـ لفتحه عند الحاجة(١).

وفي أوائل عام ١٤١٨هـ أصدر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبدالعزيز أمره السامي الكريم بعمل تصميم مناسب لمقصورة مقام إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ تكون بشكل أفضل مما كانت عليه، مع عدم تغيير موقع المقام أو المقصورة مما هي عليه.

وعلى إثر ذلك تم عمل تصميم مناسب تم من خلاله التغيير فقط للهيكل المعدني والقبة والهلال التي على القفص، مع تغيير لون رخام القاعدة الخرسانية التي تحمل المقام والقفص البللوري، وتم إنجاز هذا العمل على النحو الآتي:

جرى تغيير الهيكل المعدني النحاسي المطلي بالذهب المركب على مقام إبراهيم ـ عليه السلام ـ بهيكل نحاسي جديد ذي جودة عالية ونحاس فاخر، كما تم طلاء شبكه الداخلي بالذهب الجيد، ومن الخارج زجاج مقاس عشرة ملليمتر ليعطي رؤية واضحة لشكل المقام وموقع القدمين الكريمتين، ومن النوع المقاوم للحرارة والكسر وتقلبات الطقس.

كما تم تغيير الكسوة الرخامية للقاعدة الخرسانية التي عليها القفص البللوري والمقام من رخام الجرانيت الأسود المصنوع من رخام وادي فاطمة إلى رخام كرارة أبيض صافٍ ومحلًّى برخام جرانيت أخضر، ليلائم شكل المقام ولونه، وليصبح بشكل انسيابي، بعد أن كان ذا شكل مضلع، وليتناسب مع رخام المطاف الناصع البياض، وتم الانتهاء من

---

(١) رابطة العالم الإسلامي: مقام إبراهيم عليه السلام، ص ١٦-١٧، ٢٣.

هذا العمل في مساء يوم الأربعاء ٢١/ ١٠/ ١٤١٨هـ[(١)]، جعل الله ذلك في موازين خادم الحرمين الشريفين وحكومته الرشيدة. وقد سهل هذا التصميم الجديد حركة الطائفين حول الكعبة المشرفة، وقلل من التزاحم عند مقصورة مقام إبراهيم عليه السلام، وجعل حركة الطائفين في انسياب مستمر دون وجود أي عوائق، واتسعت مع ذلك منطقة المطاف حتى وصلت في أوقات الذروة إلى الأروقة الشمالية والجنوبية وحاجز قبو زمزم، بل إننا نشاهد أن بعض الطائفين يطوفون في الدور الأول والأسطح وخاصة في أيام الحج بعد النزول من عرفة.

تاريخ كسوة الكعبة المشرفة، وتطور صناعتها:

أول من كسا الكعبة المشرفة في العصر الإسلامي هو النبي ﷺ، فلقد كساها بالثياب اليمنية بعد فتح مكة عام ٨هـ، ثم كساها أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ بالثياب البيضاء (القباطي)، وجاء عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فكساها بالقباطي من بيت المال، وكذلك فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث كساها بالقباطي والبرود اليمانية[(٢)].

وفي عصر بني أمية اهتم خلفاؤهم بكسوة الكعبة المشرفة اهتماماً بالغاً؛ فكسا معاوية بن أبي سفيان الكعبة كسوتين في العام، كما أجرى معاوية الطيب لتطييب الكعبة المشرفة، وعندما انتهى عبدالله بن الزبير من بناء الكعبة المشرفة عام ٦٤هـ كساها بالقباطي والديباج الخسرواني،

---

(١) عبيدالله محمد أمين كردي: الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان عمارة وتاريخاً، ص ١٨٤.

(٢) الأزرقي: أخبار مكة، جـ١، ص ٢٥٢ - ٢٥٣، والفاسي: شفاء الغرام، جـ١، ص ١٢٠ - ١٢١.

وكذلك فعل الحجاج بن يوسف الثقفي بأمر الخليفة عبدالملك بن مروان طوال حكمه.

وفي عام ٩١هـ قدم الخليفة الوليد بن عبدالملك إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وأحضر معه كسوة للكعبة مصنوعة من الديباج، وقد استمر خلفاء بني أمية في كسوة الكعبة حتى نهاية العصر الأموي(١).

وكذلك اهتم الخلفاء من بني العباس بكسوة الكعبة اهتماماً كبيراً، وكانت تصنع من أجود أنواع الحرير، وكانت تكسى في بعض السنوات ثلاث مرات في السنة، كما أن الخلفاء من بني العباس كانوا يصنعون كسوة الكعبة من الديباج الأحمر والقماش الأبيض القباطي، والديباج الأبيض والحرير الفاخر وخاصة في أيام قوة الدولة العباسية وقوة خلفائها.

وبعد ذلك تنافس السلاطين في الدولة الإسلامية ممن يتبع لهم ولاء الحجاز في إرسال كسوة الكعبة كل عام، وذلك خلال العصر المملوكي، ثم العصر العثماني، وكانت تصنع من الحرير والديباج(٢).

وعندما تم ضم الحجاز للدولة السعودية الأولى في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود قام بكسوة الكعبة المصنوعة من الديباج الأسود والحرير الطبيعي المزين بالقصب الذهبي والفضي، وذلك منذ عام ١٢٢١ حتى عام ١٢٢٧هـ(٣).

(١) حسين باسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة، ص ٢٥٥.

(٢) سيد محمد الدقن: كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، (الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠٦هـ) ص ٣١ - ٤١.

(٣) أحمد عبدالغفور عطار: الكعبة والكسوة، ص ١٦٢.

وبعد عودة الحجاز للحكم العثماني استمر إرسال الكسوة إلى مكة المكرمة سنوياً حتى استطاع الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ ضم الحجاز ضمن وحدة المملكة، فأمر ابنه الأمير فيصل النائب العام في الحجاز في عام ١٣٤٥هـ بصنع كسوة للكعبة المشرفة على وجه السرعة، فصنعت من الجوخ الأسود الفاخر، وعمل لها حزام مطرز بالقصب، وكتب على الحزام بعض الآيات القرآنية بالقصب المذهب، وقامت إدارة الشؤون المالية برئاسة الشيخ عبدالله السليمان بتوفير المبالغ المالية اللازمة لذلك، وكسيت بها الكعبة المشرفة في موعدها المحدد في اليوم العاشر من ذي الحجة سنة ١٣٤٥هـ.

وفي محرم سنة ١٣٤٦هـ أصدر الملك عبدالعزيز أمره السامي بإنشاء دار خاصة لصناعة الكسوة، فتم إنشاء هذه الدار بمحلة أجياد أمام دار المالية بمكة المكرمة، على مساحة من الأرض تبلغ نحو (١٥٠٠) متر مربع، وقد تم إنجاز المبنى في نحو ستة أشهر، وتعد هذه الدار أول دار تؤسس لصنع كسوة الكعبة المشرفة في مكة المكرمة، وبجوار الحرم المكي الشريف. وهذا يدل على اهتمام الملك عبدالعزيز بالحرمين الشريفين، وإبعاد مسألة صنع كسوة الكعبة عن التيارات السياسية، أو الاستجداء من الآخرين.

وفي الوقت نفسه تم توفير الآلات والمواد اللازمة لصنع الكسوة من حرير وأصباغ وقصب، والأنوال التي ينسج عليها القماش، كما تم تأمين الفنيين العاملين في هذه الصناعة، وقد بذل الأمير فيصل جهوداً عظيمة في توفير هذه الاحتياجات، وبجودة عالية جداً.

وفي أول رجب من عام ١٣٤٦هـ وصل من الهند إلى مكة المكرمة اثنا عشر نولاً يدوياً، وأصناف فاخرة من الحرير والأصباغ، والعمال من الفنيين اللازمين لذلك، وكان عددهم ستين عاملاً، وتم حالاً نصب

الأنوال، وسار العمل بجد حتى تم صنع كسوة الكعبة لأول مرة في مكة المكرمة في شهر ذي القعدة عام ١٣٤٦هـ.

وقد كسيت الكعبة المشرفة في حج عام ١٣٤٦هـ بهذه الكسوة، فكانت مصدر فخر واعتزاز للحكومة السعودية وقادتها، نالوا عليها الأجر والثواب من الله، والدعاء من كافة المسلمين، وكانت على أحسن صورة من إتقان الحياكة وجمال التطريز، مما جعلها تنافس ما كان يصنع من كسوة قبل العهد السعودي، وذلك لما بذله الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ من مال وجهد لإخراج كسوة الكعبة بالمظهر اللائق ببيت الله الحرام.

واستمر مصنع كسوة الكعبة المشرفة في مكة المكرمة يتطور عاماً بعد آخر، ويقدم له الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ كل دعم مادي ومعنوي. وفي سنة ١٣٥٢هـ كانت كسوة الكعبة المشرفة مصنوعة بأيد سعودية[(١)]. وقد استمر ذلك أعوامًا عدة، ثم أصبحت مصر منذ سنة ١٣٥٨هـ ترسل كسورة الكعبة المشرفة سنوياً يصرف عليها من ريع أوقاف الحرمين الشريفين بمصر، وفي عام ١٣٨٢هـ تم إعادة تشغيل مصنع كسوة الكعبة المشرفة بمكة المكرمة، وقد استمر هذا المصنع في صنع كسوة الكعبة حتى تقرر إنشاء مصنع جديد لكسوة الكعبة.

ففي عام ١٣٩٢هـ أمر الملك فيصل ـ رحمه الله ـ بإنشاء مصنع جديد لكسوة الكعبة وعلى أحدث طراز، وحدد موقعه في منطقة (أم الجود) على الطريق القديم بين مكة وجدة، وقد زود هذا المصنع بأحدث الآلات الخاصة بالنسيج الآلي، بالإضافة إلى الأنوال اليدوية،

---

(١) سيد محمد الدقن: كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، ص ٢٠٥ - ٢٠٩، و أحمد عبدالغفور عطار: الكعبة والكسوة، ص ١٩٧.

ودواليب لف الغزل على البكر، وقد تم افتتاحه في يوم السبت ٧ ربيع الآخر عام ١٣٩٧هـ الموافق ٢٦ مارس من عام ١٩٧٧م، في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز رحمه الله(١).

وقد تم تفويض وزارة الحج والأوقاف بالإشراف على إنشاء المصنع وتشغيله، وتأمين ما يحتاجه من مواد خام من حرير وقصب ونحوه، وكذلك تأمين أفضل الفنيين المهرة في هذه الصناعة، وقد رعى الأمير فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ ولي العهد آنذاك حفل افتتاح هذا المصنع(٢).

وقد تواصلت جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ نحو الاهتمام بصناعة كسوة الكعبة المشرفة، وتطوير مصنعها وتجهيزه بأحدث الآلات والمعدات والمواد من أقمشة وأصباغ وعمالة فنية عالية التدريب. وبفضل من الله ثم بفضل جهود خادم الحرمين الشريفين ـ حفظه الله ـ المتواصلة في تحقيق الشكل الأمثل من حيث جودة المادة الخام، وجودة الصناعة التي لا تضاهيها أي صناعة للكسوة من قبل، فقد أصبحت كسوة الكعبة المشرفة تصنع بأيد سعودية في مكة المكرمة، ويتم صنع أكثر من كسوة في العام الواحد، لتكون جاهزة لوضعها على الكعبة المشرفة في أي وقت من العام. وقد بذلت الدولة عليها بسخاء عظيم، وجاءت الكسوة الجديدة في أبهى صورة لها من حيث جودة الحرير ونقاء خيوط القصب المستعملة في صنع الكسوة، مما جعلها تبقى طوال العام وكأنها جديدة تسر الناظرين إليها، وتعبر عن اهتمام حكومة خادم الحرمين الشريفين

(١) سيد محمد الدقن: المصدر السابق، ص ٢١١-٢١٢.

(٢) يوسف علي عبدالرحيم: كسوة الكعبة بين الماضي والحاضر (مجلة عمار، العدد الثاني والعشرون، أبريل ١٩٨٨م)، ص ٦٧.

وولي عهده الأمين بالكعبة بصورة خاصة، والحرمين الشريفين ومكة المكرمة والمدينة المنورة بصورة عامة.

ستارة باب الكعبة :

لقد كانت كسوة الكعبة المشرفة تشمل كسوة خاصة بباب الكعبة عرفت بستار باب الكعبة. وقد تم صنع هذه الكسوة الخاصة بستار باب الكعبة جنباً إلى جنب مع صنع كسوة الكعبة المشرفة، وجاء صنعها في حلة جميلة تليق بأحب بقعة إلى الله وإلى رسوله ﷺ، وإلى كافة قلوب المسلمين التواقة إلى رؤية بيت الله الحرام. وكان أول مرة صنع فيها ستار على باب الكعبة في عام ٨١٠هـ. وفي العهد السعودي أصبحت هذه الستارة تصنع مع كسوة الكعبة من الحرير الأسود النقي من نسيج كسوة الكعبة نفسه، وتتميز هذه الستارة بالآيات القرآنية الكريمة المكتوبة بخيوط الفضة المطلية بالذهب بخط الثلث الرائع، وهي بارزة عن ستارة الكعبة، وارتفاع الستارة سبعة أمتار، وعرضها ٣,٥ متر، وتجمع من أربع قطع يتم وصلها وجمعها رأسياً.

حزام كسوة الكعبة المشرفة :

ويتكون حزام الكعبة من قطعة فنية باهرة شديدة الدقة تحيط بالكعبة المشرفة كالمعصم، ويقع الحزام في بداية الثلث الأعلى من الثوب بعرض (٩٥ سم) وبخط مستقيم، وتكتب عليه آيات قرآنية كريمة بخط الثلث البارز بخيوط من الفضة المطلية بالذهب بخط أحسن الخطاطين المعروفين في مكة المكرمة، وفي نهاية الحزام يكتب تاريخ صنعها، وأنها صنعت في مكة المكرمة، واسم الملك الذي صنعت في عهده في العهد السعودي الزاهر، ويبلغ طول حزام الكعبة المشرفة (٤٧) متراً، ويتألف من (١٦) قطعة، في كل جانب أربع قطع يتم وصلها مع بعضها

قبل تركيب الحزام في الكسوة، وتحت الحزام توجد في كل جانب من جوانب كسوة الكعبة المشرفة الأربعة قطعتان مستطيلتان، وثلاث قطع صغيرة تشبه القناديل، ما عدا جهة باب الكعبة المشرفة ففيه قطعة واحدة فقط في الجانب الأيمن العلوي لستارة باب الكعبة، وتسمى هذه القطعة (الإهداء)، فيصبح عدد القطع المستطيلة التي تحت حزام الكعبة سبع قطع واثني عشر قنديلاً، وفي كل ركن من أركان كسوة الكعبة توجد قطع مربعة تسمى (الصمدية) كتب عليها سورة الإخلاص، وأما القطع التي تحت الحزام فمكتوب عليها آيات قرآنية كريمة مثلها مثل الحزام العلوي. ويبلغ ما يحتاجه حزام الكعبة في كل جانب أربع قطع، وستارة بابها من خيوط الفضة المطلية بالذهب يقدر وزنه بحوالي (١٢٠) كيلًا[١].

---

(١) أحمد عطار: الكعبة والكسوة، ص ١٩٦ - ١٩٨، و يوسف علي عبدالرحيم: كسوة الكعبة بين الماضي والحاضر (مجلة عمار، العدد الثاني والعشرون، أبريل ١٩٩٨م)، ص ٦٧، وأحمد العباسي: عمدة الأخبار، (الطبعة الخامسة، القاهرة، ب ت)، ص ١١٨-١١٩.

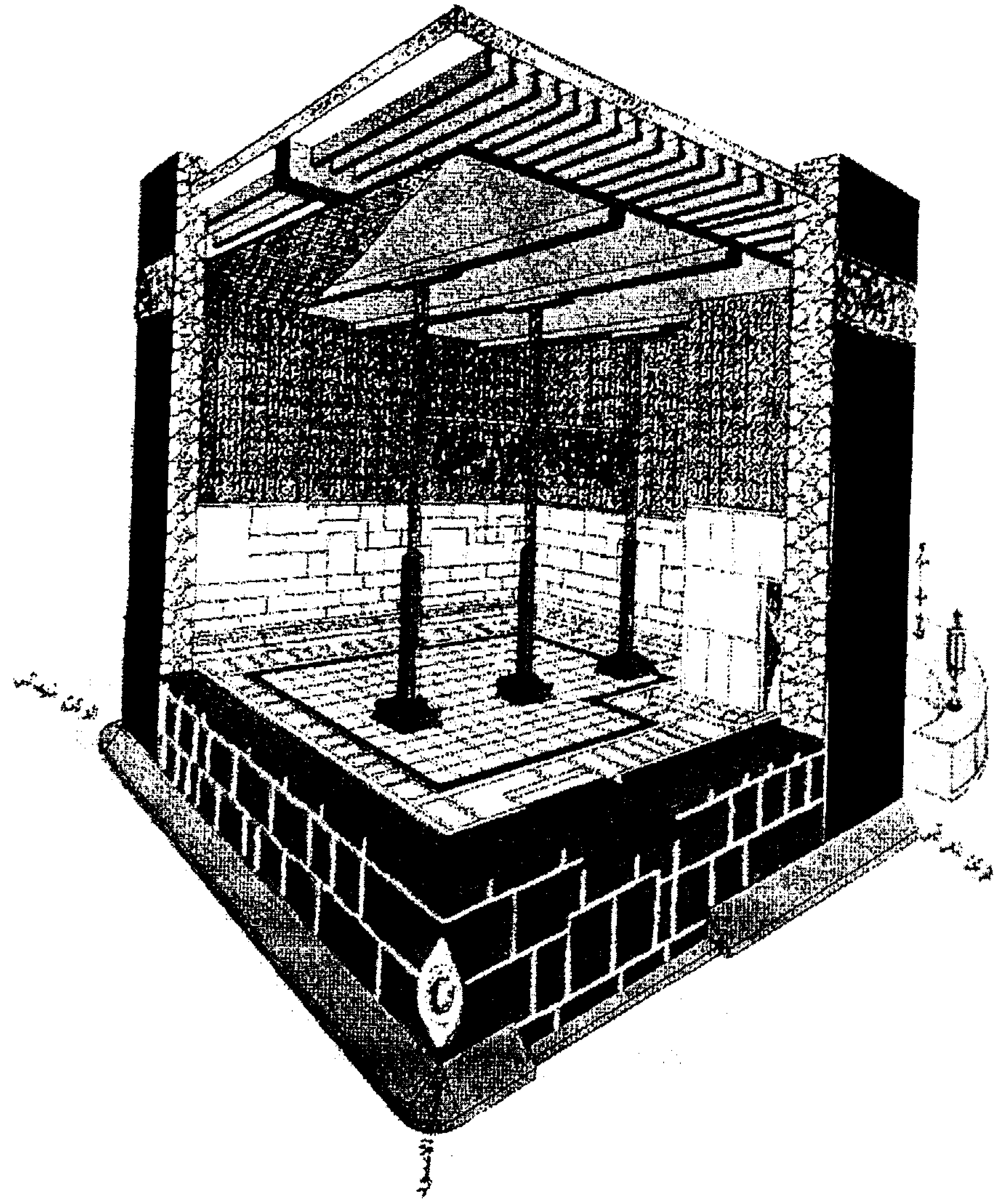

مخطط تفصيلي لداخل الكعبة المشرفة

المسجد النبوي الشريف

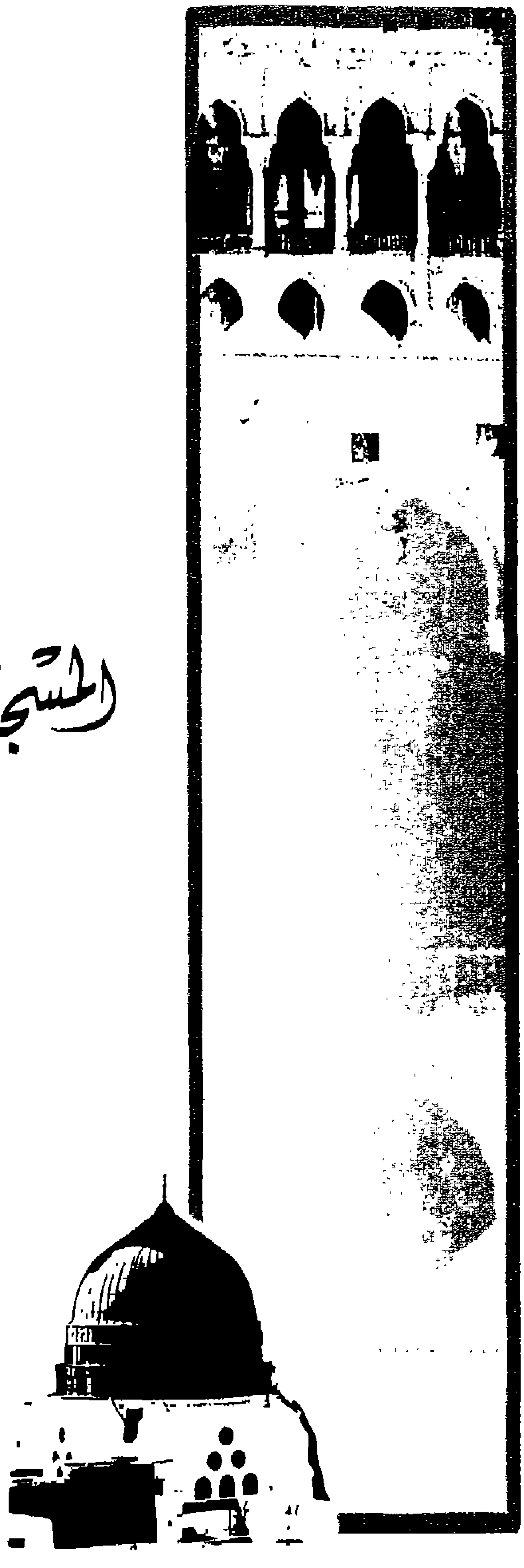

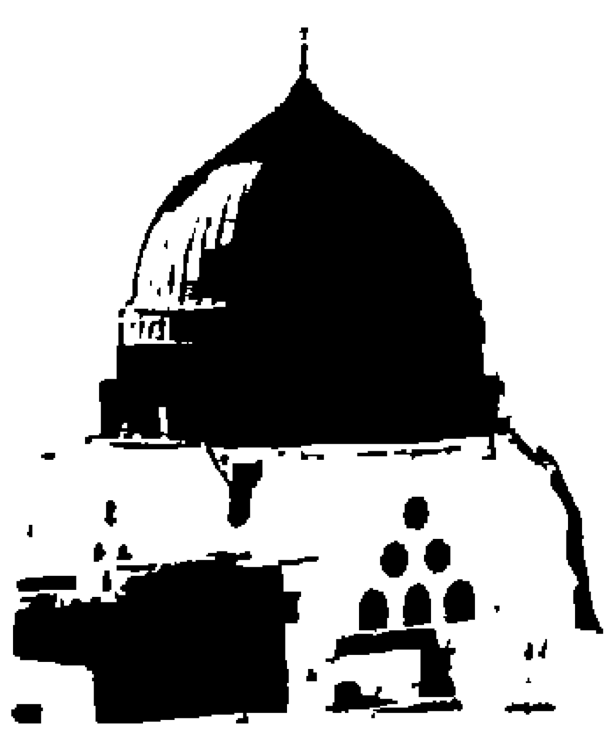

التمهيد

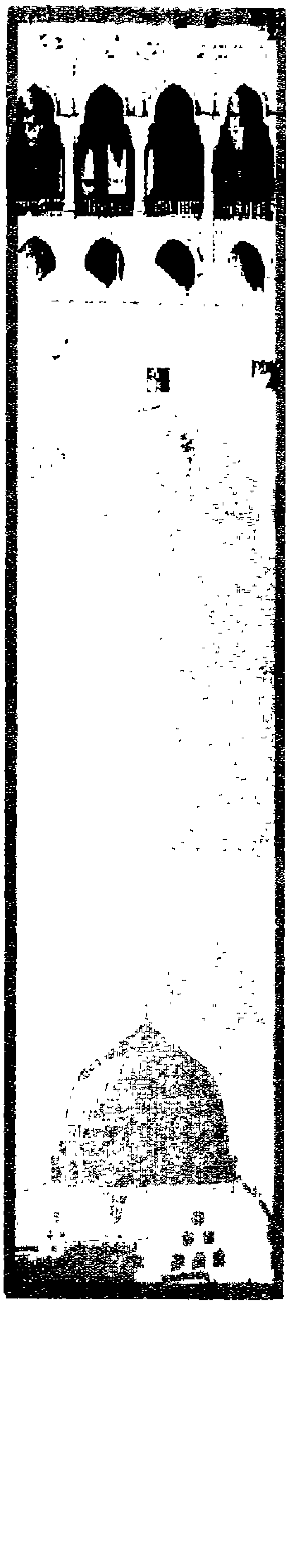

تأسيس المسجد النبوي الشريف وتطور عمارته حتى عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م)

- تأسيس المسجد النبوي الشريف على يد رسول الله ﷺ.
- التوسعة الأولى للمسجد النبوي على يد رسول الله ﷺ عام ٧ هـ/٦٢٨م.
- توسعة المسجد النبوي وعمارته في عهد الخلفاء الراشدين ١٢ ـ ٤١ هـ.
- توسعة المسجد النبوي وعمارته في العصر الأموي ٤١ ـ ١٣٢ هـ.
- توسعة المسجد النبوي وعمارته في العصر العباسي ١٣٢ ـ ٦٥٦ هـ.
- توسعة المسجد النبوي وعمارته في العصر المملوكي ٦٥٦ ـ ٩٣٢هـ.
- توسعة المسجد النبوي وعمارته في العصر العثماني ٩٢٣ ـ ١٣١٦هـ.

تأسيس المسجد النبوي الشريف
وتطور عمارته حتى عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م)

تقع المدينة المنورة بين خط الطول (٤٩,٣٦,٣٥) درجة، وخط العرض (٢٤,٢٨,٠٥) درجة[١] على هضبة عالية بارتفاع حوالي ٦٢٥ متراً عن سطح البحر، ويحيط بها حرتان الحرة الشرقية والحرة الغربية وتخترقها ثلاثة أودية أشهرها وادي العقيق، وتبعد على مكة المكرمة حوالي (٤٥٠) كيلو متراً، وهي إلى الشمال من مكة المكرمة[٢]، ويحدها من الشمال جبل أحد، ومن الشمال الغربي جبل سلع، ومن الجنوب الغربي جبل عير، وتكون هذه الجبال حداً فاصلاً بين ساحل تهامة والجزء الداخلي[٣].

وقد ورد في فضلها أحاديث عدة؛ فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ دعا لأهل المدينة بالبركة في صاعهم ومدهم فقال: «اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم ومدهم»[٤]. وعن

---

(١) الجمعية الجغرافية السعودية: دليل المواقع الجغرافية بالمملكة العربية السعودية، موقع المدينة المنورة.

(٢) وزارة الإعلام السعودية: دليل الحاج (الطبعة الأولى، جدة، دار عكاظ، ١٤١٣هـ) ص ٣٥.

(٣) صالح لمعي مصطفى: المدينة المنورة (الطبعة الأولى، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١م) ص ٩.

(٤) رواه البخاري: ٦/ ٨٣ حديث رقم ٢٨٨٩.

عبدالله بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، وحرمتُ المدينة كما حرّم إبراهيم مكة، ودعوتُ لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة»[١]. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدّنا وصححها لنا وانقل حُمَّاها إلى الجحفة[٢]»[٣]. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»[٤].

وفي المسجد النبوي الشريف الروضة الشريفة التي ورد فيها عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»[٥].

---

(١) رواه البخاري: ٤/٣٤٦ حديث رقم ٢١٢٩، وصحيح مسلم: حديث رقم ١٣٦٠.

(٢) الجحفة: موضع بين مكة والمدينة، وهي ميقات أهل الشام، وتبعد عن المدينة المنورة (٢٢) كيلاً، وتقع في الجنوب الشرقي من مدينة ينبع. انظر: عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ٢/١٢٢-١٢٦، وصالح حامد الرفاعي: الأحاديث الواردة في فضل المدينة (الطبعة الثانية، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص ١٧٦.

(٣) صحيح البخاري: ٤/٩٩ حديث رقم ١٨٨٨، و ٧/٢٦٢ حديث رقم ٣٩٢٦.

(٤) صحيح البخاري: ٣/٦٣ حديث رقم ١١٩٠، وصحيح مسلم: حديث رقم ١٣٩٤، وموطأ الإمام مالك: ١/١٩٦.

(٥) مسند البزار: ١/١٤٤ حديث رقم ٧٣، ومسند أبي بكر الصديق: حديث رقم ١١٨، وصالح الرفاعي: الأحاديث الواردة في فضل المدينة المنورة، ص ٤٨٢ وغيرها في كامل الكتاب.

تأسيس المسجد النبوي الشريف

في المدينة المنورة يوجد مسجد رسول الله ﷺ الذي بناه بيده عندما هاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة في ربيع الأول للعام الأول للهجرة الموافق ٦٢٢م، وذلك أنه ﷺ عندما وصل إلى المدينة المنورة مهاجراً من مكة تزاحم حول ناقته المؤمنون ممن دخلوا في دين الإسلام يريد كل واحد منهم أن يأخذ بخطامها ليستضيف رسول الله ﷺ راجياً منه أن ينزل عنده، لكن رسول الله ﷺ كان يجيبهم قائلاً: «خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة»، حتى وصلت إلى مربد لتجفيف التمر يملكه سهل وسهيل ولدا رافع بن عمرو بن ثعلبة بن النجار، وكانا يتيمين في حجر أسعد بن زرارة الأنصاري، فما أن بركت الناقة في هذه الأرض حتى نزل رسول الله ﷺ معلناً أنه سيبني مسجده في هذا المكان؛ فاشترى الأرض من صاحبيها بعشرة دنانير ذهبًا دفعها أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ من ماله[(١)]، وأمر بقطع النخيل وتسويتها، فجاء موقع المسجد في وسط المدينة، فبنى عليها هو وصحابته الأخيار مسجده، وكان بناء أساسه من الحجارة، وحوائطه من اللبن المصنوع من الطين، وكانت أعمدته من جذوع النخل، وسقفه من جريد (سعف) النخل بارتفاع سبعة أذرع، وجعل له ثلاثة أبواب، باب في مؤخرة المسجد من الناحية الجنوبية، وباب في الجهة الغربية منه عُرف بباب عاتكة، وسمي أيضاً باب الرحمة، وباب من جهة الشرق عرف بباب عثمان، ويدعى أيضاً باب جبريل، وجعل سقف الأروقة الثلاثة من الجهات الثلاث[(٢)]، وجاءت

(١) السمهودي: وفاء الوفاء، (الطبعة الرابعة، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤١٤هـ)، جـ ١، ص ٣٢٤.

(٢) محمد إلياس عبد الغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف (الطبعة الثانية، جدة، مطابع المجموعة الإعلامية، ١٤١٨هـ) ص ٤١ - ٤٢.

مساحة المسجد سبعين ذراعاً طولاً، وستين ذراعاً عرضاً - أي ما مجموعه (٤٢٠٠) ذراع مربع - أي ما يعادل (١٠٥٠) متراً مربعاً، وجعل قبلته إلى بيت المقدس، وقد صلى النبي ﷺ بهذا المسجد ستة أو سبعة أشهر في اتجاه بيت المقدس، ثم تحول إلى اتجاه الكعبة المشرفة قبل غزوة بدر بشهرين تقريباً[(١)] استجابة لقول الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[(٢)]. وكانت أول صلاة أداها رسول الله ﷺ بعد تحويل القبلة هي صلاة العصر، وبعد ذلك أمر رسول الله ﷺ بسد الباب الذي من الناحية الشمالية باتجاه باب المقدس، وفتح باباً آخر في الناحية الجنوبية باتجاه الكعبة المشرفة بمكة المكرمة[(٣)]. وبنيت في تلك الجهة أروقة لحماية المصلين من حرارة الشمس والمطر، وكانت ستة أعمدة؛ ثلاثة عن يمين المنبر وثلاثة عن شماله، وبقيت الأروقة في الناحية الشمالية كما هي عليه، وقد سكنها بعد ذلك أهل الصفة وهم من فقراء المدينة المنورة. ومع هذا التغير فإن حجرات أمهات المؤمنين التي كانت شرقي المسجد قرب جنوبه أصبحت قريبة من مقدمة المسجد بدلاً من مؤخرته[(٤)].

---

(١) علي السمهودي: خلاصة الوفاء بأخبار دارالمصطفى، تحقيق: محمد الأمين محمد الجكني، جزءان (الطبعة الأولى، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ)، ص١٤٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

(٣) محمد النجار: الدرة الثمينة في أخبار المدينة (الطبعة الثانية، المدينة المنورة، دار المدينة المنورة، ١٤١٨هـ)، ص ٤٦ - ٥٠، ووزارة الإعلام السعودية: توسعة الحرمين الشريفين، ص ١٥-١٩، وهاشم دفتردار وجعفر فقيه: توسعة الحرم النبوى الشريف (الطبعة الأولى، بيروت، مطبعة الإنصاف، ١٣٧٣هـ) ص ٢٥-٢٧.

(٤) محمد أحمد المنصوري: توسعة وعمارة المسجد النبوي الشريف، (رؤية حضارية «١»)، ص ٤١.

التوسعة الأولى للمسجد النبوي في عهد النبي ﷺ:

وبعد فتح خيبر في العام السابع للهجرة الموافق ٦٢٨م زاد عدد المسلمين وزاد مع ذلك عدد الذين يؤمون المسجد للصلاة فيه، فضاق المسجد بهم، فقال رسول الله ﷺ: «من يشري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة»، فقام عثمان بن عفان رضي الله عنه فاشتراها من ماله، ووهبها لتوسعة المسجد(١)، فأعاد رسول الله ﷺ عمارة المسجد وجعله مربعاً ١٠٠ ذراع مربع في ١٠٠ ذراع مربع - أي ما مجموعه (١٠٠٠٠) ذراع مربع أي حوالي (٢٥٠٠) متر مربع(٢) - وكان يقول: «اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة، اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة»(٣). وجعل الأساس من الحجارة، والجدار من اللبن، وكانت أعمدته من جذوع النخل، وسقفه من الجريد، وارتفاع سقفه سبعة أذرع، وكان بناؤه يشبه البناء السابق لمسجده ﷺ مع اتساع مساحته. وجاءت الزيادة من الجهتين الشمالية والغربية، وبقي المسجد على حده من الناحية الجنوبية القبلية، فلقد زاد النبي ﷺ ثلاثة أعمدة في كل رواق، فأصبح عدد الأعمدة في الصف الواحد تسعة بدلاً من الستة التي كانت موجودة قبل الزيادة(٤). وقد أصبح المسجد النبوي بعد التوسعة الأولى له محاطاً بالبيوت من جميع جوانبه، كما أصبح بيت النبي ﷺ وحجرات أمهات المؤمنين ملاصقة للمسجد من الناحية الشرقية(٥).

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب مقام النبي ص، ٦٣/ ٣٩٣٢.
(٢) محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ٤١.
(٣) سنن الترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان رضي الله عنه: ٥/ ٣٧٠٣.
(٤) أحمد بن عبدالحميد العباسي: عمدة الأخبار في مدينة المختار (مطبعة المدني، القاهرة، ب ت) ص ١٠٣، ومحمد إلياس: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ٤٢.
(٥) محمد أحمد المنصوري: توسعة وعمارة المسجد النبوي الشريف (رؤية حضارية «١»)، ص ٤٢.

وفيّ هذا المسجد الشريف كان النبي ﷺ يجتمع إلى أصحابه يعلمهم دينهم، ويجيب عن تساؤلاتهم، ويرسي دعائم السنة النبوية المطهرة في قلوبهم. ومنه انطلقت غزوات رسول الله ﷺ، وفيه اتخذ النبي ﷺ أهم القرارات لخدمة دين الله وخير الإسلام والمسلمين، فكان مقراً للحكم والإدارة، وملتقىً لأهل الرأي والمشورة من كبار الصحابة رضي الله عنهم. كما يضم المسجد الروضة الشريفة التي هي روضة من رياض الجنة، وهي المنطقة الواقعة بين منزل النبي ﷺ الواقع إلى جوار مسجده ومنبره (وهو الجذع الذي كان يصعد عليه النبي ﷺ للخطبة بالناس داخل المسجد)، وقد قيست المساحة التي تحتلها الروضة الشريفة، فكانت (٢٢) متراً طولاً و(١٥) متراً عرضاً[١]. وعندما توفي النبي ﷺ دفن في حجرة زوجته أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، فأدخل بعد ذلك قبره ﷺ داخل المسجد، وكذلك دفن بجواره صاحباه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما[٢]، وهذا المسجد هو أحد المساجد الثلاثة التي قال النبي ﷺ فيها: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»[٣]. وقال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»[٤].

---

(١) محمد أحمد المنصوري: توسعة وعمارة المسجد النبوي الشريف، ص ٤٢.

(٢) وزارة الإعلام السعودية: عمارة المسجد الأنموذج السعودي لبناء بيوت الله، ص ٦٠.

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضل الصلاة في مسجدي مكة والمدينة (٢٠/ ١١٨٩).

(٤) صحيح البخاري: كتاب فضل الصلاة في مسجدي مكة والمدينة (٢٠/ ١١٩٠)، وصحيح مسلم: كتاب الحج، فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة (١٥/ ١٣٩٥). وانظر أيضاً: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري (بيروت، طبعة دار المعرفة)، ٤/ ١٠٠ و ١١/ ٤٧٥، وعلي السمهودي: خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى، ١/ ٥٠٠-٥١٢.

كما أنه من السنة عدم رفع الصوت في المسجد النبوي، وعند السلام على رسول الله ﷺ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[1]. وهذا التأدب مع رسول الله ﷺ مطلوب في حياته وبعد وفاته ﷺ.

---

(١) سورة الحجرات، الآيات: ٢-٤.

المسجد النبوي الشريف في عهد الخلفاء الراشدين

(١١ - ٤١هـ)

عندما تولى الخليفة أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ في ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ، انشغل بحروب الردة عن توسعة المسجد النبوي، ولم يحدث أي تغير كبير في المسجد سوى ما ذكرته بعض الروايات من أن بعض سواري المسجد التي تحمل سقف المسجد أصابها بعض التلف، فأمر أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ باستبدالها بجذوع جديدة، وأعاد السقف كما كان عليه في عهد رسول الله ﷺ(١).

وليس من المستغرب ألا يحدث أي تغيير كبير في فترة خلافة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، وذلك لقصرها، حيث إنه ـ رضي الله عنه ـ توفي في الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣هـ الموافق ٢٢ أغسطس سنة ٦٣٤م، وقد دفن ـ رضي الله عنه ـ بجوار المصطفى ﷺ(٢)، هذا من جهة، ومن جهة ثانية أن المدينة المنورة لم يزد عدد سكانها في تلك الفترة، بل قلَّ بسبب خروج عدد من أبنائها للجهاد في حروب المرتدين، كما خرج الكثير منهم ضمن جيش الفتح

---

(١) محمد النجار: أخبار مدينة الرسول المعروف بالدرة الثمينة. تحقيق: صالح محمد جمال، (الطبعة الثانية، القاهرة، دار الفكر، ١٣٩١هـ)، ص ٩٣، و محمد إلياس عبد الغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص٤٣.

(٢) وزارة الإعلام السعودية: عمارة المساجد الأنموذج السعودي لبناء بيوت الله، ص ٦١.

الإسلامي في بلاد الشام وبلاد العراق[١] بقيادة خالد بن الوليد، وسعيد ابن العاص، وعمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم أجمعين.

وبعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق تولى الخلافة من بعده الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وفي عهده كثر عدد المسلمين، واتسعت المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية الأولى، وأخذ بالتفكير في توسعة المسجد النبوي حتى يتسع لجموع المصلين الذين ضاق بهم المسجد وساحاته. كما أن ظهور شيء من النخر في بعض الجذوع التي يستند إليها السقف قد عجل في إصلاح الخلل حتى لا يسقط سقف المسجد، فقرّر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ توسعة المسجد وعمارته، وذلك بعد أربعة أعوام من توليه الخلافة، أي في عام ١٧هـ[٢].

وكان البناء قد شغل جميع جهات المسجد، فدعا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أصحاب البيوت المجاورة للمسجد فقال: «اختاروا مني بين ثلاثة أمور؛ إما البيع فأُثمِّن ـ أي أقدر الثمن وأدفعه ـ وإما الهبة فأشكر، وإما الصدقة على مسجد رسول الله ﷺ»، وكانت إحدى الدور الملاصقة للمسجد للعباس بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ أقطعه إياها ودعا له بالبركة فيها، فأبى أن يتركها أول الأمر، لكنه ما لبث أن تصدق بها على المسلمين، فهدمت، وبنى له الخليفة عمر ـ رضي الله

(١) عبدالعزيز بن عبدالرحمن الحصين: العناية بالمسجد النبوي وأثرها في خدمة الإسلام والمسلمين (بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، الرياض، ٧-١١ شوال ١٤١٩هـ)، ص ١٧.

(٢) محمد النجار: أخبار مدينة الرسول، ص ٩٣ - ٩٤، ومحمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ٤٣.

عنه ـ داراً أخرى عوضاً عنها من بيت مال المسلمين[١]، كما اشترى نصف موضع دار كان خطَّه النبي ﷺ لجعفر بن أبي طالب وهو بالحبشة بمائة ألف فزادها عمر ـ رضي الله عنه ـ في توسعة المسجد[٢].

كما أن عمر ـ رضي الله عنه ـ اشترى دوراً أخرى من ثلاث جهات للمسجد؛ هي الجهة الشمالية التي بلغت الزيادة فيها حوالي ثلاثين ذراعاً، أي خمسة عشر متراً، ومن الجهة الجنوبية حيث بلغت الزيادة نحو عشرة أذرع، أي خمسة أمتار، ومن الجهة الغربية نحو عشرين ذراعاً، أي حوالي عشرة أمتار. ولم يزد من جهة الشرق لوجود حجرات بعض زوجات رسول الله ﷺ التي كن يعشن فيها في تلك الفترة. وبذلك أصبح طول المسجد من الشمال إلى الجنوب (١٤٠) ذراعاً، حوالي (٦٩,٧٠) متراً، وعرضه (١٢٠) ذراعاً، حوالي ستين متراً، وارتفاع سقفه (١١) ذراعاً حوالي (٥,٤٨) مترًا[٣].

وقد بني أساس جدران المسجد بالحجارة بارتفاع قامة الرجل حوالي مترين إلا ربعاً، وجعلت الأعمدة التي تحمل السقف من جذوع النخل، وبنيت جدرانه من اللبن، وسقّف بجذوع النخل والجريد، وغطيت جدرانه بلياسة طينية، وبني فوق السطح جدار ساتر بارتفاع نصف متر تقريباً، ولم يعمل أية زخارف، وزادت عدد أبوابه من ثلاثة أبواب إلى ستة أبواب هي : باب مروان في أول الجدار الغربي، نسبة إلى مروان بن الحكم، لوجود دار مروان بن الحكم هناك، والذي أطلق

(١) عبدالعزيز الحصين: العناية بالمسجد النبوي، ص ١٧ عن أحمد عبدالحميد العباسي: عمدة الأخبار، ص١٠٧.
(٢) محمد النجار: أخبار مدينة الرسول، ص ٩٥- ٩٦.
(٣) محمد النجار: الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ص ١٥٠ - ١٥٤، ومحمد عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ٤٣ - ٤٤.

عليه فيما بعد باب السلام، وباب النساء في الحائط الشرقي، وباب في الحائط الشمالي، فأصبح للمسجد بابان في الجهة الغربية هما: باب الرحمة (عرف سابقاً بباب عاتكة) وباب السلام، وبابان من الناحية الشرقية هما: باب جبريل، وعرف أيضاً بـ (باب النبي)؛ لأن النبي ﷺ كان يدخل منه، كما عرف بباب النساء، واستحدث في الجهة الشمالية بابان أحدهما جديد(١) لم تحدد الروايات التاريخية اسميهما.

وكان الناس إذا رفعوا رؤوسهم من السجود نفضوا أيديهم، فأمر عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بالحصباء فجيء بها من العقيق، فبسط في المسجد، ثم فرش عليها الحصر المصنوعة من الخصف (جريد النخل)(٢). كما أن عمر ـ رضي الله عنه ـ جعل في مؤخرة المسجد رحبة خارجية عرفت بالبطيحاء حتى يجلس فيها الناس للحديث في أمور الدنيا ولمن يريدون إنشاد الشعر حتى لا يزعجوا المصلين بالمسجد(٣).

ولم يعمل عمر ـ رضي الله عنه ـ في المسجد أية زخارف وألوان لافتة للنظر، فقال كما ورد في صحيح البخاري: «... وإياك أن تُحمِّر أو تُصفِّر فتفتن الناس»(٤).

وقد قتل عمر ـ رضي الله عنه ـ في ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٣هـ، ودفن بجوار رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ.

---

(١) وزارة الإعلام: عمارة المسجد الأنموذج السعودي لبناء بيوت الله، ص ٦١ - ٦٢.
(٢) محمد عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ٤٤.
(٣) محمد النجار: الدرر الثمينة في أخبار المدينة المنورة، ص ١٥٣ - ١٥٤.
(٤) محمد المنصوري: توسعة وعمارة المسجد النبوي الشريف (ضمن بحوث توسعة وعمارة الحرمين الشريفين، رؤية حضارية لمؤسسة ابن لادن السعودية)، ص ٤٥.

المسجد النبوي في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه:

عندما تولى عثمان بن عفان الخلافة بعد مقتل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ في أواخر عام ٢٣هـ أبقى المسجد النبوي على حالته التي كانت عليه في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ. ولكن عندما أخذ المسجد يضيق بالمصلين وبالقراء، وخاصة في صلاة الجمعة[١]، وفي الوقت نفسه ظهرت الحاجة إلى تجديد بعض أعمدة أروقة المسجد التي كانت من جذوع النخل بعد أن أصابها نخر شديد جعلها مهددة بالسقوط، استشار الخليفة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ كبار أصحابه في أن يعيد بناء المسجد ويوسعه، فاستحسنوا ذلك، وأجمعوا على هدمه وتوسعته[٢]. وعندما أقيمت صلاة الظهر من ذلك اليوم صلى عثمان ـ رضي الله عنه ـ بالناس، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إني قد أردت أن أهدم المسجد وأزيد فيه وأشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بنى مسجداً بنى الله ـ تعالى ـ له بيتًا في الجنة»[٣]. وقد كان لي فيه سلف وإمام عمر بن الخطاب، زاد فيه وبناه، وقد شاورت أهل الرأي من أصحاب رسول الله ﷺ على هدمه وبنائه وتوسعته، فما كان من الحضور إلا أن استحسنوا ذلك ودعوا له بالعون والتوفيق[٤]، ولذلك شرع في هدم مسجد رسول الله ﷺ وأعاد بناءه من جديد.

وقرر أن تكون التوسعة من جهاته الثلاث؛ الجنوبية والشمالية والغربية فقط دون التعرض للجهة الشرقية، نظراً لأن بها حجرات أمهات

(١) محمد النجار: أخبار مدينة الرسول، ص ٩٦.

(٢) السمهوري: وفاء الوفاء، جـ٢، ص ٥٠٠.

(٣) الهيثمي: مجمع الزوائد (طبعة دار الريان بالقاهرة، ١٩٨٧م)، جـ٢، ص ٧.

(٤) محمد النجار: الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ص ١٥٥.

المؤمنين[١]. وكانت من جملة الدور التي اشتراها وأدخلها في توسعة المسجد دار أم المؤمنين حفصة ـ رضي الله عنها ـ مما يلي القبلة، وباقي دار العباس، ودور أخرى كانت ملاصقة للمسجد من الجهات الثلاث[٢].

وفي شهر ربيع الأول من عام ٢٩هـ شرع الخليفة عثمان ـ رضي الله عنه ـ في العمل، فهدم المسجد وأخذ في إعادة بنائه من جديد، كما هدم الدور المجاورة له بزيادة عشرة أذرع، حوالي (٤,٥٠متراً) جعلها رواقاً واحداً من جهة الغرب، وزيادة عشرة أذرع، حوالي (٤,٥٠ متراً) بزيادة رواق واحد من ناحية الجنوب، وعشرين ذراعاً من جهة الشمال (تسعة أمتار)، فأصبح طول المسجد من الشمال إلى الجنوب (١٧٠) ذراعاً، حوالي (٨٥ متراً)، ومن الشرق إلى الغرب (١٣٠) ذراعاً، حوالي (٦٥ متراً)[٣].

وقد شيدت المباني بالحجارة المنحوتة بدلاً من اللبن المصنوع من الطين، وكانت المونة من الجص، أما الأعمدة فإنها بنيت من الحجر المنحوت تتخلله قطع من الحديد المغطى بالرصاص المصهور لتثبيت الحجارة بعضها مع بعض، وقد وضعت الأعمدة في أماكن الأعمدة الخشبية السابقة، وكان الخليفة عثمان ـ رضي الله عنه ـ يشرف على البناء بنفسه، ويقضي معظم الأوقات مع العاملين في البناء يوجههم ويشد

---

(١) العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري (دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٩٧م) جـ١، ص ٦٤٢.

(٢) ناجي محمد الأنصاري: عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ، ص ٩٥.

(٣) محمد ماجد خلوصي: عمارة المساجد (الطبعة الأولى، القاهرة، مطابع سجل العروبة، ١٩٩٧م)، ص ٧٥.

من أزرهم مما جعل البناء ينتهي في فترة وجيزة لا تزيد على عشرة أشهر من تاريخ بدء العمل فيه[١].

أما السقف فقد تم خلعه وإعادة تسقيفه بخشب الساج محمولاً على جسور خشبية ترتكز على الأعمدة، وتم تبييضها بالجص، ولأول مرة تم عمل نوافذ الحائطين الشرقي والغربي، أما الأبواب الستة فلم يتم زيادتها، وتم فتحها في مكانها في التوسعة الجديدة على مسامتة ما كانت عليه أيام الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

وقال عبدالرحمن بن سفينة: رأيت القَصَّة[٢] تحمل إلى عثمان ـ رضي الله عنه ـ وهو يبني المسجد، ورأيته يقوم على رجليه والعمال يعملون معه حتى تأتي الصلاة، فيصلي بهم، ثم ربما نام في المسجد[٣].

(١) محمد النجار: الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ص ١٥٥-١٥٦.

(٢) القصة: بفتح القاف وتشديد الصاد هو الجص، وقيل الحجارة من الجص وهو من مواد البناء، انظر: محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ٤٥، نقلاً عن ابن منظور: لسان العرب: ١١/١٩٢.

(٣) محمد إلياس عبدالغني: المصدر السابق، ص ٤٥-٤٦.

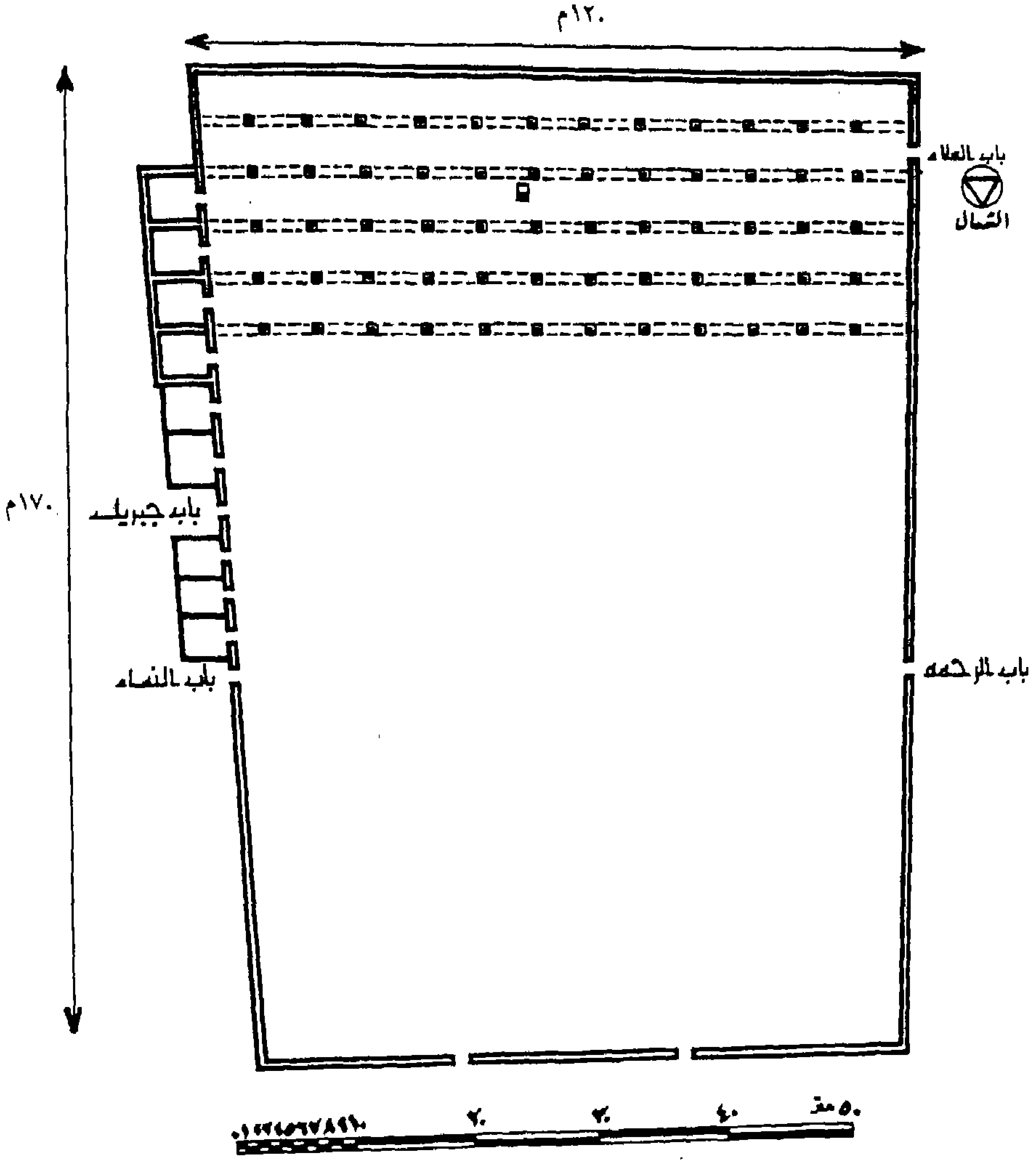

توسعة الخليفة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ لمسجد الرسول ﷺ(١)

(١) مجلة البناء: العدد (٣٧) لسنة ١٤٠٨هـ، ص ٣٣.

المسجد النبوي في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

كان المسجد النبوي الشريف يؤدي دوره كاملاً في عهد الخليفة علي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ منذ مبايعته بالخلافة في عام ٣٥هـ حتى مقتله ـ رضي الله عنه ـ في عام ٤٠هـ، ولم يحتاج إلى زيادة أو توسعة خلال تلك الفترة. كما أن تلك الفترة كانت فترة عصفت فيها أحداث سياسية مهمة في تاريخ الأمة الإسلامية صرفتهم عن العمارة[١].

المسجد النبوي في العصر الأموي:

بقي المسجد النبوي الشريف حوالي نصف قرن على حاله الذي بني عليه في خلافة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ حتى سنة ٨٨هـ/ ٧٠٧م عندما قرر الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك توسعة المسجد النبوي الشريف وعمارته بإدخال حجرات أمهات المؤمنين وبعض الدور الأخرى ضمن مساحة المسجد لتوسعته، ولذلك كتب لواليه على المدينة المنورة عمر بن عبدالعزيز يخبره بذلك ويأمره بشراء حجرات أمهات المؤمنين، وذلك بعد وفاتهن رضي الله عنهن أجمعين، حيث كانت وفاة أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ سنة تسع وخمسين أو إحدى وستين، وهي آخر من ماتت من أمهات المؤمنين، فاشترى عمر بن عبدالعزيز تلك الحجرات والدور المجاورة لها ومنها دور عبدالرحمن بن عوف الثلاث، ودار عبدالله ابن مسعود، ودار طلحة بن عبيدالله، ودار أبي سبرة بن أبي رهم، ودار عمار بن ياسر، وبعض دار العباس بن عبدالمطلب، ودفع لأصحابها أثمانها بسخاء، وبقيت حجرة عائشة ـ رضي الله عنها ـ على حالها[٢]،

---

(١) ناجي الأنصاري: عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ، ص ٩٥-٩٦.
(٢) محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ٤٥-٤٦.

والتي أصبحت جزءًا من أروقة المسجد من الناحية الجنوبية الشرقية حولها جدار لوجود قبر النبي ﷺ وصاحبيه بها رضي الله عنهما[١].

وفي شهر صفر من سنة ٨٨هـ شرع عمر بن عبدالعزيز بهدم تلك الحجرات والدور التي اشتراها وأدخلها في مساحة المسجد من ثلاث جهات هي الشرقية والغربية والشمالية، وقد أرسل إليه الخليفة الوليد بن عبدالملك بنّائين ومزخرفين استقدمهم من ملك الروم، كما أرسل إلى المدينة المنورة أحمالاً من الفسيفساء لتزيين جدران المسجد[٢].

وما أن انتهت عملية الهدم حتى شرع البنّاؤون في البناء تحت إشراف عمر بن عبدالعزيز الذي كان يشرف بنفسه على جميع مراحل البناء. وقد بنيت الجدران بالحجارة المنحوتة بسمك (٩٥ سم)، عدا الجدار الشرقي الذي زاد سمكه عن متر (حوالي ١,١٥متراً) بسبب احتمال تعرض هذه الجهة للسيول[٣]. وقد استعملت النورة (الجير - الكلس) والقصة (الجص) مونة في البناء، وأقيمت الأعمدة من قطع الحجارة المنحوتة، ربطت مع بعضها بالحديد المغطى بالرصاص المصهور تحمل أعلاها جسوراً خشبية ترتكز مباشرة على تيجان الأعمدة، وتحمل الجسور سقفاً خشبياً من الساج، وكان للأعمدة قواعد مربعة وتيجان مذهبة، وكُسي جسم الأعمدة الخارجي بطبقة بياض، تصقل وتلمع حتى تظهر وكأنها رخام أبيض. وقد غطي وجه السور القبلي من المسجد بإزار رخام من أساسه إلى قدر القامة حوالي (١,٧٥متراً)، ولف على الإزار بطوق رخام سمك الإصبع (٢سم) تقريباً،

---

(١) محمد النجار: أخبار مدينة الرسول، تحقيق: صالح محمد جمال، ص ١٠٠-١٠١.

(٢) محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٣، ص ٦٧٦.

(٣) عبدالعزيز الحصين: العناية بالمسجد النبوي الشريف (من بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، الرياض، ٧-١١ شوال ١٤١٩هـ)، ص ٢٢.

ثم أقيم فوقه إزار أقل منه في العرض، و فوقه إزار ثالث بسمك الأول ووضعت فيه أربعة عشر شباكاً.

وقد ضمت الجهة القبلية من المسجد (جهة الجنوب) خمسة أروقة موازية لاتجاه القبلة، وضم الجناح الغربي ثلاثة أروقة موازية للحائط الغربي، وضم الجناح الشرقي ثلاثة أروقة موازية للحائط الشرقي، وضم الجناح الشمالي خمسة أروقة موازية للحائط الشمالي، وتفتح كل من الواجهة الجنوبية والشمالية على الصحن الذي يتوسط المسجد عن طريق أحد عشر عقداً، محمولة على عشرة أعمدة. أما الواجهتان الشرقية والغربية فهما مفتوحتان على الصحن بواسطة أربعة عشر عقداً، ومحمولة على ثلاثة عشر عموداً، وقد كتبت في أعلى العقود كتابات بها اسم الخليفة الوليد حول الصحن، وتتوج الواجهات الأربع شرفات تعبر عن جمال الفن المعماري الإسلامي[(١)].

وظهرت في هذه العمارة المآذن الأربع المربعة، في كل زاوية من زوايا المسجد منارة يتراوح ارتفاعها من (٥٥ ـ ٦٠ ذراعاً) أي حوالي (٣٠,٢٧متراً)، ومساحة كل منها (٨ × ٨) أذرع ـ أي حوالي (٤ × ٤) أمتار[(٢)]، والمحراب تعلوه قبة مجوفة. كما زاد الوليد أبواب المسجد إلى عشرين باباً، ثمانية أبواب في الجهة الشرقية، ومثلها في الجهة الغربية، وأربعة أبواب في الجهة الشمالية، وجَعل للمسجد سقفين؛ علويًا وسفليًا من خشب الساج بارتفاع خمسة وعشرين ذراعاً تقريبًا، نحو اثني عشر متراً ونصف المتر[(٣)]. وأنشئت حول المحراب مقصورة منقوشة بنقوش وكتابات عربية جميلة.

---

(١) وزارة الإعلام السعودية: عمارة المساجد، ص ٦٠-٦١.

(٢) زين الدين المراغي: تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة (الطبعة الأولى، المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ١٤٠٢هـ)، ص ٧٥-٧٦.

(٣) محمد النجار: أخبار مدينة الرسول، تحقيق: صالح محمد جمال، ص ١٠٠-١٠٢.

وقد بلغت مساحة التوسعة التي تمت في عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك للمسجد النبوي الشريف (٢٣٩٩) متراً مربعاً، وصارت المساحة الكلية للمسجد (٦٤٤٠) متراً مربعًا.

وتعد هذه التوسعة تغيرًا نوعيًا كبيراً في الطابع المعماري الإسلامي حتى ذلك العصر، ليس من حيث المساحة وحسب، بل من حيث التطورات التي طرأت على عمارة المسجد في الإسلام، وأهمها بناء المحراب بالقبة المجوفة، والمآذن الأربع العالية، وعدد الأبواب ذات الفتحات المتعددة، وما رافق ذلك من زخارف ونقوش وكتابات وأقواس، واستخدام الرخام والفسيفساء التي لم تعرف من قبل في بناء المساجد، وتزويد المسجد بماء للشرب والوضوء زيادة في راحة المصلين[١].

وقد تم الانتهاء من بناء المسجد في أواخر عام ٩١هـ / ٧١٠م، وهي السنة التي حج فيها الخليفة الوليد بن عبدالملك، وزار فيها المسجد النبوي الشريف وأعجب كثيراً بالبناء[٢]، وأثنى على عناية واليه بالمدينة المنورة عمر بن عبدالعزيز، وأدرك أن ما أنفقه من مال لا يقدر بالنسبة للعمل العظيم الذي تم في بناء مسجد رسول الله ﷺ، والأجر العظيم والثواب الكبير الذي سوف يناله من الله تعالى ـ إن شاء الله ـ لقاء عمله الجليل في سبيل بناء بيوت الله، والعناية بها.

---

(١) عبدالعزيز الحصين: العناية بالمسجد النبوي الشريف، ص ٢٣.
(٢) وزارة الإعلام: عمارة المساجد، ص ٦٢-٦٣.

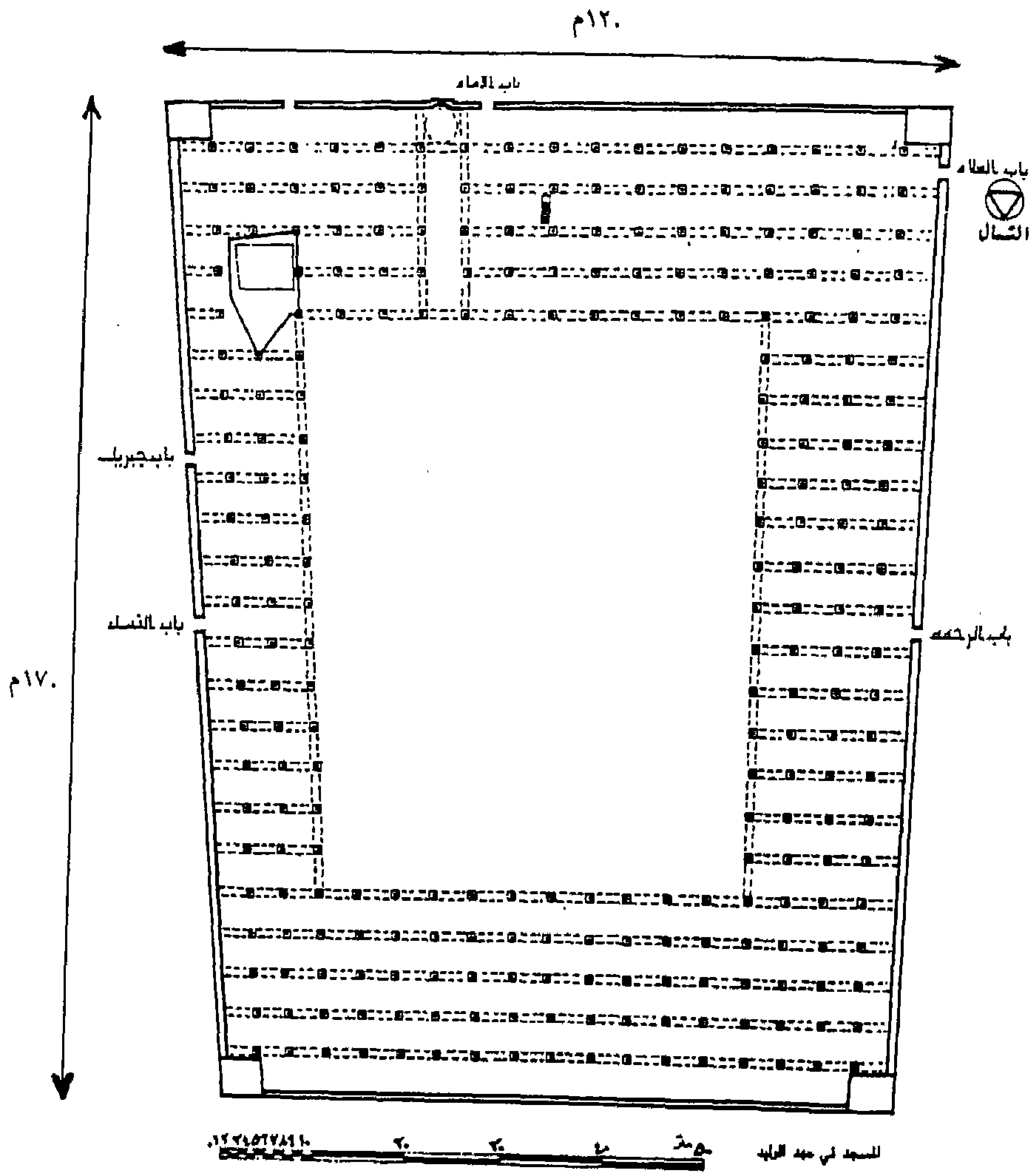

المسجد النبوي: مسقط أفقي: عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك(١)
٨٨ ـ ٩١ هـ/٧٠٧ ـ ٧١٠م

---

(١) مجلة البناء: العدد (٣٧) لسنة ١٤٠٨هـ، ص ٣٤.

المسجد النبوي الشريف في العصر العباسي
(١٣٢ - ٦٥٦هـ)

ـ توسعة الخليفة العباسي المهدي وعمارته (١٦٢ ـ ١٦٥هـ):

عندما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة في الدولة العباسية عزم على توسعة المسجد النبوي الشريف، لكنه توفي قبل أن ينفذ ما عزم عليه، وتولى من بعده ابنه المهدي بن أبي جعفر المنصور، ورغب في تنفيذ ما عزم عليه والده من بناء المسجد النبوي الشريف وتوسعته، ولذلك فإنه قدم في سنة إحدى وستين ومائة (٧٧٩م) إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وبعد انقضاء الحج زار المدينة المنورة ورأى بنفسه أن المسجد النبوي الشريف يحتاج إلى توسعة وعمارة(١)، حيث إنه مضى على عمارة الوليد بن عبدالملك السابقة أكثر من سبعين سنة، ولم يطرأ خلالها أي تعمير أو توسعة للمسجد النبوي الشريف ما عدا تغييرات محدودة قام بها الخليفة سليمان بن عبدالملك عندما حج في سنة ٩٧هـ وزار المدينة المنورة، فرأى أن المئذنة الواقعة في الطرف الجنوبي الغربي من المسجد عند باب السلام تطل على (دار مروان بن الحكم)، وهي الدار التي كان ينزل فيها كبار زوار المدينة من الخلفاء والرؤساء، والتي نزل فيها في تلك السنة، فأمر بإزالتها، فهدمت، فأصبح للمسجد النبوي بعد ذلك التاريخ ثلاث مآذن فقط(٢). وكذلك ما قام به أمير المدينة عبدالواحد

(١) محمد النجار: أخبار مدينة الرسول، تحقيق: صالح محمد جمال، ص ١٠٣.

(٢) نور الدين السمهودي: وفاء الوفاء، جـ٢، ص ٥٢٤-٥٢٥، ومحمد النجار: أخبار مدينة الرسول، ص ١٠٠.

ابن عبد الله النضري سنة ١٠٤هـ في عهد الخليفة الأموي يزيد بن عبدالملك من عمل شرفات جديدة على الأطراف العلوية لجدار المسجد المطل على صحن المسجد وخارجه[١]، مما أضافت رونقاً معمارياً جديداً لعمارة المسجد في العصر الأموي، استمر الأخذ به في العمارات اللاحقة للمساجد والقصور ونحوها.

وفي بداية عام ١٦٢هـ (٧٨٠م) عندما كان الخليفة المهدي في زيارة للمدينة المنورة عين جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس والياً على إمارة المدينة المنورة، وأمره بتعمير مسجد رسول الله ﷺ عمارة شاملة وتوسعته. وقد ولي عبد الله بن عصام بن عمر بن عبدالعزيز أمر الإشراف على تلك التوسعة والبناء بتكليف من الخليفة المهدي[٢]، حيث قام بتحديد الدور المراد هدمها بغرض إدخالها في توسعة المسجد، ومن تلك الدور دار مليكة، ودار شرحبيل بن حسنة، وبقية دار عبدالله بن مسعود التي يقال لها دار القراء، ودار المسور بن مخرمة الزهري التي تم تثمينها وشراؤها من أصحابها، ثم هدمها[٣].

وجاءت الزيادة في الجهة الشمالية من المسجد فقط، وقد اختلف المؤرخون في مقدار هذه الزيادة، فقيل: إنها (١٠٠) ذراع؛ حوالي خمسين مترًا، وقيل: إنها تتراوح بين (٥٣ و ٥٥) ذراعاً؛ حوالي (٥٦,٥ ـ ٥٧,٥متراً)، والأرجح هي الرواية الثانية، حيث إن ذرع المسجد لم يبلغ (٣٠٠) ذراع؛ (١٥٠ متراً)[٤]، وإنما بلغ (٢٤٠ ذراعاً)؛

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٠، ص ١٣٥، وعبد العزيز الحصين: العناية بالمسجد النبوي الشريف، ص٢٥.
(٢) محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي، ص ٤٩.
(٣) محمد النجار: أخبار مدينة الرسول، ص ١٠٤.
(٤) محمد خلوصي: عمارة المسجد، ص ٧٩.

(١٢٠متّرًا) على ذرع محمد بن الحسن بن زبالة المخزومي الذي ألّف كتابًا عن تاريخ المدينة في سنة ١٩٩هـ، و٢٥٣ ذراعاً (١٢٦,٥مترًا) على ذرع علي السمهودي (ت ٩٢٢هـ)[١].

وقد قدرت الزيادة في عمارة المهدي حوالي (٢٤٥٠) مترًا مربعًا[٢]، فأصبحت بذلك مساحة المسجد الكلية (٨٨٩٠) متراً مربعاً[٣].

وقد استخدم في هذه العمارة الرخام حيث كانت الأعمدة ملبسة بألواح الرخام الناعم، وكانت الأعمدة المطلة على الصحن أقصر من الأعمدة التي في أروقة المسجد؛ وذلك لأن الأقواس التي عليها بنيت بشكل منخفض حتى تقلل من دخول حرارة الشمس إلى داخل الأروقة. وجاء في بعض الروايات أنها لم تكن كل الأعمدة ملبسة بالرخام، بل إن بعضها كان على شكل رخام نتيجة المبالغة في صقل وجهها الخارجي. وقد بنيت الأعمدة على قواعد صغيرة مربعة، ووضعت في أعلى الأعمدة حلية على شكل تيجان طليت بماء الذهب، أما الأقواس التي عليها فإنها زينت بالفسيفساء الجميلة[٤]، حتى تظهر روعة العمارة الإسلامية في ذلك العصر، كما أنه كتب على واجهات الأقواس المطلة على الصحن تاريخ عمارة المهدي، وبعض الآيات من القرآن الكريم،

(١) نور الدين السمهودي: وفاء الوفاء، جـ٢، ص ٥٣٧.
(٢) الوكيل محمد السيد: المسجد النبوي عبر التاريخ (الطبعة الأولى، جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ)، ص ١٣٥، وعلي حافظ: فصول من تاريخ المدينة المنورة (الطبعة الأولى، جدة، شركة المدينة للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـ)، ص ٧١.
(٣) صالح لمعي مصطفى: المدينة المنورة تطورها العمراني (الطبعة الأولى، بيروت، دار النهضة للطباعة، ب ت) ص ٧٥-٧٩.
(٤) محمد خلوصي: المسجد عمارة وطراز وتاريخ، ص ٨٠.

كما فعل الوليد بن عبدالملك في العمارة السابقة، وذلك لتخليد هذه الذكرى لمن قام بها[١]. وقد بني السقف من خشب الساج القوي، وغطي بطبقة من بلاطات الأرضي لوقايته من الأمطار.

وأضيفت أربعة أبواب في الجهة الجنوبية القبلية، فأصبح عدد الأبواب أربعة وعشرين باباً، خصصت الأبواب الأربعة الجديدة منها لدخول الأمراء وكبار الزوار والإمام والخطيب، لكن هذه الأبواب الأربعة أغلق معظمها بعد ذلك بالتدريج.

أما النوافذ فقد بلغ عددها ستين نافذة، وكانت فتحاتها علوية تتوزع على الجدران الأربعة منها (١٩) نافذة في كل من الجدارين الشرقي والغربي، وأحد عشر نافذة في كل من الجدارين الشمالي والجنوبي، وهذا يعني أن المسجد النبوي الشريف قد تحققت له إضاءة طبيعية عالية في النهار[٢] بجانب التهوية الجيدة في كل الأوقات.

وقد تم الانتهاء من هذه العمارة في سنة خمس وستين وستمائة[٣].

وقد استمرت الإصلاحات والتعمير والترميم في المسجد النبوي الشريف طوال العصر العباسي على يد الخلفاء العباسيين الذين قاموا بإصلاحات شاملة، وترميمات مستمرة، شملت الأسقف والجدران والأعمدة وبلاط الأرض، للمحافظة على قوة بناء المسجد وسلامته من أي تصدعات من جراء عوامل الزمن، والإنفاق على ذلك بسخاء، ومن تلك الإصلاحات ما يأتي:

- أنه في جمادى الأولى عام ١٩٣هـ، الموافق فبراير/ مارس عام ٨٠٩م، تم إصلاح سقف المسجد من جهة الحجرة وقبر النبي ﷺ

(١) محمد النجار: أخبار مدينة الرسول، ص ١٠٤.
(٢) عبدالعزيز الحصين: العناية بالمسجد النبوي الشريف، ص ٢٥.
(٣) زين الدين المراغي: تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، ص ٥٤.

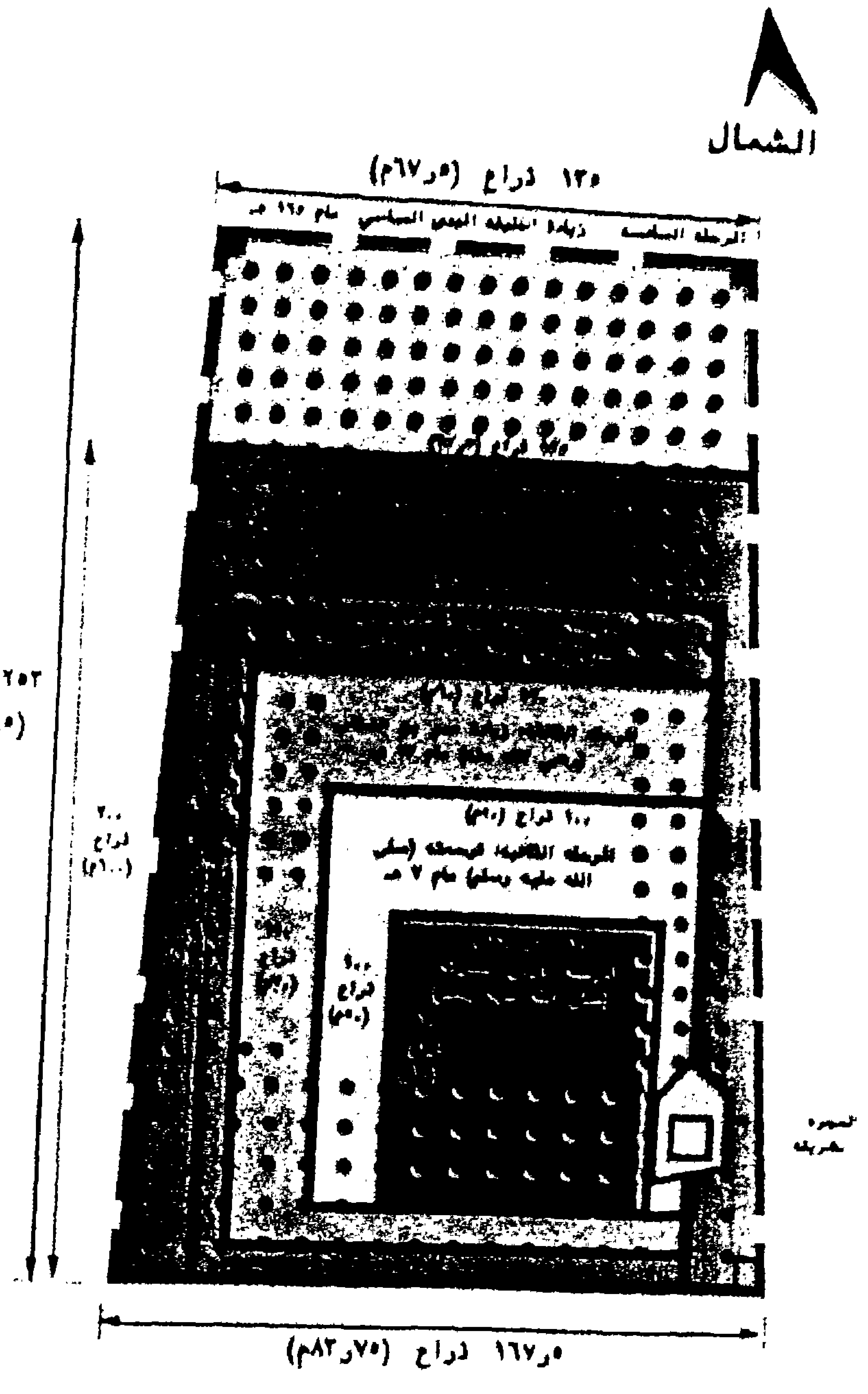

عمارة المسجد النبوي الشريف وتوسعته حتى زيادة الخليفة المهدي العباسي

على يد أمير المدينة أبي البختري بن وهب بن رشد بأموال أرسلها الخليفة هارون الرشيد من بغداد.

- وفي عهد الخليفة المأمون جرت إصلاحات عديدة عامة بالمسجد، وذلك في سنة ٢٠٢هـ.
- وفي عام ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م تم ترميم بعض الجدران التي ظهر عليها بعض التلف، كما تم إعادة كسوة عقود الأعمدة بالفسيفساء، وتبليط أرض الأروقة من جديد بالرخام الأبيض الذي أحضر من خارج المدينة، وإنشاء حزام من الرخام على الجدران من الداخل بارتفاع قامة الإنسان (١,٧٥م)، وذلك بأمر من الخليفة العباسي المتوكل على الله، وقد أشرف على هذا العمل حتى نهايته إسحاق ابن سلمة الذي قام أيضاً بعمارة الحرم المكي الشريف[١].
- وعندما تولى الخليفة العباسي المعتضد عمل بعض الإصلاحات في أجزاء من الواجهة الشرقية المطلة على صحن المسجد النبوي، وذلك عام ٢٨٢/ ٨٩٥م.

وفي عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م في عهد الخليفة العباسي المقتفي، قام جمال الدين الأصفهاني بإرسال أموال إلى والي المدينة المنورة القاسم ابن مهنا الحسيني، وذلك لتجديد الوزرة الخارجية لحوائط جدار قبر الرسول ﷺ، وقد تم عملها من الرخام السميك الجيد[٢].

وفي عام ٥٥٧هـ / ١١٦٣م أمر نور الدين زنكي بإقامة جدار من الرصاص حول قبر النبي ﷺ، وتربط بعض المصادر هذا الحادث بمحاولة قام بها اثنان من الصليبيين لسرقة المسجد النبوي الشريف[٣].

---

(١) علي السمهودي: وفاء الوفاء، جـ٢، ص ٥٠٥-٥١١.
(٢) السمهودي، المصدر السابق، جـ٢، ص ٥٧٠-٥٧٣.
(٣) عبدالعزيز الحصين: العناية بالمسجد النبوي الشريف، ص ٢٧.

وفي عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ) تم بناء حجرة صغيرة عليها قبة في وسط صحن المسجد النبوي لتكون مكتبة وخزانة للتراث حفظ بها المصحف العثماني وبعض الكتب الأخرى، وذلك في سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٢م[١].

كما أن الخلفاء العباسيين كانوا يرسلون باستمرار القناديل وزيوتها والشموع لإنارة المسجد النبوي الشريف والطرقات المحيطة به من بغداد، وينفق عليها من بيت مال المسلمين[٢].

ونلحظ هنا استمرار الإصلاحات والتعمير والترميم في المسجد النبوي الشريف طوال العصر العباسي على يد الخلفاء العباسيين الذين قاموا بإصلاحات وترميمات شاملة، وبذلوا في سبيل ذلك الأموال بسخاء، ولم تظهر الحاجة لإعادة البناء أو التوسعة إلا بعد أن احترق سقف المسجد بكامله، وتلف المنبر، والأبواب، والخزائن، والشبابيك، والأبواب والكتب، وسلمت الحجرة النبوية إلا سقفها وكامل القبة التي في وسط الصحن، وكذلك بقيت الأعمدة قائمة كأنها جذوع النخل، وذلك في ليلة الجمعة أول شهر رمضان من سنة ٦٥٤هـ. وكان سبب ذلك أن أحد فراشي المسجد النبوي دخل إلى مخزن المسجد، وكان بيده مصباح موقد، فوضعه فوق أحد الأقفاص الخارجية، وكان به بعض الأقمشة فاشتعلت النار في القفص، وانتقلت بسرعة إلى جميع نواحي المسجد وعلقت بالسقف والحصر والبسط، فاجتمع الناس وحاولوا إطفاء النار، فلم يستطيعوا إلا إبعادها عن الحجرة الشريفة وخزانة الكتب، وذلك بتوفيق الله تعالى وعونه[٣].

---

(١) صالح لمعي مصطفى: المدينة المنورة تطورها العمراني، ص ٧٧-٧٨.

(٢) محمد النجار: أخبار مدينة الرسول، ص ١٠٩.

(٣) محمد النجار: أخبار مدينة الرسول، ص ١٠٩-١١٠. وصالح لمعي مصطفى: المدينة =

ولما علم الخليفة العباسي المستعصم بالله (٦٤٠ ـ ٦٥٦هـ) أرسل في العام نفسه الصناع والمؤن مع ركب الحاج العراقي، وابتدأ في العمارة سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م، وأخذ العمال في إعادة بناء المسجد النبوي من جديد، فتم إعادة بناء سقف الحجرة النبوية، وبناء جدران المسجد وسقوفه التي حول الحجرة إلى الحائط الشرقي عند باب جبريل، ومن الجنوب إلى حائط القبلة، ومن الغرب إلى المنبر إلا أن هذه العمارة لم تتم بسبب غزو جيش التتار لبغداد واستيلائهم عليها، مما أدى إلى زوال الدولة العباسية في سنة (٦٥٦/١٢٥٨م)، وانقطاع التمويل المادي لهذا البناء[١]. وأصبحت هذه المهمة من مسؤوليات السلاطين المماليك الذين ظهرت دولتهم في مصر بنهاية الدولة العباسية، وامتد حكمهم على أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي بعد سقوط الدولة العباسية.

= المنورة تطورها العمراني، ص ٧٧-٧٨. وعبدالعزيز الحصين: العناية بالمسجد النبوي الشريف، ص ٢٨.

(١) السمهودي: خلاصة الوفاء، ص ٣١٧-٣١٨ . وصالح لمعي مصطفى: المدينة المنورة تطورها العمراني، ص ٧٩.

المسجد النبوي الشريف في العصر المملوكي

(٩٢٣ - ١٣١٦هـ)

أدرك السلطان المملوكي في مصر الملك المنصور نور الدين علي ابن الملك عز الدين أيبك الصالحي (٦٥٥ ـ ٦٥٧هـ) عِظَم المسؤولية الملقاة على عاتقه حول إعمار مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة بعد الحريق العظيم الذي أصاب المسجد في سنة ٦٥٤هـ فأرسل الآلات والأموال من مصر، كما أرسل ملك اليمن المظفر شمس الدين يوسف ابن منصور عمر بن علي بن رسول الآلات والأخشاب والمنبر، فأخذ العمال والصناع في إعادة بناء المسجد النبوي ووضع المنبر الجديد في مكان المنبر المحترق.

وفي ذي القعدة سنة ٦٥٧هـ تم عزل السلطان نور الدين الصالحي، وتولى مكانه السلطان سيف الدين قطز، فأصدر أمره بمواصلة البناء بالمسجد النبوي، فتم بناء الجدار القبلي من باب السلام وباب الرحمة بالجهة الغربية إلى باب جبريل وباب النساء بالجهة الشرقية من المسجد.

وفي عام ٦٥٨هـ تولى حكم المماليك الملك الظاهر بيبرس المعروف بالبند قداري، فأرسل الأخشاب والحديد والرصاص و(٥٣) صانعًا ماهرًا، كما أرسل المال اللازم للبناء، وأكمل في عهده سقف المسجد من سقفين، كما كان قبل الحريق سقفاً فوق سقف، وقد أشرف على أعمال البناء جمال الدين محسن الصالحي، وقد انتهى العمل من

بناء المسجد كما كان عليه قبل الحريق دون أي توسعة له، وذلك في عام ٦٦١هـ[1].

كذلك أرسل الظاهر بيبرس منبراً جديداً للمسجد في عام ٦٦٦هـ/١٢٦٧م، كما أمر بعمل مقصورة من الخشب بارتفاع قامتين (٣,٥٠متراً) بها ثلاثة أبواب وضعت جهة القبلة، وتم عملها في عام ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م.

وفي بداية عهد السلطان قلاوون (٦٧٨ ـ ٦٨٩هـ) أقيمت قبة على الحجرة النبوية لأول مرة، وقد بنيت فوق سطح المسجد على أعمدة، وتم تصفيحها بألواح مصنوعة من الرصاص، كما تم إصلاح سقف الروضة في عام ٧٠٥هـ، وكذلك سقف الأروقة الشرقية والغربية المطلة على صحن المسجد، وتم في عام ٧٠٦هـ إعادة بناء المئذنة الرابعة عند باب السلام التي هدمت في السابق.

وقد تتابع سلاطين المماليك في العناية بالمسجد النبوي وعمارته؛ فقد أرسل أول سلاطين المماليك الجراكسة السلطان برقوق منبراً في عام ٧٩٧هـ، وتبعه السلطان المؤيد فأرسل منبراً آخر حل محل منبر برقوق وذلك في عام ٨٢٠هـ[2] بعد تلف أجزاء من المنبر السابق.

وفي أواخر عام ٨٣١هـ أقام السلطان الأشرف برسباي بعض الأسقف الجديدة للمسجد بدلاً من التالفة من الناحيتين الجنوبية والشمالية بإشراف مقبل القديدي.

---

(١) علي السمهودي: وفاء الوفاء، جـ٢، ص ٦٠٤-٦٠٥.
(٢) صالح لمعي مصطفى: المدينة المنورة تطورها العمراني، ص ٨٠-٨١.

كما قام السلطان سيف الدين جقمق (٨٤٢ ـ ٨٥٧هـ) بتجديد سقف الروضة وغيرها من سقوف المسجد بعد ظهور بعض التلف عليها، وذلك في عام ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م[١].

وبعد أن تولى السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي السلطة في الدولة المملوكية (٧٧٢ ـ ٩٠١هـ) قام بعدة إصلاحات في المسجد النبوي بدأت في عام ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م، واستمرت حتى عام ٨٨٤هـ مع انقطاع في عام ٨٨٠هـ، وخلال هذه الفترة تم عمل الإصلاحات الآتية:

- هدم العقود المطلة على صحن المسجد من الناحية الشرقية وسقف الرواق الذي كان عليها وبناؤه من جديد مع وضع الرصاص في الأعمدة.
- هدم الحائط الشرقي من بعد المئذنة الشمالية الشرقية من أساسه وإعادة بنائه، مع إصلاح السقف الذي عليه، مع عمل الترميمات في أساس المئذنة، واستخدم في ذلك أفضل مواد البناء المتوافرة في ذلك العصر من جير وجص والحصباء الناعمة.
- تم رفع سقف الروضة العلوي وما اتصل به مما حول القبة أو مما يوازي غربي المنبر لتلف كثير من أخشابه، واستبدل الجسور الخشبية بعقود من آجر (طوب) كهيئة القناطر التي حول صحن المسجد؛ لأن ذلك أبقى وأحكم من الأخشاب.
- وضع دعائم سقف الرواق الشرقي، وجانباً من سقف رواق باب جبريل إلى باب النساء، وسقف الرواق الأوسط بعد أن وجد أن بعض أخشابها قد تكسر.

(١) السمهودي: وفاء الوفاء، ج٢، ص ٦٠٥.

- تجديد رخام بعض جدران المسجد وخاصة جهة القبلة برخام أبيض، وكذلك تجديد المقصورة الخشبية[1].

وقد توج السلطان قايتباي إصلاحاته بالحج وزيارة مسجد رسول الله ﷺ والوقوف على الإصلاحات والترميمات التي أمر بها، وقد صلى بالروضة، وحمد الله على إكمال البناء على أحسن وجه، وذلك في عام ٨٨٤هـ، واستمرت زيارته لها من ٢٢ ذي القعدة وحتى ٢٤ منه.

لم تستمر هذه العمارة طويلاً حيث شب في ١٣رمضان سنة ٨٨٦هـ/ ٥ نوفمبر عام ١٤٨١م حريق كبير بالمسجد النبوي على أثر سقوط صاعقة على المئذنة الجنوبية الشرقية (الرئيسة) فأدى ذلك إلى اشتعال النيران بتلك المنطقة وامتدادها إلى معظم أروقة المسجد، فسقط السقف ومعظم العقود والأعمدة، وكان أمير المدينة وأهلها قد حضروا إلى المسجد النبوي وأخذوا في إطفاء النار بالمياه، لكنهم عجزوا عن إطفائها لكثرة الدخان وسقوط السقفين العلوي والسفلي للمسجد على بعض المشاركين في الإطفاء ووفاتهم، وتم حمل بعض خزائن الكتب من تحت سقف المسجد جهة الصحن فأصابها الشرر فأحرق معظمها، كما احترقت أبواب المسجد والمقصورة والمنبر ولم تصب النار الحجرة النبوية والقبة التي فوقها، وترك الناس في البداية الأنقاض والردم على حالها حتى ترد إليهم الأوامر السلطانية، إلا أن الأمير والقضاة وكثيرًا من الأهالي قاموا بنقل الأنقاض من مقدمة المسجد إلى ما يلي باب الرحمة من مؤخره، ثم نصبت الخيام بالمسجد، وعندما حضر بعض الحجاج لزيارة مسجد رسول الله ﷺ عجبوا لما أصابه من حريق عظيم، فدعوا الله بالرحمة

(١) السمهودي: وفاء الوفاء، جـ٢، ص ٦٠٥-٦١٧، وحسن عبدالوهاب: تاريخ المساجد، جـ١، ص ٢٥٠-٢٥١.

والمغفرة والعون، وأسهموا في إزالة الأنقاض من بعض الأماكن التي يصلون بها وخاصة جهة القبلة وحول الحجرة النبوية.

وفي تلك الأثناء وصلت الأنباء إلى السلطان قايتباي في مصر فحزن كثيراً، فأصدر أوامره بالمبادرة برفع الأنقاض، والبدء في إعادة بناء المسجد النبوي، وأرسل الأمير سنقر الجمالي ومعه حوالي مائة صانع من البنائين والنجارين والنشارين والدهانين والحجارين والحدادين والمرخمين وغيرهم، وزودهم بالأموال ومواد البناء والدواب، ثم أتبعهم بمجموعة أخرى من البنائين والصناع وغيرهم يقدر عددهم بأكثر من ثلاثمائة رجل، وزودهم بالأموال والمؤن، وجعل شمس الدين بن الزمن مشرفاً على العمارة.

وقد بدأت أعمال البناء في مستهل عام ٨٨٧هـ، واستمرت حتى نهاية عام ٨٨٨هـ، وخلال هذه الفترة أعيد بناء المسجد النبوي من جديد مع توسعة محدودة في الجهتين الشرقية والشمالية، بلغ مجموعها حوالي (١٢٠) متراً مربعاً[(١)]، وأهم ما في هذه العمارة أنه تم إلغاء السقفين والاستعاضة عنهما بسقف واحد فقط تكثر فيه القباب المبنية على العقود المرفوعة على الأعمدة، بلغ ارتفاعه (٢٢) ذراعاً حوالي (١١ متراً)، كما استبدل المنبر الخشبي بمنبر مصنوع من الرخام وحوله دكة من الرخام، وغطيت معظم الفتحات بشبابيك من النحاس عليها الزجاج لزيادة الإضاءة وللتقليل من استخدام الخشب، وأقيمت مئذنة خامسة عند باب الرحمة.

وفي نهاية ذي القعدة سنة ٨٨٩هـ الموافق ٢٠ نوفمبر عام ١٤٨٤م حضر بهاء الدين أبو البقاء بن الجيعان ومعه الدهانون لدهان سقف

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر: علي السمهودي: وفاء الوفاء، جـ٢، ص ٦٣٣-٦٤٤.

المسجد بالأزورد، وأمره السلطان قايتباي ببناء رباط ومدرسة، فتم بناؤهما ملاصقين للحائط الغربي للمسجد بين باب السلام وباب الرحمة[١]، كما تم بناء سبيل للماء وفرن للخبز، ومكان لتقديم الطعام مجاناً للفقراء كل يوم، وأوقف السلطان قايتباي عدداً كبيراً من الدور والمزارع في مصر للإنفاق من ريعها على عمارة الحرمين الشريفين، وتقديم الصدقات للفقراء فيهما.

وبهذا يتضح لنا أن السلاطين المماليك قاموا بواجبهم حول إعمار المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة وتوسعته كلما احتاج الأمر لذلك وخاصة السلطان قايتباي الذي حج في عام ٨٨٤هـ وزار المدينة المنورة، فوقف بنفسه على أحوال الحرمين الشريفين من حيث عمارتهما، ومن حيث أحوال السكان هناك، والخدمات المقدمة للحجاج والزوار، فأقام داراً لإطعام الفقراء مجاناً يومياً، وأسبلة للماء، وعندما عاد إلى مصر أوقف الكثير من الدور والمزارع وخصص ريعها للإنفاق منه على خدمة الحرمين الشريفين والفقراء فيهما ولعمارتهما تقرباً إلى الله ـ عز وجل ـ بالأعمال الصالحة. بينما نلحظ أن الكثير من السلاطين المماليك ممن سبقوه لم يقوموا بمثل هذه الأعمال، واكتفوا فقط بإرسال الأموال والفنيين، واعتمدوا كثيراً على ممثليهم في الإشراف على أعمال البناء، وكان الواجب على أولئك السلاطين الوقوف بأنفسهم على ما يجري في الحرمين الشريفين من أعمال بناء ونحوها، وتلمس أحوال الحجاج والزوار والمعتمرين، وإزالة ما يشكون منه من مشاق ومتاعب فليست المشاهدة كالسماع.

---

(١) صالح لمعي مصطفى: المدينة المنورة تطورها العمراني، ص ٨٤-٨٨، والسمهودي: وفاء الوفاء: جـ ٢، ص٦٤٥-٦٤٧.

المسجد النبوي في العصر العثماني
(٩٢٣ - ١٣١٦هـ)

بعد ضم الحجاز للدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الأول الذي أنهى الحكم المملوكي في الشام ومصر والحجاز في عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧م، ولم تمهل المنية السلطان سليم الأول أن يقوم بأي إصلاحات في الحرمين الشريفين، بل أقر ما كان عليه وضع المدينتين المقدستين في عهد المماليك.

ـ عمارة المسجد النبوي في عهد السلطان سليمان القانوني (٩٢٦ ـ ٩٧٤هـ):

عندما تولى السلطان سليمان القانوني السلطة في الدولة العثمانية بعد وفاة السلطان سليم الأول في عام ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م قام بإصلاحات وتعمير للمسجد النبوي الشريف؛ بدأها بإجراء بعض الترميمات المحدودة في المسجد من الداخل عند باب السلام، وذلك في عام ٩٤٠هـ/ ١٥٣٤م، قدمت خلالها الأموال من الخزينة المصرية، وكذلك أرسل العمال ومواد البناء من مصر، وعين المهندس مصطفى خليفة، ثم من بعده عين الزيني مصطفى جلبي، تلاه الزيني محمود جلبي متوليًا لمشيخة الحرم النبوي الشريف، وناظراً على العمارة السلطانية[1].

---

(١) محمد بن خضر الرومي الحنفي: التحفة اللطيفة في عمارة المسجد النبوي وسور المدينة المنورة (نشر ضمن رسائل عدة في تاريخ المدينة المنورة بتقديم حمد الجاسر، (الطبعة الأولى، الرياض، دار اليمامة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ص٨٩-٩٠.

وفي عام ٩٤٦هـ أمر السلطان سليمان الأول (القانوني) ببناء بعض جدران المسجد النبوي وترميمها، وعمل الإصلاحات اللازمة في المسجد النبوي، وأرسل لذلك الأموال والفنيين والعمال، كما أرسل خمسة أهلة لكل منارة هلال، وعين الزيني حسنًا، ثم أبدله بالزيني عبدي جلبي للإشراف على أعمال البناء والترميم يساعده تاج الدين الخضيري.

وفي أوائل ربيع الآخر سنة ٩٤٧هـ جمع شيخ الحرم النبوي القضاة والمهندس المشرف على العمارة وهو المعلم علي تيك، والأمين على العمارة، وتمت معاينة المواقع التي تحتاج إلى ترميم وإصلاح في المسجد النبوي، فكان مما رآه المهندس والذين معه أن بعض الجدار الغربي من المسجد مع باب الرحمة يحتاج إلى الهدم وإعادة بنائه من جديد، وأن بقية الجدار مع الجدار الغربي للمسجد يحتاج إلى الترميم، مع تقوية جدار باب النساء ببناء أبراج خلفه من خارج المسجد، وأن المئذنة السنجارية التي في الركن الشامي من جهة الشرق تستوجب الهدم كلها، فاقتضى الحال الشروع في الهدم والترميم والبناء، كما قررته اللجنة التي عاينت الموقع، فأول ما بني باب الرحمة ثم باب النساء، وجُعلت لهما أبراج لتقويتهما، وكتب على كل من البابين اسم السلطان سليمان القانوني وتاريخ العمارة، ثم رمم الجدار الذي يليه غرب المسجد النبوي، وهدمت المئذنة السنجارية ونقض أساسها، ثم بنيت أرضها بالحجر المنحوت، وجعلت لها قاعدة مربعة، وتم بناء منارة جديدة مكانها سميت بالمنارة السليمانية، وفي أثناء ذلك هدم ما يحتاج إلى الهدم من الجدار الشرقي، وأعيد بناء جدار جديد مكانه، كما تم تبطين الجدران والأعمدة داخل المسجد بالرخام مع وضع الأهلّة المصنوعة من النحاس والمطلية بالذهب التي سبق أن أرسلها السلطان سليمان فوق المآذن، وترميم منطقة الروضة الشريفة، وبناء محراب جديد

سمي بالمحراب السليماني ليصلي فيه الإمام الحنفي، وعمل وزرة حول حائط الحجرة النبوية، وتجديد صفائح الرصاص التي على القبة، وقد تم الانتهاء من البناء والترميمات في أوائل عام ٩٤٨هـ[١]. ويظهر أنه لم تتم أي عمارة أخرى في عهد السلطان سليمان القانوني بعد هذه العمارة.

ـ المسجد النبوي في عهد السلطان سليم بن سليمان (٩٧٤ ـ ٩٨٢هـ):

قام السلطان سليم الثاني بن سليمان القانوني بمواصلة أعمال العمارة والترميم في المسجد النبوي كلما دعت الحاجة إلى ذلك، وكان يرسل الأموال والمؤن والفسيفساء مما يدل على عنايته برونق المسجد النبوي وبهائه وقوة عمارته، كما أنه اهتم بمحراب المسجد وغطاه بالفسيفساء المنقوشة بماء الذهب، وكتب اسمه بخط الثلث داخل القبة غرب المنبر من جهة القبلة[٢].

ـ المسجد النبوي في عهد السلطان مراد الثالث (٩٨٢ ـ ١٠٠٣هـ):

في عام ٩٩٤هـ رفع أهالي المدينة المنورة شكوى إلى السلطان مراد الثالث يطلبون فيها هدم الجدار الشرقي للمسجد النبوي لميلانه، وتجديده من باب النساء إلى المئذنة الشمالية الشرقية (السنجارية). فأصدر السلطان مراد الثالث أمره بهدم الجدار المذكور وإعادة بنائه من جديد، على أن يكون الصرف على ذلك من أثمان القناديل والحلي المخزونة في خزانة المسجد النبوي[٣]. وقد تم بناء الجدار في مدة

---

(١) محمد بن خضر الرومي: التحفة اللطيفة، ص ٩٠-٩٢.

(٢) ناجي محمد عبدالقادر الأنصاري: عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ، ص ١٣٥.

(٣) محمد بن هزاع الشهري: عمارة المسجد النبوي في العصر العثماني (رسالة ماجستير، ١٤٠٢هـ)، ص ٣١.

وجيزة، وسعد الأهالي بهذه الاستجابة الخيرة من السلطان مراد الثالث، ودعوا له بالتوفيق.

كما أن السلطان مراد الثالث أرسل للمسجد النبوي ثلاثة قناديل من الذهب المرصع بالجواهر فعُلِّق اثنان منها في المسجد وواحد وضع في الروضة الشريفة(١).

وفي سنة ٩٩٦هـ أصاب المدينة المدينة المنورة زلزال محدود أدى إلى حدوث بعض التصدعات والتشققات في سقف المسجد النبوي الشريف، وما أن علم السلطان مراد الثالث بذلك حتى أمر بعمل الترميمات والإصلاحات اللازمة في سقف المسجد وجميع أنحائه. وقد بدأ العمل في ذلك في بداية سنة ٩٩٧هـ فرممت التصدعات التي في سقوف المسجد، وجرى تبييض جميع جدرانه وطلاء أعمدته، مما جعل المسجد النبوي يظهر بالمظهر اللائق به.

ومن الأعمال التي قام بها السلطان مراد الثالث في المسجد النبوي أنه أرسل في عام ٩٩٨هـ منبراً رخامياً وضع مكان المنبر السابق، وكان هذا المنبر بديعاً في صنعه، رائعاً في تصميمه(٢)، له اثنتا عشرة درجة، وكان ثلاث منها خارج بابه، والتسع الأخرى بداخله(٣)، وهذا المنبر يمثل نموذجاً حياً للإبداع الفني في العمارة الإسلامية في ذلك العصر.

---

(١) محمد عبداللطيف هريدي: شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية (الطبعة الأولى، القاهرة، دار الزهراء للنشر، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ص ٤٨.

(٢) محمد الشهري: توسعة وعمارة المسجد النبوي (ضمن الأبحاث التي ضمها كتاب توسعة وعمارة الحرمين الشريفين، رؤية حضارية)، ص ٦١.

(٣) ناجي محمد عبدالقادر: عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ، ص ١٣٧.

ولم يدخل على المسجد النبوي أي إضافات أو ترميمات جديدة خلال الفترة من ١٠٠٣هـ حتى عهد السلطان مراد الرابع (١٠٣٢هـ)، ما عدا بعض الهدايا التي كانت تهدى للمسجد النبوي من السلاطين العثمانيين، ومنها ما قام به السلطان أحمد الأول في سنة ١٠٢٤هـ بإهداء قطعتين من الماس تبلغ قيمتهما ثمانين ألف جنيه من الذهب بسعر ذلك العصر، وضعت في الروضة الشريفة وأطلق عليها اسم (الكوكب الدرّي)، وقيل: إنه أرسل بعد ذلك قطعة واحدة من الألماس موضوعة في صحيفة من الذهب وتحيط بها (٢٢٧) قطعة من الألماس الصغير الحجم، و أمر بأن توضع بدلاً من الكوكب الدري، وتعاد ماستي الكوكب الدرّي مع ميزاب الحجرة الشريفة إلى خزانة الدولة العثمانية بإسطنبول[(١)]. وكذلك اللوح الفضي الذي أهداه السلطان أحمد الأول عام ١٠٢٦هـ ووضع على المقصورة بالجهة الجنوبية من المسجد النبوي[(٢)].

أما في عهد السلطان مراد الرابع (١٠٣٢ ـ ١٠٤٩هـ) فقد حظي المسجد النبوي بترميمات وإصلاحات شاملة في بعض أسقف أروقة القبلة، كما أنه زاد ثلاثة أروقة في ظلة أروقة القبلة مما يلي الصحن[(٣)]، وقد أنفق على ذلك أموالاً كثيرة، وتمت العمارة بأيد عاملة أرسلهم والي مصر العثماني بتكليف من السلطان مراد الرابع، وأقيمت هذه الأروقة الثلاثة على أعمدة رخامية وأقواس مزخرفة، تعلوها القباب؛ لأنها أفضل من الخشب، ولنجاحها في العمارة السابقة في العهد المملوكي والعثماني. وتم الانتهاء من هذه العمارة والترميمات سنة ١٠٤٤هـ.

---

(١) محمد عبد اللطيف هريدي: شؤون الحرمين الشريفين، ص ٤٩.
(٢) صالح لمعي مصطفى: المدينة المنورة تطورها العمراني، ص ٨٩.
(٣) ناجي محمد عبدالقادر: عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ، ص ١٣٣.

وفي عهد السلطان محمد الرابع (١٠٥٨ ـ ١٠٩٩هـ) احتاجت منارة باب السلام المبنية سنة ٧٠٦هـ إلى التجديد، فكلف السلطان محمد الرابع الوالي العثماني على مصر أحمد باشا بإرسال الأموال اللازمة والمؤن لتجديد المنارة، وعمل بعض الترميمات اللازمة التي يحتاجها المسجد، وقد تم البناء للمنارة المذكورة وعملت الترميمات اللازمة(١).

وعندما تولى السلطان مصطفى الثاني (١١٠٦ ـ ١١١٥هـ) قام بعمل بعض التجديدات في منطقة الروضة(٢)، وترميم بعض السقوف السابقة للعهد العثماني، وكذلك زخرفة بعض الواجهات في المسجد النبوي الشريف.

واقتصرت أعمال السلطان أحمد الثالث (١١١٥ ـ ١١٤٣هـ) في المسجد النبوي على تجديد سقف الأروقة الغربية للمسجد إثر تلف اثني عشر عموداً فيها، مع ترميم بعض الأجزاء من سقف مؤخرة المسجد، وتم ذلك في عام ١١٣٣هـ.

وفي عهد السلطان محمود الأول (١١٤٣ ـ ١١٦٨هـ) تم تجديد الجزء العلوي من جدار القبلة، وذلك في عام ١١٤٩هـ(٣). كما أضيف في العام نفسه رواق جديد جهة القبلة.

وأجرى السلطان عثمان الثالث (١١٦٨ ـ ١١٧١هـ) بعض الإصلاحات ومنها ترميم بعض سقوف المسجد النبوي القديمة، وقد تم ذلك في بداية عام ١١٧٠هـ،

---

(١) محمد الشهري: توسعة وعمارة المسجد النبوي، ص ٦١. وناجي محمد عبدالقادر: عمارة وتوسعة المسجد النبوي عبر التاريخ، ص ١٣٧. وأيوب صبري: مرآة الحرمين، جـ٢، ص ٧٣٩.

(٢) عبدالغني الشهبندر: رحالة الحجاز (الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٣٧م) ص ٤٧.

(٣) محمد الشهري: المرجع السابق، ص ٦١.

وحظي المسجد النبوي بعمارة كبيرة في عهد السلطان عبد الحميد الأول (١١٨٧ ـ ١٢٠٣هـ)، حيث تمت تغطية أرضية المسجد بالرخام من مدخل باب السلام حتى الحجرة النبوية، وتغطية حائط القبلة بالرخام من باب السلام إلى باب المئذنة الجنوبية الشرقية (الرئيسة)، وكذلك تغطية أعمدة الصف الأول من الروضة بالرخام الخزفي الملون، وتم إنجاز ذلك في عام ١١٩١هـ(١).

وبعد سبعة أعوام من تمام تلك الأعمال ظهرت في المحراب العثماني آثار تصدع أحضر لها من أصلحها، وأعيدت الكتابات التي كتبت عليها في عصور مختلفة(٢). ثم جددت مداخل باب الرحمة وباب جبريل وكسيت بالرخام، وذلك في عام ١٢٠١هـ(٣).

أما عن أعمال السلطان سليم الثالث (١٢٠٣ ـ ١٢٢٢هـ) في المسجد النبوي فهي استبدال البلاطات الخزفية الموضوعة على أعمدة الروضة سنة ١١٩١هـ بكسوة من الرخام غطيت بها الأعمدة، وتم عمل ذلك في حدود عام ١٢٠٨هـ، كما أعيد بناء باب جبريل مرة ثانية سنة ١٢١٢هـ، وأصلح ما طرأ على سقوف المسجد وجدرانه ومآذنه من خلل أصابها مع تقادم الزمان وعوامل الطقس. وقد حافظت تلك الأعمال على سلامة مباني المسجد وأسقفه طوال مدة حكم السلطان سليم الثالث.

وعندما جاء السلطان محمود الثاني (١٢٢٣ ـ ١٢٥٥هـ) حظي المسجد النبوي باهتمام كبير، وذلك لما لوحظ من ظهور آثار التلف في

---

(١) صالح لمعي مصطفى: المدينة المنورة تطورها العمراني، ص ٨٩-٩٠. . وأحمد العباسي: عمدة الأخبار في مدينة المختار، (الطبعة الخامسة، صححها وضبطها الأستاذ حمد الجاسر، ب ت)، ص ٤٦٤.

(٢) محمد الشهري: توسعة وعمارة المسجد النبوي (ضمن أبحاث رؤية حضارية)، ص ٦١.

(٣) صالح لمعي مصطفى: المدينة المنورة، ص ٩٠.

أماكن مختلفة من جدران المسجد وسقوفه وأبوابه، فتم تعميد كاتب ديوان خديوي مصر بإصلاح الأماكن التي ظهر عليها التلف وترميمها، وقد تم إنجاز هذا العمل في عام ١٢٢٨هـ، وقد وصلت رسالة بهذا الخصوص من الديوان الخديوي بمصر إلى محمد علي باشا الذي كان موجوداً في الحجاز تخبره بما صدر من أوامر من السلطان(١). ومن أهم ما تم عمله بعد ذلك هو هدم القبة التي أقيمت على الحجرة النبوية في عهد السلطان المملوكي الأشرف قايتباي سنة ١١٨٩هـ بعد أن ظهر عليها شروخ كبيرة، وقد تم إرسال حسين رفقي أفندي (من كتاب الديوان الهمايوني) والمدرِّس بمدرسة المهندسخانة إلى المدينة المنورة من إسطنبول ليتولى عملية الإشراف على التعمير، وفي أثناء عمله توفي، فعين أحمد أفندي الذي قدم متأخرًا من إسطنبول مكانه، وقد أقيمت قبة أخرى مكان القبة السابقة غطيت بالرصاص ودهنت باللون الأخضر بدلاً من اللون الأزرق، وخفض ارتفاعها إلى الشكل الذي نراها عليه اليوم، وتم الانتهاء منها في عام ١٢٣٣هـ(٢).

وفي الوقت نفسه عزم السلطان محمود الثاني على استبدال السقوف الخشبية في العمارات السابقة للمسجد النبوي بالقباب الصغيرة المرفوعة على الأعمدة الرخامية والعقود الحجرية، نظراً لسرعة تلف السقوف الخشبية وتشققها، فجهز لذلك الأموال والمعدات والمؤن والصناع من إسطنبول والمدن التركية الأخرى، إلا أنه فوجئ بمعارضة شديدة من شيخ الحرم النبوي لخشيته من تأثير أعمال الهدم والبناء في الأجزاء

(١) سعد بدير حلواني: تعمير المدينة المنورة (الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة الحسين الإسلامية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ص ٦.

(٢) سعد بدير الحلواني: تعمير المدينة المنورة، ص ٧-٨. وأيوب صبري: مرآة الحرمين، ج٢، ص ٧٦٣.

الأخرى من المسجد وخاصة الحجرة النبوية، فاكتفى بعمل الترميمات اللازمة للسقوف التالفة وخاصة تلك الموجودة في مؤخرة المسجد النبوي، وكذلك ترميم بعض المآذن، وتم ذلك في سنة ١٢٣٦هـ. وتتابعت أعمال الترميم والتجديد في عهد السلطان محمود الثاني كلما احتاج المسجد لذلك.

ـ المسجد النبوي في عهد السلطان عبدالمجيد الأول (١٢٥٥ ـ ١٢٧٧هـ):

سار السلطان عبدالمجيد الأول على نهج أسلافه في المحافظة على بناء المسجد، وتعهده بالترميم والتجديد كلما دعت الحاجة إلى ذلك؛ فكان أول أعماله العمرانية في المسجد النبوي أنه في سنة ١٢٥٦هـ جدد الطبقة الرصاصية التي فوق قبة الحجرة النبوية، كما جدد بعض القباب التي على الأروقة الشمالية.

ومع مرور الزمان وتعدد الترميمات والإصلاحات أخذت بعض جدران المسجد وسقوفه في التشقق مرة أخرى، وبدأ بعضها يميل ويسقط فجأة حتى ساءت الحالة المعمارية للمسجد بشكل كلي مع بداية عام ١٢٦٣هـ، حيث أصبحت التشققات والشروخ في الجدران والقباب ظاهرة للعيان مما جعلها مهددة بالسقوط في أي وقت من الأوقات(١)، بل إن بعضها سقط فعلاً على المصلين والزوار.

فكتب شيخ الحرم داود باشا كتاباً إلى السلطان عبدالمجيد الأول وقَّعه كثير من أعيان المدينة المنورة، شرح فيه أوضاع المسجد النبوي وحاجته الفورية إلى إعادة البناء والتجديد الكامل لعمارته، وأرسله في أواخر عام ١٢٦٣هـ، فعرض السلطان الأمر على المجالس المختصة ومستشاريه، فحدث بينهم خلاف حول كيفية التعامل مع هذا الحدث؛

---

(١) محمد الشهري: توسعة وعمارة المسجد النبوي، ص ٦١-٦٢.

فمنهم من يرى الاكتفاء بالترميم، ومنهم من يرى ضرورة هدم البناء وإعادة بنائه من جديد، فاستقر الأمر على إرسال مهندس لفحص مبنى المسجد النبوي وتقديم تقرير وافٍ عن الوضع فيه. وبعد المعاينة جاء تقرير أصحاب الخبرة بضرورة هدم المسجد؛ لأن حالته خطيرة، والمطالبة بإعادة بنائه من جديد، فصدر أمر السلطان بالشروع في إعداد الخطط والتصاميم، ثم المباشرة الفورية في هدم المسجد وبنائه من جديد، وكان التقرير في الواقع متوافقاً مع رغبة السلطان الذي كان يرى ضرورة التجديد الكلي للمبني[(١)].

ولتنفيذ هذه الرغبة أرسل السلطان مدير هيئة المباني الخاصة عبدالحكيم أفندي وعددًا من المهندسين منهم محمد رائف ورمزي أفندي وعثمان أفندي ليتولوا الإشراف المباشر على عمارة المسجد النبوي، فشرعوا فور وصولهم إلى المدينة المنورة في جمادى الآخرة سنة ١٢٦٦هـ في وضع الخطط والتصاميم اللازمة للمشروع، ثم أخذوا في البحث عن توفير الحجارة والرخام المناسب لعمارة المسجد بمساعدة شيخ الحجارين إبراهيم أغا، فوجدوها في جبل قرب ذي الحليفة، حجارته حمراء صلبة، فأقاموا فيه ورشة كبيرة لنحت الحجارة وتجهيزها، وعمل الأعمدة الحجرية حسب الأطوال والمقاسات التي حددها الفنيون من المهندسين المشرفين على المشروع. كما أقيمت ورشة أخرى في بداية الحرة لتجهيز الحجارة السوداء الصلبة لبناء الجدران، وورشة ثالثة لإعداد مواد البناء اللازمة كالجص والنورة ونحوها[(٢)]. وتم نقل ما

---

(١) جعفر البرزنجي: نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين (الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الرفاعي، ١٤١٦هـ)، ص ٢٦-٢٧.

(٢) جعفر البرزنجي: المصدر السابق، ص ٢٣، ومحمد إلياس عبد الغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص٥٤-٥٥.

ينحت من حجارة، أو يعد من مواد بناء إلى مواقع العمل بالمسجد النبوي عبر طرق ممهدة لعبور العربات التي تجرها الدواب.

وقد أرسل السلطان الأموال الكثيرة للإنفاق منها على التجهيزات المطلوبة لعمارة المسجد من الآلات ومواد البناء، كما أرسل عدداً كبيراً من البنائين والحجارين والنقاشين المهرة، يشاركهم في أعمال البناء عمال من أبناء المدينة المنورة وما جاورها(١).

وبعد حج عام ١٢٦٦هـ توفي عبد الحليم أفندي المشرف على البناء، فتولى الإشراف بعده المهندس محمد رائف باشا الذي واصل العمل بحزم، فأمر بالبدء في هدم الجزء الشمالي الواقع في خلف المسجد بما في ذلك القبة التي في الصحن، كما أمر أن يسير العمل دون توقف إلا في أثناء وقت الصلوات، وقد أقام في الجزء الواقع خارج الجدار الشمالي للمسجد مباني خاصة للتعليم، ومكاتب ومخازن للزيت والمؤن، وفتح بينهما باباً عُرف فيما بعد بالباب المجيدي. وشرع بعد ذلك في إقامة أروقة جديدة في المنطقة الشمالية للمسجد مكان الأروقة المهدومة، انتقل بعدها إلى هدم الجدار والأروقة الممتدة من المنارة الرئيسة إلى باب جبريل، وأدخل عليها توسعة من الناحية الشرقية تقدر بثلاثة أمتار وربع المتر، ثم أقام أروقة جديدة شملت التوسعة الجديدة.

وفي سنة ١٢٦٩هـ قدم إلى المدينة المنورة أبو بكر باشا ناظر دار الهندسة لإكمال أعمال البناء، فأتم أعمال البناء في الجزء الشمالي والشرقي من المسجد، ثم قام بهدم الجزء الغربي من المسجد بما في ذلك المنارة الواقعة في الركن الشمالي الغربي منه، ونصب الأعمدة في

---

(١) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين (الطبعة الأولى، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٤٤هـ)، جـ١، ص ٤٦٥-٤٦٦.

ثلاثة صفوف أقام فوقها العقود والقباب، إلا أنه توفي في جمادى الأولى سنة ١٢٧١هـ، فقام شيخ الحرم بالإشراف على إكمال ما تبقى من أعمال البناء، حتى قدم إلى المدينة المنورة أدهم باشا في ١٥ صفر عام ١٢٧٢هـ مشرفاً على ما تبقى من عمارة للمسجد النبوي، فقام ببناء عدد من القباب عند باب النساء وباب جبريل، ثم توفي في أواخر سنة ١٢٧٣هـ، فأسند أمر الإشراف على المشروع للمهندس صالح أفندي، فبدأ في الهدم وإضافة رواقين إلى الأروقة القبلية مما يلي الصحن، وجاء بناء الأروقة القبلية للمسجد بالطريقة نفسها التي بنيت بها الأروقة الأخرى مع التقيد التام بأن تكون الأعمدة الجديدة في الأروقة المهدومة في موضع الأعمدة القديمة.

وفي عام ١٢٧٤هـ قدم إلى المدينة محمد راشد أفندي مشرفاً جديداً على مشروع عمارة المسجد النبوي، ووصل معه عدد من المهندسين، فعمل الجميع على إكمال البناء، ثم أسند أمر الإشراف على المشروع إلى أحد القضاة وهو الشيخ أسعد الدين أفندي، تحت إشراف أمير مكة المكرمة، فسعى الجميع إلى إتمام العمل، وتم تمييز قباب الروضة وبعض القباب باستخدام الشبابيك المعقودة(١).

وتعد هذه العمارة هي العمارة السابعة للمسجد النبوي، وهي أول عمارة ضخمة مميزة من حيث طرازها وتصميمها والمواد المبنية منها، فالسقوف بنيت من مجموعة كبيرة من القباب، تحملها أعمدة حجرية تعلوها تيجان عليها عقود مبنية من الحجارة والنورة، واشتمل الجزء الجنوبي من المسجد على اثني عشر رواقاً، والجزء الغربي على ثلاثة أروقة، واشتمل الجزآن الشمالي والشرقي على رواقين فقط، ويتوسط

---

(١) محمد بن هزاع الشهري: توسعة وعمارة المسجد النبوي، ص ٦٢-٦٣.

المسجد صحن مكشوف. وقد حافظ المسجد النبوي في هذه العمارة على أبوابه الأربعة الأصلية: (باب السلام، باب جبريل، باب النساء وباب الرحمة)، مع إضافة باب خامس في الجزء الشمالي سمي بباب المجيدي، نسبة إلى السلطان عبدالمجيد الأول. وغطيت الأعمدة بطبقة من الرخام المزخرف والمزين بماء الذهب، واستبدلت المئذنة الشمالية الغربية الخشبية بمنارة جديدة مبنية بالحجارة سميت المئذنة المجيدية.

وبلغ ما أنفق على العمارة حوالي (١٤٠) كيساً من الذهب كل كيس به (٧٠٠) قطعة من الذهب[(١)]. وبلغ حجم التوسعة الجديدة (١٢٩٣متراً مربعاً)، لتصبح مساحة المسجد الإجمالية (١٠,٣٠٢ متر مربع)، وكانت الزيادة في الجانبين الشمالي والشرقي، وتم الانتهاء من بناء المسجد في عام ١٢٧٧هـ، واستمرت أعمال الزخرفة والكتابات لعدة سنوات أخرى قام بها عدد من المختصين برئاسة الخطاط المشهور عبدالله زهدي[(٢)].

ـ المسجد النبوي بعد عهد السلطان عبدالمجيد الأول (١٢٧٧ ـ ١٣٣٦هـ)

لقد كانت عمارة السلطان العثماني عبدالعزيز (١٢٧٧ ـ ١٢٩٣هـ) في المسجد النبوي محدودة، تمثلت في عمل عقد ضخم أمام باب السلام مما جعل لهذا الباب مدخلاً له واجهة عريضة تشبه الصالة في مقدمته، غطيت جوانبها ببلاط البورسلان (القيشاني)، عليها رسومات بنائية باللون الأزرق، وتعلو مقدمة المدخل قبة مثمنة ميزته عن بقية مداخل المسجد النبوي.

---

(١) للمزيد من التفصيل انظر: جعفر البرزنجي: نزهة الناظرين، ص ٢٧-٦٠، ومحمد لبيب البتنوني: الرحالة الحجازية، ص ٢٤٥، وإبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، جـ١، ص ٤٤٧-٤٥١، وصالح لمعي مصطفى: المدينة المنورة تطورها العمراني، ص ٩٢-٩٧.

(٢) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى: ص ٢١١-٢١٢.

ويظهر أن المسجد النبوي لم يشهد أي إضافات معمارية في عهد السلطان عبدالمجيد الثاني (١٢٩٣ ـ ١٣٢٧هـ) حسبما توافر لدينا من معلومات ودراسات في الوقت الحاضر. وفي الأيام الأخيرة للدولة العثمانية شهد المسجد النبوي في عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م تجديد المحراب النبوي والسليماني على يد محافظ المدينة فخري باشا[(١)].

وفي الصفحات التالية سوف نستعرض الإنجازات العظيمة التي شهدها المسجد النبوي في ظل الحكم السعودي على يد الملك عبدالعزيز وأبنائه البررة حتى الوقت الحاضر الذي شهد فيها المسجد النبوي الشريف أكبر توسعة في التاريخ وأعظمها على أحدث طراز معماري إسلامي، مما يعد مفخرة للحكم السعودي العظيم الذي أولى قادته خدمة الحرمين الشريفين جل اهتمامهم، وبذلوا في سبيل ذلك الغالي والنفيس.

(١) صالح لمعي مصطفى: المدينة المنورة تطورها العمراني، ص ٩٨-٩٩، وناجي محمد حسن عبدالقادر الأنصاري: عمارة وتوسعة المسجد النبوي عبر التاريخ، ص ١٥٧.

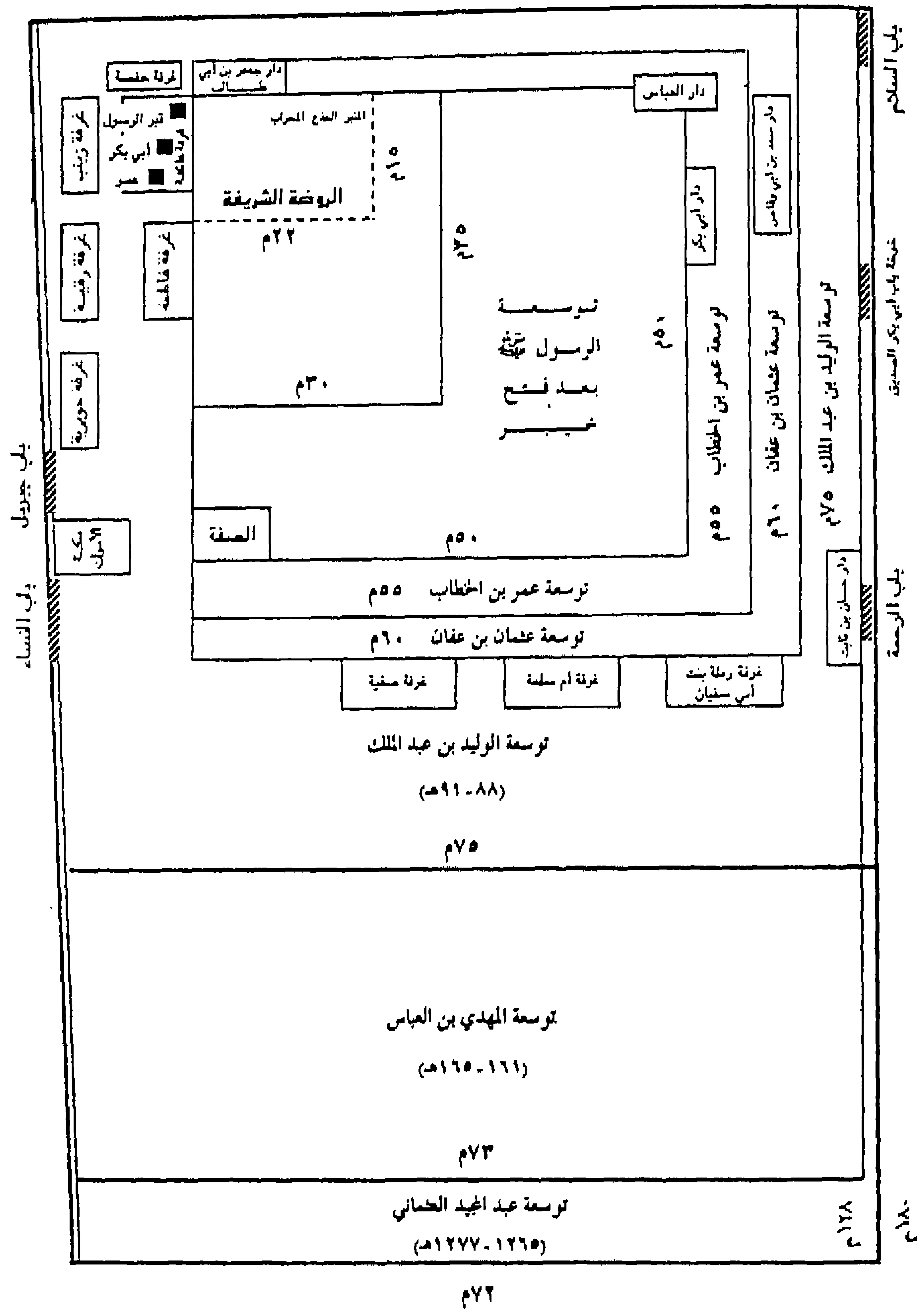

توسعة المسجد النبوي الشريف حتى العهد العثماني(١)

---

(١) من تصميم المؤلف.

الباب الثاني

عمارة المسجد النبوي الشريف في العهد السعودي

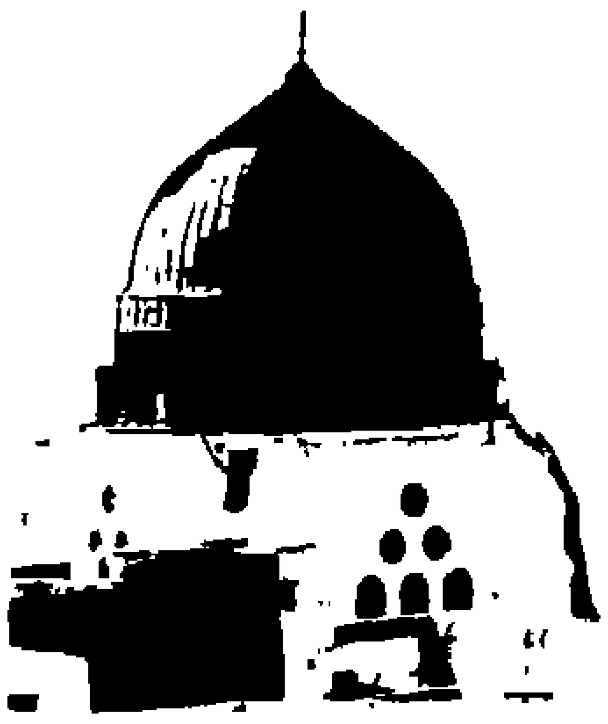

الفصل الأول

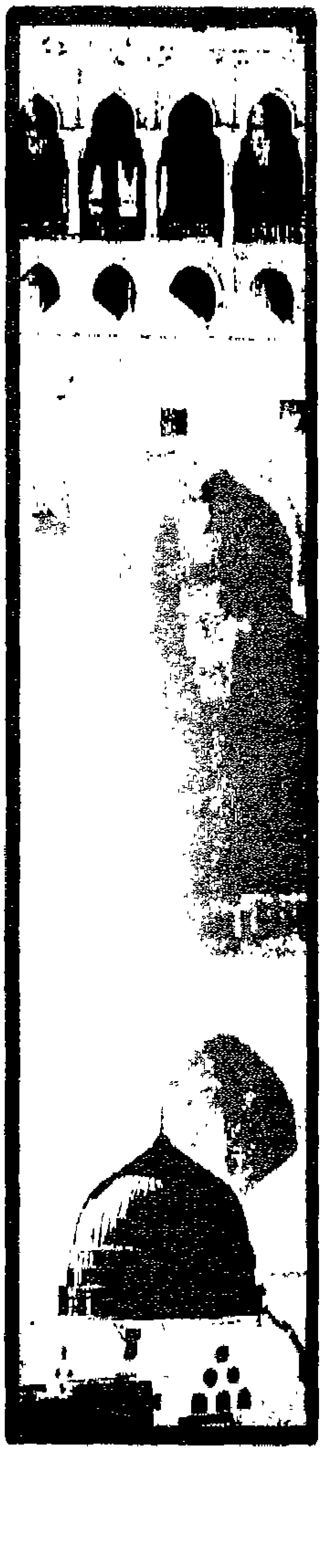

التوسعة السعودية الأولى للمسجد النبوي الشريف

أولاً ـ اهتمام الملك عبد العزيز بالمسجد النبوي وتوسعته.

ثانياً ـ دور الملك سعود في إتمام مشروع توسعة المسجد النبوي.

التوسعة السعودية الأولى للمسجد النبوي الشريف

أولاً ـ اهتمام الملك عبد العزيز بالمسجد النبوي وتوسعته :

منذ أن تم ضم المدينة المنورة للحكم السعودي في عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م وهذه المدينة محل اهتمام ورعاية من قادة هذه الدولة. وكان أهم إنجاز حققه الملك عبدالعزيز مؤسس المملكة العربية السعودية ـ رحمه الله ـ هو تحقيق الأمن والاستقرار في هذه الدولة، وتأمين سلامة الحجاج والمعتمرين والزوار للحرمين الشريفين وتيسير سبل الوصول إليهما؛ مما كان له أثره الواضح في زيادة أعداد الحجاج والمعتمرين والزوار إلى الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج أو العمرة، أو زيارة مسجد رسول الله ﷺ، حيث كانت رحلة الحج محفوفة بالمخاطر والرعب لا يأمن فيها الحاج على نفسه ولا ماله، وذلك لتعرضه لأعمال السلب والنهب التي كان يقوم بها بعض رجال البادية من ضعاف النفوس، ممن لم تستطع السلطات الحاكمة قبل العهد السعودي ردعهم وتنفيذ أحكام شرع الله فيهم. فلما آلت رعاية الحرمين الشريفين وخدمتهما للملك عبدالعزيز سخّر كل إمكانيات دولته لنشر الأمن، وإقامة العدل، وفرض النظام في جميع أنحاء دولته، فضرب بقوة على أيدي العابثين، وقضى على أعمال النهب والسلب وأمَّن الطرق، ووفر المياه عليها، فأصبح الحج في العهد السعودي آمناً، وبات حجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد نبيه ﷺ ينعمون بالأمن والراحة والطمأنينة منذ قدومهم إلى المملكة وحتى عودتهم إلى ديارهم[1].

(١) وزارة الإعلام: الحرمان الشريفان، ص ١٣.

وكما فعل الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في المسجد الحرام بمكة المكرمة في بداية عهده من ترميمات وإجراء الإصلاحات اللازمة التي تم الحديث عنها في الباب الأول من هذا الكتاب، فإنه أيضاً قام بإصلاحات وترميمات عدة في المسجد النبوي، بدأها في عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م عندما أصدر أوامره السامية بإجراء الإصلاحات والترميمات اللازمة لبعض الأعمدة المحيطة بالحجرة النبوية، وإصلاح بلاط ساحة صحن المسجد والأراضي المحيطة بها من الجهات الأربع، بعد ظهور تشققات وهبوط في أرض الصحن والأروقة المحيطة به، نتيجة تلف شبكة تصريف مياه الأمطار، وعدم إصلاحها مما أدى إلى انسدادها والسماح لمياه الأمطار بالتجمع في صحن المسجد وتسربها داخل التشققات فانتشرت الرطوبة، وأدت إلى انهيارات أرضية، فأمر الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ بإقامة شبكة جديدة لتصريف مياه السيول، مع إصلاح الانهيارات الأرضية والتشققات التي حدثت في الصحن، وبناء ميدات أرضية لحماية الأروقة المحيطة بالصحن من تسرب المياه إليها.

وتلا ذلك عمل الترميمات اللازمة في بعض الأعمدة في الرواقين الشرقي والغربي للمسجد النبوي من ناحية الصحن، ووضع أطواق حديدية حول بعض الأعمدة بأبعاد مختلفة ليزيد من تماسكها، وذلك في سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م[١]، وقد جاء هذا العمل مكملاً للعمل السابق من أجل حماية الأعمدة من أي تشققات قد تضر بها مستقبلاً.

وفي عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٤م تقدمت وزارة الأوقاف المصرية بطلب إنفاق ما تجمع لديها من مبالغ كبيرة حصلت عليها من ريع أوقاف

(١) عبدالقدوس الأنصاري: آثار المدينة المنورة (الطبعة الثانية، المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ١٣٧٨هـ) ص ٧٨.

الحرمين الشريفين في مصر، وذلك بعمل الترميمات التي يحتاجها المسجد النبوي، وقد تم إنفاق تلك الأموال في ترميم بعض الأعمدة والأرضيات والمآذن، وطلاء الجدران والمداخل المحيطة بالمسجد من الداخل والخارج، حيث إن ما أنفق إنما هو من أموال الحرمين الشريفين المخزونة في صناديق وزارة الأوقاف المصرية(١)، فأنفقت فيما أوقفت عليه.

وقد تم الانتهاء من هذه الترميمات في سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٧م، وبعد ذلك زار الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ المسجد النبوي، فتفقد المسجد من الداخل والخارج، ورأى أنه في حاجة للتوسعة على أسس حديثة، وأن ذلك يتطلب إزالة الدور المحيطة بالمسجد من جهاته الثلاث: الشرقية والغربية والشمالية خدمة للإسلام والمسلمين، وذلك نظراً لما رآه ـ رحمه الله ـ من ضيق المسجد بالمصلين والزوار الذين أخذت أعدادهم تزداد عاماً بعد آخر بفضل الله ـ تعالى ـ ثم بفضل ما حققته الدولة من الأمن والاستقرار، وكذلك لما رآه من ظهور بعض التشققات في الجدار الشمالي للمسجد لقدمه ولتعرضه لتسرب بعض المياه من الدور المجاورة له، فأحدثت به تآكلات داخلية، وربما يؤثر ذلك في بقية أجزاء المسجد فيما لو ترك فترة طويلة(٢).

إن أمراً كهذا أقلق الملك عبدالعزيز رحمه الله، فأصدر في الثاني عشر من شهر شعبان سنة ١٣٦٨هـ الموافق ٩/ ٦/ ١٩٤٩م بياناً للأمة الإسلامية برقم ٢٧/ ٤/ ٢/ ١٣٦٨ يبشرهم فيه باعتزامه ـ بمشيئة الله ـ القيام بتوسعة الحرمين الشريفين بدءًا بالمسجد النبوي، فاستبشر العالم

---

(١) عبدالعزيز الحصين: العناية بالمسجد النبوي الشريف، ص ٣٦.

(٢) هاشم دفتردار و جعفر فقيه: توسعة الحرم النبوي الشريف (الطبعة الأولى، بيروت، مطبعة الإنصاف، ١٣٧٣هـ)، ص٣٣.

الإسلامي عامة، وأبناء المملكة خاصة بهذا النبأ العظيم، وتأكد للجميع أن الحرمين الشريفين أصبحا في أيد مخلصة أمينة، يهمها خدمة الإسلام والمسلمين. فبجانب ما حققه الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ من توفير الأمن والأمان والرخاء والاستقرار في الحرمين الشريفين لحجاج بيت الله الحرام والمعتمرين، وزوار مسجد رسوله الكريم ﷺ، فإنه يعلن الآن وعلى الملأ في مشارق الأرض ومغاربها عزمه على توسعة الحرمين الشريفين، وبذل الغالي والنفيس في سبيل ذلك، فابتهلت الألسن بالدعاء للملك عبدالعزيز بالتوفيق والنصر المبين، وأن يعز الله به الإسلام والمسلمين(١).

وتأكيداً من الملك عبدالعزيز لما أعلنه فإنه أصدر أمره الكريم لولي عهده الأمير سعود، ونائبه في الحجاز الأمير فيصل باتخاذ الخطوات اللازمة لتنفيذ هذا المشروع الإسلامي العملاق على أحدث تصميم وأفضل بناء، بما يتفق مع مكانة المسجد النبوي الشريف في قلوب المسلمين، من غير تعطيل لإقامة الصلوات في أوقاتها، وأن تتم التوسعة على خطوات، كما صدرت الأوامر لوزير المالية عبدالله السليمان بأن يصرف كل ما يلزم هذا المشروع من أموال فورًا على حساب المملكة، وبدون مراجعة(٢).

وعلى أثر صدور الأمر السامي الكريم أخذ الأميران سعود وفيصل باستدعاء الخبراء والمختصين في فن العمارة الإسلامية الحديثة من خارج المملكة العربية السعودية، وداخلها، وأوكل إليهم الأمر في عمل

---

(١) جريدة المدينة المنورة، العدد (١٠٣) في ٥ رمضان سنة ١٣٦٨هـ، حيث يوجد نص الخطاب السامي الكريم.

(٢) إبراهيم الشوري: جلالة الملك سعود والحرمين الشريفين، الجزء الأول، الحرم النبوي الشريف (الطبعة الأولى، القاهرة، دار الكتاب العربي، ب.ت)، جـ١، ص ٢٥-٢٦.

التصاميم اللازمة لتوسعة المسجد النبوي وعمارته بما يليق بمسجد رسول الله ﷺ ومكانته في قلوب المسلمين، وأخذ في متابعة ما يحدث خطوة خطوة[١].

وبناءً على هذه الدعوة تقدم عدد من الخبراء والمهندسين المصريين بطلب القيام بتقديم الدراسات والتصاميم اللازمة للمشروع، فتم اعتماد طلبهم، وقدم عدد منهم إلى المدينة المنورة في نهاية عام ١٣٦٨هـ، وأسند أمر المتابعة والإشراف على المشروع لمدير الإنشاء والتعمير في المملكة آنذاك الشيخ محمد بن لادن الذي استعان بعدد آخر من المهندسين والفنيين من أصحاب الخبرة الطويلة والناجحة في العمارة الإسلامية الحديثة، وتأسس لذلك مكتب خاص تحت اسم (مكتب مشروع توسعة المسجد النبوي الشريف)، به أكثر من خمسين موظفاً بين مهندس وفني وإداري يرأسه الشيخ محمد بن لادن، ويشرف على إدارته الشيخ محمد صالح قزاز.

وقد قام المهندسون السعوديون والمصريون بدراسة وافية لمواقع المشروع بدقة، وتم إجراء اختبارات عدة للأساسات والتربة بعمل المجسات اللازمة داخل التربة المحيطة بجدران المسجد، فتبين لهم وجود رطوبة داخل التربة نتيجة وجود تسرب للمياه من الدور المجاورة للمسجد أثرت في اللياسة الموجودة على الجدار الغربي، وأحدثت داخله وحوله وفي الأعمدة الموجودة في تلك المنطقة تآكلاً داخلياً، مما أثر أيضاً في بعض الأعمدة في الأروقة الشرقية والشمالية للمسجد، ويرجع سبب ذلك إلى عدم وجود طبقة عازلة تحول دون تسرب الرطوبة؛ فقرروا سرعة إيقاف هذا التسرب قبل البدء في التوسعة ببناء

(١) إبراهيم الشوري: الحرم النبوي الشريف، جـ١، ص ٣٦.

طبقة عازلة حول جدران المسجد،وتبين للجان الهندسية متانة الأروقة القبلية (الجنوبية) بما في ذلك الروضة الشريفة مما لا يستدعي هدمها، بل رأوا ضرورة الإبقاء على هذا الجزء من المسجد نظراً لسلامته وقوة بنائه، ورغبة في الحفاظ على جزء من التراث المعماري الإسلامي لهذا المسجد. وقامت اللجان المختصة بعمل تقرير هندسي مفصل لخطوات المشروع، أرفقت به بعض النماذج للتصاميم الهندسية، والخرائط اللازمة، فقام محمد بن لادن بعرض التقرير على الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في أوائل شهر رمضان سنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م، وقد تصفح الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ التقرير ودرسه بعناية، فأصدر توجيهاته السامية الكريمة بمتابعة الدراسات، وعمل الخرائط التفصيلية للمشروع، مع تحديد الارتفاعات المطلوبة، وأنه من المستحسن الاستئناس بآراء خبرات فنية من دول إسلامية أخرى.

واستناداً لتوجيهات الملك عبدالعزيز، فإن محمد بن لادن طلب من مجموعة أخرى من المهندسين كانت تضم عدداً من المهندسين الباكستانيين وغيرهم من أصحاب الخبرات العالية في العمارة الإسلامية الحديثة، ومجموعة أخرى من علماء طبقات الأرض (الجيولوجيين) لدراسة المشروع، وعمل اختبارات أخرى على الطبقة الأرضية للتأكد من تحملها للمبنى، وتحديد عمق الأساسات المطلوبة للمباني الجديدة للمسجد النبوي. وبعد فترة قدمت الدراسة الأخرى من المهندسين الباكستانيين لمكتب المشروع[1]، فتولى عدد من المهندسين فحصها، وبفحص كل من الدراستين تبين وجود اختلاف بين رأي المهندسين

---

(١) انظر: نص تقرير المهندسين الباكستانيين في: هاشم دفتردار وجعفر فقيه: توسعة الحرم النبوي الشريف، ص٣٩-٤١.

المصريين والباكستانيين في تحديد عمق الأساسات وعلو المسجد، وللتوفيق بين الآراء الواردة في الدراستين تم عقد اجتماع موسع لجميع المهندسين الاستشاريين من السعوديين والمصريين والباكستانيين برئاسة الشيخ محمد بن لادن، نوقشت خلاله كل الجوانب وخاصة التي كانت محل اختلاف بينهم، وانتهى الاجتماع باتفاق تام في الرأي، وتقرر أن يكون عمق الأساسات لا يزيد على سبعة أمتار، وأن يكون ارتفاع بناء المسجد الجديد مساوياً لارتفاع البناء الموجود، حتى يظهر التناسق التام بين المبنيين. فعرضت هذه الدراسات على أنظار الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ فسر كثيراً، وارتاح ضميره بعدما شاهد توافق آراء المهندسين المختصين حول النقاط المهمة في المشروع، وكان هدفه من ذلك هو أن يخرج مشروع عمارة المسجد النبوي في صورة متقنة، بعيداً عن العشوائية في البناء، بعد الأخذ باستشارة أهل الخبرة والمعرفة من المتخصصين في العمارة الإسلامية وعلم طبقات الأرض من الدول الإسلامية الشقيقة(١)، ولذلك وافق الملك عبدالعزيز على تقرير المهندسين المختصين، وأصدر أمره الكريم إلى صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل وزير الداخلية آنذاك بالبدء في تنفيذ المشروع، والذي نصه كما يأتي:

«من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى جناب المكرم الابن عبدالله الفيصل سلمه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فبعد اطلاعنا على ما رسمناه برقم ٢٧/ ٤/ ٢٨/ ٨٨ وتاريخ ١١ رمضان ١٣٧٠هـ بما أمرنا به محمد بن لادن المدير العام للعمائر والإنشاءات الحكومية من أجل الحرم النبوي لتوسعته وإصلاحه وصيانته

---

(١) هاشم دفتردار وجعفر فقيه: توسعة الحرم النبوي الشريف، ص ٣٥-٣٨.

وذلك طبقاً لما رفعه إلينا من تقرير المهندسين المصريين بموافقة وزير الأشغال المصرية عثمان محرم إذ ذاك.

وبالنظر لرغبتنا في الاستئناس بآراء خبراء فنيين من أجل مشروع التوسعة والإصلاح والصيانة، فقد استقدمنا مهندسين من باكستان، وبعد أن رفع لنا مدير العمائر والإنشاءات الحكومية محمد بن لادن تقرير الهيئة المذكورة مؤيداً لتقرير الهيئة المصرية، رسمنا ما هو آت:

أولاً: يستمر العمل في توسعة الحرم وإصلاحه على أساس الخريطة المرفقة صورتها بأمرنا هذا، وهي التي وضعها المهندسون المصريون وأقرها المهندسون الباكستانيون ووقعوا عليها والتي بموجبها تهدم الأقسام الثلاثة من الحرم: الشرقي، والغربي والشمالي، ويبقى القسم الجنوبي.

ثانياً: يلحظ في ارتفاع الأبنية الجديدة للمسجد أن لا تعلو عن مباني المسجد الحالي.

ثالثاً: عليكم وعلى وزير ماليتنا وعلى مدير الأعمال والإنشاءات الحكومية محمد بن لادن إنفاذ أمرنا هذا بكل ما يتعلق به ويخصه.

والله ولي التوفيق»(١).

ويتضح من الأمر السامي الكريم أن الإشراف المباشر على عمارة الحرم النبوي قد أسند إلى صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل وزير الداخلية آنذاك، وأن يتولى مدير الأعمال والإنشاءات الحكومية محمد بن لادن تنفيذ المشروع من هدم وبناء، ويقوم عبدالله السليمان

---

(١) هاشم دفتردار و جعفر فقيه: توسعة الحرم النبوي الشريف، ص ٤٢.

وزير المالية آنذاك بالصرف على المشروع بسخاء دون الحاجة إلى أي إعانات مالية خارجية من أي جهة كانت، وبذلك فإن الملك عبدالعزيز سد الباب أمام المشككين في قدرة المملكة العربية السعودية على تحمل جميع نفقات عمارة المسجد النبوي الشريف وتوسعته على أحدث تصميم، وبأعلى مستوى بمواصفات قوة البناء خدمة للإسلام والمسلمين، ورغبة في الحصول على الأجر والثواب من الله عز وجل. وقد أكَّد الملك المفدى في أمره الكريم أن يراعى في التنفيذ أمرًا مهمًا كان موضع خلاف بين المهندسين، وهو ملاحظة أن لا تعلو المباني الجديدة عن مباني المسجد في الجزء الجنوبي (القبلي) منه الذي يضم الحجرة النبوية والروضة الشريفة، والذي تقرر عدم هدمه لمتانة بنائه، وأن تهدم الأقسام الثلاثة من الحرم وهي الجهات الشرقية والغربية والشمالية، وأن يتم التنفيذ حسبما جاء في تصميمات المهندسين والاستشاريين المختصين على أساس الخرائط المرفقة بالأمر السامي الكريم، مع عمل الصيانة التي يحتاجها البناء في الجهة القبلية، وتحري الدقة والحذر الشديد عند هدم الأروقة التي تقرر هدمها لتوصيل مباني المشروع الجديدة بالعمارة العثمانية السابقة، وأن تسخر جميع إمكانيات الدولة وموانئها لخدمة المشروع، وتسهيل استقبال المعدات ونقلها من جرافات ورافعات وشاحنات، ومواد البناء من أسمنت وحديد وأخشاب ونحوها إلى موقع المشروع في أسرع وقت ممكن، كما تم إعفاء المواد والمعدات الخاصة بالمشروع من أي رسوم جمركية.

وتنفيذاً للأمر السامي الكريم والتعليمات الصادرة بذلك قام محمد بن لادن والقائمون معه بإعداد الدراسات اللازمة، وفي أول أيام عيد الفطر المبارك لسنة ١٣٧٠هـ الموافق ٥/ ٧/ ١٩٥١م دعت إمارة المدينة المنورة إلى اجتماع عام عقد داخل المسجد النبوي الشريف، حضره أمير المدينة

المنورة آنذاك عبدالله السديري، ومحمد بن لادن، وعدد كبير من المهندسين والاستشاريين ممن شاركوا في إعداد الدراسات والتصاميم لمشروع توسعة المسجد النبوي الشريف، كما حضره عدد من العلماء والوجهاء ورؤساء الدوائر الحكومية في المدينة المنورة، وبعد افتتاح الاجتماع بالقرآن الكريم قام أمير المدينة المنورة عبدالله السديري بعرض الأمر السامي الكريم الصادر من الملك عبدالعزيز بالبدء في توسعة المسجد النبوي، وشرح المهندسون المختصون مراحل سير المشروع، وعرضوا نماذج من الخرائط والدراسات ومواضع الأروقة والدور المراد إزالتها لصالح المشروع، وقد سُرَّ الجميع بهذه البشرى العظيمة، وأخذت ألسنتهم تلهج بالدعاء للملك عبدالعزيز بالعز والتوفيق(١).

وبعد أيام عدة تم إحضار المعدات والعمال والفنيين، وباشروا العمل فعلاً في ٥ شوال سنة ١٣٧٠هـ(٢) في هدم السور والأروقة الشرقية وفيها ثلاثة أروقة، والغربية وفيها رواقان فقط، ونقل مخلفات الهدم إلى خارج منطقة العمران، وتم تسوية أرضها حتى ظهرت ميدانًا فسيحًا(٣).

وما أن تم ذلك حتى بدئ بهدم القسم الشمالي من المسجد النبوي، كما هو مخطط له في مشروع التوسعة الذي سبق أن عمَّرَه

---

(١) أسعد درابزوني الحسيني: خلاصة عن مشروع الحرم النبوي الشريف، كتبها عام ١٣٧٢هـ، ونشرت في آخر كتاب عمدة الأخبار في مدينة المختار، لعبدالحميد العباس (الطبعة الثانية، الناشر: أسعد درابزوني، المدينة المنورة، ١٣٧٢هـ)، ص ٦-٨.

(٢) صالح محمد جمال: العمارة السعودية للمسجد النبوي الشريف، نشرها في آخر كتاب أخبار مدينة الرسول، تأليف: محمد النجار، الذي قام بتحقيقه ونشره (الطبعة الثانية، القاهرة، دار الفكر، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ص١٦٣ .

(٣) أحمد ياسين أحمد الخيَّاري: تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً (من إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي)، ص ٧٧-٧٨.

السلطان العثماني عبدالمجيد سنة ١٢٧٧هـ، وإدخاله ضمن العمارة السعودية الجديدة للمسجد، ويشتمل هذا الجزء على ما يأتي:

١ ـ رواقان مسقوفان بالقباب الصغيرة تحملها الأعمدة الحجرية وتزينها الأقواس، وهي مطلة على رحبة المسجد.

٢ ـ مئذنتان: إحداهما في ركن الجهة الشمالية الشرقية قرب باب المجيدي، وتسمى المئذنة المجيدية، وتقع المئذنة الثانية في ركن الجهة الشمالية الغربية وتسمى الشكيلية.

٣ ـ مبنى الكتاتيب : وهي مدارس صغيرة لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم مبادئ القراءة والكتابة، وفي مبنى الكتاتيب طابق ثان فيه مكتبة الحرم النبوي المشهورة التي أسسها الملك عبدالعزيز عام ١٣٥٧هـ، والتي نقلت عند هدم المباني إلى مبنى خاص بجوار المسجد، وكانت نواة لمكتبة الملك عبدالعزيز الحالية المشهورة بالمدينة المنورة التي أنشأت لها الدولة مبنى كبيراً خاصاً بها أمام المسجد النبوي.

٤ ـ باب المجيدي : وهو الباب الذي أسسه السلطان العثماني عبدالمجيد الأول في عمارته للمسجد النبوي عام ١٢٧٧هـ، وهو أحد مداخل المسجد النبوي من الناحية الشمالية.

٥ ـ مخازن الزيت: وهي عبارة عن أماكن لتخزين الزيت والشموع الخاصة بإضاءة المسجد النبوي وما حوله من شوارع، وتقع بين باب المجيدي والمئذنة الشكيلية في الطرف الشمالي من المسجد النبوي، وبعد أن أدخل الملك عبدالعزيز الكهرباء للمسجد الحرام استغني عنها[١].

(١) هاشم دفتردار وجعفر فقيه: توسعة الحرم النبوي الشريف، ص ٥١-٥٢.

وقد تم هدم الجزء الشمالي من المسجد النبوي بكامله بما فيه من أروقة والمئذنتين، وباب المجيدي والكتاتيب والمكتبة، ومخازن الزيت، ونقلت المخلفات إلى خارج منطقة العمران.

وبعد الانتهاء من ذلك أمر الملك عبدالعزيز بتشكيل لجنة رسمية من أصحاب الشأن والخبرة لتحديد الدور والمتاجر التي تقرر هدمها لصالح مشروع توسعة المسجد النبوي الشريف، وتقوم اللجنة أيضاً بتقدير أثمان هذه الدور المحيطة بالمسجد النبوي بسخاء، وكانت هذه اللجنة مكونة على النحو الآتي:

١ ـ رئيس بلدية المدينة المنورة	الأستاذ أمين مدني	رئيساً
٢ ـ مدير إدارة الأوقاف بالمدينة	الأستاذ عبدالعزيز أسعد	عضواً
٣ ـ مدير مالية المدينة	الأستاذ محمد سالم الحجيلي	، ،
٤ ـ عضو المجلس البلدي بالمدينة	الأستاذ عباس السقاف	، ،
٥ ـ مهندس البلدية	الأستاذ آدم البكري	، ،

وقد قامت اللجنة بواجبها بكل دقة وأمانة، حيث قدرت أثمان الدور حسب ظروفها الحاضرة آنذاك، وبما يرضي الله عز وجل، ويحقق الرضا والقبول من أصحاب الدور أنفسهم، وكانت هذه الدور منها ما هو عامر مأهول بالسكان، ومنها ما كان أطلالاً شاخصة، وذلك من أثر التهدم الذي أجراه فخر الدين باشا محافظ المدينة المنورة في أواخر العهد العثماني خلال الحرب العالمية الأولى.

وفيما يأتي بيان بجملة الدور والمتاجر التي أزيلت لصالح مشروع توسعة المسجد النبوي الشريف حسب موقعها من المسجد:

أولاً ـ عقارات واقعة في الجهة الغربية من المسجد:

أطلال وقف آل السمهودي الواقعة في جنوب مكتبة أمين باشا، وبقايا دار الأوقاف، وأطلال دار تميم الداري ـ رضي الله عنه ـ، وأطلال دار وقف السادة المغاربة، ودور وسبل عدة تابعة للأوقاف، وأطلال دار بيت الشيخ عبد العزيز أبي طاهر، ودار قائمة تابعة للأوقاف.

كما أضيفت إلى هذه المباني جملة دور وأسبلة تقع في الجهة الغربية، وقد أزيلت ولكن لا لتدخل في التوسعة؛ لأنها واقعة في المنطقة المنخفضة ما بين باب السلام وباب الرحمة، أي جهة القسم الجنوبي من العمارة المجيدية الذي تقرر عدم المساس به، وستكون الرحبة الخارجية للمسجد . . ولأجل ذلك أزيلت، وبيانها كما يأتي:

المدرسة المحمودية، وبيت العلامة عمر يرى، ومبنى إدارة العين الزرقاء بالمدينة، وجملة دكاكين ومقاهٍ للأوقاف.

ثانياً ـ العقارات التي تقرر إزالتها من الجهة الشمالية:

دار الشيخ إبراهيم الفقيه ـ رحمه الله ـ والد كل من الأساتذة جعفر وعبدالوهاب وعبدالعزيز وسليمان فقيه، دار كتب أمين باشا، دار للأوقاف، كراج للشيخ محمد أضلتي، وأطلال دار الشيخ بركات الأنصاري، وجملة دور للأوقاف، وجملة دكاكين للأوقاف، ودار تغسيل الموتى المعروفة بالشرشورة، والحوش الكبير المعروف بوقف والدة السلطان عبدالعزيز العثماني الذي أوقفته ليكون مستودعاً للحرم، ومخازن تابعة لوقفية والدة السلطان عبدالعزيز العثماني، ومخفر شرطة باب المجيدي، وأنقاض أربطة تابعة للأوقاف، وجملة مخازن للأوقاف.

ثالثاً ـ العقارات التي تقرر هدمها من الجهة الشرقية:

رباط البهرة، وهو مقسم إلى جملة أجنحة لسكنى الطبقة الفقيرة من حجاجهم، المدرسة الناصرية، وأطلال دار داود عرب، ومعمل محمود أحمد، ودور للأغوات، ودار آل السمان، ودار الشيخ مأمون بري، ودار للأوقاف[١].

وهذه هي جملة الدور والمتاجر والأحواش والأربطة والأسبلة التي أزيلت لصالح مشروع توسعة المسجد النبوي الشريف في جهات المسجد الثلاث. وبذلك انتهت المرحلة الأولى من المشروع التي تمثلت في هدم أروقة المسجد والدور المحيطة به في جهاته الثلاث الغربية والشرقية والشمالية، ونقل الأنقاض منها إلى خارج المنطقة العمرانية بالمدينة المنورة، وأصبحت أرض المشروع جاهزة للبدء بالبناء، وقد استغرقت عملية الهدم ونقل الأنقاض حوالي السنة والنصف؛ من شوال عام ١٣٧٠هـ إلى نهاية صفر ١٣٧٢هـ.

وقد بلغت مساحة الأرض والدور والمتاجر التي تم هدمها لصالح مشروع عمارة المسجد النبوي وتوسعته في هذه التوسعة (١٦٣٢٦) مترًا مربعًا[٢]، منها مساحة (٦٢٤٧) متراً مربعاً أزيلت من العمارة العثمانية المجيدية، فتكون مساحة التوسعة السعودية الأولى للمسجد النبوي هي: (١٢٢٧٠+٦٢٤٧= ١٦,٣٢٦) متراً مربعاً، وبلغ ما أبقي عليه من العمارة العثمانية مساحة (٤٠٥٦) متراً مربعاً، وهي الجهة القبلية من المسجد التي بها الحجرة النبوية والروضة الشريفة[٣]؛ فتكون مساحة المسجد

(١) هاشم دفتردار، وجعفر فقيه: توسعة الحرم النبوي الشريف، ص ٨٤-٨٦.

(٢) وزارة الإعلام: توسعة الحرمين الشريفين، ص ٤٢.

(٣) علي حافظ: فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص ٨٤.

النبوي بما في ذلك العمارة العثمانية القديمة هي: (٤٠٥٦+٦٢٤٧+١٢٢٧٠ = ٢٢٥٧٣) متراً مربعاً.

وبلغ إجمالي أثمان الدور والدكاكين أكثر من ثلاثين مليون ريال سعودي[١]، وبلغت تكاليف الإزالة ونقل الأنقاض حوالي عشرة ملايين، وبذلك يكون مجموع ما أنفق في المرحلة الأولى حوالي أربعين مليوناً من الريالات السعودية[٢]، مما عاد بالخير الوفير على سكان المدينة المنورة.

وضع حجر الأساس:

وفي ربيع الأول سنة ١٣٧٢هـ بدأت الاستعدادات لوضع حجر الأساس لمشروع توسعة المسجد النبوي الشريف، فلبست المدينة المنورة حلة بهيجة من الزينة، وفي اليوم الثالث عشر من الشهر نفسه حضر إلى المدينة المنورة بالطائرة صاحب السمو الملكي الأمير سعود ابن عبدالعزيز ولي العهد، نائباً عن الملك عبدالعزيز لوضع حجر الأساس لمشروع التوسعة، وحول مكان الحفل اصطف الجنود على جانبي الشوارع، وازدحمت الجماهير حول المسجد النبوي الشريف. وما كاد موكب سمو ولي العهد يطل على الجماهير حتى تعالى الهتاف بالتحية والدعاء، وكان في استقباله العلماء والوزراء ووجهاء وأعيان المدينة المنورة، ومدير المشروع الشيخ محمد بن لادن ونائبه الشيخ صالح قزاز، وعدد من المهندسين.

وقد افتتح الحفل الكبير بالقرآن الكريم تلاه الشيخ حسن الشاعر، ثم ألقى الشيخ صالح قزاز مدير مكتب التوسعة خطاباً رائعاً هز مشاعر

(١) إبراهيم الشوري: الحرم النبوي الشريف، (ط ١، القاهرة، دار الكتاب العربي)، ص ٤٩.

(٢) هاشم دفتردار وجعفر فقيه: توسعة الحرم النبوي الشريف، ص ٦٤.

الحضور، بيّن فيه ما تنعم به البلاد في العهد السعودي الزاهر من أمن ورخاء واستقرار لم تشهده من قبل، وقد توج آل سعود أعمالهم بعمارة المسجد النبوي الشريف على حسابهم الخاص دون الحاجة إلى أي معونة خارجية، وبذلك ألجموا أفواه الحاقدين والمشككين في قدرة المملكة العربية السعودية على ذلك، وتلاه كلمة لفضيلة الشيخ عبدالعزيز بن صالح، بين فيها فضل عمارة بيوت الله، وأن من بنى لله مسجداً في الدنيا بنى الله له بيتاً في الجنة، وعدَّد محاسن الحكم السعودي ومن أهمها تحقيق الأمن والأمان والاستقرار والرخاء في هذه البلاد. ثم كلمة للأستاذ رياض البحري من مصر، نوه فيها بالعلاقات الطيبة ووشائج الأخوة والمحبة التي تربط الشعبين والحكومتين السعودية والمصرية، وتدفعهما إلى مزيد من التعاون والتقارب في سبيل سعادة الشعبين الشقيقين ورفاهيتهما، وأشار إلى ما حققته المملكة العربية السعودية وقادتها من أمن واستقرار ورخاء للمواطن والحاج والمعتمر والزائر، والاهتمام بالحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة وتعميرهما، وتوفير كل الخدمات بهما.

وكان مسك الختام كلمة صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب الملك قال فيها[(١)]:

« إنني أحمد الله ـ تعالى ـ الذي وفق مولاي صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية وخادم الحرمين الشريفين لإصلاح وعمارة المسجد النبوي الكريم وتوسعته، إذ أمر وزير المالية عبدالله السليمان بتنفيذه على نفقة جلالته الخاصة، وتولاه محمد بن لادن المدير العام للإنشاءات الحكومية، وإنه لمن حسن توفيق الله لي أن شرفني مولاي والدي صاحب الجلالة بالنيابة عنه في وضع حجر الأساس لهذا العمل

(١) هاشم دفتردار وجعفر فقيه: توسعة الحرم النبوي الشريف، ص ٦٧-٦٨.

الجليل. إنني باسم الله وعلى بركته أضع الحجر الأساس بالنيابة عن جلالته، وبالأصالة عن نفسي في هذا اليوم المبارك (الاثنين) الثالث عشر من شهر ربيع الأول من سنة ألف وثلاثمائة واثنين وسبعين هجرية داعياً الله أن يوفق لإتمامه على خير ما نتمناه والسلام»[(١)].

وبعد انتهاء سمو ولي العهد من كلمته قام الجميع وتوجهوا بمعيته لوضع حجر الأساس في المكان المحدد له، فقام سمو ولي العهد نيابة عن والده الملك عبدالعزيز بوضع صندوق به بعض قطع من النقود السعودية الذهبية والفضية، ثم وضع عليها حجر الأساس إيذاناً ببدء عملية البناء في توسعة المسجد النبوي، ثم ودع ولي العهد بمثل ما استقبل به من حفاوة وترحيب[(٢)]. ولقد كان لهذا الحفل صداه في جميع البلاد العربية والإسلامية، حيث غمرت قلوب المسلمين بالمسرات والفرحة والطمأنينة، وتحقق لهم أن الحرمين الشريفين في أيد أمينة تبذل النفس والنفيس في سبيل خدمة الحرمين الشريفين وعمارتهما والاهتمام بقاصديهما من الحجاج والمعتمرين والزوار، وجعلهم يشعرون بالأمن والأمان، وأن المستقبل للحرمين الشريفين سوف يكون زاهراً ومشرقاً على يد حكومة آل سعود الرشيدة.

وبعد الانتهاء من وضع حجر الأساس بدأت الاستعدادات للبدء في العمارة الجديدة، وفي ١٤ شعبان عام ١٣٧٢هـ بدأت المعدات في حفر الأساسات في الجانب الغربي للمسجد مما يلي باب الرحمة بعمق سبعة

---

(١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٢٥٤، نقلاً عن المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر: المسجد النبوي مأثرة التوسعة السعودية الخالدة، وانظر أيضاً: الصحف السعودية: المدينة المنورة، وأم القرى، الصادرة في منتصف ربيع الأول ١٣٧٢هـ وما بعده.

(٢) هاشم دفتردار وجعفر فقيه: توسعة الحرم النبوي الشريف، ص ٦٨.

أمتار ونصف في باطن الأرض، أما أساسات المآذن فبلغ عمقها سبعة عشر متراً في قاع الأرض(١). وفي ٢٤ رمضان من العام نفسه بدئ في صب القواعد الحديدية بالخرسانة والأسمنت، ووضع بداخلها الحديد الذي سوف تقوم عليه الأعمدة واستخدمت في ذلك أحدث المعدات الخاصة بصب الأسمنت والخرسانة، وذلك لعمق الأساسات. وهذه أول مرة يتم فيها بناء مسجد رسول الله ﷺ بالأسمنت والحديد وعلى قواعد عميقة، حيث كانت العمارات السابقة تبنى بالحجارة واللبن والطين والنورة والجير، وهذا مما ميز العمارة السعودية عن غيرها من العمارات السابقة من حيث التصميم ونوعية مواد البناء المستخدمة فيها.

ثانياً ـ دور الملك سعود في إتمام مشروع توسعة المسجد النبوي:

وفي الثاني من ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ وبينما كان العمل يسير في مشروع توسعة المسجد النبوي الشريف بخطوات حثيثة، وافت المنية الملك عبدالعزيز رحمه الله، وتولى من بعده ابنه الملك سعود، وتولى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ولاية العهد، وحرصاً من الملك سعود على تحقيق رغبة والده في إنجاز مشروع توسعة المسجد النبوي الشريف على أحسن وجه طلباً للأجر والثواب من الله عز وجل، فإنه في اليوم السادس عشر من ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ زار المدينة المنورة واطلع على سير العمل، وأبى إلا أن يباشر بعض أعمال البناء بنفسه ليحظى بشرف الاقتداء برسول الله ﷺ، فقام ببناء أربع حجارات من الرخام في إحدى زوايا الجدار الغربي للمسجد النبوي(٢) مكتوب عليها (بنى بيده هذه الأحجار الأربعة جلالة الملك سعود في ربيع الأول ١٣٧٣هـ)(٣).

---

(١) المصدر السابق، ص ٦٥.

(٢) إبراهيم الشوري: الحرم النبوي الشريف، ص ٣٩.

(٣) محمد السيد الوكيل: عمارة المسجد النبوي عبر التاريخ، ص ١٨٧.

وقد أعجب الملك سعود بسير العمل وما تم إنجازه من العمارة، وأثنى على نشاط محمد بن لادن والعاملين معه من مهندسين وعمال بناء، والذين بلغ عددهم آنذاك (١٤) مهندساً، و (٤٠٠) من الفنيين، و (١٦٠٠) من العمال المهرة، منهم حوالي (١١٠٠) عامل سعودي[١]، ويتم العمل معظم النهار والليل، ولا يتوقف إلا في أثناء الصلوات الخمس، ويعمل العمال على نظام الورديات المتتابعة حسب خطة عمل محكمة، وبموجب الخرائط والتصاميم المعتمدة من الملك عبدالعزيز رحمه الله، تحت إشراف مكتب توسعة الحرم النبوي الشريف برئاسة الشيخ محمد بن لادن ووكيليه الشيخ صالح قزاز والشيخ جعفر فقيه رحمهم الله. وقد تم إقامة مساكن مؤقتة في أحد جوانب المشروع لسكن العمال.

وخلال تلك الفترة تم استيراد كميات كبيرة من مواد البناء من حديد وأسمنت وأخشاب ورخام ومعدات وسيارات نقل كبيرة، وأقيم مصنع خاص في منطقة أبيار علي لقطع الصخور وصقلها لصنع الرخام والأحجار الصناعية و(الموزايكو) على يد خبراء وفنيين تم استقدامهم من إيطاليا يساعدهم حوالي (٤٠٠) عامل[٢]. كما تم مدُّ خطٍّ مُعبَّدٍ من ميناء ينبع حتى المدينة المنورة لنقل المعدات ومواد البناء بعد أن تم تخصيص ميناء ينبع لاستقبال المعدات ومواد البناء التي يتم توريدها بالبواخر من خارج المملكة لصالح مشروع التوسعة، كما أقيم مصنع آخر بجدة لقطع الرخام وصقله حسب حاجة مشروع توسعة المسجد النبوي، وإرساله مباشرة إلى مواقع العمل بالمدينة المنورة.

(١) وزارة الإعلام: توسعة الحرمين الشريفين، ص ٤٠، ومحمد سلطان النمنكاني: نبذة عن توسعة الحرم النبوي الشريف في آخر كتاب وفاء الوفاء، جـ ٤، ص١٤٢٥.

(٢) محمد سلطان: نبذة تاريخية عن توسعة المسجد النبوي الشريف، في آخر كتاب وفاء الوفاء، جـ٤، ص١٤٢٥.

الخصائص المعمارية للتوسعة السعودية:

أ ـ الأعمدة والأروقة والجدران والأسقف:

بلغ عدد الأعمدة التي أضيفت للمسجد النبوي بعد التوسعة (٤٧٤) عموداً متصلاً بجدران المسجد، و (٢٣٢) عموداً مستديراً، تحمل عليها العقود التي بلغ عددها (٦٨٩) عقداً، وبلغ عدد الأروقة:

- خمسة أروقة في الجهة الشمالية.
- ثلاثة أروقة في الجهة الشرقية.
- ثلاثة أروقة في الجهة الوسطى بين الرحبتين.
- ثلاثة أروقة في الجهة الغربية.

وعرض كل رواق ستة أمتار.

كما بلغت أطوال جدران التوسعة الجديدة كالآتي:

- طول الجدار الشرقي (١٢٨) متراً طولياً.
- طول الجدار الغربي (١٢٨) متراً طولياً.
- طول الجدار الشمالي (٩١) متراً طولياً.

وارتفاع العمارة الجديدة يساوي ارتفاع العمارة العثمانية وقدرها (١٤) متراً من الأرض إلى نهاية الذروة المحيطة بسقف المسجد(١). ولقد غطيت بعض الأعمدة بالرخام الأسود والأبيض، وبعضها غطي بمادة بلون بني فاتح كلون الأعمدة القديمة في الجناح القبلي، ووضعت حول رؤوس الأعمدة إطارات من النحاس الأصفر تشبه التيجان بفراغات تحمل زخارف عربية جميلة، وضع فوقها مصابيح أربعة؛ واحد في كل

---

(١) إبراهيم الشوري: الحرم النبوي الشريف، ص ٤٣-٤٤، وهاشم دفتردار وجعفر فقيه: توسعة الحرم النبوي الشريف، ص ٦٤-٦٥.

جهة مصنوعة من النحاس الأصفر وتغطي واجهاتها الزجاج، ويليها بداية انحناء الأقواس التي تأخذ شكل نصف دائرة لتصل الأعمدة ببعضها في شكل جذاب وتصميم خلاب، وقد غطيت الأقواس بالحجر الصناعي المزخرف بخطوط رمادية بينها خطوط بيضاء، وتنتهي هذه الأقواس إلى السقف، وحليت دائرة الأقواس بخطوط عريضة مصنوعة من الحجر الصناعي بيضاء وسوداء.

وروعي في السقف حسن الشكل، وغطي بطبقة من الحجر الصناعي المزخرف زخرفة إسلامية، ومصمم بأشكال هندسية جميلة يغلب عليه اللون الأبيض(١)، وقد بذل في عمل الأعمدة والأقواس والسقوف جهود جبارة بخبرات فنية من بلدان عربية وإسلامية متعددة، مما جعل قيادة المملكة العربية السعودية تفخر بهذا الإنجاز الإسلامي العظيم الذي أصبح مصدر إعجاب لجميع الوفود الرسمية والزوار الذين زاروا المسجد النبوي الشريف، فأعجبوا بروعة البناء وقوته، وحسن شكله وتصميمه، وما أصبح عليه المسجد النبوي من سعة كبيرة لم يشهدها من قبل في العمارات السابقة.

وفي أثناء ذلك قدم إلى المدينة المنورة للاطلاع على التوسعة السعودية للمسجد النبوي الشريف كل من: اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية المصرية آنذاك، وجمال عبدالناصر رئيس وزراء مصر، والوزير المفوض لمصر بجدة الخطيب الحسيني، ورئيس الإرشاد القومي المصري صلاح سالم، ومفتي الديار المصرية العلامة الشيخ حسين مخلوف، وعدد كبير من الصحفيين المصريين. ومن باكستان: حاكم الباكستان السيد غلام محمد، وهيئة كبار علماء الباكستان برئاسة العلامة

---

(١) إبراهيم الشوري، المصدر السابق، ص ٣٥-٣٦.

الشيخ عبدالحميد اليدايواني. ومن سوريا: رئيس الجمهورية السورية شكري القوتلي، وهيئة كبار العلماء ومنهم الشيخ حسن الكناني، والشيخ أبو الخير الميداني، والشيخ حسن حبنكة، والشيخ أحمد التلمساني، وعدد من الصحفيين السوريين. ومن الهند: الداعية الإسلامي محمد عبدالعليم الصديقي، وهيئة كبار علماء الهند. ومن أندونيسيا: الرئيس سوكارنو رئيس جمهورية أندونيسيا. ومن لبنان: رئيس الوزراء عبدالباقي، ورئيس الوزراء السابق صائب سلام، والحاج حسين العويني، والمحامي جميل المكاوي، وعدد كبير من الصحفيين. ومن الأردن: الملك حسين، وعدد من رجال الحكومة. ومن فلسطين: مفتي فلسطين الحاج الشيخ أمين الحسيني، وعدد من الصحفيين. ومن اليمن: الإمام أحمد حميد الدين ملك اليمن، وابنه البدر.

ومن المملكة زار المسجد النبوي الشريف عدد كبير من الأمراء، والوزراء، وأصحاب الفضيلة العلماء، وكبار المسؤولين من مدنيين وعسكريين، وعدد كبير من رجال الأدب، والصحافة، والتعليم، ورجال السلك الدبلوماسي ممن يصعب ذكرهم جميعاً.

كما أن عدداً كبيراً من الكتاب من داخل المملكة وخارجها كتبوا عدة كتب ومقالات في الصحافة المحلية والعالمية حول هذا المشروع الإسلامي العملاق، والإشادة بدور المملكة والملك عبدالعزيز، وأبنائه في تحقيق الأمن والأمان، والراحة والطمأنينة لقاصدي الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة، على أساس أن هذه التوسعة لم يسبق لها مثيل في الحكومات السابقة التي جاءت بعد العصر الإسلامي الأول[١].

---

(١) لمعرفة المزيد من أسماء الشخصيات التي زارت المسجد النبوي الشريف في تلك الفترة، انظر: هاشم دفتردار وجعفر فقيه: توسعة الحرم النبوي الشريف، ص ٨٦ ـ ٨٩، =

ب ـ الرحبات والمآذن :

توجد بالتوسعة الجديدة: رحبتان ومئذنتان؛ الرحبة الأولى: تقع خلف العمارة العثمانية، وتحيط بها أروقة العمارة السعودية من الجهات الشرقية والغربية والشمالية. والرحبة الثانية: تقع بعد الرحبة الأولى، وتحيط بها أروقة العمارة السعودية من جميع الجهات، والمئذنتان الجديدتان تقع إحداهما في نهاية الركن الشمالي الغربي من التوسعة، والثانية في نهاية الركن الشمالي الشرقي من التوسعة، وارتفاع الواحدة منهما (سبعون متراً)، وعمق أساسها سبعة عشر متراً، وتم بناء كل من المئذنتين على الطراز المملوكي المصري ذي الأربع حطات، والحطة الأولى السفلى منها مربعة، وتعلوها حطة مثمنة، ثم أسطوانية مصمتة تعلوها حطة مثمنة، ثم أسطوانية مصمتة تعلوها أسطوانة بأعمدة، وتتوجها الطمبوشة المملوكية والهلال، وهي على نمط مئذنة جامع السلطان قايتباي المملوكي بالقاهرة، وهي التي يعدها المختصون في العمارة الإسلامية من أجمل المآذن من حيث الطراز والتصميم المعماري(١).

جـ ـ النوافذ والأبواب :

بلغ عدد النوافذ في التوسعة الجديدة (٤٤) نافذة في الجهات الثلاث للمسجد، أما عدد الأبواب فبلغت عشرة أبواب؛ خمسة منها في العمارة العثمانية القديمة، وهي: باب جبريل (عليه السلام)، ويسمى أيضاً (باب النبي) ﷺ، وباب النساء في الناحية الشرقية من المسجد،

= وكذلك الصحف السعودية الصادرة في تلك الفترة: (المدينة المنورة، البلاد السعودية، وأم القرى، وغيرها)..

(١) وزارة الإعلام: عمارة المساجد الأنموذج السعودي لبناء بيوت الله، ص ٦٦.

وباب السلام، وباب الرحمة في الناحية الغربية. أما باب الصديق الذي يقع في الناحية الشرقية فقد هُدم وأعيد بناؤه من جديد، وكان على هيئة خوخة واحدة، وأصبح في العمارة السعودية باباً واسعاً مثل غيره من الأبواب.

وقد تطلبت التوسعة إنشاء خمسة أبواب جديدة، تم توزيعها بحيث تكون في أماكن تساعد على وجود انسياب دائم لحركة دخول المصلين وخروجهم قبل الصلوات وبعدها دون حدوث أي ازدحام، منها اثنان على جانبي المسجد وهما:

- باب الملك عبدالعزيز: ويشتمل على ثلاثة مداخل واسعة، ويقع في منتصف الجدار الشرقي للمسجد في التوسعة الجديدة.

- باب الملك سعود: ويقابل باب الملك عبد العزيز، حيث يقع في منتصف الجدار الغربي للمسجد في التوسعة السعودية، وله ثلاثة مداخل واسعة أيضاً، وكلاهما روعة في البناء وفخامة التصميم، ويمر الداخل منهما بالأروقة الوسطى ذات العقود الثلاثة التي تتوسط الرحبتين حتى لا يتعرض الذي ينتقل بينهما لحرارة الشمس أو المطر، وهذان البابان عليهما عقود جميلة، ومكسوة بالرخام والأحجار الصناعية، وبها مصابيح كهربائية كبيرة.

وفي مؤخرة المسجد من الناحية الشمالية تم إنشاء ثلاثة أبواب جديدة، اثنان على طرفي الجدار، وواحد في الوسط، وذلك لتسهيل حركة الدخول والخروج من المسجد، مع إيجاد انسجام في المظهر الخارجي للمسجد في تلك الجهة. وهذه الأبواب هي:

- باب المجيدي: وهذا الباب كان موجوداً قبل التوسعة السعودية، إلا أنه نظراً لتجاوز التوسعة السعودية مكان الباب إلى مساحة

أوسع من الناحية الشمالية فإن الأمر اقتضى هدمه، وبناء باب جديد على مسامتته في التوسعة الجديدة، ووفاءً من الدولة السعودية الرشيدة فإنها أطلقت على هذا الباب المسمى السابق نفسه (باب المجيدي) نسبة إلى السلطان عبدالمجيد الأول العثماني.

- باب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ويقع في الركن الشرقي للجدار الشمالي، وهو على يمين الداخل من باب المجيدي.
- باب الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه: ويقع في الركن الغربي للجدار الشمالي، وهو على يسار الداخل من باب المجيدي.

والأبواب الجديدة صنعت خارج المملكة؛ بعضها في مصر بزخارف عربية جميلة، وصممت بشكل واسع، وترتفع واجهاتها إلى مستوى سطح المسجد تقريباً، وبروز واجهاتها عن حد جدار المسجد مما أعطاها مظهراً معمارياً جميلاً يليق بمكانة مسجد رسول الله ﷺ[1].

د ـ إضاءة المسجد بالكهرباء:

إن من خصائص مشروع توسعة المسجد النبوي الشريف هو قيام الدولة بتوفير الإضاءة الكافية والحديثة له حتى لا يتأثر المسجد وما حوله بأي عطل كهربائي على مدار الساعة، ولذلك أنشئت محطة جديدة لتوليد الكهرباء في منطقة أبيار علي بطاقة عالية، وتقوم المحطة الجديدة بإمداد المسجد النبوي والمناطق المحيطة به بالكهرباء طوال اليوم للاستفادة

---

(١) إبراهيم الشوري: الحرم النبوي الشريف، ص ٤٤، و حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٢٥٧.

منها في الإنارة، وتشغيل الأجهزة الكهربائية من مكبرات للصوت، وأجهزة تلطيف الهواء، ونحو ذلك. وتم تركيب الثريات الكهربائية في العمارة العثمانية القديمة والروضة الشريفة، والتوسعة الجديدة، وبلغ عدد مصابيح الكهرباء (١١٠١)، وضعت في أعلى الأعمدة، و (١٤٠٠) مصباح كهربائي مستدير[١]، و (١٦) مصباحاً كهربائياً وضعت في بعض زوايا العقود، وتم وضع عدد من الثريات الكهربائية المعلقة في أسقف المسجد، وكشافات وفوانيس كهربائية عدة وضعت على أبواب المسجد من الخارج، كما وضعت في الساحات والشوارع المحيطة بالمسجد أعمدة تعلوها كشافات كهربائية.

كما تم تهوية المسجد النبوي بالمراوح المعلقة في الأسقف، أو على بعض الأعمدة، وقد وزعت في العمارة السعودية وكذلك العمارة العثمانية مما لطف الجو على المصلين والزوار وجعلهم يؤدون صلاتهم في راحة تامة دون الشعور بالحر الشديد، وكان ذلك العمل بتناسب مع الإمكانيات والتقنيات التي كانت متاحة في تلك الفترة. أما في وقتنا الحاضر فقد توافرت المكيفات، وهو ما سوف نتحدث عنه عند الحديث عن التوسعة الكبرى لخادم الحرمين الشريفين للمسجد النبوي، في الفصول القادمة من هذه الدراسة.

---

(١) وزارة الإعلام: عمارة المساجد، ص ٦٦.

هـ ـ الشوارع والميادين الجديدة المنشأة حول المسجد النبوي :

الشوارع الجديدة:

شملت التوسعة السعودية الأولى للمسجد النبوي فتح شوارع، وإقامة ميادين جديدة تحيط بالمسجد النبوي الشريف، وهذه الشوارع هي:

١ ـ الشارع الرئيس الأول الذي يبدأ من الساحة الموجودة أمام باب الملك عبدالعزيز، أحد أبواب المسجد الرئيسة في الجانب الشرقي للمسجد متجهاً إلى ميدان البقيع.

٢ ـ الشارع الرئيس الثاني الممتد من الجنوب من شارع درب الجنايز متجهاً إلى المسجد النبوي وينتهي عند باب السلام.

٣ ـ الشارع الرئيس الثالث الممتد من ميدان البقيع حتى طريق المطار عند باب الصدّيق.

٤ ـ الشارع الغربي الواقع في الجهة الغربية من المسجد الذي يقع عليه باب الملك سعود، وقد أنشئت في ضفته المقابلة للمسجد بنايات على الطراز الحديث، ومتاجر جعلتها الدولة وقفاً على مصالح المسجد النبوي، وقد أزيلت هذه البنايات في التوسعات التالية للمسجد في عهد الملك فيصل لتوسعة المسجد النبوي.

٥ ـ الشارع الشرقي الواقع غرب المسجد النبوي، وقد هدمت الدور الواقعة عليه ليكون شارعاً عاماً توسعة للشوارع المحيطة بالمسجد.

٦ ـ الشارع الجنوبي وهو الشارع الممتد من الشرق إلى الغرب في مقدمة المسجد، حتى لا تلتصق المباني والدور والمتاجر بالمسجد.

٧ ـ شارع باب المجيدي: وقد تمت توسعته، وجعل أمامه ميدان فسيح.

الميادين الجديدة التي أنشئت حول المسجد:

١ ـ ميدان باب السلام: ويقع في غرب المسجد النبوي على مساحة تبلغ ثلاثة آلاف متر مربع، وقد كانت منطقة الميدان مليئة بالمنازل والمتاجر فاشترتها الدولة وجعلتها ميداناً عاماً واسعاً أمام الأبواب الثلاثة وهي: باب السلام، وباب الصديق، وباب الرحمة.

٢ ـ ميدان باب المجيدي: ويقع في شمال المسجد النبوي، وتبلغ مساحته خمسة آلاف متر مربع، وكان أيضاً مليئاً بالأبنية والمساكن فأزالتها الحكومة ضمن التوسعة السعودية الأولى للمسجد النبوي وحوَّلتها إلى ميدان فسيح أمام التوسعة الجديدة، ويطل عليها باب المجيدي، وباب عمر بن الخطاب، وباب عثمان بن عفان ـ رضي الله عنهما.

٣ ـ ميدان باب جبريل من الناحية الشرقية للمسجد: وتبلغ مساحته (١٥٠٠) متر مربع، وكانت الأبنية في تلك المنطقة تلاصق المسجد فأزالتها الدولة، وحولت مكانها إلى ميدان فسيح(١).

وهكذا تحققت رغبة الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في توسعة مسجد رسول الله ﷺ. وعندما انتقل الملك عبدالعزيز إلى جوار ربه قام ابنه الملك سعود ـ رحمه الله ـ بإتمام هذا المشروع الإسلامي العملاق على الوجه الأكمل، وقد كانت هذه العمارة موضع رعاية وعناية من الملك فيصل والملك خالد ـ رحمهما الله ـ حتى عهد خادم الحرمين

---

(١) إبراهيم الشوري: الحرم النبوي الشريف، ص ٥٠.

الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله ورعاه، والذي قام بالتوسعة الكبرى للمسجد النبوي والمناطق المحيطة به على أحدث طراز، وأجمل تصميم وأقواه.

و ـ نفقات العمارة السعودية الأولى للمسجد النبوي :

بلغت أقيام الدور والمتاجر التي تم هدمها لصالح مشروع توسعة المسجد النبوي الشريف أكثر من ثلاثين مليوناً من الريالات السعودية، وأكثر من أربعين مليوناً للهدميات والعمارة الجديدة(١). وهذا مبلغ ضخم جداً إذا ما قورن بالأسعار ودخل الفرد وميزانية الدولة في تلك الفترة، فجزى الله الملك عبدالعزيز وابنه الملك سعود وإخوانه كل خير، وجعل ذلك في موازين حسناتهم. وإن هذه العمارة لمسجد رسول الله ﷺ لخير شاهد على ما تقدمه حكومة المملكة العربية السعودية لخدمة بيوت الله وعمارتها، وعلى الأخص توسعة الحرمين الشريفين، مما تحقق معه الاستقرار والأمن والأمان والراحة للحجاج، والمعتمرين، والزوار، والمقيمين، والمواطنين في هذه الأرض المباركة: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾(٢).

حفل الافتتاح :

وفي أوائل عام ١٣٧٥هـ تم الانتهاء من عمارة المسجد النبوي الشريف التي أمر بها الملك عبدالعزيز، وأتمها ابنه الملك سعود رحمهما الله، ولقد عمت بذلك الفرحة والبهجة والسرور قلوب جميع المسلمين وخاصة أبناء هذه المملكة المعطاء الذين عاصروا بقلوبهم خطوات هذا الإنجاز مدة تزيد على سبع سنوات (١٣٦٨ ـ ١٣٧٥هـ).

---

(١) علي حافظ: فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص ٨٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

وللتعبير عن هذه الفرحة بهذا الإنجاز الحضاري الإسلامي العظيم.. أقامت الدولة احتفالاً كبيراً عند المسجد النبوي الشريف، وذلك في يوم السبت ٥ ربيع الأول ١٣٧٥هـ، الموافق ٢٧ أكتوبر ١٩٥٥م على شرف الملك سعود رحمه الله، وحضره وفود من داخل المملكة ومن جميع الأقطار الإسلامية، وأصحاب السمو الملكي الأمراء يتقدمهم صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز ولي العهد، وأصحاب المعالي الوزراء، والعلماء يتقدمهم سماحة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ، وسماحة مفتي المملكة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وسماحة شيخ الأزهر الشيخ عبدالرحمن تاج، وسماحة مفتي الديار المصرية الشيخ حسن مأمون، ووزير المالية والاقتصاد الوطني محمد سرور الصبان، والقضاة ومنهم الشيخ عبدالله بن دهيش رئيس محاكم مكة المكرمة، والشيخ عبدالعزيز بن صالح رئيس محاكم المدينة المنورة، ورؤساء محاكم الرياض، وشخصيات من مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والرياض، وجدة، والقصيم، والمنطقة الشرقية، وعلماء وسياسيون من سوريا، ولبنان، والعراق، والمغرب، وغيرها من الدول العربية، ومشيخات الخليج، ومن الدول الإسلامية كباكستان، وإندونيسيا وماليزيا وغيرها، وأعضاء السلك الدبلوماسي الإسلامي، وكبار رجال الدولة من مدنيين وعسكريين، ورجال الصحافة، ووفود من منظمات إسلامية عديدة. وقد أشرف على تنظيم الحفل إمارة المدينة المنورة، ومكتب مشروع توسعة الحرم النبوي الشريف، وتم نقل معظم المدعوين بالطائرات إلى مطار المدينة المنورة، وبعضهم حضر بالسيارات عن طريق البر.

وبدأ الحفل بعد صلاة العشاء مباشرة بآي من الذكر الحكيم من فضيلة الشيخ المقرئ حسن الشاعر، وتقدم بعد ذلك صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سعود وألقى نيابة عن والده الملك سعود كلمة

بيّن فيها خصائص هذا المشروع الإسلامي العملاق وأهميته، وما حققته الدولة من استتباب للأمن والاستقرار في ربوع هذه المملكة، مما جعل أعداد الحجاج والزوار والمعتمرين تزداد عاماً بعد آخر، وهذا من فضل الله، وشكر الله على هذه النعمة، وقد قوبلت هذه الكلمة بالاستحسان(١). ثم ألقى الشيخ محمد قزاز مدير مكتب توسعة المسجد النبوي كلمة نيابة عن الشيخ محمد بن لادن رئيس الإنشاءات الحكومية بالمملكة شرح فيها أهمية هذا المشروع الذي أمر به الملك عبدالعُزيز، وتم الانتهاء منه في عهد ابنه الملك سعود، وتلا ذلك إلقاء بعض الكلمات والقصائد الشعرية في هذه المناسبة الإسلامية العظيمة منها كلمة للدكتور عبدالوهاب عزام سفير مصر لدى المملكة الذي أعرب عن غبطته وسروره بهذا الإنجاز الإسلامي العظيم، ثم قام الملك سعود بافتتاح المشروع حيث أخذ المفتاح وفتح الباب الذي أطلق عليه باب الملك سعود، ودخل المسجد، وكان يرافقه دولة السيد سعيد الغزي رئيس وزراء سوريا، وفضيلة مفتي المملكة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وشيخ الأزهر العلامة عبدالرحمن تاج، وعدد كبير من الأمراء والوزراء والعلماء(٢)، فكبر الناس وحمدوا الله على إتمام هذه التوسعة لمسجد رسول الله ﷺ، وأخذت الألسنة تلهج بالدعاء للملك عبدالعزيز وأبنائه بالعز والتمكين.

وفيما يأتي صورة تبين جوانب من التوسعة السعودية الأولى، وكذلك مخطط يوضح مساحة التوسعة وجهتها، ومقارنتها بالتوسعات السابقة:

---

(١) لمعرفة نص هذه الكلمة، انظر: محمد السلاح: كلام الملوك (الطبعة الأولى، حلب، ١٣٧٩هـ)، ص ٢٨-٣١.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٢.

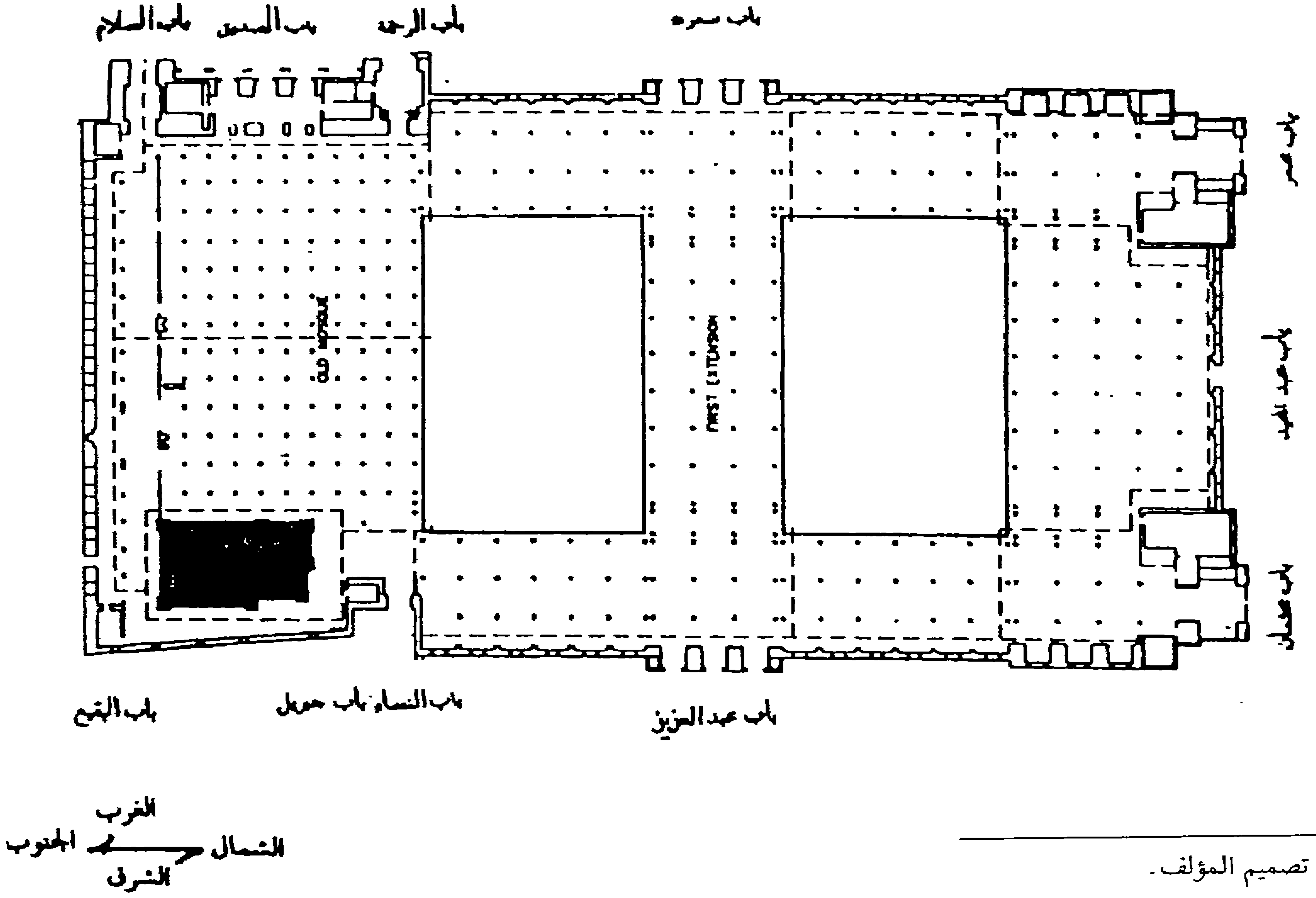

(١) من تصميم المؤلف.

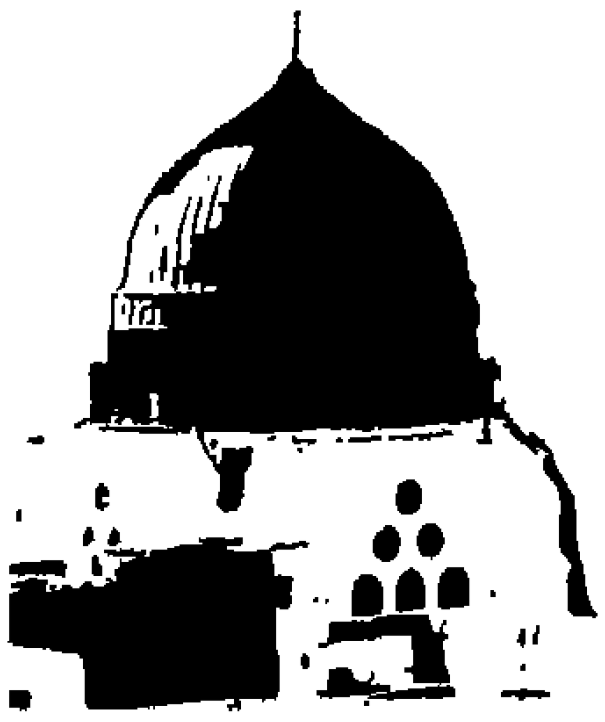

الفَصْلُ الثَّانِي

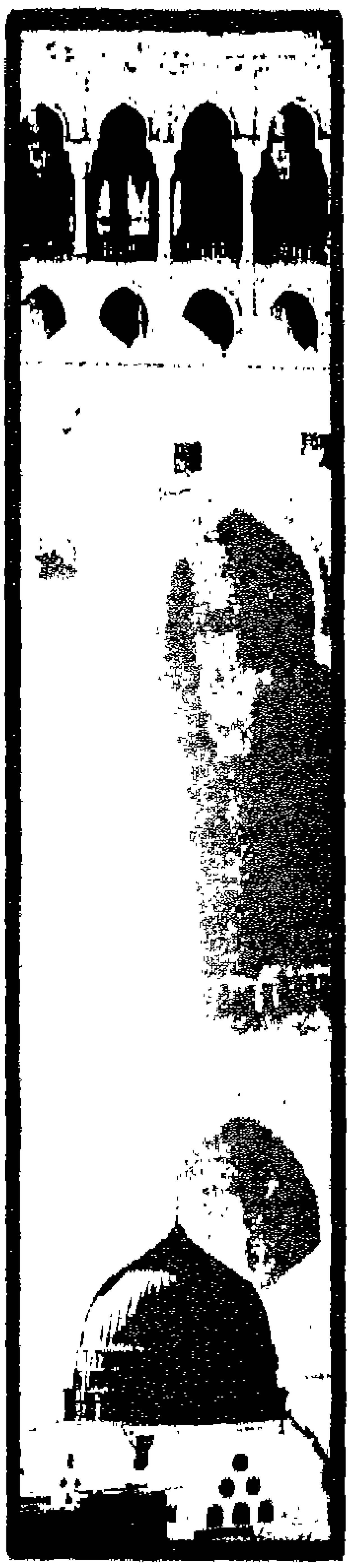

التَّوسعة السّعوديّة للمسجد النّبويّ
في عهد كل من الملك فيصل والملك خالد
رحمهما الله

أولاً ـ عناية الملك فيصل بالمسجد النبوي وتوسعته (١٣٨٤ ـ ١٣٩٥هـ).

ثانياً ـ عناية الملك خالد بالمسجد النبوي وتوسعته (١٣٩٥ ـ ١٤٠٢هـ).

أولاً: عناية الملك فيصل بالمسجد النبوي وتوسعته

١٣٨٤ - ١٣٩٥هـ

شهد المسجد النبوي الشريف في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ اهتماماً كبيراً، مما جعل أعداد زوار مسجد رسول الله ﷺ يزداد عددهم عاماً بعد آخر، وذلك نظراً لقيام الملك فيصل بالاهتمام بالموانئ وتوسيع أرضيتها، وتحديث وسائل الشحن والتفريغ فيها، وكذلك توسيع مباني المطارات وزيادة عدد الطائرات، والاهتمام بتطوير وسائل النقل، وبناء شبكة حديثة من الطرق التي تربط الحرمين الشريفين بجدة وينبع، وتوسعة طريق الحرمين الشريفين الذي يربط مكة المكرمة والمدينة المنورة ومكة المكرمة بالمشاعر المقدسة، فتيسرت بذلك سبل الحج، مما جعل الحجاج والزوار والمعتمرين للحرمين الشريفين ينعمون بحج وعمرة مريحة، وزيارة مسجد رسول الله ﷺ بكل راحة وأمان، فقفز عدد الحجاج في عهد الملك فيصل من (٢٨٣٣١٦) في عام ١٣٨٤هـ إلى (٩١٨٧٧٧) في عام ١٣٩٤هـ. هذا بالإضافة إلى وصول أكثر من ضعف هذا العدد من المعتمرين والزوار الذين كانوا يفدون على مدار السنة إلى الأماكن المقدسة من كل حدب وصوب من العالم، طلباً للأجر والثواب، ولأداء الركن الخامس من أركان الإسلام وهو الحج، فقد كان لدى غالبيتهم الرغبة والحرص الشديد للذهاب إلى المدينة المنورة قبل الحج أو بعده، أو بعد أداء مناسك العمرة لزيارة مسجد رسول الله ﷺ والصلاة فيه والسلام على رسول الله ﷺ، مما جعل الحاجة ماسة لتلبية احتياجات هذه الأعداد المتزايدة من الحجاج،

والمعتمرين، والزوار، وتوفير الخدمات اللازمة لهم، والتفكير الجدي في إضافة مساحات جديدة لأداء الصلاة حول المسجد النبوي الشريف وتظليلها بالمظلات، وإنارتها، وفرشها بالسجاد، وتزويدها بثلاجات الماء، وتهويتها بالمراوح.

وذلك لأن التوسعة التي قام بها الملك عبدالعزيز وأتمها ابنه الملك سعود ـ يرحمهما الله ـ أصبحت غير كافية لاستيعاب الأعداد المتزايدة من المصلين من زوار مسجد رسول الله ﷺ الذين كان يزداد عددهم عاماً بعد عام كما شاهدنا في الإحصائيات السابقة. وفي الوقت نفسه قام الملك فيصل ـ يرحمه الله ـ منذ توليه السلطة بالاستمرار على المحافظة على مباني المسجد النبوي الشريف، وتوفير الخدمات اللازمة له لراحة المصلين فيه. وهذا يؤكد أن رسالة الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ نحو الاهتمام بالحرمين الشريفين وتعميرهما، وتوفير الخدمات اللازمة لقاصديهما، هي رسالة خالدة يحملها أبناؤه من بعده بكل فخر واعتزاز، لمتابعة المسيرة الخيرة البناءة لخدمة الإسلام والمسلمين، ورعاية المقدسات الإسلامية في الحرمين الشريفين بالتعمير والتوسعة، وإبقائهما في المكانة اللائقة بهما أمام المسلمين طلباً للأجر والثواب من الله.

ـ اهتمام الملك فيصل بالمسجد النبوي وفرشه وتوفير الخدمات به:

إن الأعمال التي قام بها الملك فيصل ـ رحمه الله ـ بعد توليه السلطة في البلاد وخص بها المسجد النبوي الشريف كثيرة يصعب حصرها. وفيما يأتي بعض منها: ـ

١ ـ صيانة جدار المسجد النبوي من ناحية القبلة، وبناء دعامات خرسانية في أركانه من الخارج لتقويته.

٢ ـ تجديد كتابة الآيات القرآنية المكتوبة على جدار القبلة، والروضة الشريفة، وقد تمت كتابتها بماء الذهب للمحافظة على جمالها ورونقها.

٣ ـ الاستمرار في صيانة القباب الصغيرة الموجودة في سقف العمارة العثمانية من الداخل والخارج، لتأثرها ببعض الأمطار والعوامل المناخية، وتزيينها من الداخل كلما لزم الأمر ذلك.

٤ ـ إسناد نظافة المسجد النبوي إلى إحدى الشركات الوطنية المتخصصة، وذلك للرفع من مستوى النظافة وجعلها على مدار الساعة، مع استخدام أحدث الأجهزة لشفط الأغبرة من السجاد والنوافذ باستمرار، واستعمال مواد النظافة للأرضيات والزجاج والثريات وجعلها نظيفة باستمرار داخل المسجد وخارجه، وفي الساحات والشوارع المحيطة بالمسجد النبوي.

٥ ـ تزويد المسجد بالثريات والقناديل الحديثة المطلية بماء الذهب بمختلف الأحجام بعد أن ظهر على الثريات السابقة بعض التلف، حتى يتم توفير الإضاءة الكافية في جميع جنبات المسجد، وتركيب مراوح جديدة، وإسناد استبدال الأنوار المحروقة بأخرى جديدة، وصيانة مكبرات الصوت وجعلها مسموعة في جميع أنحاء المسجد وخارجه بوضوح، لإحدى الشركات المتخصصة في الأعمال الكهربائية وصيانتها.

٦ ـ تكليف وزارة الأعلام بنقل شعائر الأذان وصلاتي المغرب والعشاء بالإذاعة، ثم بالتلفزيون بعد أن تم إدخال التلفزيون وتعميمه في المملكة، وتركيب كاميرات تصوير تلفزيوني لنقل صلاة المغرب مباشرة عبر التلفزيون السعودي.

٧ ـ قام الملك فيصل ـ رحمه الله ـ بتجديد فرش المسجد النبوي بالسجاد الفاخر المنقوش بالزخارف الإسلامية الذي تم استيراده من عدد من الدول المتخصصة في صنع السجاد، وخاصة السجاد الإيراني الفاخر، وذلك لراحة المصلين في أداء صلاتهم، فظهر المسجد النبوي في غاية النظافة والأناقة.

٨ ـ تزويد المسجد النبوي بالمصاحف المطبوعة طباعة فاخرة، ووضعها في خزائن مفتوحة أمام المصلين، مصنوعة من الألمونيوم الأصفر بمقاسات مختلفة.

٩ ـ نقل ماء زمزم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة في خزانات كبيرة، تنقلها الشاحنات وتوزعه على المصلين والصائمين، وخاصة في رمضان ومواسم الحج[١].

١٠ ـ تطوير إدارة المسجد النبوي، وتكليفها بالإشراف على الأمن وإرشاد التائهين، وربط ذلك بفضيلة إمام المسجد النبوي ورئيس المحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة الشيخ عبدالعزيز بن صالح الذي أنيط به أيضاً الإشراف على التدريس بالمسجد النبوي.

١١ ـ الاستفادة من مدرسي الجامعة الإسلامية التي أسسها الملك فيصل بالمدينة المنورة في التدريس وإلقاء المحاضرات بالمسجد النبوي الشريف، تحت إشراف هيئة خاصة، وذلك بعد صلاتي العصر والمغرب.

---

(١) ناجي محمد حسن عبدالقادر الأنصاري: عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ، (إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي)، ص ١٨٧.

ـ الدراسة والتخطيط لتوسعة ثانية للمسجد النبوي:

ما أن أخذت أعداد زوار مسجد رسول الله ﷺ تزداد عاماً بعد آخر، حتى أصبح المسجد يضيق بالمصلين وخاصة في مواسم الحج، ولذلك أصدر الملك فيصل أمره إلى المسؤولين بالمدينة المنورة بتقديم دراسة وافية تحدد أماكن الازدحام وأوقاته، وجهة المسجد التي يمكن إجراء التوسعة فيها، رغبة من الملك فيصل في تحقيق الراحة والطمأنينة لزوار مسجد رسول الله ﷺ.

وتنفيذاً للأمر السامي الكريم، قامت لجنة مختصة من المسؤولين المختصين في أمارة المدينة، والبلدية، والحرم النبوي، والأوقاف بالدراسة المطلوبة، وتقديمها للمقام السامي، فاستحسن الملك فيصل التقرير، ورأى أنه من الضروري القيام بتوسعة ثانية للمسجد النبوي الشريف من الناحية الغربية، لتخفيف شدة الازدحام في تلك المنطقة. وهذا يعني اهتمام الملك فيصل بالحرمين الشريفين، ورغبته في تحقيق الراحة والأمان لزوار مسجد رسول الله ﷺ، وهي رسالة خالدة حملها الملك عبدالعزيز منذ أن أصبحت شؤون الحرمين الشريفين ورعايتهما في يده الكريمة رحمه الله، وأورثها لأبنائه البررة من بعده، فحملوا الأمانة بكل تفانٍ وإخلاص. وهنا أمر الملك فيصل ـ يرحمه الله ـ بإجراء توسعة ثانية للمسجد النبوي الشريف بعدما علم بضيق المسجد النبوي بالمصلين والزوار، نتيجة لاستتباب الأمن والأمان في الأراضي المقدسة، وجميع أرجاء المملكة، وذلك بفضل الله ثم بفضل الرعاية السعودية، وتطبيق أحكام الشريعة السمحاء.

ـ تقدير أثمان المباني والمتاجر وإزالتها:

وبموجب التوجيه السامي من الملك فيصل، فقد تم في بداية عام ١٣٩٣هـ تحديد الدور المراد نزع ملكيتها لصالح توسعة المسجد

النبوي، وقدرت أثمانها بأكثر من خمسين مليون ريال[١]، وهو مبلغ كبير جداً، ويدل على أن أثمان هذه الدور قدرت بسخاء، رغبة من الملك فيصل في جعل أصحابها في رضا تام بالأثمان التي قدرت بها عقاراتهم، مما جعلهم يلهجون بالدعاء للملك فيصل بالتوفيق والعزة والتمكين. وكانت بعض هذه الدور والمتاجر أوقافاً على الحرم النبوي الشريف حفظت أثمانها في وزارة الحج والأوقاف، وبعد فترة تم الاستفادة من تلك المبالغ بإنشاء مبانٍ أخرى وجعلت وقفاً على المسجد النبوي الشريف.

وتلا ذلك إزالة المباني والمتاجر، وجعلها ساحة كبيرة أمام المسجد النبوي الشريف بعد تسويتها. وبلغت مساحة المنطقة المنزوع ملكيتها وإزالتها حوالي خمسة وثلاثين ألف متر مربع[٢]، تمتد من الجدار الغربي للمسجد النبوي إلى شارع العيني، بطول ١٦٥ متراً، وبعرض المسجد النبوي من الناحية الغربية.

- تجهيز الساحات وتظليلها، وتوفير الخدمات بها:

وبعد تسوية الأرض، صدر الأمر السامي الكريم برصف أرض التوسعة الجديدة، وعمل مظلات مقوسة عليها لتقي المصلين من حرارة الشمس والأمطار، كما تمت إنارتها من الداخل، وكذلك المناطق المحيطة بمنطقة التوسعة، وتم عمل هذه المظلات بأعمدة من حديد، مغطاه بمادة معدنية جيدة، وركب في كل مربع منها مروحة كهربائية لتلطيف الهواء على المصلين وخاصة في أوقات الظهيرة والعصر، وزودت أيضاً بسماعات لسماع الإمام في أوقات الصلاة اليومية، وخطبة

---

(١) محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ٦٩.
(٢) المصدر السابق، ص ٦٩.

الجمعة والعيدين، وفرشت أرضها بالسجاد الفاخر لراحة المصلين وتحقيق الاطمئنان والسكينة لهم في أداء صلواتهم، ووفرت لهم مياه الشرب الباردة التي وضعت في حافظات بلاستيكية، ووزعت في جميع أرجاء التوسعة وداخل المسجد، وطلب من الشركة المسؤولة عن نظافة المسجد النبوي القيام بنظافة منطقة التوسعة بانتظام تام على مدار الساعة، كما أحيطت منطقة التوسعة الجديدة بسور بارتفاع متر ونصف عليه شبابيك حديدية تسمح برؤية المصلين، وضعت عليها بوابات في مناطق محددة لدخول المصلين وخروجهم، وجعلت حول هذا السور طرق معبدة للسيارات والمارة مضاءة ليلاً.

ولوقاية منطقة التوسعة من بقاء الأمطار والسيول فيها في أوقات هطول الأمطار الشتوية، فإنه أقيمت بداخلها وحولها شبكة جيدة لتصريف مياه الأمطار والسيول إلى المجرى الرئيس المقام لتصريف السيول من منطقة المسجد النبوي.

ـ إضافة مساحة جديدة للخدمات:

وبعد فترة، وجد أن من المصلحة إزالة مبانٍ أخرى في منطقة المناخة ـ أحد الأحياء المحيطة بالمسجد النبوي ـ وإضافتها إلى التوسعة السابقة، وصدر الأمر السامي الكريم بالقيام بتحديد الدور والمتاجر المراد نزع ملكيتها لصالح مشروع التوسعة الثانية للمسجد النبوي الشريف، وتقدير أثمانها، ودفعها لأصحابها بسخاء، وإزالتها حالاً. وقد تم ذلك في مطلع عام ١٣٩٤هـ، وأزيلت المنازل والمتاجر، وسويت أرضها، وخصصت هذه المساحة لإنشاء خمس وحدات تشتمل الواحدة منها على عدد من دورات المياه، وأماكن للوضوء، نظراً لحاجة رواد المسجد لمثل هذه الخدمات الضرورية، وقد أقيمت هذه المواضع بعيداً عن منطقة المصلين.

وبلغت مساحة هذه التوسعة الجديدة خمسة آلاف وخمسمائة وخمسين متراً مربعاً، فأصبحت مساحة التوسعة الثانية التي قام بها الملك فيصل ـ يرحمه الله ـ في المسجد النبوي في المرحلتين الأولى والثانية: (٣٥,٠٠٠ مصلٍّ + ٥٥٥٠ خدمات = ٤٠,٥٥٠ متراً مربعاً)[١]، وقد أضافت هذه التوسعة مساحة جديدة وواسعة لاستيعاب أعداد كبيرة من المصلين، وتحقق بموجبها اتصال الصفوف بين المصلين في داخل المسجد والمصلين في الساحات الجديدة.

(١) وزارة الإعلام: في خدمة ضيوف الرحمن، صدر بتاريخ ١٤١٣هـ، ص ١٤٧.
ووزارة الإعلام: عمارة المساجد، ص ٦٦.
ووزارة الإعلام: توسعة الحرمين الشريفين، ص ٥٦.

ثانياً: عناية الملك خالد بالمسجد النبوي وتوسعته

ـ توفير الخدمات وتطويرها:

لقد أدت التوسعة التي قام بها الملك فيصل مهمتها في استيعاب أعداد كبيرة من المصلين، مع توفير كافة الخدمات لهم، ولذلك لم تكن هنالك حاجة ماسة طوال عهد الملك خالد لتوسعة جديدة للمسجد النبوي الشريف. وقد استمرت الخدمات والعناية بالمصلين والزوار في المسجد النبوي، وتوفير كافة الخدمات الضرورية لهم طوال عهد الملك خالد؛ وذلك لتحقيق التواصل في رعاية الحرمين الشريفين وقاصديهما بين الملك عبدالعزيز وأبنائه البررة، وإن هذه الأمانة تنتقل من السلف إلى الخلف، وتجد من الجميع حسن الرعاية والعناية الصادقة والمخلصة خدمة للإسلام والمسلمين والمقدسات الإسلامية، وطلباً للأجر والثواب من الله.

ـ توسعة ساحات المسجد النبوي في عهده، وتوفير الخدمات بها:

وفي ١٨ رجب سنة ١٣٩٧هـ وقع حريق كبير في سوق الحبابة والباب المصري وسوق القماشة (سويقة) الواقع في الجنوب الغربي من المسجد النبوي الشريف من ميدان المناخة ومسجد الغمامة، وجاءت النيران على المتاجر بالسوق، فأحرقتها بكاملها، مما اقتضى الأمر إزالة الأنقاض عن المنطقة. ثم صدر أمر الملك خالد بتقدير أثمان هذه الدور

والمتاجر التي احترقت بالنار ويكون ذلك بسخاء كبير، ودفع تلك المبالغ لأصحابها، مع ضم تلك المساحة إلى ساحات المسجد النبوي[١] وجعلها توسعة له. وبلغت مساحة هذه التوسعة التي تمت في عهد الملك خالد (٤٣,٠٠٠) ثلاثة وأربعين ألف متر مربع، وقد غطيت بالمظلات، ورصفت أرضها بالرخام، وزودت بالكهرباء من إنارة ومراوح لتخفيف الحرارة في أيام الصيف عن المصلين وتلطيف الهواء، مع إضافة مكبرات للصوت، وربطها بالشبكة الموحدة للإذاعة الداخلية للمسجد النبوي، حتى يتمكن المصلون في هذه الساحات من سماع الأذان، ومتابعة الإمام في الصلاة وخطبة الجمعة والأعياد بكل طمأنينة وراحة[٢]. وقد روعي في تصميم هذه الساحة الجديدة أن تتناسب وتنسجم في شكلها الخارجي ومستوى أرضها وجميع الخدمات التي تم توفيرها بها مع التوسعة السابقة التي تمت في عهد الملك فيصل يرحمه الله، كما خصصت حولها شوارع وميادين فسيحة لتكون طرقًا ومواقف للسيارات تسهم في تحقيق سهولة الوصول إلى المسجد لأداء الصلوات بيسر، وبذلك تم القضاء على ظاهرة الازدحامات المرورية التي كانت تحدث حول المسجد النبوي الشريف في أوقات المواسم.

إن مجموع التوسعات الثلاث التي تمت في عهد الملك فيصل والملك خالد ـ يرحمهما الله ـ بلغت حوالي (٨٣,٥٥٠) متراً مربعاً، وهذه مساحة كبيرة جداً أنفقت عليها مبالغ كبيرة من المال دُفِعَتْ قيمةً للدور والمتاجر، وتكاليف الهدم، وتجهيز الساحات للمصلين، مع توفير كافة الخدمات الضرورية بها من أجل راحة المصلين وطمأنينتهم.

---

(١) محمد صالح البليهشي: المدينة المنورة (الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٠٨هـ)، ص ٤٤.

(٢) ناجي محمد حسن الأنصاري: عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف، ص ١٨٩.
ووزارة الإعلام: دولة في قائمة الشرف العالمية خدمة الإسلام والسلام، ص ٨٠.

كما أن هذه التوسعات أبرزت موقع المسجد، وسهلت حركة الوصول إليه. وقد زرت المسجد النبوي الشريف مرات عدة في أثناء هذه التوسعات وبعدها، وشاهدت ما تم توفيره فيه من خدمات.

وبذلك فإنني شاهد عيان على هذه التوسعات من بدايتها وحتى الانتهاء منها.

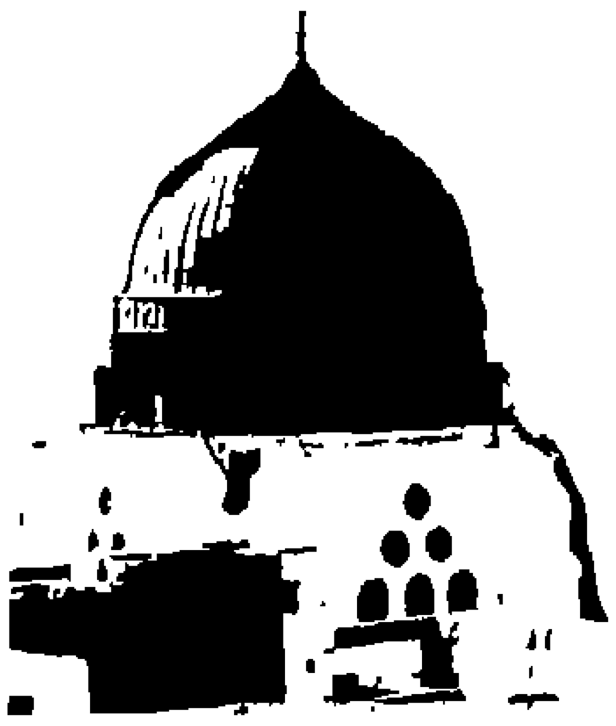

الفصل الثالث

توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز للمسجد النبوي

- الدراسة والتخطيط للمشروع.
- وضع حجر الأساس.
- إزالة الدور والمتاجر لصالح المشروع.
- بدء تنفيذ المشروع.
- تكاليف المشروع.

توسعة المسجد النبوي الشريف
في عهد خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله

بعد مبايعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ملكاً على المملكة العربية السعودية في ٢١ شعبان سنة ١٤٠٢هـ، الموافق ١٣ يونيو سنة ١٩٨٢م، كان شغله الشاغل ـ حفظه الله ـ هو توفير الراحة والرعاية التامة لزوار مسجد رسول الله ﷺ، فقد شعر ـ حفظه الله ـ بأن المسجد النبوي الشريف ـ على الرغم من التوسعة السعودية الأولىٰ والثانية له ـ بات في حاجة ماسة إلى توسعة أخرى بسبب الازدياد المستمر في أعداد المصلين والزائرين[١]. ولذلك قام ـ حفظه الله ـ بزيارة للمدينة المنورة في شهر محرم من سنة ١٤٠٣هـ، الموافق لشهر أكتوبر سنة ١٩٨٢م للوقوف بنفسه وتقرير تلك التوسعة وحجمها، ومكث فيها حوالي الشهر ونصف، فرأى أن المسجد النبوي الشريف يحتاج إلى توسعة كبرى[٢] تضاعف مساحته عشر مرات، لتستوعب أكبر عدد من المصلين، وتجعل مسجد رسول الله ﷺ من أوسع المساجد في العالم وأجملها، وليكون المسجد منطلقاً لتطوير شامل للمدينة المنورة. فأمر بإعداد الدراسات باستخدام أفضل الأساليب

---

(١) ناجي محمد الأنصاري: عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ، ص ١٩٣.

(٢) وزارة الإعلام السعودية: عمارة المساجد الأنموذج السعودي لبناء بيوت الله، ص ٦٧.

والتقنيات والتصاميم الهندسية الحديثة، كما أمر بالقيام بتنفيذ مشروع مسح جوي للمدينة المنورة لرسم خرائط تفصيلية ملونة تكون هي الأساس في أعمال التطوير والتنظيم والتعمير لهذه البقعة المباركة.

وكانت لهذه اللفتة الكريمة، والبادرة المباركة أثرها الكبير والفعال في انطلاق فرق من المتخصصين والاستشاريين والمهندسين في مختلف حقول الهندسة والعمارة الإسلامية، لإجراء الدراسات، وإعداد الرسومات والخرائط بصورة منتظمة وبسرعة فائقة. وكانت رغبة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد في أن يتم انطلاق جميع المشروعات التطويرية التي تقتضي إعادة تنظيم المدينة المنورة من نقطة مشروع التوسعة الكبرى للمسجد النبوي الشريف، لتصبح المدينة المنورة من أعظم المدن الإسلامية في هذا العصر والعصور القادمة ـ إن شاء الله ـ لمكانتها عند المسلمين.

ـ الدراسة والتخطيط للمشروع:

ولتحقيق هذه الطموحات، أصدر خادم الحرمين الشريفين الأمر السامي الكريم بتأليف لجنة وزارية برئاسته، للمتابعة والإشراف على هذا المشروع العظيم حسب اختصاص كل من أعضائها وصلاحيته، وعهد إلى أمير منطقة المدينة المنورة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد ابن عبدالعزيز آل سعود بالإنابة عنه لرئاسة هذه اللجنة، لكي تستمر أعمال المتابعة على مدار العام دون توقف، مع الرفع بتقارير عن سير العمل بالمشروع بين فترة وأخرى لجلالته حفظه الله[1].

---

(١) ناجي محمد حسن عبدالقادر الأنصاري: عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ، ص١٩٣-١٩٥.

وبعد دراسة وافية لمشروع التوسعة الكبرى لمسجد رسول الله ﷺ، واستعراض شامل للمشروع والمخططات الخاصة به وتكاليفه، قدمت اللجنة تقريراً مفصلاً إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ عن هذا المشروع الإسلامي العملاق، فعقد اجتماعات عدة برئاسته، شارك خلالها بنفسه بالرأي والمشورة، وناقش عدداً كبيراً من المسؤولين والمهندسين في كافة تفاصيل المشروع، وأدخل على كثير من المخططات والتصاميم تعديلات عديدة تتفق مع الهدف الذي رسمه لهذا المشروع الإسلامي العملاق، وقد اختار بنفسه المواد الخام التي ستستخدم في كسوة أرض المسجد وجدرانه، وزود القائمين على المشروع بكثير من الأفكار، بحيث يتحقق لهذا المشروع أقصى ما يمكن تحقيقه بما يليق بمكانة المسجد النبوي الشريف في قلب كل مسلم. وهذا يدل على مدى اهتمام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ـ حفظه الله ـ بالحرمين الشريفين، ورغبته الأكيدة والصادقة في أن تكون هذه العمارة تليق بالمكانة والمكان التي خصها الله ـ سبحانه ـ لمسجد رسوله ﷺ مهما كلفت من أموال. وبعد فترة عرض على أنظاره الكريمة ـ حفظه الله ـ مجسم كامل للمشروع، وخطوات العمل فيه، وبعد المناقشة وتأكده من المسؤولين بتنفيذ التوجيهات السامية التي أبداها ـ حفظه الله ـ للمختصين والتي تتركز في النقاط الآتية:

١ ـ مراعاة أن يستوعب مبنى المسجد النبوي الشريف أكبر عدد ممكن من الزوار والمصلين، مما لا يحتاج معه المسجد النبوي إلى أي توسعة جديدة في المستقبل القريب.

٢ ـ أن يستفاد في التوسعة الجديدة من كل المساحات الممكنة؛ سواء الساحات المحيطة بالمسجد من ميادين وشوارع، وكذلك أسطح المبنى الجديد، وتوفير مواقف للسيارات تحت ساحات التوسعة

تستوعب أكبر عدد ممكن من السيارات؛ وذلك لراحة المصلين وسهولة وصولهم وتنقلهم بسلام.

٣ - عدم التعرض للتوسعات السابقة، ومراعاة ذلك عند عمليات الحفر والبناء للتوسعة الجديدة، وخاصة حول مبنى التوسعة العثمانية نظراً لقدمها، مع الأخذ في الاعتبار التجانس الكامل بين التوسعة الجديدة والمبنى السابق للمسجد النبوي، بحيث يكون التداخل بين المبنيين طبيعياً ومتوافقاً معمارياً داخلياً وخارجياً.

٤ - تأمين إنارة وتكييف عالية الجودة، وتوفير أنظمة أمن وسلامة متطورة جداً، وتركيب محطات كهربائية خاصة بالمسجد النبوي بطاقة كهربائية عالية.

٥ - تحري الدقة التامة في دراسة التربة، وحجم الأحمال، ونوع الحديد وقوته وتوافقها مع نوع الخرسانات ومواد البناء المستخدمة في المبنى الجديد باستخدام أحدث المعايير الهندسية، والفنية، والإنشائية والمعمارية وأفضلها.

٦ - استخدام التقنيات الحديثة في تركيب الأجهزة والتمديدات الكهربائية للتكييف والإنارة، والشبكة الإذاعية والتلفزيونية، وجعل تمديداتها داخل الأعمدة والأسقف، مع استخدام قواعد الأعمدة للتكييف والتهوية، وتنفيذ ذلك بطريقة جديدة ومميزة يحققان الجودة العالية، والعمر الأطول بإذن الله(١).

وعندئذ قام خادم الحرمين الشريفين باعتماد المخططات، و أمر بتكوين لجنة لتقدير أثمان الدور التي تقرر هدمها، وتعويض أهلها

(١) المملكة العربية السعودية، وزارة الإعلام: في خدمة ضيوف الرحمن (طبعة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، بيروت، دار الموسوعة العربية) ص ١٤٧-١٥١.

بسخاء، والإعداد لحفل وضع حجر الأساس للتوسعة الكبرى للمسجد النبوي الشريف.

ـ وضع حجر الأساس:

في بداية شهر صفر من عام ١٤٠٥هـ، قام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بزيارة المدينة المنورة، وفي يوم الجمعة التاسع من الشهر نفسه، الموافق ٢٤ أكتوبر عام ١٩٨٤م قام ـ حفظه الله ـ بوضع حجر الأساس بيده الكريمة لمشروع توسعة المسجد النبوي الشريف التي تعد أكبر توسعة في التاريخ، مقارنة بكافة التوسعات التي شهدها مسجد رسول الله ﷺ على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية[١].

وكان حجر الأساس المصنوع من الرخام الفاخر قد كتب عليه: «بسم الله وعلى بركة الله وتأسياً برسول الله ﷺ». وتم تثبيته بجانب المدخل الغربي للمقصورة التي بنيت في الجهة القبلية من العمارة المجيدية، وتليه لوحة من الرخام نفسه مكتوب عليها: «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[٢]، بفضل الله تعالى تشرف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ـ حفظه الله ـ بوضع حجر الأساس لمشروع توسعة وعمارة المسجد النبوي الشريف في يوم الجمعة التاسع من صفر عام ١٤٠٥هـ، الموافق الثاني من نوفمبر عام ١٩٨٤م»[٣].

---

(١) المملكة العربية السعودية، وزارة الإعلام: دولة في قائمة الشرف العالمية لخدمة الإسلام (الطبعة الأولى، الرياض، مطابع دار الجسر، ١٤١٣هـ)، ص ٦٠.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٦-٣٧.

(٣) محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ٧٢.

ـ إزالة الدور والمتاجر لصالح المشروع:

بعد أن تم تعويض أصحاب الدور والمتاجر مقابل عقاراتهم فوراً، والتي بلغت حوالي سبعمائة مليون ريال، أمر خادم الحرمين بإتاحة الفرصة للسكان والتجار ليتدبروا أمرهم حتى يجدوا البدائل المناسبة لهم، وعدم قطع خطوط الخدمات من كهرباء وهاتف وماء إلا بعد أن ينتقل الجميع في حدود مدة محددة، حتى لا يحدث ارتباك بين السكان، وبعد أن أخلى الجميع مساكنهم ومتاجرهم صدرت الأوامر بإزالة تلك الدور والمتاجر التي تقرر إزالتها لصالح المشروع، والتي وصل إجمالي مساحتها (١٠٠,٠٠٠م٢) مائة ألف متر مربع، شملت حارة الأغوات، وشارع الملك عبدالعزيز، وشارع السنبلة، وجميع ما حولها من البيوت والمحلات. وهذه المساحة المنزوعة تمتد من الجنوب إلى الشمال حتى شارع السحيمي والشارع الجديد الواقع على امتداده، كما تمتد من حدود الحرم الشرقية الذي به باب جبريل، وباب النساء، وباب الملك عبدالعزيز، حتى تصل إلى شارع أبي ذر الغفاري بالبقيع[(١)].

ـ بدء تنفيذ المشروع:

في يوم السبت السابع عشر من شهر محرم عام ١٤٠٦هـ، الموافق الأول من أكتوبر عام ١٩٨٥م بدأت المعدات في حفر الأساس بعمق يزيد على عشرة أمتار، لغرض استعمال جزء منه أقبية (بدرومات) تحت الدور الأرضي الرئيس، توضع فيه كافة التجهيزات والمعدات الخاصة بتلطيف الجو، والاستفادة منه في توفير الخدمات المساندة الأخرى، وظهرت عملية الهدم وإزالة الأنقاض كأنها عملية مسح مدينة بكاملها،

(١) مجموعة ابن لادن السعودية: توسعة وعمارة الحرمين الشريفين، رؤية حضارية (٢)، ص ٦٦.

حيث أقيم مبنى المسجد الجديد على معظم المنطقة المركزية القديمة في محيط المدينة القديمة التي كانت معظم مبانيها غير مناسبة للسكن فيها، ويتخللها شوارع ضيقة تسبب ازدحاماً شديداً عند خروج المصلين ودخولهم للمسجد النبوي الشريف، وكانت عملية إزالتها ضرورية؛ لأن المباني كانت تحدق بالمسجد من كل جانب فتعرقل حركة الوصول إليه، أو الخروج منه سواء للأفراد أو السيارات، كما أن إزالتها كانت لصالح توسعة المسجد النبوي الشريف لتكون جزءاً منه، ومصلىً للمسلمين من زوار مسجد رسول الله ﷺ.

وقد استخدمت في عملية حفر الأساسات معدات حديثة، وجرافات ضخمة، وبطريقة فنية آمنة، روعي فيها أقصى شروط السلامة، مع عدم استخدام المتفجرات حتى لا يحدث أي تصدعات في العمارات السابقة، ومراعاةً لروحانية المكان والمكانة، وتم خلال ذلك إزالة ما يزيد على (٣٩٠) مبنىً سكنيًا وتجاريًا، غالبيتها متعددة الأدوار، خلفت وراءها ما حجمه نصف مليون متر مكعب من الأنقاض[١]. وبلغت كميات الأتربة المستخرجة من هذه الحفريات ما مقداره (٤٤٣,٠٠٠ م^{3})، وهذه الأتربة استغلت أيضاً في ردم بعض الأودية الواقعة حول محيط المدينة المنورة[٢].

وتلا ذلك العمل التنفيذي لأساسات المشروع الذي بدأ في شهر محرّم عام ١٤٠٦هـ الموافق سبتمبر عام ١٩٨٥م، وذلك بالمباشرة في إقامة القواعد الخرسانية المغلفة بأسطوانات فولاذية تصل إلى الطبقة الصخرية بعمق يتراوح ما بين (٣٠ و٥٠م)، وبلغ عدد الأوتاد الخرسانية

(١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣٤٦.
(٢) ناجي محمد الأنصاري: عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ، ص ٢١١.

(الخوازيق) المستعملة في المشروع (٨٥٠٠) وتد خرساني، وبلغ حجم الخرسانة المسلحة المستخدمة أكثر من (٩٦,٠٠٠م٣)، كما بلغ مجموع أعماقها أكثر من (٧٠) كيلاً، وبلغت كمية المادة التي تزيد من مقاومة الأوتاد للاهتزازات والصدمات أكثر من (٤٢) ألف طن، وبلغت أطوال الأسطوانات الفولاذية المستخدمة حوالي (٢٨) ألف متر طولي، وتم غرس هذه الأوتاد بإحدىٰ طريقتين: إما بالدق، أو الحفر، ويتم ذلك بإدخال أقفاص حديدية للتسليح فيها، ثم يتم صب الخرسانة داخلها من أسفل إلى أعلىٰ.

وأما بالنسبة للدق فتتم العملية بدفع أسطوانة الفولاذ التي تمثل الغلاف الخارجي بواسطة مطرقة تذبذبية عالية القوة للوصول إلى الطبقة الصخرية الحاملة، وسواء كانت عملية الغرس بالدق أو بالحفر، فقد تم استخدام أفضل الطرق الهندسية تطوراً وملاءمة لإيصال الأوتاد إلى الأعماق المطلوبة، ولامتصاص الصدمات الناتجة عن عمليات الحفر أو الدق، وتتم هذه العملية بأن تدفع أسطوانة أخرى داخل أسطوانة الغلاف، وتملأ هذه الأسطوانة بمادة الامتصاص، ويلي هذه العملية إنزال قفص تسليح فولاذي إلى داخل الأسطوانة الثانية.

ثم تبدأ عمليات الاختبار الصوتي لهذا القفص، وبعدها تصب الخرسانة الداخلية المشتملة على القفص وتسوى تمهيداً لصب خرسانة الغطاء التي تشكل ركيزة الأساس، وباستكمال الأوتاد تبدأ عملية صب قواعد رؤوس الخوازيق وكمرات الربط، ويبدأ الحفر حولها بما يناسب حجم القاعدة المراد إنشاؤها عليها، ثم يتم إظهار حديد هذه الرؤوس بتكسير الخرسانة وتنظيفها من حوله، ويجري إحاطة موقع القاعدة بالشدة الخشبية فوق عدد من الخوازيق يتراوح عددها ما بين خازوق واحد إلى سبعة خوازيق تحت القواعد لبناء الأعمدة عليها، أو فوق من ستة عشر

إلى اثنين وثلاثين خازوقاً تحت المنارات، ويتم ربط حديد تسليح هذه الخوازيق مع حديد تسليح القاعدة وفق موازين دقيقة، ثم تصب الخرسانة المسلحة.

وترتبط القاعدة المجاورة بكمرات ربط من الخرسانة المسلحة وبارتفاعها نفسه. وبلغت أعداد قواعد رؤوس الخوازيق للمشروع (١٨٧٧) قاعدة صب استخدمت فيها مع كمرات الربط (٦٦,٠٠٠م^{3}) من الخرسانة المسلحة.

وهكذا ترتكز توسعة المسجد النبوي الشريف على قواعد وأسس اعتمدت على أفضل المواصفات الهندسية، ضماناً لبقاء المسجد شامخاً على مر العصور، مع إمكانية بناء دور ثانٍ في المستقبل إذا تطلب الأمر ذلك[١].

ـ الطابق السفلي (الأقبية):

ومع منتصف عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، وبعد الانتهاء من أعمال صب قواعد الأوتاد الخرسانية (الخوازيق) تم ردم المنطقة الواقعة بينها وبين التربة وتسويتها، ثم صبت فرشة خرسانة عادية عليها بسمك (١٠سم)، تلاها فرش الطبقة العازلة للرطوبة فوقها، وبني خلفها جدار من البلوك الأسمنتي المصمت، وأضيفت مادة عازلة لضمان أعلى مستوى من الحماية، ثم صبت فرشة أخرى من الخرسانة العادية بسمك (٥سم)، ثم وضع حديد التسليح للطبقة الثانية، أعقبه صب الخرسانة بسمك (٢٥سم).

(١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣٤٦-٣٤٧، وناجي محمد الأنصاري: عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ، ص ٢١١.

ونظراً لكبر مساحة التوسعة، فقد تم تقسيم أرضية الأقبية (البدروم) إلى (٩٥) وحدة أصغرها بمساحة (٤٨٠م٢)، وأكبرها بمساحة (١٥٢٧م٢)، تفصلها فواصل التمدد طبقاً للمواصفات الإنشائية الحديثة، وقد بلغ مسطح دور الأقبية (البدروم) (٥٥,٣٠٠م٢)، وذلك بعد استبعاد المساحات المشغولة بقواعد رؤوس الأوتاد الخرسانية (الخوازيق) وكمرات الربط.

أما بالنسبة لأعمدة الأقبية فبعضها كان ينتهي عند سقف الأقبية ليحمله على ارتفاع حوالي (٤) أمتار، وذلك لوجود فناء مكشوف أو مغطى فوقه في الدور الأرضي والأعمدة الباقية، تمتد لتتصل وتحمل سقف الدور الأرضي الرئيس الذي يبلغ ارتفاعه (١٢,٥٥متراً).

وقد أعقب ذلك وضع حديد تسليح الأعمدة بارتفاع (٤,٤٠م) باستعمال (١٣) سيخاً من الحديد المبروم الحلزوني الذي يبلغ قطره (٤٠مم)، ومد مواسير الحديد الخاصة بالتمديدات الكهربائية وغيرها بداخل حديد تسليح العامود، ثم جرى تثبيت الشدات المعدنية حول حديد التسليح وتضبيط مواقعها بدقة رأسياً وأفقياً، وصبها مباشرة. وقد بلغ عدد أعمدة الدور السفلي (الأقبية) (٢٥٥٤) عاموداً، بارتفاع حوالي (٤,٤٠ م)، وبقطر (٧٢سم)، وقد صب فيها (٨,٤٠٠ م٣) من الخرسانة المسلحة، وأحيط الدور السفلي بحائط استنادي وعزل بمادة عازلة[1].

وتم تقسيم سقف الطابق السفلي إلى عدد الوحدات الموجودة في أرضيته نفسها، ثم صبت عليها الحوامل التي تحمل تمديدات وقنوات مجاري الهواء المبرد، والتصريف، والتمديدات الكهربائية المعلقة في

(١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣٤٧-٣٤٨، و عبدالعزيز بن عبدالرحمن الحصين: العناية بالمسجد النبوي الشريف، ص ٤٧.

سقف الأقبية بواسطة هذه الحوامل، وتم بعد ذلك صب الخرسانة المسلحة حيث بلغت كميتها (٢٣,٧٠٠ م٣)، ويؤدي الطابق السفلي (الأقبية) خدمات عديدة للمشروع منها: أنه توجد به شبكة للإنذار ضد الحرائق، وشبكة المياه المبردة، وشبكة توزيع الضغط العالي والإضاءة، وأجهزة التحكم في القباب المتحركة، وأنظمة الهاتف، والدوائر التلفزيونية المغلقة، وغير ذلك.

وكان العمل في هذه المرحلة والمراحل التالية يسير في ثلاث ورديات تواصل العمل على مدار الساعة، وقسمت كل وردية إلى فرق متخصصة، تنجز كل فرقة عملاً محدداً في قسم معين، وفق الخرائط وجدول التنفيذ المعتمد من اللجان المختصة بالمشروع، كما أقيمت رافعات ضخمة على جوانب التوسعة تقوم بنقل المؤن وحديد التسليح إلى كل جزء من مباني المشروع بطريقة أفقية أو عامودية حسب الحاجة[١].

- الطابق الأرضي الرئيس:

بعد الانتهاء من الدور السفلي، تم الشروع حالاً في بناء الدور الأرضي الرئيس للمسجد الذي يُعَدُّ في التوسعة الجديدة هو الدور الأرضي الرئيس للحرم النبوي الشريف، ولقد تم تصميمه على شكل أفنية مسقوفة بأبعاد (٦ × ٦ أمتار) و (١٨ × ١٨متراً)، وكذلك على أفنية مكشوفة بأبعاد (١٨ × ١٨متراً)، بلغ عددها (٢٧) فناءً، وضعت عليها قباب متحركة لزيادة الإضاءة والتهوية الطبيعية للمسجد النبوي الشريف، وتعد هذه القباب المتحركة أول قباب متحركة يتم تركيبها في المسجد على مستوى العالم.

---

(١) عبدالعزيز بن عبدالرحمن الحصين: العناية بالمسجد النبوي الشريف، ص ٤٨.

وبلغت مساحة سقف هذا الدور الأرضي الرئيس (٦٦,٥٤٤م٢)، صبت فيه (١٤,٠٠٠م٣) من الخرسانة للأعمدة والجدران الخارجية المتصلة بالأعمدة الخاصة بالواجهة الخارجية، وبلغ ارتفاعه (١٢,٥٥) متراً، ويحتوي على (٢٥٦٧) عاموداً، منها (٢٠١٧) عاموداً دائرياً بقطر (٦٤سم)، وذلك قبل التكسية بالرخام والحجر الصناعي، و(٥٥٠) عاموداً بأبعاد مختلفة، وتحمل هذه الأعمدة الأقواس التي صممت على الطراز الإسلامي، وبلغ عددها (٣٨١٢) قوساً، يرتكز عليها السقف والقباب، وقد تم تزويد الدور الأرضي بمجموعة من السلالم الكهربائية المتحركة، وعددها ستة سلالم رئيسة لخدمة المصلين وكبار السن وتسهيل انتقالهم من الدور الأرضي الرئيس إلى سطح التوسعة للصلاة فيه في أوقات الذروة التي تكون عادة في أيام الحج، وشهر رمضان الكريم(١).

وبعد الانتهاء من الأعمال الخرسانية والبناء في الطابق الأرضي الرئيس بدأت أعمال التكسية والزخرفة لتغطية جدران المسجد وأعمدته بالرخام الأبيض والملون والجرانيت بأشكال هندسية جميلة. أما تيجان الأعمدة فتمت تغطيتها بصفائح نحاسية (برونزية) مزخرفة، وقد روعي أن يكون شكل الأعمدة والتيجان التي عليها مماثلاً لمثيلاتها في التوسعة السعودية الأولىٰ، بهدف توحيد التوسعتين واتصالهما في نسق معماري واحد(٢).

ـ الطابق العلوي (الأسطح):

بعد الفراغ من سقف الطابق الأرضي الرئيس للمسجد، انتقل العمل إلى سطح المبنى، وتبلغ مساحته في هذه التوسعة حوالي (٦٧,٠٠٠م٢)؛

(١) عبدالعزيز الحصين: العناية بالمسجد النبوي الشريف، ص ٤٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٨.

منها (٨,٧٥٠م٢) مساحة مفتوحة، وهي مساحة الأفنية المكشوفة من الدور الأرضي التي تغطى بالقباب، فبقيت المساحة المهيأة للصلاة (٥٨,٢٥٠م٢)، وتستوعب حوالي تسعين ألف مصلٍ، وتم بناء رواق مسقوف على السطح يمتد على الجهات الأربع للسطح وحول الأفنية الداخلية للمسجد بارتفاع خمسة أمتار، وبمساحة قدرها (١١,٠٠٠م٢)، وقد أنشئ السقف والجدار الخارجيان لهذا الرواق من الأحجار السابقة الصنع، والمزخرفة زخرفة إسلامية حسب قالب الصب، وذلك لتتناسق مع بقية أجزاء التوسعة، وروعي في بناء سقف التوسعة إمكانية بناء دور آخر فوقه، إذا دعت الضرورة إلى ذلك مستقبلاً.

وقد غطيت أرضية هذه المساحة بالرخام اليوناني الأبيض الذي ثبتت صلاحيته في الأماكن المعرضة لحرارة الشمس الشديدة، لعدم امتصاصه للحرارة[١].

ويتصل السطح بالطابق الأرضي بست مجموعات من السلالم الكهربائية؛ أربعة منها موزعة في كل ركن من أركان التوسعة الأربعة؛ بالإضافة إلى سلم كهربائي في منتصف الجانب الشرقي، وآخر في منتصف الجانب الغربي للتوسعة، وتوجد هذه السلالم الستة ضمن المداخل ذات الأرقام (٦ و ١٠ و ١٥ و ٣١ و ٣٦ و ٣٧)، كما توجد بالتوسعة ثماني عشرة مجموعة من السلالم العادية المكسية بالرخام القرانيت، موزعة في جميع أنحاء الطابق، وهذه السلالم الكهربائية والعادية يستخدمها المصلون للصعود إلى سطح التوسعة للصلاة فيه في أوقات الذروة[٢].

---

(١) محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ٨٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٥.

ـ القباب المتحركة:

ذكرنا فيما سبق أن الطابق الأرضي الرئيس يحتوي على سبعة وعشرين فناءً بمساحة (١٨ × ١٨م) = (٣٢٤م٢)، وقد غطيت هذه الأفنية بقباب تتوفر لها خاصية التحرك بسهولة على مجارٍ حديدية صممت لأول مرة في بناء المساجد، وذلك للمساعدة على ضبط درجة الحرارة الداخلية بالمسجد، وعدم تسرب هواء التكييف البارد إلى خارج المسجد، ولحماية المصلين من المطر والبرد في أثناء فصل الشتاء، ومن أشعة الشمس ظهراً في فصل الصيف، مع السماح بإدخال الهواء الطبيعي للمسجد في الفصول الباردة لتجديد الهواء الطبيعي، وتوفير الإنارة الطبيعية نهاراً. وقد تم تطوير هذه القباب المتحركة من خلال برنامج بحث مستفيض شارك فيه الكثير من المكاتب الهندسية المتخصصة من مختلف بلدان العالم بالأفكار والدراسة العلمية الجادة بتوجيه من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد، مما أدى إلى تصميم مبتكر يؤلف بين التكنولوجيا المتقدمة والعناصر الجمالية الحديثة للعمارة الإسلامية بالمسجد[1]، وركبت كل قبة على أعمدة وجدران أنشئت لحمل القبة بارتفاع (٣,٥٥م) من منسوب سطح التوسعة، وعلى ارتفاع (١٦,٦٥م) من منسوب الأرض، ويبلغ نصف قطر القبة (٧,٣٥م)، والوزن الإجمالي للقبة الواحدة (٨٠) طناً، منها (٤٠) طناً وزن الهيكل الفولاذي المعالج بطريقة خاصة متطورة لوقايته من الصدأ، و (٤٠) طناً لمواد أخرى دخلت في تصنيع القبة، ويتكون الوجه الداخلي للقبة من طبقات الخشب المصنع والمزخرف بزخارف إسلامية بسمك (٢٠) سم، مصنع من

---

(١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣٤٨-٣٤٩.
ووزارة الإعلام: الحرمان الشريفان، ص ٣١.

خشب القبقب والزخارف اليدوية من خشب الأرز المغربي المرصع بالأحجار القيمة (الأمازونيت) داخل إطارات مذهبة، وهناك مساحات أخرى مغطاة بورق الذهب الخالص الرقيق، حيث تحتوي كل قبة على كيلوين ونصف من ورق الذهب الخالص.

أما الوجه الخارجي للقبة فمغطى بطبقة من السيراميك الألماني على قاعدة من الرخام الجرانيت بسمك (٢٥مم)، ويعلو القبة رأس يشكل نقطتها العلوية، وهو من البرونز المغطى بقشرة من الذهب.

وقد استخدم في زخرفة القباب حوالي (٦٧,٥كغ) من الذهب، وتقدر المساحة المزخرفة بحوالى(١٠٠م٢)، ركب عليها ألف قطعة من حجر (الأمازونيت) المستورد من كينيا في الأطر المذهبة، وتبلغ مساحة التصاميم المحفورة باليد على خشب الأرز (١٦٠م٢).

ويتم تحريك القبة على أربع عجلات من الفولاذ، كل عجلة لها ماكينة خاصة بقوة (٢,٥ ك.واط) بجهاز حاسب آلي مركزي يعمل بالطاقة الكهربائية، يقوم بفتح القباب المطلوب فتحها وإغلاقها، وتستغرق عملية فتح القبة وإغلاقها حوالي دقيقة واحدة، أما إذا أريد فتحها أو إغلاقها يدوياً فإن ذلك يستغرق حوالي نصف ساعة أو أكثر، ولا يُحْدِثُ الفتح أو الإغلاق أي أصوات؛ لأن المجرى الذي تتحرك عليه القبة مغطى بطبقة خاصة تمنع إحداث أي أصوات في أثناء التحرك[١]. وهكذا تم تصميم القباب بشكل علمي دقيق يتوافق مع أحدث طرق الإنشاء، وأفضل أساليب العمارة، مع مراعاة التوافق والانسجام بين المبنى الجديد والمبنى القديم.

---

(١) محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ٨٣-٨٤.

ـ المداخل:

كان من أهداف التوسعة الكبرى تسهيل حركة الدخول والخروج من جميع جوانب المسجد النبوي عن طريق كثرة الأبواب والمداخل، مع العمل على ربط الطابق الأرضي الرئيس للمسجد بالطوابق السفلية والعلوية في عملية ترابط كامل لجميع أجزاء المسجد مبنية على دراسات وإحصائيات دقيقة.

ومن أجل وصل مبنى التوسعة السعودية الأولى بمبنى التوسعة السعودية الثانية الكبرى، فقد أزيلت مباني الأبواب المحيطة بالتوسعة السعودية الأولى وحيطانها بطريقة فنية، وتم ربط المبنيين بعضهما ببعض، وأقيمت أبواب جديدة حول مبنى التوسعة الكبرى، أصبح بعضها يحمل الأسماء نفسها للأبواب التي كانت محيطة بالتوسعة السعودية الأولى، وبلغ عدد المداخل الجديدة (٤١) مدخلاً، بعضها يتكون من باب واحد، وبعضها من بابين ملتصقين، وأخرى من ثلاثة أبواب. أما المداخل الرئيسة فهي سبعة مداخل، ثلاثة منها في الجهة الشمالية، واثنان في كل من الجهتين الشرقية والغربية، ويحتوي كل مدخل رئيس على خمس بوابات متجاورة؛ بالإضافة إلى بوابتين جانبيتين، واثني عشر بوابة أخرى لمداخل السلالم الكهربائية المتحركة ومخارجها التي تخدم رواد المسجد في تسهيل تحركاتهم بين طوابق المسجد. وبهذا أصبح إجمالي أبواب المسجد النبوي الشريف بعد التوسعة السعودية الكبرى خمسة وثمانين باباً؛ منها أبواب تستخدم للدخول والخروج للدور الأرضي الرئيس للمسجد، وأبواب أخرى يستخدمها المصلون للصعود إلى سطح التوسعة فقط، أو كليهما معاً، وقد خصصت أبواب لدخول الرجال وخروجهم، وأخرى للنساء فقط، كما أنشئت بجانب بعض

الأبواب مكاتب لإدارات شؤون المسجد النبوي الشريف[١]. وفي وسط الواجهة الشمالية للتوسعة يوجد مدخل الملك فهد بن عبدالعزيز، وهو المدخل الرئيس للتوسعة، ويعلو هذا المدخل ويميزه بشكل خاص سبع قباب، ويحده من كل جانب مئذنة بارتفاع (١٠٤) أمتار[٢].

ومعظم الأبواب لا تحمل أسماء لها حالياً، بل تحمل أرقاماً فقط، وتتجه النية لدى الجهات المسؤولة عن الإشراف على المسجد النبوي الشريف لإعداد دراسة لتسميتها. وقد بنيت هذه المداخل من الخرسانة المسلحة، وهي بارزة عن جدار المسجد، وكسيت واجهاتها من الداخل بالرخام الممتاز، ومن الخارج بالجرانيت[٣]، وركبت عليها أبواب مصنوعة من خشب الساج، صنعت في برشلونة بأسبانيا، ولم يستعمل فيها المسامير أو الغراء، إذ حفرت أخاديد في جوانب الألواح لتتداخل في بعضها، ثم ثبتت بواسطة أسافين خشبية، وجليت بحلي برونزية مزخرفة مطلية بالذهب الخالص على نسق الفن الزخرفي الإسلامي، صنعت في مدينة (رواه) الفرنسية، وكان وزن كل باب بعد اكتمال تصنيعه (٢,٥) طن[٤].

ويبلغ عرض الباب ثلاثة أمتار، في حين يبلغ ارتفاعه ستة أمتار، وكتب في وسط كل باب على الصرة النحاسية عبارة «محمد صلى الله عليه وسلم»، ويعلو كل باب لوحة من الحجر الصناعي مكتوب عليها

(١) محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ٧٦، ولمعرفة المزيد عن هذه الأبواب انظر المصدر نفسه، ص ٧٧-٧٩.

(٢) وزارة الإعلام: الحرمان الشريفان، ص ٣١.

(٣) محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ٨٠.

(٤) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣٨٦.

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾، أما مداخل السلالم الكهربائية فإنها أقل ارتفاعاً وعرضاً من الأبواب الأخرى[١].

وبذلك ظهرت هذه الأبواب غاية في الجودة والدقة، وروعة في الإبداع والجمال، تحمل زخارف نباتية وهندسية، وتزينها لفظة الجلالة (الله)، وكلمة (الله أكبر) في داخل دائرة في كل باب، أما عبارة (محمد رسول الله) فإنها تتوسط المصراعين لكل باب، وحليت المداخل الرئيسة لمبنى التوسعة بعقود تعلو الأبواب محلاة بالأحجار البيضاء والسوداء في شكل نصف دائرة، عليها شرفات غاية في الروعة والتصميم والإبداع.

ـ النـوافذ:

للنوافذ أهمية كبيرة في تزويد التوسعة بالتهوية والإنارة الطبيعية؛ لذا فإننا نجد أن جميع حوائط المسجد النبوي الخارجية قد زودت بنوافذ متعددة بتعدد الانكسارات الحاصلة نتيجة بروز الأبواب الرئيسة عن استقامة جدران التوسعة الكبرى من جميع جهاتها، وهذه النوافذ تأخذ شكلاً مستطيلاً معقودًا بعقود مدببة، وعليها أبواب مستطيلة بحجم الشباك، مصنوعة من خشب القرو، مركب عليها من الخارج مشربيات مصنوعة من البرونز، مزخرفة زخرفة إسلامية هندسية، ونباتية، ومحلاة بصنجات ملونة لإعطائها مظهراً جميلاً وجذاباً، ويعلو واجهاتها من الخارج شبابيك مستديرة مصنوعة من الحجر الصناعي، عليها زجاج ملون بتقسيمات رائعة، كما يعلو كل شباك لوحة مصنوعة من الحجر

---

(١) محمد إلياس عبدالغني: المصدر السابق، ص ٨٠.
هذا بجانب زيارة خاصة قام بها المؤلف، واطّلع فيها بنفسه على تلك التوسعة الكبرى.

الصناعي سابق الصنع، مكتوب عليها من الداخل والخارج كلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله»[(١)].

وتوجد (٢٦) نافذة من هذا النوع في الواجهة الشمالية للمسجد، منها ثمان على يمين الداخل من باب الملك فهد بن عبدالعزيز، ومثلها عن يساره، كما توجد خمس نوافذ على يمين الباب الواقع في الطرف الغربي من هذه الواجهة، ومثلها على يسار الباب الواقع في الطرف الشرقي من هذه الواجهة.

وفي الجهتين الشرقية والغربية للمسجد النبوي نجد مجموعة أخرى من هذه النوافذ تتوسط بين المدخلين الكبيرين المفتوحين في كل جانب.

أما في الجهة الجنوبية فإننا نجد ست عشرة نافذة من هذا النوع موزعة بالتساوي على واجهة التوسعة الجديدة، منها ثمان نوافذ عن يسار الواجهة، وثمان أخرى عن يمين الواجهة، وجميع هذه النوافذ متشابهة، ونقوشها وزخرفتها كلها مستوحاة من التراث الإسلامي المعتمد على فن التوريق واستخدام الأشكال الهندسية البديعة[(٢)].

ـ المآذن:

تعد المئذنة رمزاً للمسجد، وعلامة مميزة للمدينة المنورة، وهي السمة الأكثر بروزاً في كل بيوت الله، وتُعد في فن العمارة الإسلامية الحدود الفضائية لموقع المسجد، «وعلى هذا الأساس روعي في تصميم مبنى التوسعة أن تحدد أركان مبنى التوسعة مآذن جديدة، تتفق وتتلاءم

---

(١) محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ٨٨.

(٢) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣٨٦، ومشاهدات المؤلف خلال إحدى زياراته للمدينة المنورة. وانظر أيضاً: آخر كتاب أحمد ياسين الخياري: تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً الذي أضيف إليه ملخص عن التوسعة الكبرى، وصدر أخيراً بتحقيق الأستاذ/ عبيد الله كردي، المدينة، ١٤١٠هـ.

مع الرونق العام للمبنى الذي ضم ست مآذن جديدة؛ اثنتان منها على جانبي بوابة الملك فهد»[١] التي تتوسط الجدار الشمالي للمسجد، وهو المدخل الرئيس للتوسعة الجديدة، أما المآذن الأربع الأخرى فجاءت في الأركان الأربعة للتوسعة، هذا بجانب وجود أربع مآذن في التوسعة السابقة، فيكون عدد مآذن المسجد النبوي الشريف عشر مآذن.

والمآذن الست ترتفع من الأرض إلى نهاية الهلال الذي ينتصب في أعلاها إذ يبلغ طولها (١٠٤) أمتار، وبذلك فإنها تزيد في ارتفاعها عن المئذنتين اللتين أقيمتا في مؤخرة التوسعة السعودية الأولى التي أنشئت في عام ١٣٧٥هـ باثنين وثلاثين متراً، وبذلك فإن المآذن الجديدة للمسجد النبوي الشريف أضافت بشموخها الزاهي لمسة من التنسيق المعماري، وفيضاً من الرونق الجمالي.

وبمقارنة المآذن الست الجديدة بالمئذنتين السابقتين، نجد التشابه الكبير بينها في كثير من التفاصيل كالتدرج من الشكل المربع إلى الشكل المثمن، فالأسطواني، وكذلك التشابه في الزخارف والألوان، وقد تم هذا التشابه بهدف إيجاد تقارب كبير بين التوسعات السعودية يسر الناظرين، ويأسر شعورهم، وقد روعي في تصميمها أن تقوم على أساسات قوية، «حيث أنشئت كل مئذنة على قواعد خرسانية ترتكز على عددٍ من الأوتاد الضاربة في جذور الأرض، وبعمق ما بين (٣٠ ـ ٥٠) متراً، ويتراوح عدد الأوتاد الخرسانية والمغلفة بأسطوانات فولاذية ما بين (١٦ ـ ٢٢) وتداً، وتتكون المئذنة الجديدة من خمسة طوابق مبنية من الخرسانة المسلحة كمادة أساسية للبناء»[٢].

(١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣٤٨، ٣٨٨-٣٨٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٤٨.

ـ الطابق الأول للمئذنة:

ويمثل قاعدة المنارة، وهو عبارة عن شكل مربع (٥,٥ × ٥,٥م)، وارتفاعه (٢٧,٥م)، ويستمر هذا المربع بطول ارتفاع مبنى المسجد النبوي حتى يعلو السطح، وبه شريط طولي محفور عليه عدة نوافذ صغيرة من الجانبين الظاهرين من المنارة، وقد تمت زخرفة هذا الشريط بزخارف بديعة، ويليها أحزمة مزخرفة مكونة بداية النهاية للقاعدة، فنجد حزاماً عريضاً به زخارف هندسية يليه حزام آخر بزخارف نباتية، ثم تبدأ الكرنشة لتنسيق المقرصنات التي تهيئ الناظر إلى إطلالة الشرفة الأولى. ويمثل المربع مقطع هذه الشرفة، حيث إنه امتداد للمربع الأساس في القاعدة، وقد زينت الشرفة المربعة بحاجز مزخرف بمربعات تحتوي على مثمنات ظاهرة بشكل متناسق مع الزخارف السابقة الموجودة أسفل منها.

ـ الطابق الثاني للمئذنة:

وهو مثمن الشكل، قطره (٥,٥م)، ويرتفع من أعلى الشرفة السابقة المربعة، ويستمر بارتفاع متر، ويحتوي على ثلاثة نماذج من درجات الشكل المثمن، والجزء السفلي منه مثمن مضلع بسيط في تكسيته، وتوجد به فتحة إلى الشرفة لاستعمالها عند الحاجة، والجزء الأوسط ويمثل جزء العقود المحمولة على أعمدة رفيعة تنتهي بشكل مثلثات، ويظهر في خلفية العقود أرضية داكنة ونوافذ زجاجية طويلة زينت بحلوق بيضاء مزركشة. وقد حليت العقود بحزام فيه سلسلة متعرجة بارزة، والجزء الأعلى يظهر شكل المثمن مرة أخرى، مع وجود فتحات دائرية في كل ضلع محاطة بإطار بارز، وتمت تكسيته بأرضية بيضاء، وينتهي بمقرصنات تحمل أعلاها شرفة مثمنة، والمقرصنات مكونة من ثلاث

طبقات بدون فراغات، وقد زينت الشرفة المثمنة بحاجز مزخرف بمربعات تحتوي على مثمنات ظاهرة.

ـ الطابق الثالث للمئذنة:

وشكله مستدير، يبدأ من أعلى الشرفة السابقة ويستمر كالسابق بارتفاع متر، وأرضيته مكسوَّة باللون الرصاصي، وحُلِّي باثني عشر حزاماً، وينتهي بمقرصنات مكونة من طابقين تحمل شرفة مستديرة، وقد زينت الشرفة بحاجز مزخرف بمربعات تحتوي على مثمنات ظاهرة، ويعبر هذا الطابق عن قوة تحمُّله للجزء العلوي، ويتميز بخلوه من الفتحات، وبزخارفه الملونة بالأبيض والأسود.

ـ الطابق الرابع للمئذنة:

وهو عبارة عن شكل أسطواني قطره (٤,٥م)، ويظهر كشكل العنق حيث الأعمدة الرخامية والأقواس الثمانية المثلثة الرؤوس البارزة تحيط بعصب السلم الدائري، وتعلوه مقرصنات من طابقين تحمل شرفة دائرية أصغر من سابقتها، وزينت بطريقة الزخارف السابقة نفسها في شكل متناسق جميل.

ـ الطابق الخامس للمئذنة:

وهو أسطواني الشكل، قطره (٤,٥م)، ويمكن تقسيمه إلى عناصر عدة، حيث يبدأ ببناء أسطواني مضلع ينتهي بتاج مشرشف يكون شرفة صغيرة تحمل الجزء العلوي الذي يبدأ ببناء مخروطي تعلوه قبة بصلية هي أساس قاعدة الهلال البرونزي المطلي بالذهب عيار (٢٤) قيراطاً، ويصل ارتفاعه إلى حوالي ستة أمتار، ووزنه حوالي (٤,٥) طن، وبه تنتهي المئذنة. وترتبط هذه الطوابق الخمسة بسلم دائري في المنارة، له مدخل

خاص في الدور الأرضي للمسجد ويؤدي إلى الشرفات الثلاث، ويمكن استخدامه عند الحاجة[١].

والمتأمل في مآذن المسجد النبوي الشريف يجد أن لمسة جمالية أخرى أضيفت إليها، وذلك باستخدام الإنارة الصناعية التي أضفت تأثيراً جميلاً، حيث إن الضوء المشع إلى أعلى يحيط بالمئذنة وكأنه يصعد بها إلى أعلى الفضاء[٢]. كما تم تركيب جهاز يعمل بأشعة الليزر تم وضعه على منسوب ٨٦ متراً لإعطاء خدمة ضوئية تحدد موقع المسجد من مسافة خمسين كيلًا تقريباً[٣].

ـ المظلات الآلية:

قامت مجموعة ابن لادن السعودية بتطوير نظام رائع وفريد لتظليل الفنائين المكشوفين ضمن التوسعة السعودية الأولى للمسجد النبوي الشريف، وذلك لحماية المصلين من وهج الشمس في أثناء الظهيرة، وخاصة في فصلي الصيف والخريف. وقد تم تركيب اثنتي عشرة مظلة كبيرة بواقع ست مظلات في كل فناء، ويمكن لهذه المظلات تظليل مساحة قدرها (١٨ × ١٨متراً)، ويبلغ ارتفاعها (١٣,٥متراً)، وهذا

---

(١) عبدالله سلطان الأفغاني: مآذن الحرم النبوي الشريف، بحث ضمن الأبحاث التي يشملها الكتاب الذي أصدرته مجموعة ابن لادن السعودية بعنوان: «توسعة وعمارة الحرمين الشريفين، رؤية حضارية»، (الطبعة الأولى، جدة، مؤسسة عكاظ للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ص ٥٥-٥٦. وانظر أيضاً: حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣٨٨-٣٨٩.

(٢) حامد عباس: المصدر السابق، ص ٣٨٩.

(٣) محمد ناجي الأنصاري: عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ، ص ٢٢٥.

وحامد عباس: المصدر السابق، ص ٣٨٩، ومشاهدات الباحث خلال زياراته المتعددة للمدينة المنورة.

الارتفاع يوازي شرفة بناء المسجد المحيط بها، ويتم فتحها وطيها آلياً بواسطة أسطوانات هيدرلوكية مصممة لتخدم فترة طويلة من الزمن. وعندما تطوى يصل ارتفاعها إلى ثمانية عشر متراً، وتقوم المظلة على سارية مصنوعة من فولاذ خاص شديد الصلابة، ومكسوة بالرخام الأبيض، ويمكن فتحها وطيها خلال تسعين ثانية فقط، ويبلغ وزن الواحدة منها حوالي عشرة أطنان.

والغشاء الخارجي للمظلات مصنوع من ألياف التيفلون المطورة خصيصاً لمقاومة درجات الحرارة المرتفعة، والبرودة، والأمطار على مر العام، كما أنها غير قابلة للاشتعال، ولا تتحلل بفعل أشعة الشمس، ويخرج من قاعدة كل سارية ورأسها الهواء المبرد المكيف لتبريد المنطقة المحيطة بكل مظلة بمعدل (٦٠٠٠) ستة آلاف قدم مكعب من الهواء في الدقيقة الواحدة، وتزين كل مظلة أربعة مصابيح كهربائية عالية الإضاءة، قليلة الحرارة، مشابهة لتلك المصابيح المثبتة على أعمدة المسجد.

وقد تم تسجيل براءات هذا الاختراع عالمياً، واستخدم لأول مرة في المسجد النبوي الشريف، وهذه المظلات الآلية حديثة، وتعد أكبر المظلات الآلية التي تم تشييدها حتى الآن، وأكثرها تقدماً من الناحية التقنية والهندسية.

ـ مصلى النساء:

انطلاقاً من رسالة الدين الإسلامي الحنيف الذي يمنع اختلاط الرجال والنساء من غير ذوي المحارم، وبناءً على ذلك فقد تم تخصيص أماكن للنساء في الجهة الشرقية الشمالية بمساحة قدرها (١٦,٠٠٠)م^{٢}، وفي الجهة الغربية الشمالية من مبنى التوسعة بمساحة قدرها (٨,٠٠٠)م^{٢} وذلك في الأيام العادية، أما في فترة الازدحام فتزداد المساحة إلى عدة

أضعاف المساحة السابقة، وقد وضعت فواصل ساترة تفصل بين مصلى الرجال ومصلى النساء داخل مبنى التوسعة، كما خصصت مداخل لمصلى النساء أرقامها كالآتي: (١٣ و١٤ و١٦ و١٧ و٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ و٢٨ و٢٩ و٣٠)[١].

ـ الساحات المحيطة بالمسجد، والخدمات التي وفرت بها:

استناداً للتوجيهات السامية التي أكد عليها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد، والتي تؤكد على أن يرافق التوسعة الكبرى للمسجد النبوي الشريف تطوير للمنطقة المركزية المحيطة بالمسجد، وإيجاد مساحات واسعة حوله لتكون على هيئة ميادين وشوارع للاستفادة منها لاستيعاب أكبر عدد ممكن من المصلين في أوقات المواسم الدينية كالحج ورمضان، وبناء أدوار عدة تحت أرض هذه الساحات والميادين، لاستخدامها مواقف للسيارات، ودورات مياه لتلبي احتياجات رواد المسجد. وقد عملت الجهات المنفذة بهذه التوجيهات الكريمة، وساعدها على تحقيق ذلك أن طبيعة الأرض التي أقيم عليها مشروع توسعة المسجد النبوي الشريف، وكذلك الساحات المحيطة بالمسجد خالية من الجبال، أو أي عوائق طبيعية، فتم حفر المنطقة المحيطة بالمسجد النبوي الشريف وأقيم عليها مبانٍ من أدوار عدة تحت الأرض، قسمت قسمين؛ القسم الأول: خصص مواقف للسيارات، والقسم الثاني: خصص لدورات المياه، والمعدات الكهربائية، وغرف للتحكم الآلي، والخدمات العامة.

ـ المواضئ:

تعد المواضئ عنصراً حيوياً لتأمين الراحة التامة لقاصدي المسجد النبوي الشريف وغيره من المساجد؛ ذلك لأن وجود مثل هذه المرافق

(١) محمد إلياس عبد الغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ٧٦.

العامة من مواضئ ودورات مياه، وأماكن لشرب الماء البارد يساعد رواد المسجد على تحقيق طهارة دائمة، واستعداد تام لأداء الصلوات في أوقاتها، وغير ذلك من العبادات التي تستوجب من المسلم التطهر الدائم ما أمكنه ذلك، وتساعده على البقاء في المسجد مدة أطول.

لذلك تم إنشاء وحدات للوضوء، ودورات للمياه في الطابقين السفليين تحت الساحات الخارجية للمسجد النبوي قرب مواقف السيارات، وتتكون مباني هذه الدورات والمواضئ، ونقاط شرب الماء البارد من خمسة عشر مبنى، وقد بلغ مجموع نقاط الوضوء (٦٢١٤) نقطة، ومجموع دورات المياه (٢٤٣٢) دورة مياه يمكن الاستحمام بها، ووضعت في مداخل الوحدات نقاط لشرب الماء البارد بلغ عددها (٧٥٨) صنبوراً (حنفية) لشرب الماء[١].

ولتزويد هذه المواضئ بالماء، فقد أنشئت خزانات كبيرة بالقرب منها تحت الساحات، وزودت بمضخات كبيرة لدفع الماء من هذه الخزانات إلى المواضئ، كما تم إنشاء خزانات كبيرة أيضاً لتوفير الماء الخاص بالشرب وضخه إلى محطة تبريد كبيرة لتبريده ومعالجته من أي شوائب، وضخه إلى صنابير الشرب بارداً نقياً.

وقد زودت جميع المواضئ ودورات المياه، وأماكن الشرب بشبكة صرف صحي متكاملة لتصريف المياه المستعملة إلى الشبكة الرئيسة للصرف الصحي وصرفه إلى خارج المدينة المنورة حسب نظام صحي متقن، حفاظاً على الصحة العامة.

---

(١) عبدالعزيز بن عبدالرحمن الحصين: العناية بالمسجد النبوي الشريف، ص ٥٢.

ـ مواقف السيارات:

أما مواقف السيارات فقد تطلب وجودها تأمين قاعدة صلبة تتوفر فيها كل عناصر السلامة؛ فالعمق الذي تقع فيه هذه المواقف، وتربة المنطقة غير المستقرة تتطلب تأسيس وإنشاء وبناء أكبر جدار استنادي في العالم. وتنقسم هذه الجدران الاستنادية التي تحيط بمواقف السيارات إلى نوعين:

١ ـ «جدار مزدوج من الخرسانة المسلحة، مدعمة بالأوتاد الفولاذية، وبعرض (٦,٦٠) متراً، وبعمق يتراوح ما بين (٢٢ و ٦٦) متراً تحت الأرض.

٢ ـ جدران مفردة لإسناد المداخل والمخارج، وهي من الخرسانة المسلحة، وبسماكة (٨٠سم)، وبأعماق تصل إلى منسوب الأرض الصخرية للمبنى.

ويرتكز مبنى مواقف السيارات على (٤١٠٠) عامود من الخرسانة المسلحة، قطر كل منها (١١٠سم)، وتصل إلى منسوب الصخر، وبأعماق تتراوح ما بين (١٥ ـ ٥٠) متراً، طولها الإجمالي حوالي مائة ألف متر.

ويتكون المبنى الذي يقع أسفل الساحات المحيطة بالمسجد النبوي من دورين مساحته حوالي (٣٩٠,٠٠٠) مترٍ مربع، وارتفاع الدور العلوي (٤,٩٠م)، وارتفاع الدور السفلي أربعة أمتار فقط، وبإمكان الدورين استيعاب (٤٢٠٠) سيارة إلى (٤٥٠٠) سيارة في أوقات الذروة، ولهما ستة مداخل ومخارج؛ ثلاثة منها تؤدي إلى الدور العلوي، ومثلها إلى الدور السفلي، ويتصل الدور العلوي بالدور السفلي من خلال منحدرات داخلية موجودة في أركان المسجد النبوي الأربعة»(١).

---

(١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣٥٠، ومجلة المجلة: العدد ٥٩٢، لعام ١٤١١هـ، ص ٧٤.

وقد رصفت أرضية مواقف السيارات ومنحدرات الدخول والخروج ببلاط خرساني متداخل خشن الملمس، وبمساحة إجمالية (٢٥٠) ألف متر، كما كسيت حوائط الجدران الداخلية بالخرسانة والحجر الصناعي.

ويتم تأمين التغذية الكهربائية لمواقف السيارات بالجهد المتوسط (٨ و١٣) كيلو فولت بالإضافة إلى مجموعة من البطاريات التي تعمل على الإنارة والتهوية بمجرد انقطاع التيار الكهربائي عن المبنى، كما أن مبنى مواقف السيارات مجهز بمراوح خاصة لدفع الهواء النقي، ومراوح أخرى لسحب الهواء المؤكسد، للحد من وجود غاز أول أكسيد الكربون الناتج من عادم السيارات والإبقاء عليه في مستويات صحية وآمنة، خشية من الاختناق نتيجة وجود الأعداد الكبيرة من السيارات[(١)].

وقد زودت مواقف السيارات بنظام مراقبة تلفزيونية بكاميرات متحركة، وأخرى ثابتة متصلة بغرفة مراقبة رئيسة، ومكبرات للصوت يمكن عن طريقها مخاطبة الجمهور والسائقين بالمواقف والمداخل والمخارج لتوجيه الإرشادات الضرورية لهم؛ بالإضافة إلى وجود نظام تحكم مروري، ولوحات إرشادية مضاءة لتوجيه السيارات إلى المواقف الخالية حسب الإمكانات المتاحة في هذه المواقف، كما زودت غرف مراقبة دخول السيارات وخروجها بأجهزة حاسب آلي لإحصاء عدد السيارات الداخلة والخارجة، لضمان سهولة الحركة داخل المواقف، وتقديم إحصائيات دقيقة عن القدرة الاستيعابية لهذه المواقف في الأوقات العادية وأوقات الذروة، كما زودت المواقف بأجهزة للطوارئ،

---

(١) محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ٩٥-٩٩.

وعيادة طبية، ومركز أمني لخدمة رواد هذه المواقف، والمحافظة على سلامتهم وراحتهم[١].

وهذا يؤكد لنا أن تصميم مواقف السيارات وتنفيذها جاء حسب أفضل المواصفات العلمية، وأحدث التقنيات.

وبجانب ذلك، تم بناء (٢٧) مبنى في المنطقة الواقعة تحت الساحات، يتكون كل منها من طابق واحد، وتتوزع في الأركان الأربعة لمنطقة الساحات، وقد خصصت هذه المباني لتقديم الخدمات الصحية، والمراقبة الأمنية، ومكافحة الحريق، وورش للسيارات، وغرف تحكم آلي، وغرف تخزين المعدات الخاصة بالنظافة والصيانة، وغرف للوحات المفاتيح الكهربائية.. ونحو ذلك حسب متطلبات مبنى توسعة المسجد النبوي الشريف.

وبذلك نجد أنه تمت الاستفادة من المنطقة الواقعة تحت الساحات المحيطة بالمسجد النبوي بطريقة علمية، بهدف توفير كافة الاحتياجات التي يحتاجها رواد المسجد بسلام وأمان[٢].

- الساحات:

وبالنسبة لمساحة سطح الساحات، فإن مساحتها الإجمالية بلغت (٢٣٥,٠٠٠) مترٍ مربع، وعرضها (٢٠٧) أمتار من الجهة الجنوبية من المسجد، و (١٥٤) متراً من الجهة الغربية، و(١٤٤) متراً من الجهة الشمالية، و(٢٧) متراً فقط من الجهة الشرقية، وذلك لوجود مقابر البقيع في هذه الجهة مما لا يمكن معه التوسعة أكثر من ذلك، وتتسع هذه الساحات لأكثر من (٤٠٠) ألف مصلٍ في أوقات الذروة.

---

(١) وزارة الإعلام: الحرمان الشريفان، ص ٣٥.

(٢) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣٥١.

وتم تزويد هذه الساحات بحوالي ثلاثين مدخلاً بسلالم كهربائية تؤدي إلى مواقف السيارات ودورات المياه، وفرشت أرضها بالرخام الأبيض، يتخلله تقسيمات هندسية رائعة تزيد من جماله وروعته وبهائه. وتم إنارة الساحات والأدوار التي تحتها بالأنوار الجميلة الصافية الكافية، ووضعت في الساحات أعمدة بلغ عددها (١٢٠) عموداً مثمناً مشابهة لتلك التي أقيمت في ساحات التوسعة الأولى مع اختلاف واضح في تيجانها وطريقة توزيعها، وزودت هذه الأعمدة بوحدات إضاءة خاصة، ويتم فرشها بالسجاد في ليالي رمضان للصلاة فيها، وهذه الساحات خاصة بالمشاة فقط، ولا يسمح بدخول السيارات العامة إليها، ويستثنى من ذلك سيارات الإسعاف، والطوارئ، والنظافة، وسيارات المواكب الرسمية.

ومن أجل تجنيب المسجد النبوي الشريف أخطار السيول الجارفة، فقد تم إنشاء شبكة متكاملة لتصريف مياه السيول والأمطار، تبدأ من منطقة الساحات، وتمتد إلى الميادين والشوارع المحيطة بالمسجد النبوي، وتتفرع إلى بقية شوارع المدينة المنورة، وتتولى هذه الشبكة صرف مياه الأمطار والسيول إلى الشبكة العامة لتصريف السيول.

وقد أنفق على إزالة المباني الواقعة في منطقة الساحات، وتجهيزها، وبناء مواقف السيارات والخدمات العامة الأخرى مبالغ مالية عظيمة، دفعتها حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز بسخاء عظيم، رغبة في جعل بناء الحرمين الشريفين مشيداً على أفضل الأساليب والتصاميم البنائية العصرية وأحدثها، مع توفر جميع الخدمات الضرورية فيهما، وهذا بتوفيق من الله وعونه.

ـ نفق الخدمات:

يبدأ نفق الخدمات من محطة التبريد في غرب المدينة المنورة على طريق الجامعة، ويتجه شرقاً باتجاه المسجد النبوي الشريف، ويمر تحت طريق الجامعات، ثم تحت وادي العقيق، ثم تحت الحلقة الدائرية الثانية، ثم تحت مبنى السكة الحديد، ثم تحت طريق السيح، ثم تحت نفق المناخة ليصل إلى منطقة الأقبية بالمسجد النبوي الشريف، ويبلغ طوله سبعة كيلومترات، وعرضه من الداخل (٦,٢٠م)، وارتفاعه (٤,١٠م)، وبعمق يتراوح بين أربعة أمتار وستة عشر متراً، حتى لا يشكل عائقاً للخدمات العامة التي سوف يتم إنشاؤها مستقبلاً، وبنيت جدرانه بالخرسانة المسلحة وفق مواصفات عالية، وتقنية جيدة، وزود بإحدى وثلاثين فتحة تهوية مزودة بمراوح التهوية وشفط الهواء لتجديده داخل النفق باستمرار، وذلك من أجل تحقيق السلامة الدائمة لعمال الصيانة، وللمحافظة على سلامة المعدات والأجهزة، والكوابل، ومفاتيح التحكم الكهربائية التي بداخله من أي أعطال بسبب الحرارة أو الرطوبة الزائدة، ويخترق النفق أنبوبان كبيران لنقل المياه المبردة، قطر كل منهما (٩٠سم)[١]، وكذلك الكابلات الكهربائية، ويمكن لفرق الصيانة استخدام هذا النفق والتنقل فيه بعربات خاصة للقيام بأعمال الصيانة المستمرة، ومراقبة المعدات والأجهزة والمصخات الموجودة فيه.

ـ المحطة المركزية لتبريد المياه:

من المعروف أن مناخ المدينة المنورة حار في معظم أيام السنة، باستثناء فصل الشتاء، ولذلك أمر خادم الحرمين الشريفين بإنشاء محطة

(١) ناجي الأنصاري: عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ، ص ٢٤٨.

مركزية لتبريد الهواء بالمسجد النبوي الشريف،وقد تم إنشاؤها على مساحة (٧٠٠,٠٠٠) م٢، بأبعاد (٣٥٠ × ٢٠٠م) جنوب مدينة حجاج البر القادمين من المدينة المنورة، على بعد سبعة كيلومترات من المسجد النبوي الشريف، وذلك بهدف تكييف هواء المسجد النبوي الشريف عن طريق المياه المبردة، حيث إن المساحة المراد تبريدها بالمسجد النبوي الشريف تقدر بحوالي (١٠٠) ألف متر مربع، وارتفاع سقف المسجد النبوي في الطابق الأرضي الرئيس يقارب ثلاثة عشر متراً، بجانب المناطق الأخرى المراد تكييفها من مكاتب وغرف للمراقبة ونحوها. وهذا يوضح لنا الحجم الهائل للمساحة المراد تبريدها، مما اقتضى معه إنشاء هذه المحطة الضخمة بمحركات ذات قدرة عالية، وروعي أن يكون وجودها خارج محيط الحرم النبوي لإبعاد ضوضاء المحركات الناتجة من محطات التبريد عن المسجد، ولسهولة أعمال الصيانة والتشغيل في الموقع، فاختير لهذه المحطة مكان على سفح جبل (جما عاقر الشرقي)، على بُعد سبعة كيلومترات في الاتجاه الغربي للمسجد النبوي(١).

وينقسم المبنى الرئيس إلى مبانٍ عدة:

مبنى الإدارة، ومبنى معدات التكييف، ومبنى المكثفات، ومبنى إنتاج الطاقة الكهربائية للطوارئ، وتبلغ مساحة المبنى الرئيس (١١,٠٠٠م٢) استهلكت فيه كمية (١٥,٠٠٠م٣) من الخرسانة المسلحة لبنائه، كما تشتمل المحطة على أنظمة لتصريف مياه الأمطار، والصرف الصحي، وأنظمة لمكافحة الحريق خاصة بهذا المبنى؛ بالإضافة إلى تنسيق الموقع من الداخل بما يحفظ له خصائص معمارية وجمالية فائقة الجودة على الرغم من بُعده عن الحرم النبوي.

---

(١) عبدالعزيز بن عبدالرحمن الحصين: العناية بالمسجد النبوي الشريف، ص ٥١.

أما مكائن التبريد المستخدمة في هذه المحطة فعددها ست ماكينات يتم تشغيل أربع منها بطاقة إجمالية قدرها عشر ميجاوات، وتبقى الأخرى احتياطية، فتبلغ طاقة التبريد لكل ماكينة (٣,٤٠٠) طن، وتبلغ طاقتها الإجمالية للتبريد (٢٠,٤٠٠) طن، كما يحتوي مشروع محطة التكييف على سبع مضخات قوة كل منها (٤٥٠ حصاناً)[١] لدفع الماء البارد في مواسير تمتد تحت الأرض من المحطة إلى الطابق السفلي للتوسعة، وهناك تمر في شبكة من الأنابيب العرضية الدقيقة، ومنها يتم ضخ الهواء المبرد بمضخات قوية يبلغ عددها (١٤٣) مضخة، ويتجه الهواء في مواسير التكييف إلى فتحات كبيرة موزعة في قواعد الأعمدة، مغطاة بشبك جميل من النحاس موجود بالطابق الأرضي للمسجد النبوي، وإلى فتحات أخرى بالأسقف في غرف الإدارات الملحقة بالمسجد[٢]. وقد تم توفير خدمة الحاسب الآلي في إدارة المحطة بما يحقق رغبة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد في استخدام أحدث التقنيات الحديثة في العالم، مما ساعد على تقديم أفضل الخدمات لرواد مسجد رسول الله ﷺ، وهو الأمر الذي تحققت معه الراحة والطمأنينة للزوار والمصلين، وأصبح مفخرة لحكومة خادم الحرمين الشريفين التي خصها الله برعاية الحرمين الشريفين، ورعاية قاصديهما خدمة للإسلام والمسلمين.

- الطاقة الكهربائية:

تشمل الأعمال الكهربائية لتوسعة المسجد النبوي الشريف الإنارة، حيث يوجد بالمسجد النبوي (٦٨) من الثريات الكبيرة، وعدد (١١١)

(١) وزارة الإعلام: الحرمان الشريفان، ص ٣٣-٣٤.
(٢) عبد العزيز الحصين: العناية بالمسجد النبوي الشريف، ص ٥١.

من الثريات الصغيرة المصنوعة من النحاس والكريستال الأصلي، وعدد كبير من الكشافات الموضوعة حول الأعمدة، وفي المداخل، وأنواع متعددة من الإنارة المختلفة داخل المسجد، وفي الساحات، والواجهات، والمآذن، والمواقف، والأدوار السفلية لمبنى التوسعة وغيرها، والتي يقدر عددها بأكثر من عشرين ألف وحدة إنارة مختلفة(١). وكذلك تشغيل القباب المتحركة، والسلالم الكهربائية، وأجهزة الإنذار، ومحطات الإذاعة، ومكبرات الصوت، والتلفاز، والدوائر التلفازية المغلقة التي تراقب الحركة داخل المسجد النبوي وخارجه على مدار الساعة، لضمان الأمن والسلامة، ونظام إنارة الطوارئ باستخدام بطاريات شحن خاصة، وأنظمة كشف الحرائق ومكافحتها، وشبكات توزيع الكهرباء، ولوحات التحكم الآلية وغيرها(٢)، مما يحتاج إلى طاقة كهربائية عالية ومستمرة؛ لذلك تم وضع نظام خاص لتزويد المسجد النبوي بالطاقة الكهربائية يتناسب مع حجم الطاقة الكهربائية المطلوبة، ويتلاءم مع كل الظروف والحالات الطارئة، مع مراعاة تعدد مصادرها، وإيجاد مدخرات احتياطية توفر الطاقة اللازمة في حالة انقطاع التيار الكهربائي لأي ظرف ما من المحطات الرئيسة، ولذلك تقرر أن يكون إمداد الطاقة الكهربائية للمسجد النبوي على النحو الآتي:

١ - **مغذيات رئيسة**: عن طريق شبكة المحطة الرئيسة لشركة كهرباء المنطقة الغربية بالمدينة المنورة بواسطة محطات فرعية خاصة بالمسجد النبوي الشريف، تم تركيبها في مناطق حول المسجد النبوي الشريف، يتم بواسطتها تغذية كاملة لعموم احتياجات المسجد النبوي من الكهرباء على مدار الساعة.

---

(١) محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ٩٠.
(٢) وزارة الإعلام: الحرمان الشريفان، ص ٣٢.

٢ ـ **محطة توليد كهربائية خاصة بالمسجد النبوي الشريف**: تم تركيبها في المحطة المركزية لتبريد المياه على بعد سبعة كيلومترات خارج المدينة، وتحتوي على ثمانية محركات، قوة كل منها (٢,٥) ميجاوات، يتم تشغيل أربعة منها للمسجد بطاقة إجمالية قدرها (١٠) ميجاوات، لتغطية محطات التبريد، ومضخات دفع الماء، والهواء البارد، وواحدة لتشغيل وحدات مواقف السيارات، ودورات المياه، ونحو ذلك من الخدمات العامة، وثلاثة محركات احتياطية.

٣ ـ **وحدة تغذية مستمرة من المدخرات**: مخصصة للإنارة، وأنظمة الصوت والصورة للكاميرات، ومكبرات الصوت، للنقل المباشر عبر الإذاعة والتلفاز، اليومي والموسمي، وتعمل فقط عند انقطاع الكهرباء من المصادر الرئيسة لمدة ثلاثين دقيقة[١].

ـ الزخـارف:

لقد برزت التوسعة الكبرى لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز للمسجد النبوي الشريف وتميزت بخصائص عدة منها: تميزها بأعمال زخرفية جميلة، تتسم بالطابع الإسلامي المبني على منهجي التوريق والأشكال الهندسية، بحيث تحقق التناسق والانسجام بين التوسعة السعودية الأولى، والتوسعة الكبرى لخادم الحرمين الشريفين، بهدف إبراز الجانب الجمالي للفن المعماري الإسلامي، ووضوحه على جميع جوانب مباني التوسعات السعودية، فلم تظهر العمارة السعودية للمسجد النبوي الشريف صامتة، بل ظهرت عليها ملامح بارزة من

---

(١) عبدالعزيز الحصين: العناية بالمسجد النبوي الشريف، ص ٥٢-٥٣.

أعمال الزخارف والكرانيش الجميلة، وكذلك بتجميل الحوائط، والعقود، والأعمدة، والقباب، والمآذن، كما ظهرت أيضاً في المشغولات الخشبية والنحاسية ونحوها، وتمثل ذلك في زخرفة المشربيات التي على الشبابيك. وقد حقق الفنانون المسلمون الذين قاموا بأعمال الزخرفة في توسعة خادم الحرمين الشريفين بالمسجد النبوي كامل العناصر المستخدمة في الفن الإسلامي في مجال الزخرفة والخط العربى، إذ أبدعوا في زخرفة المصنوعات الخشبية والنحاسية، وما تشمله هذه الصناعة من حفر على الخشب، ونقش وكتابة، أو زخرفة الحواجز الخشبية (الدربزانات)، والأسقف، أو النقش والكتابة على الأبواب الخشبية للمسجد التي تم اختيار أخشابها من أفضل أنواع الأخشاب وأطولها عمراً، وأكثرها مقاومة للحشرات الأرضية، وتم تطعيمها بأطواق ومقابض ومقرصنات من النحاس المطلي بالذهب الخالص، وكذلك في زخرفة النحاسيات الموضوعة على تيجان الأعمدة داخل المسجد، وفي زخرفة الثريات النحاسية المحلاة بأنواع فاخرة من زجاج الكريستال الثمين بأحجامها المختلفة، وفي المصابيح الموضوعة حول الأعمدة، والكشافات التي تحلي مداخل أبواب المسجد والساحات، واستخدام الخط العربي بأنواعه وجماليته وأشكاله المختلفة في كتابة اسم الجلالة، وأسماء الأنبياء، والآيات القرآنية، ونحو ذلك. وتمثلت الزخرفة أيضاً في أعمال التكسية الرخامية المتنوعة ذات الأشكال الهندسية الجذابة التي كسيت بها جدران المسجد النبوي الشريف من الداخل والخارج حتى علو ثلاثة أمتار، وتكسية الأعمدة الدائرية بالرخام المستدير الأبيض الجميل(١)، وكذلك استخدام أفضل

---

(١) محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ٨٧-٨٨ . وكذلك مشاهدات المؤلف خلال زياراته المتعددة لمسجد رسول الله ﷺ.

أنواع الرخام المستطيل على الأعمدة المربعة، وتكسية قواعد الأعمدة وأرضيات المسجد والساحات الخارجية بالرخام الأبيض الجميل وزخرفته بالرخام الجرانيت بأشكال زخرفية هندسية جميلة تسر الناظرين، وتبهر المعجبين، وتدل على روعة الإبداع، وحُسن ذوق المصممين، وإتقان عمل البنائين مما يستحقه مسجد رسول الله ﷺ من العناية وحسن التصميم والبناء.

ـ المساحة الإجمالية للتوسعة الكبرى (إحصائيات):

بلغت المساحة الإجمالية التي أضافتها توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز لعمارة المسجد النبوي الشريف حوالي (١٠٠) ألف متر مربع في الطابق الأرضي الرئيس، كما بلغت مساحة السطوح (٦٧,٠٠٠ م^{2})، يضاف إليها مساحة الساحات المحيطة بالمسجد التي بلغت (٢٣٥,٠٠٠ م^{2})، فيصبح المجموع الإجمالي للتوسعة الكبرى هو (٤٠٠,٢٠٠ م^{2})، تستوعب أكثر من سبعمائة مصلٍ في الأوقات العادية، وتصل إلى أكثر من مليون مصلٍ في أوقات الحج، ورمضان، والعيدين، والمواسم الأخرى[(١)].

كما بلغ عدد المآذن عشر مآذن؛ ست منها بارتفاع (١٠٤) أمتار، وعدد القباب المتحركة آلياً (٢٧) قبة، وبلغ عدد الأبواب (٤١) باباً، معظمها من فتحات عدة بلغ عددها الإجمالي (٨٥) فتحة باب، وحوالي خمسين نافذة موزعة على كافة جوانب مبنى التوسعة، وبلغ عدد مواقف السيارات ما بين (٤٢٠٠) إلى (٤٥٠٠) موقف سيارة، وبلغ عدد المواضئ (٦٢١٤)، و (٢٤٣٢) دورة مياه، و(٧٥٨) نقطة شرب ماء بارد

(١) خالد عبد الله الشريهي: لمحات من إنجازات خادم الحرمين الشريفين، ص ٥٦-٦١، ووزارة الإعلام: الحرمان الشريفان، ص ٢٩-٣٠.

وبلغ عدد السلالم الكهربائية أربعة سلالم، إضافة إلى ثمانية عشر سلمًا ثابتًا، وعدد محطات التبريد والكهرباء ثمان محطات؛ منها ثلاث محطات احتياطية، بجانب التغذية الكهربائية للمسجد النبوي الشريف الصادرة من الشبكة الرئيسة لشركة كهرباء المنطقة الغربية بالمدينة المنورة. ومن خلال هذه الإحصائيات يتبين لنا مدى ضخامة مشروع توسعة خادم الحرمين الشريفين للمسجد النبوي الشريف.

ـ تكاليف المشروع:

يتضح لنا من خلال الاستعراض السابق للتوسعة الكبرى لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ للمسجد النبوي الشريف، أن هذا المشروع قد كلف المملكة العربية السعودية مبالغ كبيرة من المال قدرت بحوالي ثلاثين مليار ريال، ويشمل ذلك تعويضات نزع الملكيات في المنطقة المحيطة بالمسجد النبوي، وعمليات الهدم والإزالة، وحفر الأساسات، وبناء المسجد بأدواره المختلفة، ومواقف السيارات، والساحات، وتوفير الخدمات العامة الأخرى، ومحطات الكهرباء للإنارة، والتكييف، وتركيب مكبرات الصوت، وأجهزة المراقبة، لتحقيق السلامة والأمن في جميع مرافق المسجد النبوي الشريف؛ يضاف إلى ذلك مبلغ (٧,٤١٨,٥٤٨,٢٢٨) ريالًا أنفقتها الدولة في عمليات تحسين مداخل المدينة المنورة وتجميلها، وأعمال الأنفاق للطريق الدائرى، وتحويل الخدمات والمرافق المعترضة لأعمال التوسعة الكبرى، بما في ذلك تعويض الملكيات للمباني والمتاجر المعترضة للشوارع والطرق والخدمات للمنطقة المركزية بالمدينة المنورة، ونحو ذلك[1]. وهذا مبلغ كبير دفعته

(١) وزارة الإعلام: الحرمان الشريفان، ص ٣٦.

الدولة ـ حرسها الله ـ بسخاء، خدمة للإسلام، ولراحة المسلمين في هذه البقاع الطاهرة، طلباً للأجر والثواب من الله بصفتها الدولة الإسلامية التي خصها الله تعالى برعاية الحرمين الشريفين وخدمتهما، وبجانب ذلك فهي الدولة التي تسير في أحكامها على شرع الله وسنة رسوله المصطفى ﷺ.

وقد استمر العمل في هذه التوسعة الكبرى حوالي عشر سنوات من العمل الدؤوب، فكانت بداية التنفيذ في شهر صفر عام ١٤٠٥هـ بعد عامين من التخطيط والتصميم والاجتماعات المستمرة تحت إشراف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز المباشر، وفي ضوء توجيهاته المستمرة.

وفي يوم الجمعة الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٤١٤هـ، الموافق ٢٢ أبريل ١٩٩٤م قام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ بزيارة تفقدية للمدينة المنورة، زار خلالها المسجد النبوي الشريف، فَسَرَّه جداً ما تم فيه من إنجاز وبناء عظيم، فأكد للحضور: «أن كل ما تحقق لهذا البلد هو من نعم الله الكثيرة وأهمها نعمة الإسلام والتمسك به، وتطبيق شريعته السمحاء». كما زار أيضاً المحطة المركزية لتكييف المسجد النبوي، ونفق الخدمات، ومشروع مواقف السيارات، والساحات والميادين، وشبكات الطرق المؤدية للمسجد النبوي الشريف من مختلف أنحاء المدينة المنورة.

وكانت علامات السرور والبهجة والفرحة تعلو محياه ـ حفظه الله ـ مردداً «الحمد لله» على توفيقه في إتمام هذا المشروع الإسلامي العملاق على يده الكريمة، وفي عهده الميمون. وكان دائماً يتحدث بكلمات رائعة وهادفة تعكس أهمية هذه الزيارة التي يشرف فيها على نهاية مشروع توسعة المسجد النبوي الشريف الذي تبناه وشمله برعايته وعنايته،

ومتابعته المستمرة حتى أصبح هذا المشروع حقيقة بارزة للعيان، بعد جهد دؤوب، وإنفاق سخي، مما يعد مصدر فخر واعتزاز للقيادة والحكومة السعودية على مر العصور.

وفق الله خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، وسمو ولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبد العزيز، والنائب الثاني صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، وأجزل لهم الأجر والثواب.

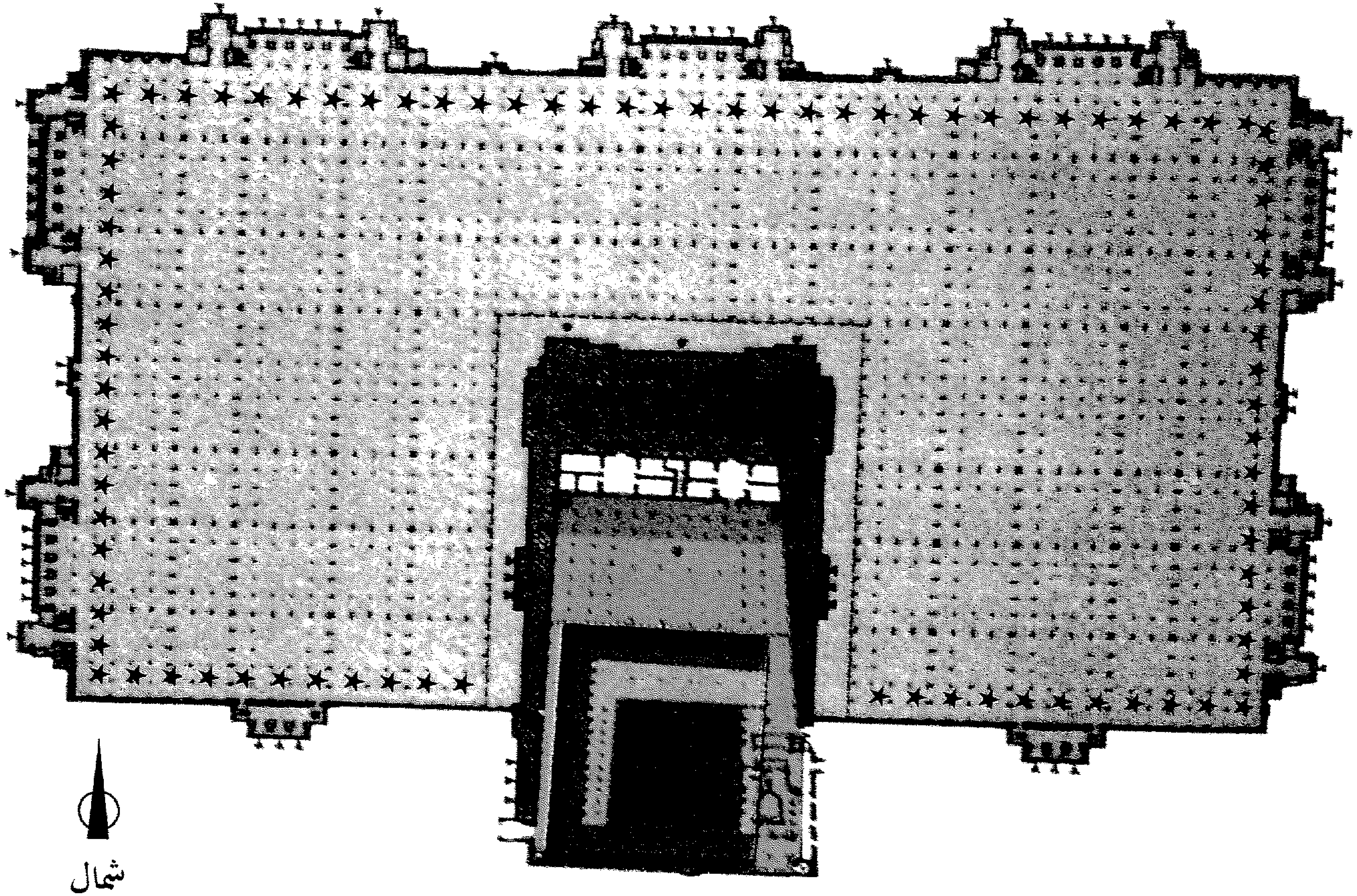

المساحة الموضحة بالنجوم هي التوسعة الكبرى للمسجد النبوي الشريف في عهد خادم الحرمين الشريفين

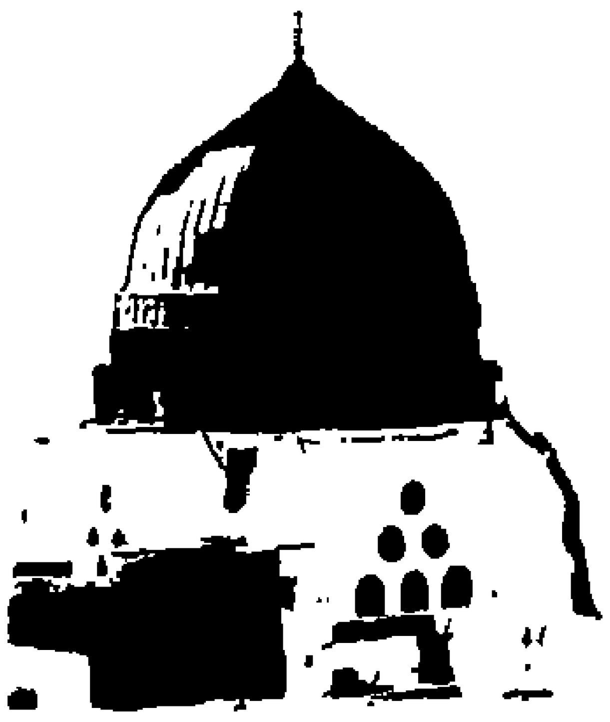

الفصل الرابع

التجديدات السعودية في العمارة القديمة للمسجد النبوي الشريف

- نظرة عامة.
- الحجرة الشريفة، والقبة الخضراء.
- التجديدات في الروضة الشريفة.
- التجديدات في المنبر.
- الإنارة والتكييف والتهوية.
- أبواب المسجد النبوي في العمارة القديمة.
- المآذن في البناء القديم.
- جملة الإصلاحات المعمارية بالعمارة القديمة للمسجد.
- استحداث ساحات حول العمارة القديمة، ومكتبة حديثة.

التجديدات السعودية
في العمارة القديمة للمسجد النبوي الشريف

ـ نظـرة عـــامة:

انتهينا من الحديث عن العمارة السعودية الأولى للمسجد النبوي الشريف التي بدأت في عهد الملك عبدالعزيز عام ١٣٦٨هـ، وانتهت في عهد ابنه الملك سعود في عام ١٣٧٥هـ، ثم ما أعقب ذلك من توسعات في مساحة المسجد في عهد كل من الملك فيصل، والملك خالد، رحمهم الله جميعاً.

وجاءت بعد ذلك التوسعة السعودية الكبرى لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، لتضيف للمسجد النبوي الشريف مساحة كبيرة، وعمارة عظيمة غاية في التصميم، وروعة في البناء.

والواقع أن هذه العمارات والتوسعات التي تمت في الحرمين الشريفين تبرز مدى اهتمام آل سعود بالأماكن الإسلامية المقدسة، بعد أن أصبحت هذه المناطق جزءًا من المملكة العربية السعودية بعد توحيدها بفضل من الله وتوفيقه.

ولم يكتف الملوك من آل سعود بما قاموا به من إنجازات عظيمة في عمارة المسجد النبوي الشريف وتوسعة جاءت على أجمل صورة من الإبداع المعماري العظيم، بل إنهم ـ بالإضافة إلى ذلك ـ اهتموا ـ أيضاً ـ بالعمارة القديمة الواقعة في الناحية القبلية من المسجد النبوي الشريف،

فعملوا على إبقاء هذه العمارة مع إجراء الترميمات والإصلاحات اللازمة عليها، كلما لزم الأمر ذلك. وقد احتاج هذا الجزء من المسجد إلى ترميمات وصيانة مستمرة بواسطة كفاءات معمارية وفنية مدربة ومتخصصة في العمارة القديمة والحديثة معاً؛ لأن مثل هذا العمل يحتاج لإنجازه إلى درجة عالية من الإتقان والدقة في العمل، تكون فيها نسبة الخطأ غير واردة ألبتة، وهذا ما جعل المسؤولين يأخذون الاحتياطات اللازمة عند هدم المباني وحفر الأساسات في الأطراف الشمالية من العمارة القديمة للمسجد النبوي في العمارات السعودية المختلفة، وعدم استخدام آلات الحفر التي تسبب ارتجاجًا في المباني المحيطة بها، أو المعدات الثقيلة التي تحدث اهتزازات قوية عند عملها، كما لم تستخدم المتفجرات في إزالة المباني التي تقرر إزالتها لصالح توسعة المسجد النبوي، بل استخدم العمال معدات خفيفة تساعدهم بعض المعدات الأخرى مثل الرافعات التي تقوم برفع الأعمدة والسقوف الخرسانية بعد تكسيرها، وتبدأ عملية إزالة المباني الكبيرة العالية دوراً دوراً بطريقة فنية وبحساب هندسي دقيق بواسطة العمال والكسارات، واستخدمت في سحب المخلفات الخرسانية الكوابل الفولاذية المربوطة بآلة جَرٍّ ذات قدرة عالية تقوم بإبعاد المباني المسلحة المهدومة إلى مناطق أبعد عن العمارة القديمة للحرم النبوي الشريف، ثم يتم نقل الهدميات بواسطة الجرافات، وسيارات نقل الأتربة والهدميات؛ خشية أن يحدث بالمسجد أي تصدعات أو تشققات لا قدر الله، كما أنه روعي في تصميم مشروع التوسعة الكبرى وتخطيطه عدم إحاطة المبنى القديم للمسجد بكامله من جهاته الجنوبية والشرقية والغربية بأية مبانٍ، بل تركه بارزاً في مقدمة مبنى التوسعة، مع عدم التعرض للجهة الشمالية للمبنى القديم للمسجد والملاصقة لمبنى التوسعة السعودية الأولى، واستخدام معدات حديثة في

حفر الأساسات، وإقامة الأوتاد الخرسانية، وذلك كي لا تتعرض أساسات المبنى القديم وحوائطه لأية تصدعات من جراء حفر الأساسات المحيطة به، وهذا يدل على حرص ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية على المحافظة على المبنى القديم للمسجد النبوي الشريف في أثناء التوسعات السعودية للمسجد وبعدها.

وبعد الانتهاء من عمل الأساسات وحتى صب سقف الطابق الأرضي الرئيس للتوسعة، فإن مبنى المسجد النبوي القديم بقي تحت الملاحظة الدقيقة، والصيانة المستمرة، وخصص لذلك فريق متخصص من الكفاءات الفنية المدربة؛ لملاحظة أي طارئ في العمارة القديمة، والإبلاغ عنه فوراً، وبعد الانتهاء من هذه المرحلة شرع المهندسون والفنيون وعمال البناء في عملية توصيل مبنى التوسعة السعودية الأولى بمباني التوسعة السعودية الكبرى من الجهة الشرقية والغربية والشمالية للمسجد، وقد تم إنجاز هذا العمل ـ بحمد الله ـ في غاية من الإتقان، وذلك بفضل الله، ثم بفضل التخطيط الهندسي والفني المحكم، وحُسن التدبير من القائمين على إنجاز المشروع، والمتابعة الشخصية من ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية، وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد حفظه الله.

فالزائر للمسجد النبوي الشريف يرى بعينه كيف كان لحسن التخطيط الدقيق، وسلامة التدبير، والإشراف المباشر من قادة هذه البلاد، ومن شركة ابن لادن السعودية المنفذة للمشروع الأثر الملموس في المحافظة على العمارة القديمة للمسجد النبوي الشريف التي تضم قبر رسول الله ﷺ، وصاحبيه رضي الله عنهما، والروضة الشريفة، والمنبر، وإبقائها في حالة من التجديد والصيانة المستمرة، مما جعلها في أبهج صورة، وكأنها بنيت من جديد.

إن جهود ولاة الأمر في مملكتنا الحبيبة لم يقف عند حد المحافظة فقط على المبنى القديم للمسجد النبوي الشريف وصيانته، وعدم تعرضه لأي تشققات أو تلفيات في أثناء أعمال الهدم والبناء في التوسعات السعودية، بل شمل ذلك عملية تطوير نظام الإضاءة، والأعمال الكهربائية الأخرى؛ لتتناسب مع أحدث أساليب الإضاءة التي تم تنفيذها في عمارة التوسعة السعودية الأولى، ثم في عمارة التوسعة السعودية الكبرى مؤخراً، وكذلك إمداد العمارة القديمة للمسجد النبوي الشريف بشبكة من أنابيب التكييف لتكييفها بالهواء البارد من الشبكة نفسها التي يتم بواسطتها تبريد مبنى التوسعة السعودية الكبرى، بطريقة علمية لا تحدث أي تأثير في المبنى القديم، بل يمر الهواء في أنابيب واسعة يتم بواسطتها تبريد المبنى القديم للمسجد، مثله مثل المبنى الجديد.

وعلاوة على ذلك تم ترميم بعض الأبواب وبعض النوافذ في العمارة القديمة بين الحين والآخر منذ عهد الملك عبدالعزيز، ومن بعده أبناؤه الملوك سعود وفيصل وخالد رحمهم الله، وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ الذي أمر بتكثيف العناية بالمبنى القديم للمسجد، مع استخدام أحدث المواد والأصباغ والتجهيزات في أعمال الترميم والصيانة، وأن يكون مبنيًا على استشارات فنية، وبعمل خبرات فنية مدربة؛ كي تصبح أعمال الترميم والصيانة في غاية الإبداع والإتقان. كما تم ترميم المآذن القديمة بما يحقق الانسجام المعماري التام، والتوافق والتناسق الهندسي والجمالي بين هذه المآذن والمآذن الجديدة التي أقيمت في التوسعة السعودية، وتزويدها بالأنوار ومكبرات الصوت، وطلاؤها بالمواد والأصبغة الحديثة التي لا تتأثر كثيراً بتقلبات الطقس، أو حرارة الشمس الشديدة، مع إصلاح سلالمها الداخلية.

وبما أن العمارة القديمة للمسجد النبوي الشريف تشمل ـ أيضاً ـ المنبر والروضة الشريفة والمحراب والحجرة النبوية، فإنه شملتها ـ أيضاً ـ عمليات الترميم والصيانة المستمرة، مما سوف يتم تفصيله في الصفحات الآتية:

ـ الحجرة الشريفة والقبة الخضراء:

الحجرة هي بيت رسول الله ﷺ (حجرة عائشة رضي الله عنها)، وقد بناها باللبن وجريد النخل، وبعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى دفن في حجرة بيته المتواضع، ثم دفن إلى جواره أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما. وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أعاد إعمار البيت إذ استبدل الجريد ببناء، وفي عهد خلافة الوليد بن عبدالملك قام عمر بن عبدالعزيز بإعادة إعمار الحجرة النبوية الشريفة بأحجار سوداء بالمساحة نفسها التي بني عليها بيت رسول الله ﷺ.

وفي عام ٦٦٨هـ قام الظاهر بيبرس بإنشاء مقصورة خشبية ذات حواجز ولها ثلاثة أبواب حول الحجرة النبوية، ثم زاد العادل زين الدين على حاجز المقصورة حتى أوصله إلى سقف المسجد عام ٦٩٤هـ.

أما القبة فإن أول من استحدثها السلطان محمد بن قلاوون عام ٦٧٨هـ، وقد شيدها فوق الحجرة الشريفة وصفحت بالرصاص، ثم جدد هذه القبة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون حين اختلت ألواح الرصاص عن موضعها، وأعيد إصلاحها في عهد السلطان قايتباي عام ٨٨١هـ.

وفي حريق المسجد النبوي الشريف عام ٨٨٦هـ احترقت المقصورة والقبة فجددتا في عهد السلطان قايتباي، وأسست لها دعائم قوية في أرض المسجد، كما جعلت للمقصورة نوافذ من النحاس من الجهة

القبلية في أعلاها شبك من النحاس، أما في الجهات الشمالية والشرقية والغربية فقد جعلت للمقصورة نوافذ من الحديد في أعلاها أشرطة من النحاس.

وأعيد بناء القبة بالجبس الأبيض في عام ٨٩٢هـ في عهد السلطان قايتباي، ويعد السلطان عبدالحميد العثماني أول من صبغ القبة باللون الأخضر، وكان ذلك عام ١٢٥٣هـ، وقد بقيت القبة على لونها إلى يومنا هذا، وأصبحت القبة تعرف بالقبة الخضراء، وهي من المعالم البارزة للمسجد النبوي الشريف.

وفي عهد الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ جرى ترميم هذه الحجرة النبوية الشريفة نتيجة ظهور بعض التشققات في الدهان، ولم يستغرق الترميم أكثر من ليلة واحدة(١).

ـ التجديدات في الروضة الشريفة:

الروضة الشريفة هي المنطقة الواقعة بين موقع المنبر الحالي الذي كان فيه الجذع والمنبر الذي كان يخطب عليه رسول الله ﷺ، وحجرته التي كان يقيم فيها رسول الله ﷺ، وقد ورد فضل هذا الموضع في الأحاديث النبوية الشريفة، منها ما ورد عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»(٢)، ورجَّح المفسرون في شرح الحديث أن هذا الموقع كروضة

---

(١) وزارة الإعلام: توسعة الحرمين الشريفين، ص ٤٦-٥١.

ووزارة الإعلام: دولة في قائمة الشرف العالمية خدمة الإسلام والسلام، ص ٨٢-٨٣.

(٢) صحيح البخاري: ٣/ ٧٠ برقم ١١٩٦ و ٤/ ٩٩ برقم ١٨٨٨ و ١١/ ٤٦٥ برقم ٦٥٨٨، وصحيح مسلم: حديث برقم ١٣٩١، وابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/ ٢٥٦، و صالح حامد الرفاعي: الأحاديث الواردة في فضائل المدينة، فضل الروضة، ص ٤٥٦-٤٨٤.

من رياض الجنة من حيث نزول الرحمة، وحصول السعادة بإذن الله، وأنها بقعة ليست كسائر بقاع الأرض[١].

وإن ذرعها ما بين المنبر وبيت رسول الله ﷺ الذي فيه قبره الآن ثلاث وخمسون ذراعاً[٢]، وذلك نحو ستة وعشرين متراً ونصف المتر، وبعد وضع السور النحاسي الدائر حول الحجرة النبوية في العهود السابقة، نقص من طول الروضة فأصبح طولها من المنبر وحتى جدار السور اثنين وعشرين متراً، وعرضها خمسة عشر متراً[٣].

ومن أهم الأعمال التي تمت في الروضة الشريفة في العهد السعودي تدعيم الأعمدة الموجودة فيها بقواعد خرسانية صغيرة، وتم ذلك بالحفر حول كل عامود على حدة بطريقة دقيقة ومتأنية، ثم جرى ترميم كساء كل عامود، وهذه الأعمدة عليها رخام أبيض ناصع البياض على ثلاثة مستويات؛ المستوى الأول على ارتفاع حوالي (٦٠سم)، ومقسم بأشكال هندسية لونت برخام لونه أسود، وإطارها المحيط بها برخام لونه ذهبي، والمستوى الثاني بارتفاع حوالي مترين، وقسم إلى أشكال هندسية طولية لوّن برخام لونه بني فاتح (الوردي)، والإطار برخام لونه ذهبي، وبقية العامود بالرخام الأبيض، وقد ركبت على بعض هذه الأعمدة مكبرات للصوت؛ لمتابعة الإمام في صلاته وسماع الخطبة في الجمع والأعياد، ونحو ذلك.

وتم فرش الروضة بأفخر السجاد المصنوع من الحرير، كما وضعت حول السور الأمامي للروضة دواليب مصنوعة من الكروم الأبيض

---

(١) فتح الباري: ٤/١٠٠، والسمهودي: وفاء الوفاء، جـ٢، ص ٤٢٩-٤٣٠.

(٢) السمهودي: المصدر السابق، جـ٢، ص ٤٣٨.

(٣) محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ١١٤-١١٦.

والذهبي، وضعت على رفوفها المصاحف، من إنتاج مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وركبت جسور بين الأعمدة في الروضة الشريفة، وضعت فيها المراوح لتلطيف الجو، كما وضعت عليها - أيضاً - الإنارة من نوع الفلورسنت الناصع البياض.

- التجديدات في المنبر:

فى السنة الثامنة من الهجرة تم صنع منبر من ثلاث درجات، بخشب من طرفاء الغابة، وكان طوله ذراعين وشبراً وثلاثة أصابع، وعرضه ذراع، وكان النبي ﷺ يجلس على جلسة المنبر، ويضع رجليه الكريمتين على الدرجة الثانية من المنبر، فلما ولي الخليفة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - قام على الدرجة الثانية ووضع رجليه على الدرجة السفلى، فلما ولي الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قام على الدرجة السفلى ووضع رجليه على الأرض إذا قعد، فلما ولي الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فعل كذلك ست سنوات، ثم علا فجلس موضع النبي ﷺ، فلما حج معاوية بن أبي سفيان زاد في درجات المنبر درجات عدة ورفعوه عليها، وصار المنبر في عهده تسع درجات بعتبة المجلس، وجُعِل له باب يفتح عند خطبة الجمعة والعيدين، وتمت كسوته بغطاء من الحرير(١)، وصار الأمر على هذه الصفة طوال العصر الأموي، ثم العصر العباسي، وكان الخلفاء الأمويون ثم من بعدهم الخلفاء العباسيون يقفون على الدرجة السابعة ويجلسون على التاسعة وهي مجلس المنبر في أعلاه، وفي عام ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م احترق المنبر في المسجد النبوي، ووُضِع مكانه منبر آخر أهداه المظفر صاحب اليمن سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م سنة سقوط بغداد والدولة

(١) محمد النجار: أخبار المدينة المنورة، تحقيق صالح أحمد جمال، ص ٧٧-٨٢.

العباسية، ثم استبدل بمنبر أرسله الظاهر بيبرس سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م، ثم أزيل ذلك المنبر بعد تلفه ووضع مكانه منبر جديد أرسله الظاهر برقوق سنة ٧٩٧هـ، وبعد فترة أهدي منبر جديد للمسجد النبوي الشريف سنة ٨٣٠هـ، ووضع مكان المنبر السابق، وما لبث هذا المنبر أن احترق سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، فأقام أهل المدينة المنورة منبراً جديداً من البناء مبنيًا من الآجر والمكسي بطبقة من النورة، لكن هذا المنبر استبدل بمنبر جديد مصنوع من الرخام الجيد، أرسله السلطان المملوكي الأشرف قايتباي سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م[(١)].

وقد نقل هذا المنبر الرخامي إلى مسجد قباء بالمدينة المنورة، ووضع مكانه منبر في غاية الروعة والجمال، أهداه السلطان العثماني مراد الثالث سنة ٩٩٨هـ، وهو مصنوع من الرخام، وظاهره مغمور بالتذهيب وبالنقوش والزخارف الإسلامية الرقيقة، وعليه قبة قائمة على أربعة أعمدة مضلعة رشيقة من المرمر، وفوق بابه شرفات مزخرفة بالذهب، جميلة المنظر تبهر الناظرين، وقد وضع هذا المنبر في موضع منبر رسول الله ﷺ[(٢)]. وقد اهتمت الحكومة السعودية بهذا المنبر، وأولته العناية التامة، والصيانة المستمرة، وتم طلاؤه أكثر من مرة بماء الذهب الأصلي بطريقة فنية؛ لكي تحافظ على جماله ورونقه، وهذا المنبر يختلف عن المنابر الأخرى، إذ إنه يحتوي على اثنتي عشرة درجة، ثلاث في خارجه، وتسع من داخل الباب، وله حواجز من المرمر، وعليه باب يعلوه قوس جميل عليه ما يشبه التاج في أعلاها، وهو موجود حتى الآن بجماله وروعته ورونقه؛ لأنه مصنوع من المرمر المحلى بالذهب، وقد فرشت درجاته بالسجاد الفاخر، وزود بمكبرات

(١) محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ١١٩-١٢٠.
(٢) المصدر السابق، ص ١٢٠.

الصوت والإضاءة، حتى يسمع صوت الخطيب، وتكون لديه إضاءة كافية لقراءة ما يريد قراءته في أثناء الخطبة(١).

ـ الإنارة والتكييف والتهوية:

كان المسجد النبوي الشريف في العهد العثماني يضاء بالقناديل والشموع الكبيرة ليلاً بواسطة أشخاص تم تخصيصهم لهذا العمل، وكانت هذه الشموع وزيت القناديل يتم إحضارها من المناطق العربية المجاورة، كمصر، والشام، وتركيا، وقد خصص مستودع خاص لتخزين كميات كبيرة من هذه الشموع، وزيت القناديل، واستهلاكها في إضاءة المسجد النبوي الشريف يومياً، وكم حدثت حرائق كبيرة، أو محدودة في المسجد بسبب نار هذه الشموع والقناديل، مما لا يتسع المجال لذكرها هنا.

أما بالنسبة للتهوية الطبيعية فقد كانت تتم بواسطة تعدد النوافذ والأبواب التي تفتح كلها في الفصول الحارة، فيحدث من خلالها تيار هوائي طبيعي، أما في الفصول الباردة، فيتم قفل معظم هذه النوافذ، وخاصة في المساء؛ لوقاية المصلين من شدة البرد.

وفي العهد السعودي تم تأمين مولد كهربائي للمسجد النبوي الشريف منذ عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله، والذي بواسطته تمت إنارة المسجد النبوي بمصابيح كهربائية، تضاء ليلاً في كامل أرجاء المسجد، والشوارع المحيطة به، والأبواب، وقد استبدل هذا المولد فيما بعد بمولدات أقوى منه. وبعد التوسعة السعودية الأولى تم ربط المسجد النبوي الشريف بشبكة كهرباء المدينة، وتمت إنارة المسجد وتزويده

---

(١) من مشاهدات الباحث.

بالمراوح، وشمل ذلك العمارة القديمة للمسجد. وقد تطورت شركة الكهرباء بالمدينة، وأصبحت جزءًا من شركة كهرباء المنطقة الغربية، وقد تحدثنا سابقاً عن التوسعة الكبرى، وكيف تم تزويد المسجد النبوي الشريف بالطاقة الكهربائية من المحطة المركزية المرتبطة بشبكة شركة كهرباء المنطقة الغربية.

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين تم تجديد مصابيح الإضاءة بالعمارة القديمة للمسجد النبوي الشريف، وتركيب قناديل وثريات ذات زجاج مزخرف، عليه عبارات «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وقد بلغ عدد الثريات المركبة (١٩٠) ثرية، ومجموع القناديل (٦٧٨) قنديلاً، وجميعها مطلية بماء الذهب، تصدر إضاءة بيضاء تشبه ضوء النهار دون أن يكون لها وهج حراري، فإذا تمت إضاءة هذه المصابيح أصبحت أشبه بلؤلؤة موشاة بخيوط من الذهب(١). كما تحدثنا ـ أيضاً ـ عن المحطة المركزية لتبريد المياه لتكييف المسجد النبوي بكامله، وقد شملت عملية تكييف المسجد العمارة القديمة للمسجد النبوي، إذ مدت لها شبكة من الأنابيب التي تحمل الهواء البارد، وركبت عليها أجهزة لدفع الهواء لتبريد العمارة القديمة بالمسجد النبوي الشريف، وضعت حول جدار القبلة، وفي أماكن أخرى من العمارة القديمة، وفي الساحتين الداخليتين للمسجد، والاستفادة من فتحات النوافذ العليا والفراغات التي بين الأقواس في وضع منافذ توزيع الهواء البارد على جميع أروقة العمارة القديمة، فوفر ذلك جواً بارداً، وخاصة في الفصول الشديدة الحرارة، مما زاد من راحة المصلين والزائرين.

---

(١) محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ١٠٠، وعبدالعزيز بن عبدالرحمن الحصين: العناية بالمسجد النبوي الشريف، ص ٥٤.

- أبواب المسجد النبوي في العمارة القديمة:

تحتوي العمارة القديمة للمسجد النبوي الشريف - في الوقت الحاضر - على الأبواب الآتية:

١ - **باب جبريل**: ويسمى أيضاً: باب النبي؛ لأن النبي ﷺ كان يدخل منه للمسجد، كما يُعرف - أيضاً - بباب عثمان لوقوعه أمام باب دار عثمان بن عفان رضي الله عنه. وقد فتح في أثناء عمارة النبي ﷺ للمسجد، ويقع في الجدار الشرقي للمسجد، وكلما جدد المسجد بني باب جديد على محاذاته، وسمي بالاسم نفسه، وتم تجديده في العمارة العثمانية المجيدية سنة ١٢٧٧هـ، وفي العهد السعودي شملته أعمال الترميم والصيانة، حتى يظهر بالمظهر اللائق بمسجد رسول الله ﷺ.

٢ - **باب الرحمة**: ويقع في الجدار الغربي للمسجد، وهو أحد الأبواب الثلاثة التي فتحها النبي ﷺ في المسجد حين بناه، وكلما زيد في المسجد بالجهة الغربية منه جعل الباب الجديد في محاذاة الباب نفسه، وكان يسمى - أيضاً - باب عاتكة لوقوعه مقابل دار عاتكة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية، وتم تجديده في أثناء عمارة السلطان عبدالمجيد العثماني للمسجد. كما أن أعمال الصيانة مستمرة له ولغيره من الأبواب في العهد السعودي الزاهر.

٣ - **باب السلام**: ويقع في الجهة الغربية للمسجد، وقد فتح في أثناء عمارة الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سنة ١٧هـ، وكلما زيد في المسجد من هذه الجهة جعل الباب الجديد بمحاذاته وباسمه، وقد جدد في أثناء العمارة المجيدية، وشملته أعمال الترميم والصيانة المستمرة في العهد السعودي.

٤ ـ **باب النساء**: ويقع في مؤخرة الجهة الشرقية من المسجد، وأول بنائه كان في أثناء عمارة الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سنة ١٧هـ، وكلما جاءت عمارة جديدة للمسجد بني في محاذاته باب جديد، وسمي بالاسم نفسه، وآخر ما جدد في العمارة المجيدية سنة ١٢٧٧هـ. ونال من العناية والصيانة المستمرة كل ما يحتاجه في العهد السعودي الزاهر.

٥ ـ **خوخة باب الصديق**: وهي باب صغير له مصراع واحد فقط، ويقع في الجدار الغربي للمسجد على يسار الداخل من باب السلام نحو عشرين ذراعاً بين باب السلام وباب الرحمة، وقد فتحت في بناء رسول الله ﷺ للمسجد، وتفتح على دار الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولما أدخل عمر بن الخطاب دار أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ في المسجد جعل الخوخة في محاذاتها غربي المسجد، وكلما زيد المسجد في الجهة الغربية منه نقلت الخوخة وفتحت خوخة جديدة في محاذاتها، وقد جعلها عمر بن عبدالعزيز باباً، واستمرت على ذلك، وتم في العهد السعودي توسعة هذا الباب وصيانته والعناية به[(١)].

هذه هي أبواب المسجد الباقية حتى الآن في العمارة القديمة للمسجد النبوي الشريف، أما الأبواب الأخرى، فتم الحديث عنها في العمارة السعودية الأولى، وفي العمارة السعودية الكبرى، إذ بلغ عددها (٤١) مدخلاً، عليها (٨٥) باباً.

---

(١) محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ١٣٦-١٤٥، والسمهودي: وفاء الوفاء، جـ٢، ص ٥٨١، ٦٩٧، ٦٩٨، ٧٠٤.

ـ فتح باب جديد في الجهة الجنوبية من العمارة القديمة:

نظراً لما يحدثه إدخال الجنائز للصلاة عليها في المسجد النبوي الشريف من تخطٍّ للمصلين، فقد تم استحداث مبنى جديد في الجهة الجنوبية ملاصق للجدار الخارجي للعمارة القديمة للمسجد، وعلى امتداده بطول (٨٧,٥م)، وبعرض خمسة أمتار، له أربعة أبواب، باب من الشرق، وآخر من الغرب، وبابان في الجهة الجنوبية، ويستخدم هذا الممر لأغراض عدة أهمها: إدخال الجنائز منه للصلاة عليها على يمين المحراب العثماني، وإخراجها إلى البقيع دون الحاجة إلى مرورها داخل المسجد وتخطي رؤوس المصلين، كما يستخدم الجزء الجنوبي الغربي من هذا الممر استراحة للأئمة والخطباء للدخول منه والاستراحة فيه إلى حين وقت الصلاة، وقد زود هذا الجزء بمكاتب ومقاعد، وفرشت أرضه بالسجاد[١].

ـ المآذن في البناء القديم للمسجد:

لم يكن للمسجد النبوي الشريف مآذن في عهد رسول الله ﷺ، ولا في عهد خلفائه الراشدين، وأول من أحدثها في المسجد النبوي عمر بن عبدالعزيز في أثناء عمارته وتوسعته سنة ٨٨هـ، فقد بنى للمسجد أربع مآذن، في كل ركن من أركانه مئذنة. فلما حج سليمان بن عبدالملك أذن المؤذن من المنارة الرابعة المطلة على دار مروان، وكان يسكنه سليمان ابن عبدالملك، فأطل عليه، فأمر بها فهدمت، فصار للمسجد ثلاث مآذن فقط، طول كل واحدة منها ستون ذراعاً، وقيل: بضع وخمسون ذراعاً، وأقصرهن المئذنة الغربية الشامية، إذ بلغ ارتفاعها ثلاثة وخمسين

---

(١) عبدالعزيز الحصين: العناية بالمسجد النبوي الشريف، ص ٥٣.

ذراعاً، وعرض كل واحدة ثمانية أذرع في مثلها. وكان رئيس المؤذنين يؤذن من على المئذنة الجنوبية الشرقية (الرئيسة)، ولذلك سميت بالرئيسة.

وفي سنة ست وسبعمائة أعيد بناء المئذنة الرابعة الواقعة في الركن الجنوبي الغربي، وذلك في عهد دولة الناصر بن قلاوون المملوكي، وبلغ طولها خمسة وتسعين ذراعاً، وركب في أعلاها هلال، وأصبحت تُعرف بمئذنة باب السلام؛ لأن بابها على يمين الداخل من باب السلام، وبقيت هذه المنارة على حالها في أثناء العمارة التي قام بها السلطان العثماني عبدالمجيد للمسجد النبوي الشريف (١٢٦٥ ـ ١٢٧٧هـ).

وفي العهد السعودي جرى ترميم هذه المنارة مرات عدة كان أشملها في سنة ١٤٠٢هـ، حيث أزيل اللياس القديم من داخلها وخارجها بطريقة فنية، وتمت أعمال تجديد بياضها بمواد حديثة، منها الأسمنت والجبس والنورة، كما أزيلت الشرفة الأولى منها بكاملها، وبنيت مكانها شرفة جديدة من الخرسانة والحديد على التصميم السابق نفسه للشرفة القديمة، وأزيل المخروط العلوي للمنارة، واستبدل بمخروط مسلح جديد، ركب عليه هلال من البرونز المطلي بماء الذهب، بارتفاع ثلاثة أمتار ونصف. وفي سنة ١٤١١هـ أعيد ترميم هذه المنارة من جديد[(١)]، وظهرت بشكل جميل ورائع وجذاب، بما يتناسب مع التوسعة الكبرى لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد، وذلك بعد أن أجريت عليها دراسات فنية وهندسية من المهندسين المختصين بالمشروع.

أما المئذنة الجنوبية الشرقية (الرئيسة) فقد هدمت بسبب الصاعقة التي أصابتها، وأعيد بناؤها في سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة هجرية

(١) محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ١٥٣-١٥٤.

(١٤٨٦م) بطريقة أفضل من السابق، وبلغ طولها أكثر من مائة ذراع[١]. وكان ذلك في عهد الأشرف قايتباي.

وعندما قام السلطان عبدالمجيد العثماني (١٢٦٥ ـ ١٢٧٧هـ) بتجديد عمارة المسجد النبوي الشريف أبقى هذه المنارة على حالها؛ لإتقانها وقوة بنائها[٢]، وجدد فقط بابها بالحجر الأحمر المنحوت[٣].

وقد تم ترميم هذه المنارة مرات عدة في العهد السعودي، كان أشملها في عام ١٤٠٢هـ، حيث أزيل البياض القديم من الداخل والخارج، وكسيت ببياض جديد، كما تم ترميم الشرفات الرئيسة وشرفات البلكونات، مع تجديد نجارة الشبابيك والأبواب، وأزيل الجزء العلوي من هذه المئذنة، واستبدل بطبقة من الخرسانة المسلحة، بما يتناسب مع مآذن المسجد التي بنيت في التوسعة السعودية الأولى، وركب في أعلاها هلال جديد ارتفاعه ثلاثة أمتار ونصف، وقد استغرقت أعمال الترميم سبعة أشهر، ثم أعيد ترميم هذه المنارة وإنارتها في سنة ١٤١١هـ، بعد أن أجريت دراسات فنية[٤] ليتناسب شكلها مع المظهر العام للتوسعة الكبرى للمسجد النبوي الشريف.

وبذلك يتضح لنا أن المآذن الباقية من العمارة السابقة للعهد السعودي هي: المئذنة الرئيسة الواقعة في الركن الجنوبي الشرقي، والمئذنة الواقعة في الركن الجنوبي الغربي والمعروفة بمئذنة باب

(١) علي السمهودي: خلاصة الوفاء، تحقيق محمد الأمين الجكني، جـ٢، ص ١١٥-١١٦.
(٢) جعفر بن إسماعيل البرزنجي: نزهة الناظرين، ص ٣٧-٤١.
(٣) علي موسى: وصف المدينة المنورة، ضمن كتاب رسائل في تاريخ المدينة تقديم/ حمد الجاسر، ص ٦١.
(٤) محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ١٠٥، ١٥٣.

السلام، أما المئذنتان الأخريان فإنهما أزيلتا في العمارة السعودية الأولى، وأقيم مكانهما مئذنتان جديدتان.

- الإصلاحات المعمارية للعناية بالعمارة القديمة للمسجد:

لقد اهتمت الحكومة السعودية بالعمارة القديمة للمسجد النبوي الشريف، وعملت على إجراء الترميمات المستمرة لها كلما دعت الحاجة إلى ذلك، هذا بجانب شمول هذا الجزء المهم من المسجد النبوي بأعمال الصيانة والنظافة اليومية.

وقد شملت أعمال الترميم للمسجد النبوي الشريف ما يأتي:

١ - تدعيم أعمدة الروضة الشريفة، وكساؤها برخام أبيض جديد، مع المحافظة على الخطوط والنقوش التي تميزها عن الأعمدة الأخرى.

٢ - تجديد المحراب النبوي الشريف بين فترة وأخرى، بما يليق بمكانة مسجد رسول الله ﷺ.

٣ - تدعيم الأعمدة الأخرى في المبنى القديم للمسجد النبوي، بوضع طبقة من الأسمنت المسلح بارتفاع (٢,٥م)، في نهايتها طوق نحاسي مطلي بالذهب، وغُيِّر لون طلائها من الأحمر القاتم إلى اللون (الوردي) الفاتح؛ لينسجم مع ألوان الأعمدة في مبنى التوسعة.

٤ - تجديد الرسومات والخطوط والكتابات الموجودة على الجدران والسطح الداخلي للقباب في العمارة القديمة، وذلك بتذهيب الآيات القرآنية الكريمة والعبارات الأخرى المكتوبة على الجدار الجنوبي، والجدران الأخرى في العمارة القديمة، وكذلك طلاء

الجدران والأعمدة وقواعدها البارزة بألوان جذابة، تبرز روعة البناء وجماله المعماري، واستمرار بهائه ورونقه[(١)].

٥ ـ صيانة القباب التي يشكلها سقف المسجد النبوي في العمارة القديمة، وتغطيتها بصفائح خاصة من الرصاص، وطلاؤها باللون الفضي لحماية السقف من الأمطار وحرارة الشمس، وكذلك عمل شبكة حديثة لتصريف مياه السيول في العمارة القديمة بحيث لايكون على سقفها أي تجمع مياه بعد هطول الأمطار، حتى لا تؤثر تلك الأمطار في سقف المسجد وقبابه في العمارة القديمة.

٦ ـ كساء الجدران الخارجية الثلاثة للمبنى القديم للمسجد النبوي الشريف بالرخام والجرانيت المصقول، ورفع هذه الجدران لتتناسب مع ارتفاع مبنى التوسعة الكبرى للمسجد النبوي الشريف.

٧ ـ تجديد دهان القبة الخضراء التي على الحجرة النبوية كلما لزم الأمر.

٨ ـ فرش كامل للعمارة القديمة بالسجاد الفاخر المصنوع من الحرير، وتزويدها بدواليب، وفرت بها كميات كافية من المصاحف، للقراء من المصلين.

٩ ـ تم تزويد العمارة القديمة بحنفيات بلاستيكية مملوءة بماء زمزم، وعليها كاسات بلاستيكية نظيفة يتم استعمالها مرة واحدة، حفاظاً على الصحة العامة، أسوة بكامل مشروع التوسعة السعودية.

١٠ ـ تركيب مكبرات للصوت بها، وكذلك كاميرات للنقل المباشر عبر أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية، وربطها بالأجهزة والمكبرات

---

(١) ناجي محمد حسن الأنصاري: عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ، ص ١٨٥، وعبدالعزيز الحصين: العناية بالمسجد النبوي الشريف، ص ٥٤.

والكاميرات الموجودة بالتوسعة السعودية الكبرى للمسجد النبوي الشريف.

ـ استحداث ساحات حول العمارة القديمة:

رغبة في جعل الوصول إلى العمارة القديمة للمسجد النبوي الشريف سهلاً وميسوراً للمصلين والزوار، وخاصة كبار الزوار، فقد تم إزالة المباني القريبة من مبنى العمارة القديمة في جهاتها الثلاث بمساحة كبيرة، مما وفر ساحات كبيرة على جانبي العمارة القديمة للمسجد النبوي، وكذلك أمامها، وقد أقيم مبنى جديد لمكتبة الملك عبدالعزيز في الجهة الغربية للمسجد النبوي، وهذه المكتبة من أكبر المكتبات وأغناها بالمخطوطات، والكتب النادرة، وكذلك الكتب العامة في المدينة المنورة، وفيها يقضي كثير من الزوار والباحثين معظم وقتهم في البحث والقراءة، والاستفادة من كتبها القيمة، حيث جمعت فيها جميع مكتبات المسجد النبوي الشريف، جديدها وقديمها[١]، كما أهديت لها مكتبات خاصة عديدة، جعلت وقفاً على الباحثين وطلاب العلم من روادها.

(١) محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ٩٩ - ١٠٠، وعبدالعزيز الحصين: العناية بالمسجد النبوي الشريف، ص ٥٣.

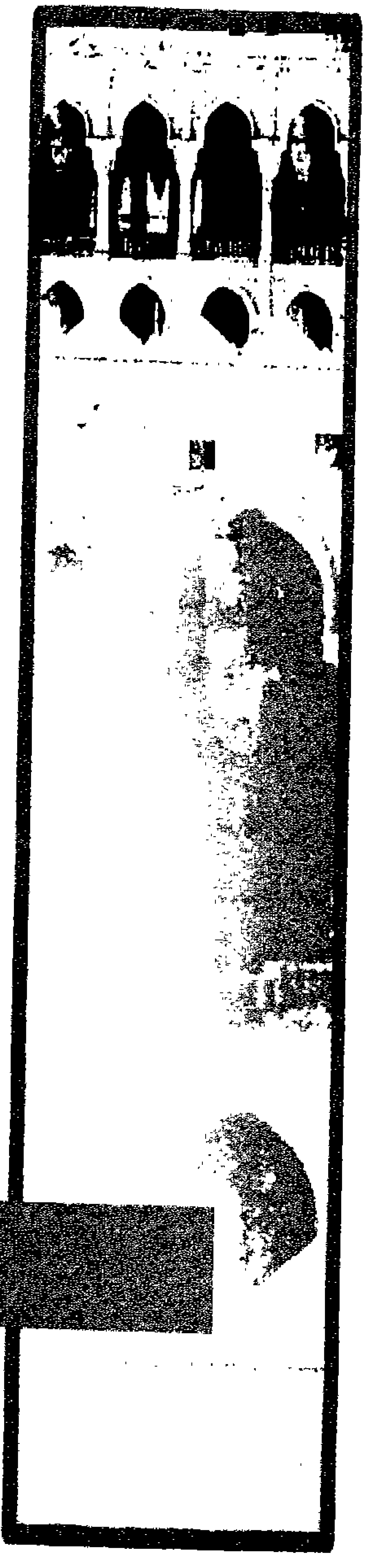

نتائج البحث

نتائج البحث

بعون وفضل من الله تم الانتهاء من دراسة موضوع توسعة بيت الله الحرام، والمسجد النبوي الشريف وعمارتهما في كل من مكة المكرمة ومدينة رسول الله ﷺ في العهد السعودي الزاهر، مع التمهيد لذلك باستعراض شامل للتوسعات التي تمت في الحرمين الشريفين قبل العهد السعودي؛ للمقارنة والاستدلال على أن العمارة السعودية هي أعظم الإنجازات وأكبرها مساحة من حيث براعة التصميم، وروعة البناء، وحداثة المواد المستخدمة فيه، وكبر حجم المساحة، وتوفير الخدمات الحديثة كافةً في المشروعين الإسلاميين العملاقين والمتمثلة في توفير الإنارة، والتكييف، واستخدام المصاعد الكهربائية، والقباب المتحركة، ومواقف السيارات المتعددة الأدوار، ونحو ذلك حسب متطلبات البناء الحديث للمساجد، وفي ضوء هذه الدراسة علينا أن نبين أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث:

فمن خلال هذا البحث لوحظ التباين الكبير بين العمارات والتوسعات السابقة للعهد السعودي وما تم في العهد السعودي الميمون من توسعات للحرمين الشريفين في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة.

فبالنسبة للزيادات في المسجد الحرام بمكة المكرمة فقد بلغت مساحة الحرم المكي بعد زيادة الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ (٣٦١٣)م^2، ثم زادت إلى (٤٤٨٢م^2) في عهد الخليفة عثمان بن

عفان رضي الله عنه، ثم زادت حتى وصلت إلى (٧٤٦٩,٦٢ م^{٢}) في عهد عبدالله بن الزبير، ثم وصلت الزيادة في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك إلى (١٠,٢٧٠م^{٢})، ثم جاءت زيادة الخليفة أبي جعفر المنصور لتضيف مساحة جديدة للمسجد الحرام بمكة المكرمة، فوصلت الزيادة في عهده إلى (١٥,٤٩١م^{٢})، ثم وصلت المساحة في عهد الخليفة المهدي إلى (٢٨٠٠٣م^{٢})، ثم زادت مساحة المسجد الحرام في التوسعة السعودية الأولى حتى وصلت إلى (١٣١٠٤١م^{٢})، ثم أضيفت توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ حفظه الله ـ التي بلغت (٢٠٦,٠٠٠م^{٢}) لتصبح مساحة المسجد الحرام بمكة المكرمة (٣٦٦١٦٨م^{٢})، وهكذا يتبين لنا مدى الزيادة العظيمة التي أضيفت إلى المسجد الحرام في عهد خادم الحرمين الشريفين، وأسلافه من آل سعود، كما أصبحت قدرة المسجد الحرام الاستيعابية من المصلين حوالي مليوني مصلٍ في أوقات الذروة كالحج والأعياد والعشر الأخيرة من رمضان.

كما أن المسجد النبوي الشريف شهد عمارات وتوسعات عدة زادت من مساحته؛ ففي عهد الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بلغت مساحة المسجد النبوي الشريف (١١٠٠م^{٢})، ثم أضاف إليها الخليفة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ (٤٩٦م^{٢})، فأصبحت مساحته (١٥٩٦م^{٢})، ثم حدثت زيادة في عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما زاد الوليد بن عبدالملك مساحة المسجد النبوي فأضافت الزيادتان للمسجد النبوي مساحة كبيرة، فأصبحت مساحته (٢٣٦٩م^{٢})، وزاد الخليفة المهدي مساحة المسجد زيادة قليلة فأصبحت المساحة (٢٤٥٠ م^{٢})، وعندما تولى السلطان قايتباي المملوكي زادت مساحة المسجد إلى (٢٥٧٠ م^{٢}) بعد عمارته الثانية، ثم زاد السلطان عبدالمجيد

العثماني مساحة المسجد لتصبح (٣٨٦٣ م٢)، ثم جاءت التوسعة السعودية الأولى للمسجد فزادت مساحته زيادة كبيرة، إذ بلغت المساحة الكلية للمسجد النبوي الشريف (٥٨,٠٠٠م٢)، وجاءت التوسعة الكبرى لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد فزاد مساحة المسجد زيادة عظيمة لتصل مساحته إلى (٤٠٠,٢٠٠ م٢) لتصل قدرته الاستيعابية إلى سبعمائة ألف مصلٍ، وفي وقت الذروة إلى حوالي مليوني مصلٍ، باستخدام الطرقات والممرات داخل المسجد النبوي الشريف، أو المحيطة به.

وتبين من خلال متابعة الأعمال التي أجريت في الحرمين الشريفين السابقة على التوسعات السعودية أنها كانت تتمثل في ثلاثة أنواع من العمارة يمكن إيجازها فيما يأتي:

أ) الترميم: وهو سرعة إصلاح ما أصابه الضرر من عمارة الحرمين الشريفين جزئياً في موضع دون الآخر، أو في مجموعة مواضع دون شمولها لكامل مساحة الحرمين الشريفين، ويأتي هذا وفق متطلبات ضرورة الترميم في تلك الفترة، فقد يكون هذا الترميم تطلبته الحاجة الملحة لمعالجة مواطن الخلل التي كانت تظهر في عمارة الحرمين الشريفين بين فترة وأخرى وعلى مر العصور، نتيجة لعوامل مناخية، كشدة الحرارة والأمطار، أو البرودة أو الرطوبة، أو لعوامل زمانية تتمثل في تقادم المبنى وتآكل مواد البناء فيه، أو حدوث حريق لجزء من مبنى المسجد مما يتطلب سرعة عمل الترميمات اللازمة، أو إعادة جزء من البناء؛ لإبقاء مباني الحرمين الشريفين على صورتها المعمارية الجيدة طلباً للأجر والثواب من الله.

ب) العمارة: إعادة بناء موقع بالحرمين الشريفين على المساحة نفسها أو تعمير جزء جديد وترك جزء آخر، وتختلف هذه العمارة من عصر إلى عصر، ومن دولة إلى أخرى.

ج) التوسعة: وتتمثل في زيادة المساحة للحرمين الشريفين أو لأحدهما، وتكون هذه التوسعة ـ في الغالب ـ مقيدة بظروف المساكن المحيطة بالحرمين، وما يتطلبه ذلك من توفير المال الكافي لنزع ملكياتها، وكان ذلك في البداية مصدر صعوبة نتيجة للظروف السياسية والمالية التي كانت تمر بها البلاد قبل توحيد المملكة العربية السعودية، وبروز الدور السعودي في التوسعة والإعمار للحرمين الشريفين بعد توحيد المملكة، وبعد توفر المال الكافي لتحويل الآمال إلى حقيقة بارزة للعيان، ومفخرة لهذا العهد السعودي الزاهر عبر القرون والأزمان.

وعلى أي حال فإن المرء لايستطيع أن ينكر الجهود السابقة لعمارة الحرمين الشريفين وتوسعتهما وترميمهما وهي التي جرت في العهود السابقة للعهد السعودي، لكونهما أماكن عبادة الله وحده من عباده المسلمين في جميع أنحاء المعمورة، ومن واجب الحكام المسلمين ممن يهمهم أمر المسلمين، وخاصة ممن كان الحرمان الشريفان تحت حكمهم وتحت تبعيتهم السياسية في تلك الأزمان أن يهبّوا للعناية بهما وعمارتهما وتوفير الخدمات اللازمة لقاصديهما، وتأمين سبل الوصول إليهما، إلا أن الأحداث السياسية التي كانت تعصف بالمنطقة والبلاد الإسلامية بين فترة وأخرى كان لها دور كبير في تحديد قدرة أولئك الحكام أو الحكومات الذين كانت بيدهم مسؤولية العناية بالحرمين الشريفين، ومدى إمكاناتهم المادية في توفير الاحتياجات التي يتطلبها الحرمان الشريفان من العناية والترميم والعمارة، أو التوسعة وتوفير احتياجاتهما على مر العصور، ولعل كسوة الكعبة المشرفة خير دليل على هذا الأمر، ويمكننا تصور ما حدث بشأنها في عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله، وكيف ظهرت قدرته ـ رحمه الله ـ في التغلب على هذا الموقف والاستفادة منه

نحو الاتجاه الصحيح، وهو الاعتماد على الله أولاً ثم على الجهود والإمكانات المادية المتوافرة في المملكة وجلب المواد من خارجها، وذلك لصنع الكسوة محلياً دون الاعتماد على منة الآخرين.

وقد أدى تباين البناء في العمارة وتطوره إلى ظهور نماذج كثيرة من العمارة وفق الجهة التي كانت تقوم بالعمارة أو التوسعة في الحرمين الشريفين، وظهر ذلك في التوسعات التي شملت الحرمين بدءًا من العصر الأموي ومروراً بالعصر العباسي، ثم العصر المملوكي، ثم العصر العثماني، فكانت عملية البناء والتوسعة للحرمين الشريفين خلال تلك الفترات السابقة تمر بحركة بطيئة لم تكن بالمستوى المرجو منها، وربما يكون السبب في ذلك هو انتقال مركز الخلافة إلى المدن الواقعة خارج شبه الجزيرة العربية.

كما لوحظ أن العمارات والترميمات التي حدثت في العصور السابقة كانت ـ في الغالب ـ لضرورة قصوى نتيجة خلل، أو تصدعات شديدة حدثت في بناء أحد الحرمين الشريفين، أي أنه لم تكن هناك خطة مستمرة ومتناسقة يتم من خلالها متابعة أعمال البناء والتوسعات؛ ويرجع سبب ذلك ـ في رأينا ـ لاختلاف السلاطين وتباينهم آنذاك، ولبعد مركز الدولة الإسلامية بعد عهد الخلفاء الراشدين عن منطقة الحرمين الشريفين، إذ انتقل مركز الدولة الإسلامية إلى دمشق في العصر الأموي ثم إلى بغداد في العصر العباسي ثم إلى القاهرة في العصر المملوكي، وأخيراً إلى إسطنبول في العصر العثماني.

أما بعد أن منّ الله على هذه البلاد بقيام الملك عبدالعزيز بتوحيد معظم مناطق شبه الجزيرة العربية في دولة واحدة، وإعلان قيام الدولة السعودية الرشيدة «المملكة العربية السعودية»، دولة عقيدتها الإسلام، ورايتها «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، فاستقرت مع قيامها

وتوحيدها أحوال البلاد والعباد، وظهرت معالمها السياسية والحضارية والاقتصادية واضحة للعيان، ثم ما لبثت أن تبوأت هذه الدولة مركز القيادة في عالمها الإسلامي والعربي، وأصبحت مكة المكرمة العاصمة المقدسة للدولة.

وقد تبع ذلك من الفضل الكبير من الله أن ظهر البترول فأسهم في تحقيق نقلة اقتصادية رائعة، أثرت في الاقتصاد السعودي وجعلته قوياً قادراً على البناء والعطاء، وقد انعكس ذلك على قيام ملوك آل سعود بإعمار بيوت الله وفي مقدمتها بيت الله الحرام في مكة المكرمة، وكذلك مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، فتحقق بذلك الاستقرار السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي للوطن، والمواطن، والمقيم، والزائر، والحاج، والمعتمر، رغبة من الملك عبدالعزيز ثم أولاده من بعده في عمل كل ما يرضي الله سبحانه وتعالى، طلباً للأجر والثواب من الله، وخدمةً للإسلام والمسلمين، وقد كان لمنطلق الغرس الإيماني الذي وَرَّثَهُ الملك عبدالعزيز لأبنائه الملك سعود والملك فيصل والملك خالد يرحمهم الله، ثم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبدالعزيز رئيس الحرس الوطني، والنائب الثاني صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، حفظهم الله من كل مكروه، أكبر الأثر في قيام أبنائه البرَرَة بمواصلة مسيرة البناء والتطور في هذه الدولة الرشيدة، وقد تمثل ذلك في الجوانب الآتية:

أ - لقد كانت البداية منذ توحيد المملكة العربية السعودية على يد الملك عبدالعزيز رحمه الله الذي ما أن علم بوجود بعض الخلل في أجزاء من عمارة الحرمين الشريفين حتى سارع وأصدر أمره

بمعالجة ما تعرض له الحرمان الشريفان من خلل نتيجة عوامل طبيعية عدة كالسيول والرطوبة، أو الأرضة وغيرها، وذلك بترميمهما وصيانتهما على أحسن وجه، على الرغم مما كانت تعانيه الدولة في بداية عهدها من ضائقات مالية كبيرة.

ب ـ مواجهة الزيادة الكبيرة في أعداد المصلين والزائرين والمعتمرين والحجاج للحرمين الشريفين التي جاءت بفضل الله ثم بفضل ما وفرته الدولة من الأمن والاستقرار اللذين أصبحت البلاد تنعم بهما في جميع أرجائها، نظراً للسياسة الرشيدة التي اتبعتها الدولة والمتمثلة في تحكيمها لكتاب الله والسنة النبوية المطهرة، فكانت نتيجة استقرار البلاد، وانتشار الأمن بها، أن ازدادت أعداد الحجاج والمعتمرين والزوار، ولذلك قامت الدولة بعمارة الحرمين الشريفين وتوسعتهما، حتى يتسعا للأعداد المتزايدة من ضيوف الرحمن، فأقامت بناءين متكاملين للحرمين الشريفين يكشفان عن عظمتهما، فجاءت عمارتهما بتصميم جذاب، وقوة بناء بصورة معمارية ذات جمال خاص يؤدي إلى إحداث تناغم وانسجام وذوق رفيع بوصفهما أعظم منشأتين معماريتين إسلاميتين على وجه الأرض.

جـ ـ لقد كان للعامل الاقتصادي الذي ظهرت بوادره منذ استخراج البترول، وتسويقه عالمياً أكبر عون بعد الله للدولة في أن تقوم بمثل هذه المشروعات المعمارية الجبارة التي تخدم الإسلام والمسلمين، وتسهل عليهم أداء الركن الخامس من أركان الإسلام وهو الحج، ولذلك سعى قادة هذه البلاد إلى توظيف ثروة الدولة لخدمة الوطن والمواطن ورفاهيته، وكذلك توسعة الحرمين الشريفين وعمارتهما، والإنفاق عليهما بسخاء عظيم، وإقامة مشروعات تطويرية عملاقة، أسهمت في ازدهار المدينتين

المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكذلك مدن المملكة الأخرى. وهذا العمل أسهم في تحقيق أكبر نقلة اقتصادية، وعمرانية، وحضارية، عمت جميع أرجاء المملكة، وفي الوقت نفسه سعت الدولة إلى تخصيص جزء من أموالها لمساعدة الشعوب الفقيرة، أو المنكوبة، والعمل على خدمة القضايا الإسلامية بالعون المادي والمعنوي، خدمة للإسلام والمسلمين.

د ـ إبراز الجهود الجبارة التي تقوم بها حكومة المملكة العربية السعودية في سبيل تطوير البلاد، وإسعاد العباد، وأنها قادرة على العطاء المتواصل، وذلك حينما أتيح لقادتها الفرصة الكاملة لتوسعة الحرمين الشريفين وعمارتهما، وتطوير شامل لجميع المدن في جميع مناطق المملكة، خاصة عندما شرف الله القادة من آل سعود بخدمة الحرمين الشريفين ورعايتهما.

ونلحظ هنا أنه بدراستنا لتاريخ العمارة في الحرمين الشريفين ـ من خلال هذا البحث ـ أن الحرم المكي شهد عشر توسعات، وسبعًا وثلاثين عمارة، وذلك قبل العهد السعودي.

كما يلحظ أن العمارات والتوسعات السابقة هي عمارات قامت بهدف إبقاء عمارة الحرمين الشريفين بشكل يليق بقدسية هذين المسجدين العظيمين، ومكانتهما في قلب كل مسلم، وكانت تلك العمارات والتوسعات تتم حسب الإمكانات المادية، والظروف السياسية في المنطقة. وعلى الرغم من كل ما بذل من إمكانات، فإن تلك العمارات لم يكتب لها الاستمرار، نتيجة عوامل الزمان (العوامل المناخية) مما إدى إلى اختفائها، بحيث لا يلحظ لها أثر باقٍ في الوقت الحاضر، غير بقايا من أروقة العمارة العثمانية في الحرم المكي، والجزء الأكبر من

العمارة العثمانية في المسجد النبوي الشريف، وبعض الآثار المعمارية الأخرى.

ولعل التباين واضح في العمارة التي كانت قبل العهد السعودي، وتلك التي جاءت بعد العهد السعودي؛ فبالنسبة لمواد البناء: حدث تحول كبير في المواد المستخدمة في البناء، فبعد أن كان البناء في السابق يعتمد على المونة البلدي، والنورة، والأحجار المنحوتة من الجبال على أنها مادة أساسية في البناء، حدث تحول كبير في العهد السعودي في استخدام مواد البناء، إذ استخدمت بلوكات من الجرانيت، والأسمنت، والخرسانة، والحديد في البناء المسلح، واستخدمت المواد الحديثة العازلة للصوت والحرارة، والرطوبة، والمكافحة للعثة (الأرضة)، والحرائق، بقدرة الله تعالى.

أما استخدام الأخشاب والزجاج فنجد أن الأخشاب المستخدمة في العمارات السابقة كانت تعتمد على استخدام جذوع النخل وجذوع الشجر في الأسقف، وكذلك بعض من الأخشاب المتوافرة آنذاك في صناعة الأبواب والنوافذ التي كانت محدودة الشكل والطراز، ثم تطور الأمر في العمارة السعودية إلى استخدام أخشاب شجر الأرز وأخشاب شجر الأرو وغيرهما من أنواع الأخشاب الجيدة التي تم جلبها من جميع أنحاء العالم، وخاصة من المغرب، وكينيا، وكوريا، ومصر التي صنعت منها الأبواب والنوافذ والشبابيك في عمارة الحرمين الشريفين، إذ إن أعدادها ووظائفها زاد عشرات المرات عن الماضي، قياساً على مساحات التوسعة العملاقة في الحرمين الشريفين، كما استخدمت أنواع حديثة من الزجاج الشفاف والملون في النوافذ والشبابيك الموجودة في عمارة الحرمين الشريفين في العهد السعودي.

وكان بناء الأسقف في الماضي يعتمد على جريد النخل المكسي بالنورة والطين، ثم ظهرت القباب، وتطور بناؤها في العصور المتأخرة، حتى إننا نجد أن معظم قباب المسجد النبوي الشريف مكسية في أعلاها بطبقة من الرصاص، وهذه القباب لا تتحمل إقامة أدوار أخرى عليها، كما أنه لا يمكن الاستفادة من سقفها للصلاة عليه. أما في العمارة السعودية، وحسب مقتضيات العصر الحديث، فقد استخدم في بناء الأسقف في عمارة الحرمين الشريفين المواد المسلحة التي تعتمد على الأسمنت والرمل والخرسانة والحديد؛ لشدة تحملها للأعداد الهائلة من المصلين على أسطحها، وكذلك القدرة على البناء فوقها لأدوار عدة، وقد أقيمت هذه الأسقف على أعمدة وقواعد وأوتاد خراسانية داخلة بأعماق بعيدة في باطن الأرض، واستخدم فيها الحديد والأسمنت لزيادة قوة تحملها، وتم تلبيسها بالرخام الجيد لإعطائها قوة ورونقاً وجمالاً.

أما عن حجم البناء فقد حدث تطور مذهل في عمارة الحرمين الشريفين في العهد السعودي، فزاد البناء من دور واحد في الحرم المكي الشريف ومساحته حوالي (٢٨,٠٠٠م^{2}) قبل التوسعة السعودية، إلى أقبية (بدرومات) وثلاثة أدوار مساحتها حوالي (٤٠٠) ألف متر مربع، وهذه المساحة رفعت سعة المسجد الاستيعابية من المصلين في أوقات الذروة إلى أكثر من مليون مصلٍ.

وكذلك حدث في المسجد النبوي الشريف؛ إذ تحول البناء من دور واحد ومساحة لا تزيد عن أربعة آلاف متر مربع، إلى مساحة (٤٠٠,٢٠٠م^{2})، تستوعب أكثر من مليوني مصلٍ، وأصبحت العمارة السعودية تحتوي على أقبية تحت مساحة المسجد تستوعب كافة الخدمات المساعدة، ثم الدور الأرضي الرئيس، والأسطح، وقد صمم المبنى ليتحمل دوراً ثانياً في المستقبل.

أما فيما يختص بالأرضيات والأسطح فقد كانت الأرضية في معظم ساحات الحرمين الشريفين في السابق تغطيها أنواع مخصوصة من الرمل والحصى الصغير، مما ترتب على ذلك إثارة الغبار والأتربة، وخاصة عند سقوط الأمطار. أما في العمارة السعودية فقد تم تكسية جميع أرضيات ساحات الحرمين الشريفين وأروقتهما بنوع خاص من الرخام الأبيض المزخرف بأحزمة من الرخام الجرانيت الملون، كما غطي صحن المطاف بنوع من الجرانيت الأبيض الذي تم جلبه من اليونان بعد ثبوت قوة امتصاصه للحرارة وجودته، وبرودته في أثناء الظهيرة؛ لعدم تأثره بحرارة الشمس، وذلك حتى يشعر الطائفون حول البيت بالراحة عند طوافهم على رخام بارد لا يمتص الحرارة.

كما كسيت أسطح الحرمين الشريفين بالرخام الأبيض لمنع تسرب المياه إلى الأدوار السفلية، مما جعلها تحافظ على سلامة أعمال الزخرفة في الأسقف، بعد أن تم عمل مجرى خاص لتصريف مياه السيول من الأسطح والساحات إلى نفق السيول العام الذي يقوم بتصريف مياه السيول والأمطار إلى خارج المدينة.

وبالنسبة لأعمال الزخرفة فقد تحولت من النواحي التقليدية في العصور السابقة إلى أعمال هندسية تستقي جمالها من التراث الإسلامي، وبتقسيماتها النباتية والهندسية التي تعتمد على المساحات والألوان المتناسقة الرائعة، مما تحقق معه تناغماً وانسجاماً في أعمال الزخرفة المستخدمة في الأسقف والقباب وتيجان الأعمدة المصنوعة في قوالب خاصة، مما يظهر بجلاء التناغم والجودة في استخدام أعمال الزخرفة، جنباً إلى جنب مع أعمال الخط العربي المتمثل في كتابة الآيات القرآنية على الواجهات الداخلية والخارجية، وأسقف الحرمين الشريفين،

والمداخل الرئيسة، وخاصة في التوسعة الكبرى لخادم الحرمين الشريفين.

أما فيما يتعلق بأعمال الكهرباء فقد شهدت عمارة الحرمين الشريفين في العهد السعودي تطوراً هائلاً في أعمال الإنارة التي كانت تعتمد في السابق على مصابيح تضاء بالزيت أو بالشموع إلى المصابيح الكهربائية التي تعتمد على ماكينات الإضاءة الصغيرة التي تدار بالسولار، إلى محطات كهربائية عملاقة ترتبط بالشبكة الرئيسة لشركة كهرباء المنطقة الغربية، واستخدام أنواع خاصة من المصابيح والثريات، صممت بمواصفات خاصة للحرمين الشريفين تنخفض فيها الحرارة، وتزيد في الإضاءة لتحويل الليل إلى نهار، مع تركيب ثريات خاصة مختلفة الأحجام موزعة بطريقة فنية في جميع جوانب الحرمين الشريفين، تنسجم أشكالها مع التراث الإسلامي، بل وصل الأمر إلى استخدام أحدث تقنية للإضاءة من أجل إبراز جمال الحرمين الشريفين ليلاً، بوضع كشافات عالية الإضاءة في المآذن تتجه إضاءتها إلى عنان السماء، يمكن بواسطتها سرعة الاستدلال على المكان من مسافات بعيدة.

كما أسهمت الكهرباء في مشروع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ـ حفظه الله ـ في توفير التبريد الكافي للحرمين الشريفين؛ ففي الحرم النبوي الشريف تم تركيب أحدث محطتي تبريد وأكبرهما في العالم، أقيمتا خصيصاً لهذا الغرض خارج نطاق التوسعة، ينتقل منها الماء البارد بواسطة أنابيب كبيرة من محطة التبريد لتصل إلى محطات عليها توربينات هوائية تدفع الهواء البارد إلى الأروقة، من خلال تقنية حديثة تعتمد على خروج الهواء من قواعد الأعمدة، كما تم تكييف توسعة خادم الحرمين الشريفين بالحرم المكي بالطريقة نفسها، وبمحطات تبريد ضخمة تم تركيبها في مناطق حول الحرم المكي الشريف.

أما عن أبواب المسجد الحرام في مكة المكرمة فقد كان عددها تسعة عشر باباً في عهد الخليفة المهدي، ثم أضيف إليها من خلال التوسعات التالية سبعة أبواب ليصبح مجموعها ستة وعشرين باباً، وفي التوسعة السعودية بمختلف مراحلها أضيف إلى أبواب المسجد الحرام ستون باباً، ليصبح عدد أبواب المسجد ستة وثمانين باباً، كلها ذات تصميم موحد، ومصنوعة من الخشب الممتاز ومحلاة بالزخارف والأحزمة والمقابض النحاسية المطلية بماء الذهب.

وبالنظر لأبواب المسجد النبوي الشريف فقد كان عددها أربعة أبواب، ثم زيد عليها باب واحد في العمارة المجيدية. وفي التوسعة السعودية الأولى أصبحت عشرة أبواب، وفي عام ١٤٠٨هـ فتح باب البقيع مقابلًا لمقبرة البقيع ليصبح عدد الأبواب أحد عشر بابًا، وقد زاد عددها في توسعة خادم الحرمين الشريفين للمسجد النبوي الشريف إلى واحد وأربعين مدخلاً، و(٨٥) باباً، وتحتوي الأبواب الجديدة في توسعة خادم الحرمين الشريفين على مداخل عدة واسعة صممت بشكل رائع وجميل، واستخدمت في صنعها أفضل أنواع الخشب المحلى بالزخارف والأحزمة والمقابض النحاسية المطلية بماء الذهب.

ومن أروع المشاهد في عمارة الحرمين الشريفين تلك المآذن التي تم تصميمها بشكل جذاب وبعلو شاهق، وكان عددها قبل التوسعات السعودية في الحرم المكي الشريف ست مآذن، ولكنها زيدت ثلاث مآذن أخرى، فأصبح عددها في توسعة خادم الحرمين الشريفين تسع مآذن؛ ثمان منها على المداخل الأربعة الرئيسة اثنتان على كل مدخل، أما المئذنة التاسعة فجاءت في أعلى الصفا؛ لتوحي ببدء عملية السعي، وهذه المآذن التسع كلها جديدة وذات تصميم واحد، وعلو كل واحدة منها (٩٦) متراً، وفي أعلى كل واحدة منها هلال مصنوع من البرونز الفاخر

المطلي بالذهب، بارتفاع ستة أمتار وأربعين سنتيمتراً؛ ليعلن انتهاء ارتفاع المئذنة، ويضيف عليها اللمسة الأخيرة في زينتها وروعة بنائها.

أما المآذن في المسجد النبوي الشريف، فأول من بناها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، إذ أنشأ مئذنة للمسجد النبوي الشريف، ثم أضاف إليها الخليفة العباسي المهدي ثلاث مآذن، ثم جاء الخليفة المعتضد فأنشأ المئذنة الخامسة. وأمر السلطان سليمان المشرع العثماني ببناء مئذنتين، ليصبح عدد المآذن في المسجد النبوي الشريف سبع مآذن، وهذه المآذن كان ينالها التجديد من عام إلى آخر.

أما في العهد السعودي فقد زاد عدد المآذن في المسجد النبوي إلى عشر مآذن؛ منها أربع من العمارات السابقة، اثنتان منها في العمارة العثمانية، واثنتان تم بناؤهما في التوسعة السعودية الأولى، وست مآذن تم بناؤها في توسعة خادم الحرمين الشريفين، وهذه المآذن الست الجديدة كلها مآذن ذات طابع وتصميم واحد، وبارتفاع (٩٩) متراً؛ يضاف إلى ذلك الهلال البرونزي المطلي بالذهب، بارتفاع خمسة أمتار، ليصبح ارتفاعها (١٠٤) أمتار، تعتمد على قواعد قوية، مثبتة على أوتاد من الخرسانة والحديد القوي، بأعماق تصل إلى أكثر من ثلاثين متراً في باطن الأرض، وهذه المآذن تزيد على ارتفاع المآذن في العمارات السعودية الأولى بزيادة (٣٢) متراً.

وقد بينت الدراسة - أيضاً - أن المسعى في الحرم المكي كانت تحيط به المنازل والمتاجر من الجانبين، وكان سوقاً تجارياً يعج بالحركة التجارية، جزء كبير من أرضه مغطى بالأتربة، مما عرقل حركة الساعين بين الصفا والمروة، وقلل من قدسية المكان وروحانيته، وخاصة أن بعض المدخنين لا يراعون هذه القدسية للمكان، كما أن الدواب كانت هي الوسيلة الوحيدة قبل وصول السيارات لنقل البضائع، وكانت تمر

بالمسعى فتؤذي الساعين بإثارتها للغبار والروائح الكريهة، وعند وصول السيارات أصبحت هذه السيارات تجوب المسعى طولاً، كما أنها تقطع حركة الساعين عند مرورها بعرض المسعى بالقرب من الصفا. وهذا الأمر أزعج الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وجعله يعمل على إعطاء هذا المكان قدسيته وروحانيته، فأمر - رحمه الله - بإقامة مظلة جديدة عليه؛ لتحمي الساعين من حرارة الشمس، كما أنه أمر برصفه لمنع إثارة الأتربة والغبار، وما تحدثه تلك الدواب والسيارات من إيذاء للساعين، وكان يفكر جدياً في إدخال المسعى ضمن مباني المسجد الحرام بمكة.

وبعد وفاته - رحمه الله - سارع أبناؤه البررة إلى تحقيق رغبة والدهم، وقد تم في التوسعة السعودية إدخال المسعى ضمن مبنى المسجد الحرام، وجعل من دورين وأسطح بطول مساحة المسعى وعرضه، كما تم فصل حركة الساعين عن العربات التي تحمل كبار السن بممر وضع في وسط المسعى في الطابق الأرضي منه، وذلك لتسهيل حركة الساعين في ذهابهم وإيابهم، وتم تحديد مناطق الهرولة بإضاءة وضعت على الأعمدة في الجانبين باللون الأخضر، ولتجنيب الساعين من تقاطعهم بحركة الداخلين والخارجين من المسعىٰ، فإنه تم إقامة جسور معلقة فوق بعض المداخل بعرض عدة أمتار لنقل حركة الدخول والخروج من المسجد الحرام عبر المسعى، دون أن يكون هنالك أي عرقلة لحركة الساعين بين الصفا والمروة، وخاصة في أوقات الذروة، وهذه من الأعمال الجليلة التي تسطر بأحرف من نور للحكومة السعودية وحكامها.

وبالنسبة للكعبة الشريفة فإن الدراسة بينت أنها بنيت أحد عشر بناءً، كما ذكر ذلك كثير من المؤرخين، إلا أن الثابت أن بناءها بالمعنى الكامل تم أربع مرات، هي:

١ ـ بناء الخليل إبراهيم عليه السلام: وهو ثابت في القرآن الكريم.
٢ ـ بناء قريش: وهو ثابت بالحديث الصحيح.
٣ ـ بناء عبدالله بن الزبير: بعدما أصابها المنجنيق، واحترق جزء كبير منها، فسارع إلى عمارتها بالكامل من جديد، وأخرج منها حِجْر إسماعيل.
٤ ـ بناء الحجاج بن يوسف الثقفي: وهو ما اتفق عليه المفسرون والمؤرخون، ولعل العدد إحدى عشرة عمارة للكعبة المشرفة قد شملت أعمال الإصلاح والتجديد والتعمير.

أما في العهد السعودي فقد شهدت الكعبة تطوراً هائلاً في صيانتها وعمارتها، إذ تم تجديد سقفيها مرتين، كما تم كسوة جدرانها الداخلية، وأرضها، وسقفها بالرخام الممتاز، وتجديد بابها وصنعه من الذهب الخالص، وكذلك الباب المؤدي إلى سطح الكعبة، واستبدال الميزاب بميزاب جديد مصنوع من الذهب، ثم تجديد عتبات السلم، والجدار الداخلي للكعبة المشرفة، وعمل سلم متحرك لدخول الكعبة المشرفة عليه أجهزة تكييف لتلطيف الجو بداخلها عند فتحها بواسطة فتحات كبيرة في أعلى السلم يندفع منها الهواء البارد من مكيفات هواء وضعت في أسفل السلم، ويتم إيصال الكهرباء لها عن طريق وصلات كهربائية موجودة في صحن المطاف. ولعل الترميمات وإصلاح سقفي الكعبة وجدرانها وأرضها التي تمت في الكعبة المشرفة عام ١٤١٧هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز من الإصلاحات الشاملة للكعبة. وقد صدر في ذلك كتاب خاص بعنوان «الكعبة المشرفة» لعبيدالله محمد أمين كردي، من إصدارات مجموعة ابن لادن السعودية لعام ١٤١٩هـ، بيّن فيه تفصيلات وافية عن الإصلاحات التي تمت في الكعبة المشرفة في عهد خادم الحرمين الشريفين.

وقد بينت الدراسة تباين ألوان كسوة الكعبة المشرفة وجودتها حسب الإمكانات المادية، وحسب جودة الصناعة في تلك الفترة، كما تعددت الجهات التي كانت ترسل الكسوة للكعبة المشرفة من عصر إلى آخر، حسب تبعية حكم الحجاز لتلك الدولة وقوة نفوذها، حتى إنه لوحظ توقف وصول الكسوة، أو عدم وصولها في موعدها المحدد في العصور الماضية، لظروف اقتصادية، أو سياسية، أو لكليهما. ولكن في العهد السعودي تم إنشاء مصنع خاص لصنع كسوة الكعبة الشريفة بالمملكة، وذلك لمنع المزايدات والمساومات التي كانت تثار بين الحين والآخر حول تأمين الكسوة السنوية للكعبة، وما كان يرافق ذلك من محامل وطبول وأهازيج لا تمت للحج بصلة، وقد تم تزويد المصنع الجديد بأحدث الآلات والأنوال والنسيج من الحرير والقصب، وأدوات الصباغة، وكانت عملية التطوير مستمرة في المصنع، كما مر بنا في هذا البحث. ونتيجة للجهود السعودية المثمرة، والبذل السخي من ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية أصبحت الكعبة ترتدي كل عام كسوتها المصنوعة من أفضل أنواع الأقمشة الحريرية، فيشاهدها الجميع وهي تلبس أبهى حللها في موعدها المحدد، وذلك بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم بفضل جهود أولي الأمر في مملكتنا الحبيبة؛ علاوة على ذلك فإن الملك عبدالعزيز وأبناءه البررة من بعده قاموا بتنظيم شؤون الحرمين، وتخصيص الأموال الكبيرة للقائمين عليهما من الموظفين والمدرسين والوعاظ والفنيين، كل ذلك تدفعه الدولة دون تردد، ودون أي مِنَّة خدمة للإسلام والمسلمين، وطلباً للأجر والثواب من الله.

وفي هذه الدراسة يتضح أن مقام إبراهيم عليه الصلاة السلام والمطاف وما حولهما، شهدا تطوراً معمارياً رفيعاً بعد أن كان مقام إبراهيم يحيط به بناء ضخم يعيق حركة الطائفين حول الكعبة المشرفة،

وبعد استشارة العلماء من مختلف بلدان العالم الإسلامي الذين حضروا اجتماعاً خاصاً في رابطة العالم الإسلامي، تمت إزالة المباني المحيطة بالمقام، ووضعه في مقصورة نحاسية غاية في الروعة والجمال، ومغلفة بالزجاج البلوري الفاخر، مما يمكن لأي شخص مشاهدة المقام من خلال هذا الزجاج الشفاف، وبمساحة لا تزيد على (١٨٠ × ١٣٠سم)، وارتفاع حوالي (٧٥سم) فوق القاعدة الرخامية التي يزيد ارتفاعها على متر وعشرين سنتيمترًا، وقد زاد هذا العمل من سعة المطاف، وانتهت بذلك مشكلة الزحام الشديد الذي كان يحدث عند مقام إبراهيم عليه السلام، ويعيق حركة الطائفين، وأصبح قطر المطاف يشمل كامل مساحة الصحن حتى الأروقة، بمساحة تزيد على (٨٥) متراً من ناحية المقام مما سهل الحركة في صحن المطاف، وجعل جموع الطائفين تؤدي طوافها بسهولة ويسر.

وفيما يخص السقيا في الحرمين الشريفين فقد تحولت خدمة المياه في بئر زمزم من استخدام السقاة والدلو والمبنى الكبير الذي يتوسط صحن المطاف في العصور السابقة المقام حول البئر، إلى تصميم مبنى جديد رائع التخطيط وضع تحت الجزء الشرقي من صحن المطاف، فتمت الاستفادة من منطقة المبنى، ومكان البئر في توسعة صحن المطاف، ويتم الدخول لمنطقة سقيا زمزم من مدخلين؛ أحدهما للرجال، والآخر للنساء. وقد نظمت المنطقة السفلية، وكيّفت، ووضع فيها مجموعة كبيرة من صنابير الماء، وأصبح الماء يأتي لهذه الصنابير مبرداً بعد مروره بأشعة ضوئية خاصة لتعقيمه، كما عملت مضخات لسحب مياه البئر ورفعها إلى أعلى مع متابعة تطهير البئر باستمرار، وقد أنشئ خط لتوصيل ماء زمزم إلى موقف سيارات كدي؛ لتوفير المياه لكل من يريد أن يتزود بماء زمزم. كما وضعت أماكن متعددة في المسعى،

وداخل المسجد وحوله لشرب ماء زمزم لمن يريد، وأعدت ناقلات كبيرة لنقل ماء زمزم يومياً من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة طوال العام، وتوزيعه للزوار والمصلين في المسجد النبوي الشريف، بوضعه في حافظات بلاستيكية أمام المصلين وحولها كاسات من البلاستيك.

وفي الوقت نفسه تم استبدال الأواني الفخارية التي كانت توضع أمام المصلين في الأروقة والساحات طوال العام، وتزداد أعدادها في أيام رمضان والحج، وكانت تلك الأواني الفخارية كثيراً ما يتعرض بعضها للكسر دون قصد بين فترة وأخرى، مما يؤدي إلى إراقة الماء على أرضيات الساحات والأروقة وعلى السجاد المنتشر في الحرمين الشريفين، فيسبب إزعاجاً كبيراً للمصلين، ولهذا تم في العهد السعودي تأمين أوعية بلاستيكية توضع بها المياه المبردة وحولها أماكن للكاسات البلاستيكية النظيفة وأخرى للمستعملة، وتوزيعها أمام المصلين داخل الحرمين الشريفين وخارجهما في الساحات المحيطة، مما أدى إلى وفرة ماء زمزم المبارك، وسهولة الحصول عليه مبرداً.

وشهد المسجد النبوي الشريف تطوراً هائلاً في أعمال البناء وتقنيته، وظهرت روعتها في التوسعة التي أضافت القباب المتحركة آلياً التي تغطي (٢٧) فناءً، طول ضلع كل منهما (١٨×١٨م)، وهي تقنية حديثة استخدمت لأول مرة في المسجد النبوي الشريف، فأضفت خصوصية جديدة للاستفادة من الهواء والإضاءة الطبيعية، وخاصة في الفصول المعتدلة، كما تم تكييف المسجد النبوي الشريف بوحدات التكييف بالماء البارد لتلطيف الجو بالهواء البارد داخل المسجد النبوي الذي يأتي بواسطة تقنية عالية الجودة والتكاليف، جعلت من قواعد الأعمدة في الدور الأرضي الرئيس فتحات يخرج منها الهواء البارد، القادم من محطات التبريد عبر أنابيب خاصة، وبأطوال كبيرة. كما أنه أُحدث نفق

للخدمات يصل بين الأقبية وموقع محطات التبريد الواقعة بجوار مدينة الحجاج بطول سبعة كيلو مترات، وعرض (٦,١٠م)، وارتفاع (٤,١٠م) لتوصيل الماء البارد من محطة التبريد إلى المسجد، ثم يتم تسليط الهواء عليه بواسطة تربينات خاصة لتبريد الهواء ونقله إلى كافة أرجاء المسجد لتبريده من خلال قواعد الأعمدة. كما تم بناء محطة مولدات احتياطية بطاقة (١٢٥,٠٠٠) كيلو وات لخدمة المسجد النبوي الشريف، وقد سبق الحديث عن ذلك في هذا البحث بالتفصيل.

ولقد حققت توسعة الحرمين الشريفين تطوراً كبيراً في المنطقة المركزية المحيطة بالحرمين الشريفين في المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة بنظرة واقعية وتطلعات مستقبلية، بدأت بإحاطة الحرمين الشريفين بساحات واسعة لتسهيل حركة المصلين تتفرع منها شوارع فسيحة تطل عليها مباني مجمعات سكنية وتجارية وفندقية، أقيمت بمواصفات عالمية، تقوم بتقديم أفضل خدمات السكن والطعام والشراب والتسوق للحجاج والمعتمرين والزوار، بمستوى متطور يفوق الوصف. وقد تميزت هذه المباني بتوفر الخدمات اللازمة بها، مع المحافظة على العنصر الجمالي والتهوية الجيدة، وتوافر كافة وسائل السلامة، والاتصال السلكي واللاسلكي، مما جعل القدرة الاستيعابية لتلك المساكن والفنادق تتضاعف إلى عشرات الأضعاف، فضلاً عن الارتقاء العظيم في مجال الخدمات العامة التي يتمتع بها سكان هذه المجمعات السكنية من الحجاج والمعتمرين والزوار والمواطنين، وهذا بالطبع انعكس على ظهور تطور كبير في مناطق متعددة في المدينتين المقدستين بعد أن أعيد تخطيطهما على أحدث طراز. كما أن المباني التي تم هدمها لصالح مشروعات التوسعة دفع أهلها إلى شراء مساكن حديثة بديلة في أحياء جديدة، فامتدت الرقعة العمرانية والسكانية في المدينتين

المقدستين إلى نطاق واسع، خاصة بعد توافر وسائل النقل الحديثة في المدينتين المقدستين، وفي غيرهما من مناطق المملكة.

إن هذه الإنجازات العظيمة التي حققتها حكومة المملكة العربية السعودية في هذه البقاع المقدسة جعلت كل مسلم عَمَرَ الله قلبه بالإيمان والتقوى يشعر بالسعادة والراحة التامة والأمن والطمأنينة والرضا حينما يرى هذه الإنجازات العملاقة التي تحققت في الحرمين الشريفين، فيلهج لسانه بالدعاء والتوفيق والعز والتمكين لحكام هذه البلاد من آل سعود الأفذاذ الذين نذروا أنفسهم، وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل خدمة قاصدي الحرمين الشريفين، وتعميرهما والعناية بهما، حتى صار ذلك مصدر فخر لكل مسلم.

بارك الله لولاة الأمر في حكومتنا الرشيدة، وأجزل لهم الثواب والأجر العظيم منذ عهد الباني المؤسس لهذا الكيان العظيم الملك عبدالعزيز آل سعود، وامتداداً لعهد أبنائه الملك سعود، والملك فيصل، والملك خالد رحمهم الله، وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، وسمو ولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني، وسمو النائب الثاني صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، وجميع الأمراء من آل سعود، حفظهم الله وأيدهم بعزه ونصره، وجعل الله هذه الأعمال الجليلة في موازين حسناتهم.

وبالله التوفيق..

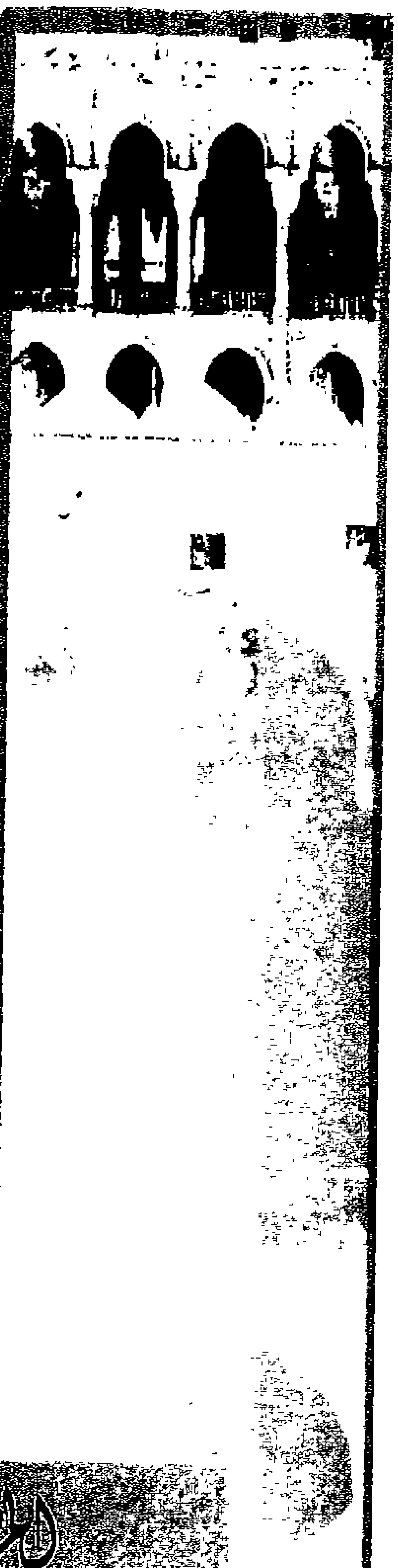

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١ ـ **آل سعود، طلال بن عبدالعزيز:**
صور من حياة عبدالعزيز، الطبعة الأولى، الرياض، مطابع حنيفة للأوفست، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٢ ـ **آل سعود، سعود بن هذلول:**
تاريخ ملوك آل سعود، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

٣ ـ **آل سعود، هيا بنت محمد بن عبدالعزيز:**
توسعة الحرمين الشريفين في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود،الطبعة الأولى، القاهرة، شركة سنتر لاين، ١٤١٦هـ.

٤ ـ **ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد:**
الكامل في التاريخ، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٦هـ.

٥ ـ **ابن حجر، أحمد بن حجر العسقلاني:**
فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الريان، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

٦ ـ **ابن إدريس، عبدالله بن عبدالعزيز:**
مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، طبعة جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٢هـ.

٧ ـ **ابن سعد، محمد (ت ٢٣٠هـ):**
الطبقات الكبرى، ج ١ ـ ٩، طبعة دار صادر، بيروت. ب ت.

٨ ـ **ابن شبة، عمر بن شبة النميري البصري:**
تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، الطبعة الثانية، جدة، دار الأصفهاني، ١٤٠٢هـ.

٩ ـ **ابن الضياء، محمد بن أحمد أبي البقاء:**
تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المنورة. تحقيق: علاء إبراهيم الأزهري وأيمن إبراهيم الأزهري، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

١٠ ـ **ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر:**
تفسير ابن كثير، الجزء الخامس، طبعة المنار، القاهرة، ١٣٤٦هـ.

١١ ـ **ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر:**
البداية والنهاية، الطبعة الثانية، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٧٧م.

١٢ ـ **ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد:**
سنن ابن ماجه، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٢هـ.

١٣ ـ **ابن منظور جمال الدين محمد:**
لسان العرب، الجزء الأول، طبعة دار صادر، بيروت، ب ت.

١٤ ـ **ابن هشام، عبد الملك:**
السيرة النبوية، تحقيق: أحمد حجازي السقا، أربعة أجزاء، الطبعة الأولى، القاهرة، شركة الطباعة الفنية المحدودة، ١٩٧٤م.

١٥ ـ **أبو الفضل، السيد أحمد:**
مكة في عصر ما قبل الإسلام، الطبعة الثانية، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

١٦ ـ **الأزرقي، محمد بن عبدالله:**
أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، مجلدان، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، الطبعة الثالثة، بيروت، مطابع دار الثقافة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٧ ـ **الأنصاري، عبدالقدوس:**
آثار المدينة المنورة، الطبعة الثانية، المدينة المنورة، طبعة المكتبة العلمية، ١٣٧٨هـ.

١٨ ـ **الأنصاري، عبدالقدوس:**
التاريخ المفصل للكعبة المشرفة قبل الإسلام، الطبعة الأولى، جدة، مطابع الروضة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٩ ـ **الأنصاري، ناجي محمد حسن عبدالقادر:**
عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ، الطبعة الأولى، جدة، دار القلم، ١٤١٦هـ.

٢٠ ـ **باسلامة، حسين عبدالله:**
تاريخ عمارة المسجد الحرام، طبعة تهامة، جدة، ١٤٠٠هـ.

٢١ ـ **باسلامة، حسين عبدالله:**
تاريخ الكعبة المعظمة، الطبعة الثانية، القاهرة، دار مصر للطباعة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٢٢ ـ **البتنوني، محمد لبيب:**
الرحلة الحجازية، الطبعة الثانية، مطبعة الجمالية، القاهرة، ١٣٢٩هـ.

٢٣ ـ **بدر، فايز:**
وقفة أمام الكعبة، الطبعة الأولى، الرياض، مطبعة سفير، ب ت.

٢٤ ـ **البرزنجي، جعفر بن إسماعيل:**
نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الرفاعي، ١٤١٦هـ.

٢٥ ـ **البرماوي، علي:**
المملكة العربية السعودية قلعة الإسلام ومؤسسها العظيم، الطبعة الأولى، الرياض، دار الزهراء، ١٤٠٢هـ.

٢٦ ـ **بشناق، عبدالمعين عثمان:**
الدليل العام للمملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، دمشق، مؤسسة الدليل العربي، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

٢٧ ـ **بكداش، سائد:**
فضل ماء زمزم، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، دار البشائر، ١٤١٦هـ.

٢٨ ـ **بكداش، سائد:**
فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه السلام، الطبعة الثالثة، بيروت، مطابع البشائر الإسلامية، ١٤١٦هـ.

٢٩ ـ **بكر، سيد عبدالمجيد**
أشهر المساجد في الإسلام، الطبعة الأولى، جدة، مطابع سحر، ١٤٠٠هـ.

٣٠ ـ **البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى**
فتوح البلدان، تحقيق : عبدالله الطباع، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٥٦م.

٣١ ـ **البليهشي، محمد بن صالح:**
المدينة المنورة، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٠٨هـ.

٣٢ ـ **ابن دهيش، عبداللطيف:**
التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٧هـ.

٣٣ ـ **ابن دهيش، عبداللطيف:**
سيرة الملك عبدالعزيز وملحمة التوحيد، بحث قدم بمناسبة مرور مائة عام علي تأسيس المملكة العربية السعودية في احتفالات جامعة أم القرى بهذه المناسبة، الطبعة الأولى، ٢١ صفحة، مكة المكرمة، مطابع جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ.

٣٤ ـ **ابن دهيش، عبدالملك:**
الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، مكتبة النهضة، ١٤١٨هـ.

٣٥ ـ **ابن عبيد، إبراهيم:**
تذكرة أولي النهى والعرفان، الطبعة الأولى، الرياض، مؤسسة النور، ب ت.

٣٦ ـ **ابن فهد، النجم عمر (ت ٨٨٥هـ):**
إتحاف الورى بأخبار أم القرى، الأجزاء ١ ـ ٣ بتحقيق: فهيم شلتوت، الطبعة الأولى، مكة، مطابع جامعة أم القرى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
والجزء الرابع بتحقيق: عبدالكريم الباز، الطبعة الأولى، مكة، مطابع جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

٣٧ ـ **الترمذي، أبو عيسى محمد بن سورة:**
سنن الترمذي، المطبعة الأزهرية، القاهرة، ١٣٦٩هـ.

٣٨ ـ **الجاسر، حمد (تقديم وإشراف):**
رسائل في تاريخ المدينة المنورة، الطبعة الأولى، الرياض، مطبوعات دار اليمامة، ١٣٩٢هـ.

٣٩ ـ **الجمعية الجغرافية السعودية:**
دليل المواقع الجغرافية في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، الرياض، مطابع العبيكان، ١٤١٩هـ.

٤٠ ـ **حافظ، علي:**
فصول من تاريخ المدينة المنورة، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، مطابع شركة المدينة المنورة للطباعة، ١٣٨٨هـ.

٤١ ـ **حرب، محمد:**
العثمانيون في التاريخ والحضارة، الطبعة الأولى، دمشق، دار القلم، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٤٢ ـ **الحسني، محمد بن مساعد:**
درر الجامع الثمين لأعمال الملوك من آل سعود الميامين في مسجد البلد الأمين ١٣٤٣ ـ ١٤١٨هـ، الطبعة الثانية، مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، شوال ١٤١٩هـ/ يناير ١٩٩٩م.

٤٣ ـ **الحسني، محمد بن مساعد:**
الزيادات في الحرم المكي الشريف من العصر النبوي حتى العهد السعودي، الطبعة الأولى، مكة، مطابع الصفا، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٤٤ ـ **الحصين، عبدالرحمن بن عبدالعزيز:**
فيصل بن عبدالعزيز آل سعود وجهوده في القضايا العربية والإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤١٦هـ، غير مطبوعة.

٤٥ ـ **الحصين، عبدالعزيز بن عبدالرحمن:**
العناية بالمسجد النبوي الشريف وأثرها في خدمة الإسلام والمسلمين، من بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، المنعقد في الرياض بين ٧ ـ ١١شوال ١٤١٩هـ/ ٢٤ ـ ٢٨ يناير ١٩٩٩م، المحور السادس عشر، المكانة الدينية للمملكة.

٤٦ ـ **الحقيل، عبدالله بن محمد:**
توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في النهضة العلمية والاجتماعية، الطبعة الأولى، مطابع العبيكان، ١٤١٨هـ.

٤٧ ـ **الحلواني، سعد بدير:**
تعمير المدينة المنورة ١٨١٢ ـ ١٨٤٠هـ، الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة الحسين الإسلامية، ١٤١٤هـ.

٤٨ ـ **الحموي، ياقوت:**
معجم البلدان، طبعة دار التراث، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، وطبعة دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.

٤٩ ـ **الخطيب، عبدالحميد:**
الإمام العادل عبدالعزيز آل سعود، الطبعة الأولى، القاهرة، مطابع البابي الحلبي، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.

٥٠ ـ **خلوصي، محمد ماجد:**
المسجد عمارة وطراز وتاريخ، الطبعة الأولى، القاهرة، مطابع سجل العرب، ١٩٩٨م.

٥١ ـ **الخياري، أحمد ياسين:**
تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً، الطبعة الأولى، إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ.

٥٢ ـ **دفتردار هاشم، وجعفر فقيه:**
توسعة الحرم النبوي الشريف، الطبعة الأولى، بيروت، مطابع الإنصاف، ١٣٧٣هـ.

٥٣ ـ **الدقن، السيد محمد:**
كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة الجبلاوي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٥٤ ـ **رجب، أحمد:**
المسجد الحرام بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٥٥ ـ **الرفاعي، صالح حامد:**
الأحاديث الواردة في فضل المدينة المنورة، الطبعة الثانية، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٥٦ ـ **رضا، عادل:**
فهد بن عبدالعزيز ـ الإنسان ـ الملك، تقديم : إبراهيم سعدة، الطبعة الأولى، القاهرة، مطابع أخبار اليوم، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٥٧ ـ **رفعت، إبراهيم باشا:**
مرآة الحرمين، جزءان، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٤٤هـ.

٥٨ ـ **الرويشد، سعد بن عبدالعزيز:**
جوانب من حياة الملك عبدالعزيز، الطبعة الأولى، مكة، النادي الثقافي الأدبي بمكة، ١٤١٠هـ.

٥٩ ـ **الزركلي، خير الدين:**
الأعلام، الطبعة الثالثة، بيروت، طبعة دار الملايين، ١٩٨٩م.

٦٠ ـ **الزركلي، خير الدين:**
شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، أربعة أجزاء، الطبعة الثالثة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٩٧هـ.

٦١ ـ **زين العابدين، أبو القاسم:**
الكعبة والحج في العصور المختلفة، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٦هـ.

٦٢ ـ **السالم، السيد عبدالعزيز:**
تاريخ الدولة العربية، ، الطبعة الأولى، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة، ١٩٨٥م.

٦٣ ـ **السباعي، أحمد:**
تاريخ مكة، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، مطابع دار الثقافة، ١٤٠٩هـ. والطبعة الرابعة، مكة، دار مكة للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٦٤ ـ **سعيد، أمين:**
تاريخ الدولة السعودية، المجلد الثالث، الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٨٥هـ.

٦٥ ـ **سعيد، أمين:**
فيصل العظيم، الطبعة الأولى، بيروت، مطبعة كرم، ١٣٨٥هـ.

٦٦ ـ **السلاح، محمد:**
كلام الملوك، الطبعة الأولى، حلب، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

٦٧ ـ **السلوم، لطيفة بنت عبدالعزيز:**
التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة، الطبعة الأولى، الرياض، مطابع العبيكان، ١٤١٦هـ.

٦٨ ـ **السمهودي، علي بن عبدالله بن أحمد:**
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ﷺ، أربعة أجزاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الرابعة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ/ ١٩٨٤م.

٦٩ ـ **السمهودي، علي بن عبدالله بن أحمد:**
خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى، جزءان، تحقيق: محمد الأمين محمد الجكني، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ.

٧٠ ـ **السنجاري، علي بن تاج الدين (ت ١١٢٥هـ):**
منائح الكرم في أخبار مكة والبيت الحرام وولاة الحرم، ستة أجزاء، الطبعة الأولى، الرياض، مطابع العبيكان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٧١ ـ **الشافعي، فريد:**
العمارة العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠م.

٧٢ ـ **الشريهي، خالد بن عبدالله:**
لمحات من إنجازات خادم الحرمين الشريفين، الطبعة الثانية، الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤١٣هـ.

٧٣ ـ **الشنقيطي، محمد غالي محمد الأمين:**
الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين ﷺ، الطبعة الأولى، الدوحة، مطابع الدوحة الحديثة، ١٩٨٨م.

٧٤ ـ **الشهري، محمد بن هزاع:**
عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ، غير مطبوعة.

٧٥ ـ **الشوري، إبراهيم:**
الحرم النبوي الشريف، الطبعة الأولى، القاهرة، طبعة دار الكتاب العربي، ب ت.

٧٦ ـ **صبري، أيوب:**
مرآة جزيرة العرب، الطبعة الأولى، الرياض، دار النصر للطباعة، ١٤٠٣هـ.

٧٧ ـ **الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد:**
المعجم الكبير، الطبعة الثانية، بغداد، وزارة الأوقاف العراقية، ١٩٨٣م.

٧٨ ـ **الطبري، أحمد بن عبدالله محب الدين:**
القرى لقاصد أم القرى، الطبعة الثانية، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٧٩ ـ **الطبري، محمد بن جرير:**
الأمم والملوك، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

٨٠ ـ **عباس، حامد:**
قصة التوسعة الكبرى، الطبعة الأولى، جدة، دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ.

٨١ ـ **عباس، حامد وآخرون:**
توسعة الحرمين الشريفين رؤية حضارية، الطبعة الثانية، جدة، مطابع عكاظ، ١٤١٢هـ.

٨٢ ـ **العباسي، أحمد بن عبدالحميد:**
عمدة الأخبار في مدينة المختار، الطبعة الخامسة، مطبعة المدني، القاهرة، ب ت.

٨٣ ـ **عبدالعزيز، محمد عبدالعزيز مرزوق:**
الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الطبعة الأولى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

٨٤ ـ **عبدالغني، محمد إلياس:**
تاريخ المسجد النبوي الشريف، الطبعة الثانية، جدة، مطابع المجموعة الإعلامية، ١٤١٨هـ.

٨٥ ـ **عبده، إبراهيم:**
إنسان الجزيرة، الطبعة الأولى، القاهرة، طبعة مكتبة الآداب، ١٩٩٤م.

٨٦ ـ **العثيمين، عبدالله بن صالح:**
معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد، الطبعة الثانية، الرياض، مطابع العبيكان، ١٤١٦هـ.

٨٧ ـ **العثيمين، عبدالله بن صالح:**
تاريخ المملكة العربية السعودية، جزءان، الطبعة الأولى، الرياض، مطابع العبيكان، ١٤١٦هـ.

٨٨ ـ **العسقلاني، ابن حجر:**
فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٩٧م.

٨٩ ـ **العصامي، عبدالملك:**
سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، الطبعة الأولى، القاهرة، المطبعة السلفية، ب ت.

٩٠ ـ **العطار، أحمد عبدالغفور:**
الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم، الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٩١ ـ **عطار، منصور حسين:**
الحرمان الشريفان قمة العمارة الإسلامية المعاصرة، الطبعة الأولى، جدة، مطابع إخوان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

٩٢ ـ **العمري، ضياء الدين:**
مسالك الأبصار في مسالك الأنصار، نشرة أحمد زكي باشا، القاهرة، ١٩٢٤م.

٩٣ ـ **عنقاوي، فؤاد عبدالحميد:**
مكة. . الحج والطوافة، الطبعة الأولى، بيروت، دار خضر، ١٤١٥هـ.

٩٤ ـ **الغامدي، صالح بن عون:**
الملك سعود بن عبدالعزيز، الطبعة الأولى، القاهرة، مطابع مؤسسة الأهرام، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٩٥ ـ **الغزال، عبدالكريم:**
المملكة العربية السعودية أمام قدرها الكبير، الطبعة الأولى، دمشق، ب ت.

٩٦ ـ **الغلامي، عبدالمنعم:**
الملك الراشد، الطبعة الأولى، الرياض، مطابع دار اللواء، ب ت.

٩٧ ـ **الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد:**
شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: مصطفى محمد الذهبي، جزءان، الطبعة الثانية، مكة، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٩٨ ـ **الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد:**
العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ثمانية أجزاء، الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

٩٩ ـ **الفاكهي، أبو عبدالله محمد بن إسحاق:**
أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق : الدكتور عبدالملك ابن دهيش، الطبعة الثالثة، بيروت، دار خضر، ١٤١٩هـ.

١٠٠ ـ **الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب:**
القاموس المحيط، الطبعة الثالثة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ

١٠١ ـ **القرطبي، محمد بن أحمد:**
الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

١٠٢ ـ **القطبي، عبدالكريم بن محب الدين:**
إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، تحقيق: أحمد محمد جمال، وعبدالعزيز الرفاعي، الطبعة الثانية، الرياض، دار الرفاعي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٠٣ ـ **القطبي، محمد بن أحمد:**
الإعلام بأعلام بيت الله الحرام وبناء المسجد الحرام، بيروت، مكتبة خياط، ١٩٨٧م.

١٠٤ ـ **كتبي، زهير محمد جميل:**
مكة المكرمة الوضع الفريد، الطبعة الأولى، جدة، دار الفنون للطباعة، ١٤٠٩هـ.

١٠٥ ـ **كردي، محمد طاهر:**
التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، أربعة أجزاء، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، مكتبة النهضة، ١٣٨٥هـ، والجزءان الخامس والسادس، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الخدمات الطباعية، ١٤١٢هـ.

١٠٦ ـ **كردي، عبيدالله محمد أمين:**
الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان ـ عمارة وتاريخ، الطبعة الأولى، جدة، دار الأصدقاء للدعاية والإعلان، ١٤١٩هـ.

١٠٧ ـ **كوشك، يحيى حمزة:**
زمزم طعام طعم وشفاء سقم، الطبعة الأولى، جدة، دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ.

١٠٨ ـ **المالكي، محمد بن علوي:**
في رحاب البيت الحرام، الطبعة الرابعة، جدة، دار القبلة، ١٤١٢هـ.

١٠٩ ـ **المارك، فهد:**
من شيم الملك عبدالعزيز، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٠٠هـ.

١١٠ ـ **المراغي، زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر أبي الفخر:**
تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، صححه وحققه: محمد عبدالجواد الأصمعي، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ١٣٧٤هـ.

١١١ ـ المرصفي، سعد:
الكعبة مركز العالم، الطبعة الأولى، بيروت، مكتبة المنار الإسلامي، ١٩٨٩م.

١١٢ ـ المسعودي، علي بن الحسين:
مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الخامسة، القاهرة، دار الفكر، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

١١٣ ـ مصطفى، صالح لمعي:
المدينة المنورة وتطورها العمراني وتراثها المعماري، الطبعة الأولى، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١م.

١١٤ ـ مطر، فوزية حسين:
تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف إلى نهاية العصر العباسي، الطبعة الأولى، جدة، تهامة، ١٤٠٠هـ.

١١٥ ـ المعلمي، عبدالرحمن بن يحيى:
مقام إبراهيم عليه السلام، الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

١١٦ ـ المكي، أحمد بن محمد:
إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، تحقيق: الحافظ غلام مصطفى، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الصحوة للنشر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١١٧ ـ المكي، محمد أمين:
الآثار المبرورة لسلاطين آل عثمان، ترجمه من التركية إلى اللغة العربية: سعد الدين عثمان أونال (مخطوط).

١١٨ ـ المليباري، محمد عبد الله:
عمارة وتوسعة المسجد الحرام عبر التاريخ، ضمن سلسلة محاضرات نادي مكة الثقافي، مكة، ١٤١٠هـ.

١١٩ ـ المليباري، محمد عبدالله:
المنتقى في أخبار أم القرى، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، مطابع الصفا، ١٤٠٥هـ.

١٢٠ ـ مهر، غلام رسول:
يوميات رحلة في الحجاز ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م، ترجمة: سمير عبدالحميد إبراهيم، الطبعة الأولى، الرياض، مطابع العبيكان، ١٤١٧هـ.

١٢١ ـ المملكة العربية السعودية
ذكرى عمارة الكعبة المشرفة، صدر بمناسبة ترميم سقف الكعبة المشرفة في عام ١٣٧٧هـ.

١٢٢ ـ المملكة العربية السعودية
الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، إصدارات دارة الملك عبدالعزيز، الطبعة الأولى، الرياض، مرينا لخدمات الطباعة، ١٤١٩هـ.

١٢٣ ـ النجار، محمد بن محمود البغدادي:
الدرة الثمينة في أخبار المدينة، قابله وعني بنشره: حسن محمد شكري، طبع على نفقة الشيخ إسماعيل جمال حريري، الطبعة الثانية، الرياض، دار المدينة المنورة للطباعة، ١٤١٨هـ.

١٢٤ ـ النجار، محمد بن محمود:
أخبار مدينة الرسول المعروف بالدرة الثمينة، تحقيق: صالح محمد جمال، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الفكر، ١٣٩١هـ.

١٢٥ ـ الندوي، أبو الحسن علي:
السيرة النبوية، الطبعة الأولى، جدة، دار الشروق، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١٢٦ ـ الندوي، عرفات سليم عابد:
فضل المدينة المنورة، الطبعة الأولى، مكتبة الإيمان، ١٤١٤هـ.

١٢٧ ـ النهرواني، قطب الدين محمد:
الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، المطبعة العثمانية بالقاهرة، ١٣٠٥هـ.

١٢٨ ـ هاشم، هاشم عبده:
صناعة القرار في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، جدة، مطابع الإسراء للخدمات الإعلامية، ١٤١٥هـ.

١٢٩ ـ هريدي، محمد عبداللطيف:
شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية، الطبعة الأولى، دار الزهراء للنشر، ١٤١٠هـ.

١٣٠ ـ الهيثمي، محمد:
مجمع الزوائد، طبعة دار الريان، القاهرة، ١٩٨٧م.

١٣١ ـ اليعقوبي:
تاريخ اليعقوبي، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، بيروت، مطابع دار صادر، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

١٣٢ ـ وزارة الإعلام، توسعة الحرمين الشريفين:
الطبعة الأولى، الرياض، ١٣٨٧هـ.

١٣٣ ـ وزارة الإعلام، دولة في قائمة الشرف العالمية في خدمة الإسلام:
الطبعة الأولى، الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ.

١٣٤ ـ **وزارة الإعلام، الحرمان الشريفان:**
الطبعة الثالثة، الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤١٤هـ.

١٣٥ ـ **وزارة الإعلام، عمارة المساجد الأنموذج السعودي لبناء بيوت الله:**
الطبعة الأولى، الرياض، ١٤١٧هـ.

١٣٦ ـ **وزارة الإعلام، مسيرة البناء المملكة العربية السعودية:**
طبعة وزارة الإعلام، الرياض، ١٤١٧هـ.

١٣٧ ـ **وزارة الإعلام، دليل الحاج في خدمة ضيوف الرحمن:**
الطبعة الأولى، الرياض، مطابع دار عكاظ، ١٤١٣هـ.

١٣٨ ـ **وزارة الإعلام، في خدمة ضيوف الرحمن:**
الطبعة الأولى، الرياض، دار الموسوعة العربية للنشر، ١٤١٣هـ.

١٣٩ ـ **وزارة الحج، الحج في مائة عام:**
الطبعة الأولى، جدة، مطابع سحر، ١٤١٩هـ.

١٤٠ ـ **وزارة الشؤون البلدية والقروية، مكتب تخطيط وتنمية مكة المكرمة:**
التقرير الثالث، رجب ١٤٠٥هـ.

١٤١ ـ **وزارة المالية، مشروع الملك عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام:**
الطبعة الأولى، مكة، اتحاد المهندسين الاستشاريين، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، مجموعة وثائق وتقارير رسمية، وصور عن المشروع.

ثانياً : الدوريات والمجلات

١ ـ **الأفغاني، عبدالله:**
مآذن الحرم المكي الشريف، ضمن كتاب توسعة وعمارة الحرمين الشريفين (رؤية حضارية)، الطبعة الأولى، جدة، مطابع مؤسسة عكاظ (١ ـ ٢)، ١٤١٣هـ.

٢ ـ **الباشا، حسن:**
عمارة المسجد الحرام في عصر المماليك، مقال في مجلة منبر الإسلام، عدد ربيع الأول، ١٤١٤هـ.

٣ ـ **الجوهرجي، أسامة:**
توسعة الحرم النبوي الشريف، مجلة البناء، السنة السابعة، العدد (٣٧) محرم وصفر ١٤٠٨هـ ـ أكتوبر نوفمبر ١٩٨٧م، ص ٢٥ ـ ٤٥.

٤ ـ **الحديثي، إبراهيم بن راشد:**
بناية المسجد الحرام، مجلة التضامن الإسلامي، المجلد السابع، عدد ربيع الأول، ١٤١٤هـ.

٥ ـ **الحديثي، إبراهيم بن راشد:**
عناية خادم الحرمين الشريفين بالمقدسات تفوق الوصف، مجلة الحج، عدد رجب ١٤١٨هـ.

٦ ـ **الحسيني، محمد بن مساعد:**
منائر المسجد الحرام من العهد العباسي حتى العهد السعودي، مجلة عمار، عدد (٣٩)، الكويت، ديسمبر ١٩٩٩م.

٧ ـ **جريدة الندوة:**
مشروع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، العدد الإعلامي الخاص، عدد في ذي الحجة، ١٤١٨هـ.

٨ ـ **الرابطة، رابطة العالم الإسلامي:**
بيان الرابطة حول مقام إبراهيم عليه السلام، الصادر في مكة المكرمة، ٢٧/ ١٢/ ١٣٨٤هـ، الطبعة الأولى، مكة، مكة للطباعة والنشر، ١٣٨٤هـ.

٩ ـ **مريشد، سالم:**
الباب الجديد للبيت العتيق، مجلة اقرأ الأسبوعية، العدد ٣٤٣، تاريخ ٢١/ ١١/ ١٣٩٩هـ/ ٢٨ أكتوبر ١٩٧٩م.

١٠ ـ **سلطان، طلال محمود:**
عمارة المسجد، مجلة التضامن الإسلامي، السنة الرابعة والأربعون، جـ١١، عدد جمادى الأولى، ١٤١٣هـ.

١١ ـ **عبدالرحيم، يوسف علي:**
القصة الكاملة لبناء وتوسيع المسجد الحرام (في عددين)، مجلة عمار، العدد العشرون، فبراير، ١٩٩٨م، والعدد الثاني والعشرون، أبريل ١٩٩٨م.

١٢ ـ **عبدالرحيم، يوسف علي:**
كسوة الكعبة بين الماضي والحاضر، مقال في مجلة عمار، عدد ٢٢ أبريل، ١٩٩٨م

١٣ ـ **عبدالواسع، عبدالوهاب:**
اليوم الوطني ومسيرة البناء، مقال في مجلة التضامن الإسلامي، عدد ربيع الآخر، ١٤١٣هـ.

١٤ ـ **الغامدي، سعيد بن سعد بن سفر:**
الأوقاف الخيرية والجوامع والمساجد في الدولة العثمانية، ص ١٨٩ ـ ٢٥١، مجلة التاريخ والمستقبل، جامعة المنيا، كلية الآداب، جمهورية مصر العربية، عدد يوليه، ١٩٩٦م.

١٥ ـ **لطفي، محمد نجيب:**
شرف مكة وحرمتها، مقال في مجلة الحج، عدد ربيع الأول، ١٤١٥هـ.

١٦ ـ **مجلة أهلاً وسهلاً:**
ستون عاماً من الإنجازات السعودية، العدد ٥٩٢، ١٤١١هـ.

١٧ ـ **مجلة التضامن الإسلامية، جـ ١١:**
جزء من كلمة خادم الحرمين في أسبوع العناية بالمساجد، ١٤٠٨هـ.

١٨ ـ **مجلة التضامن الإسلامي:**
كلمة خادم الحرمين في أسبوع العناية بالمساجد، السنة ٤٧، العدد (١٢)، جمادى الآخرة، ١٤١٣هـ.

١٩ ـ **مجلة الحج:**
عدد خاص بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، العدد (٥٤)، الجزء الثالث والرابع والخامس لعام ١٤١٩هـ.

٢٠ ـ **المدينة عدد خاص بالحج والمشاعر المقدسة:**
مشروع خادم الحرمين الشريفين لتوسعة المسجد النبوي الشريف، العدد (٨٧)، جدة، مطابع صحيفة المدينة، ذو الحجة، ١٤١١هـ.

٢١ ـ **المدينة عدد خاص ـ دعوة إبراهيم:**
العدد (٩٣)، ذو الحجة ١٤١٢هـ/ يونيه ١٩٩٢م.

٢٢ ـ **المدينة نص الخطاب السامي الكريم:**
العدد (١٠٣) في ٥ رمضان ١٣٦٨هـ.

٢٣ ـ **المدينة عدد خاص ـ الحج مناسك ومنافع:**
العدد (١٠٤)، ذو الحجة ١٤١٤هـ/ مايو ١٩٩٤م

٢٤ ـ **الموسوعة العربية العالمية:**
(عدة موضوعات عن ملوك آل سعود والحرمين الشريفين)، الطبعة الأولى، الرياض، طبع مؤسسة الموسوعة العربية للطبع والنشر، ١٤١٨هـ.

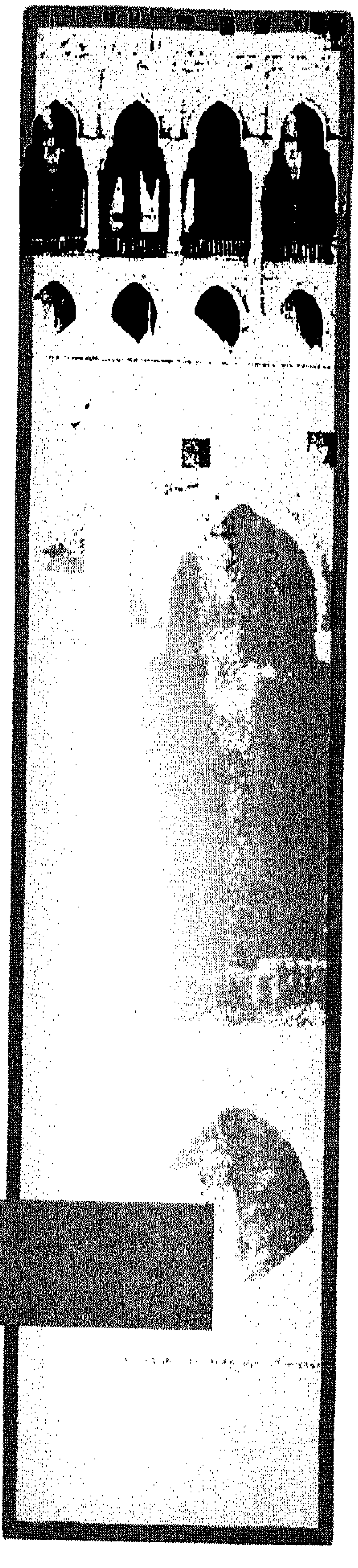

مُلحق الصُّور

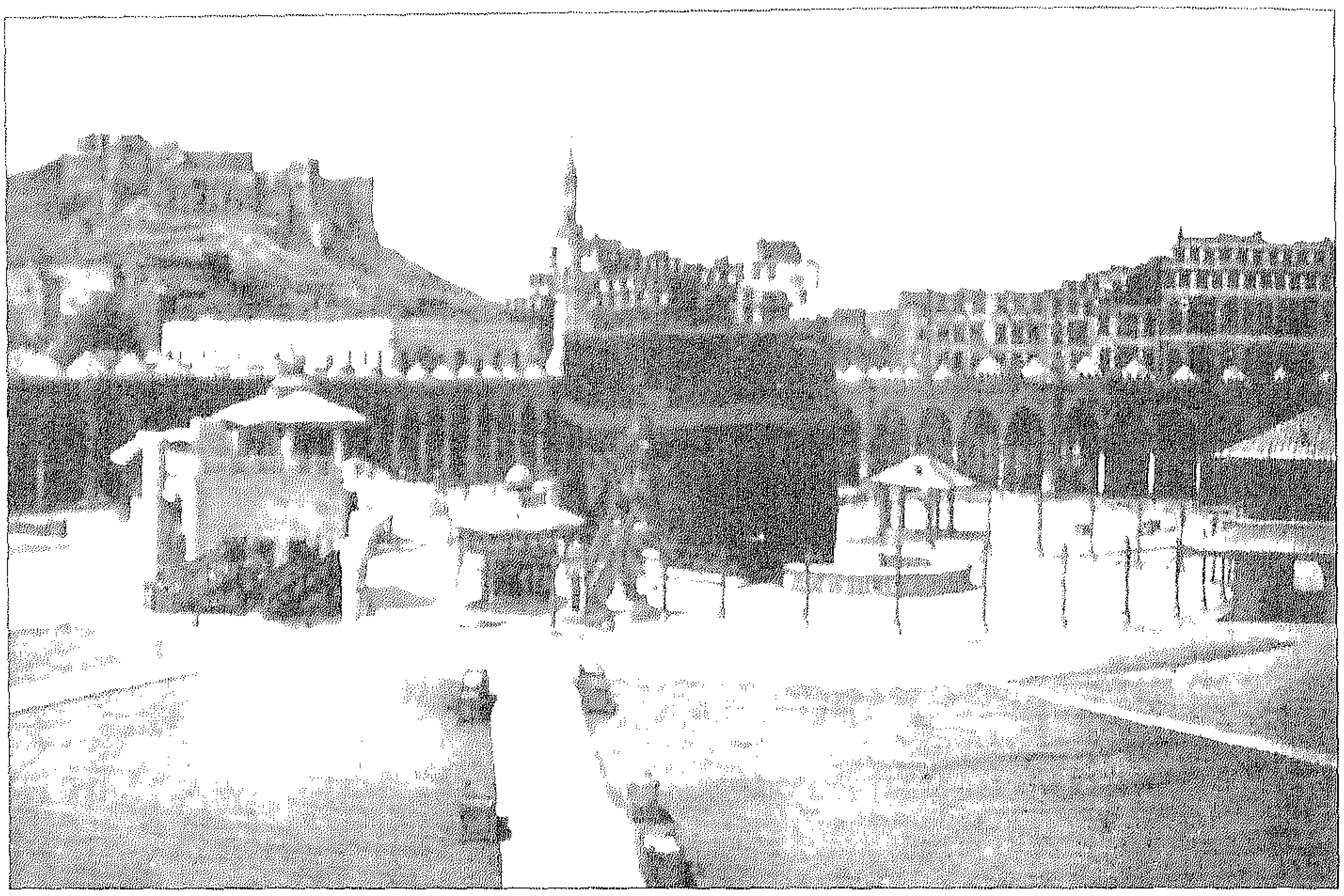

صورة رقم ١: المسجد الحرام وتظهر به المقامات وسقيا زمزم والساحات المحيطة بالمطاف.

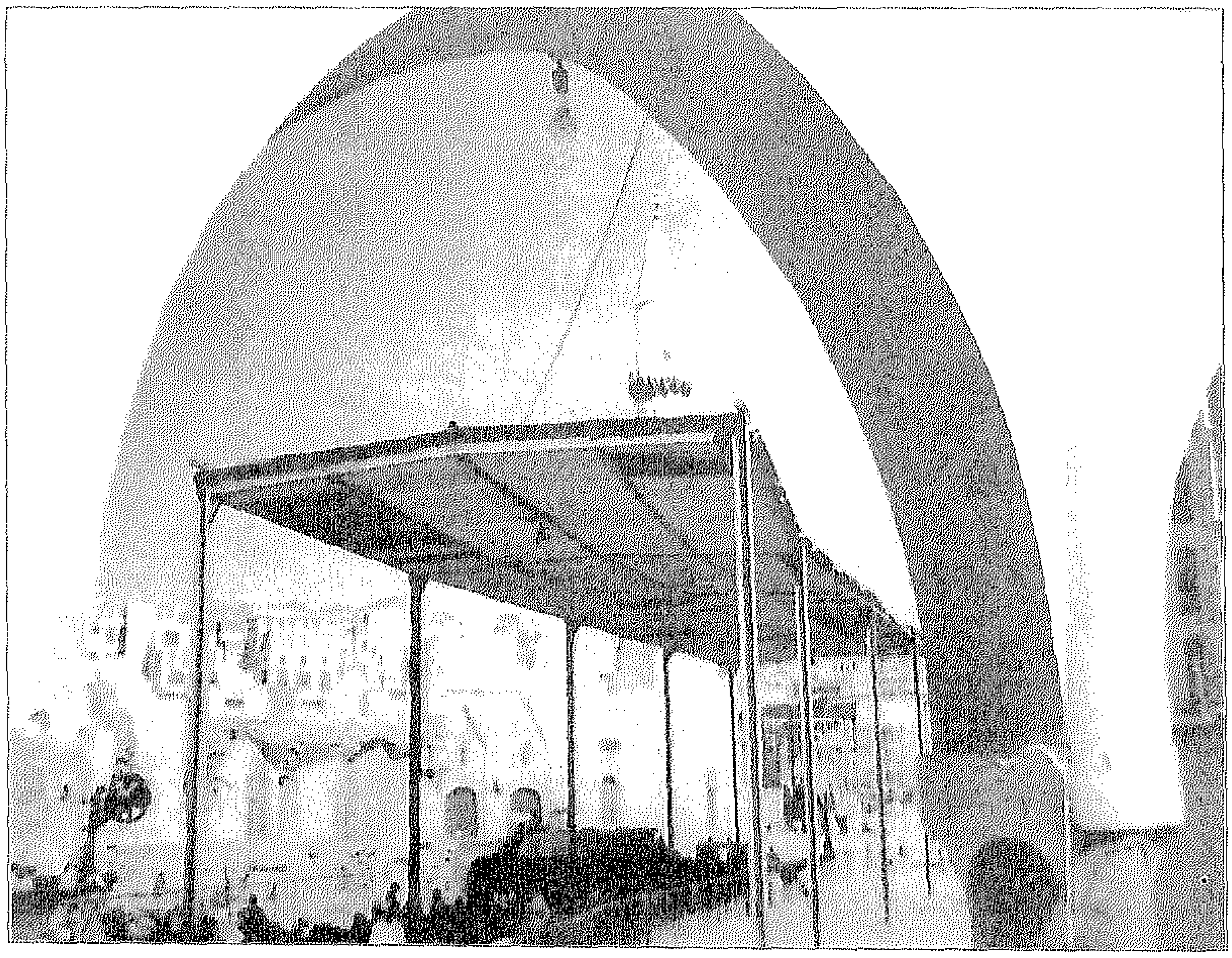

صورة رقم ٢: مظلة المسعى قبل التوسعة السعودية.

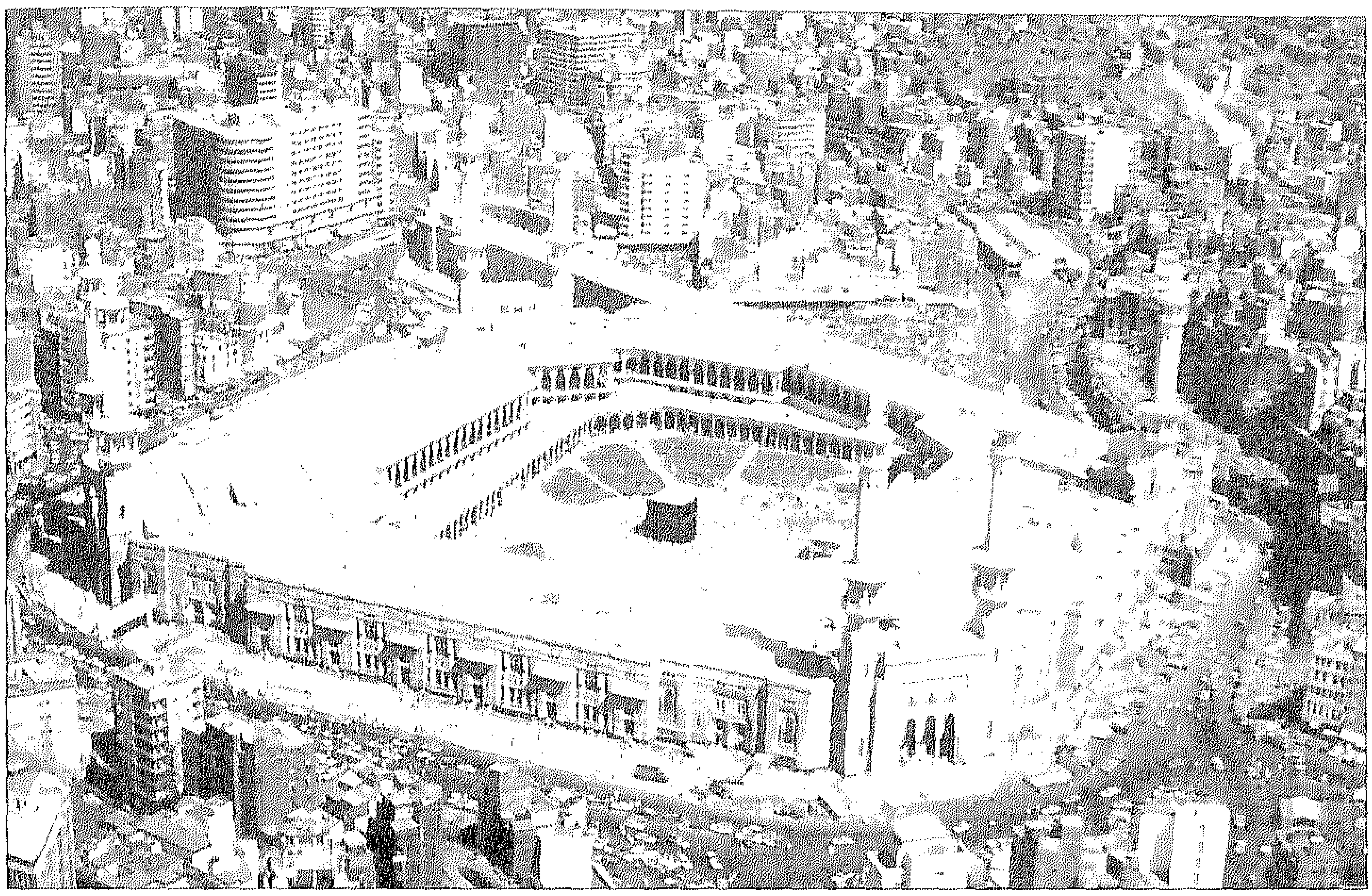

صورة رقم ٣: منظر جوي للتوسعة السعودية الأولى للمسجد الحرام.

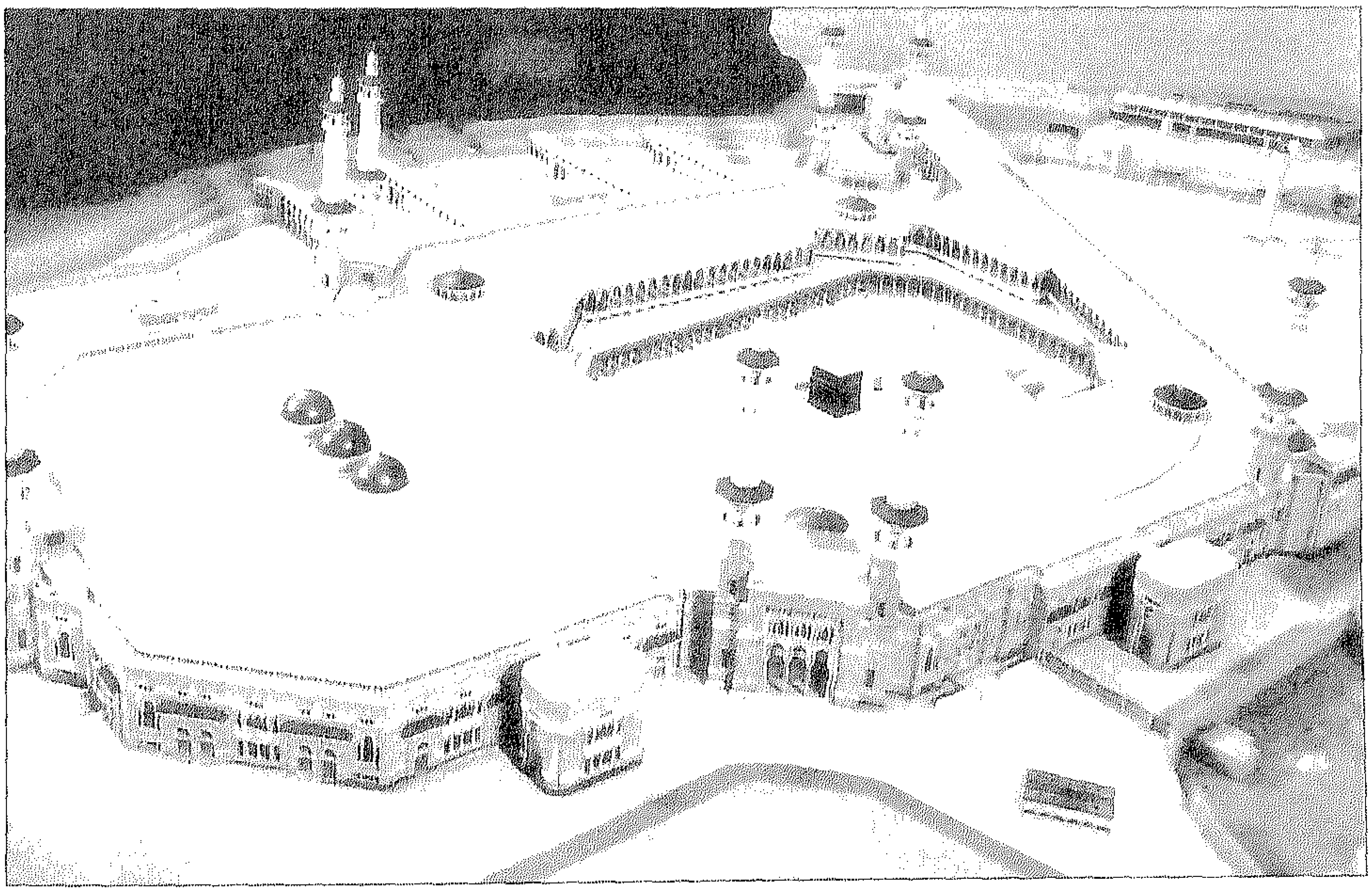

صورة رقم ٤: مجسم للمسجد الحرام ويظهر فيه توسعة خادم الحرمين الشريفين والتوسعات السابقة.

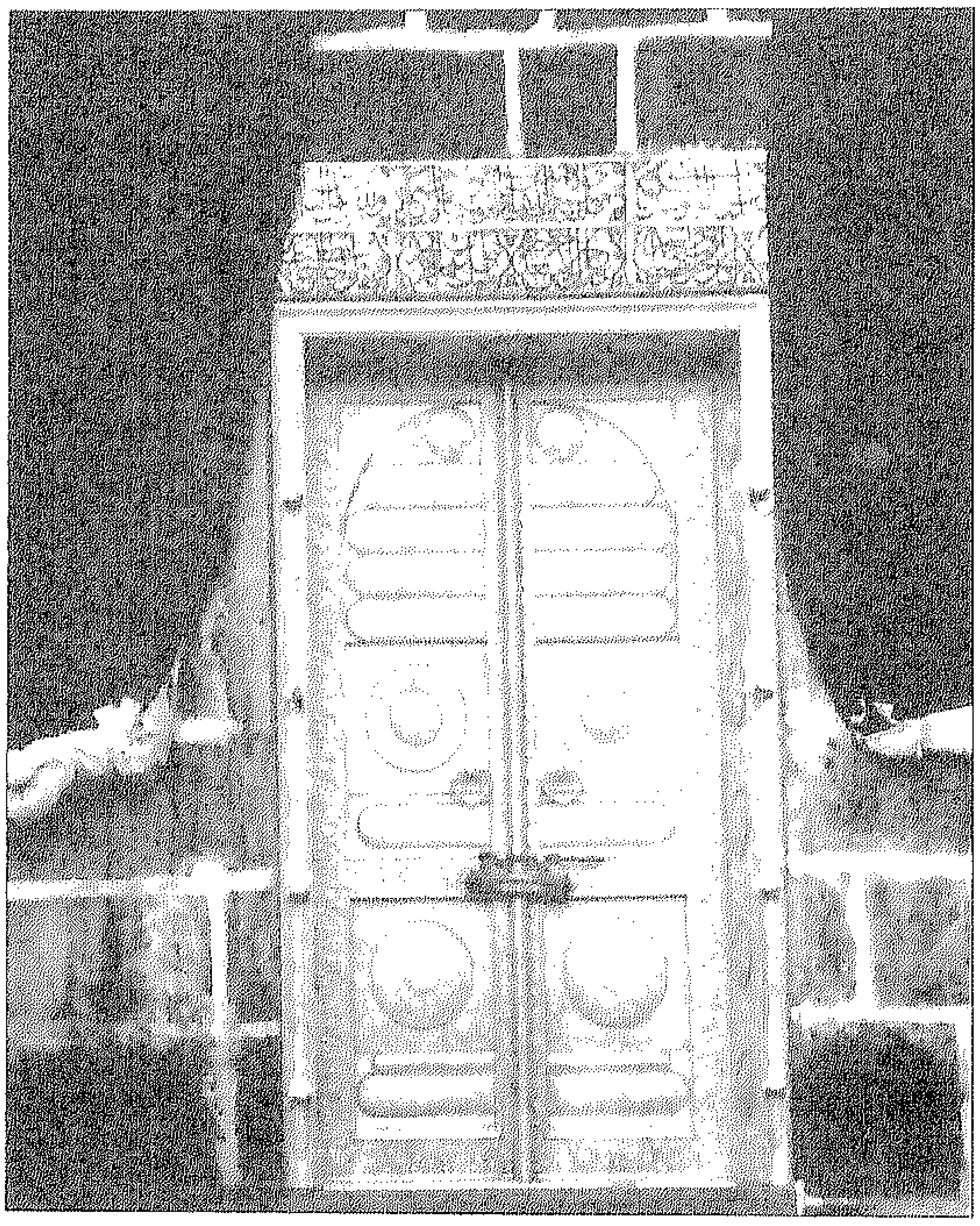

صورة رقم ٥:
باب الكعبة المشرفة
الذي صنع في عهد
الملك خالد رحمه الله

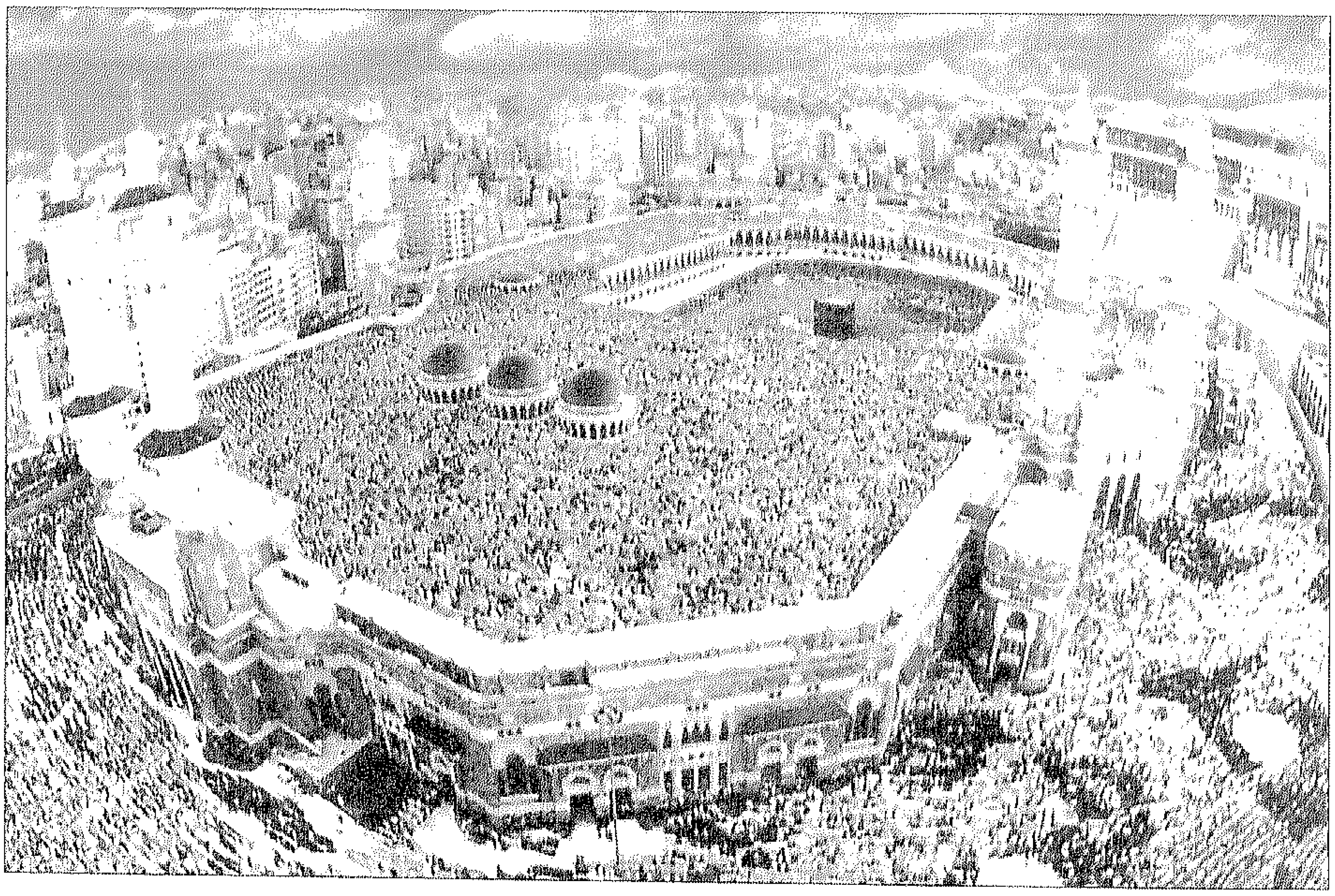

صورة رقم ٦: منظر جوي لجموع المصلين في المسجد الحرام والساحات المحيطة به في أوقات الذروة.

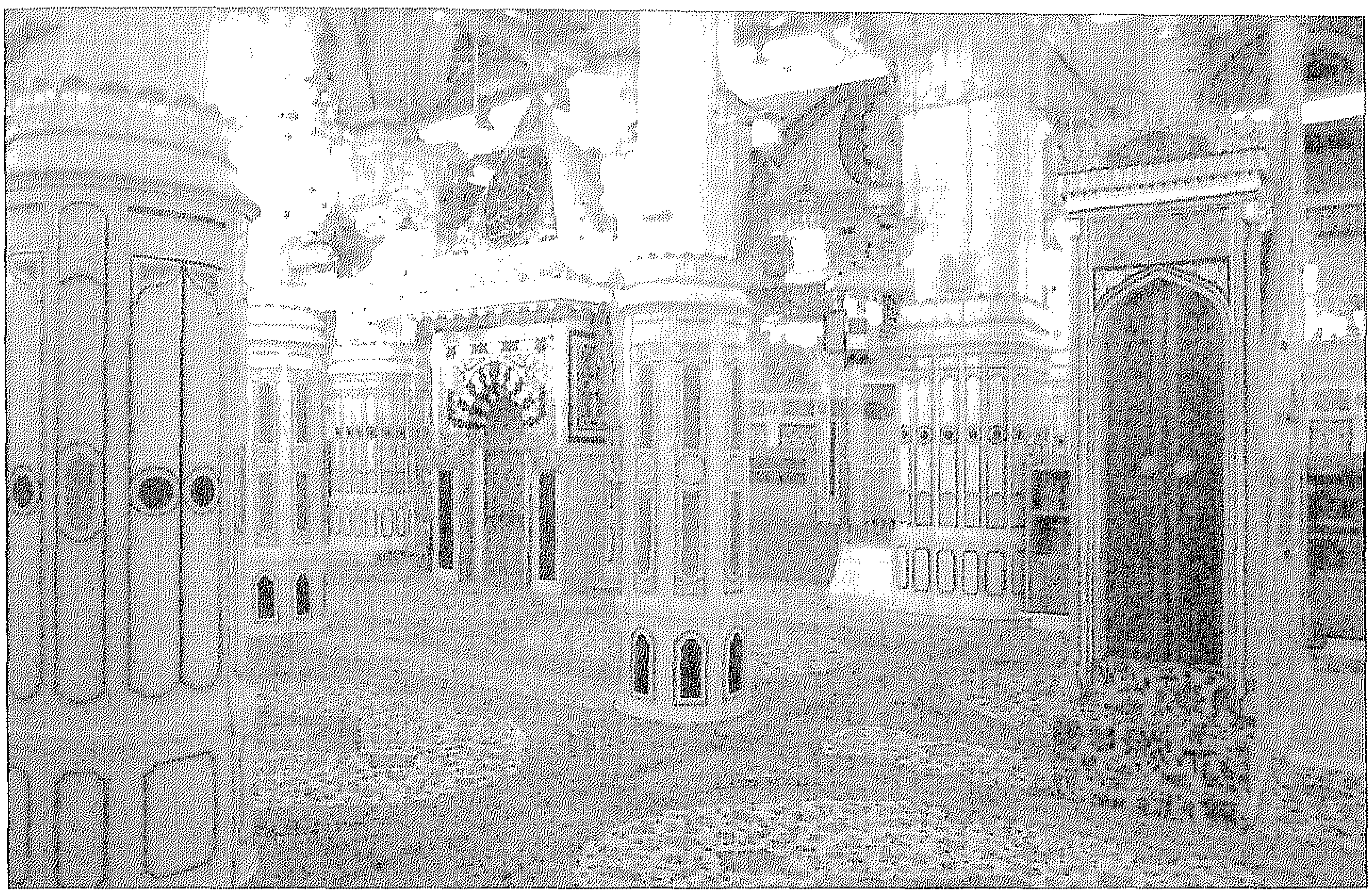

صورة رقم ٧: صورة داخلية للروضة الشريفة في المسجد النبوي الشريف.

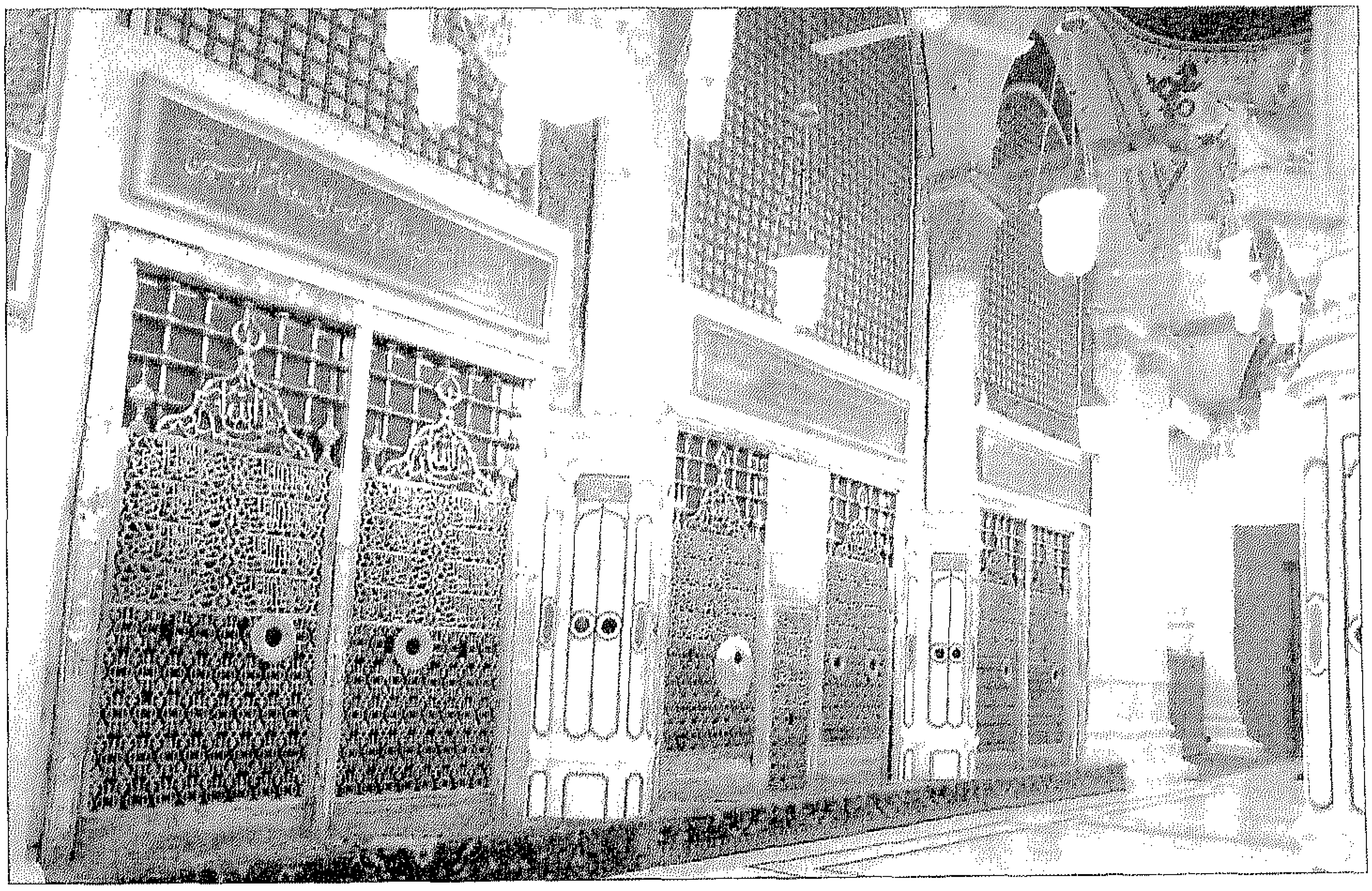

صورة رقم ٨: الحجرة النبوية الشريفة.

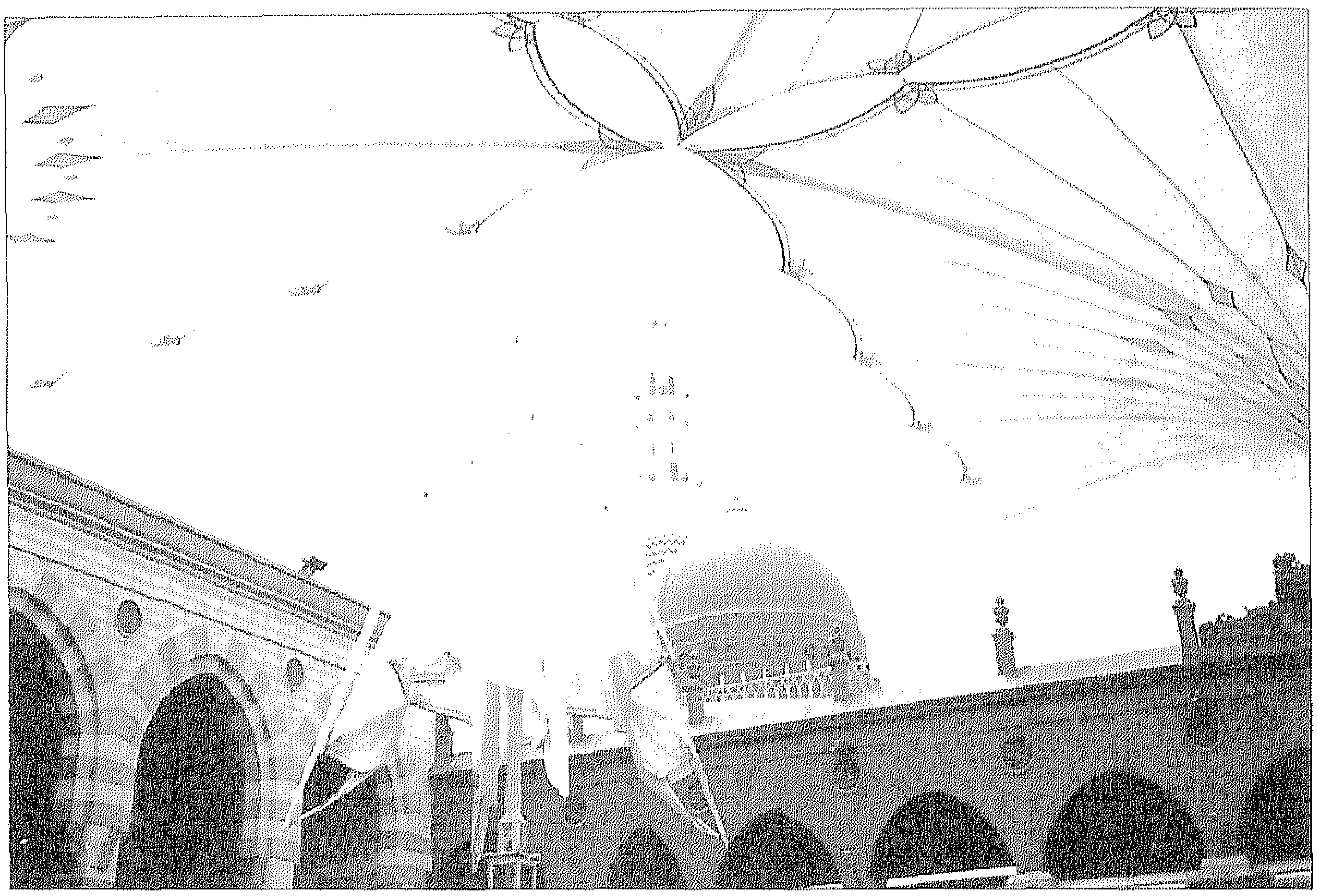

صورة رقم ٩: الساحات الداخلية للمسجد النبوي الشريف وتظهر آلية التظليل، وربط العناصر المعمارية القديمة بالتقنية الجديدة.

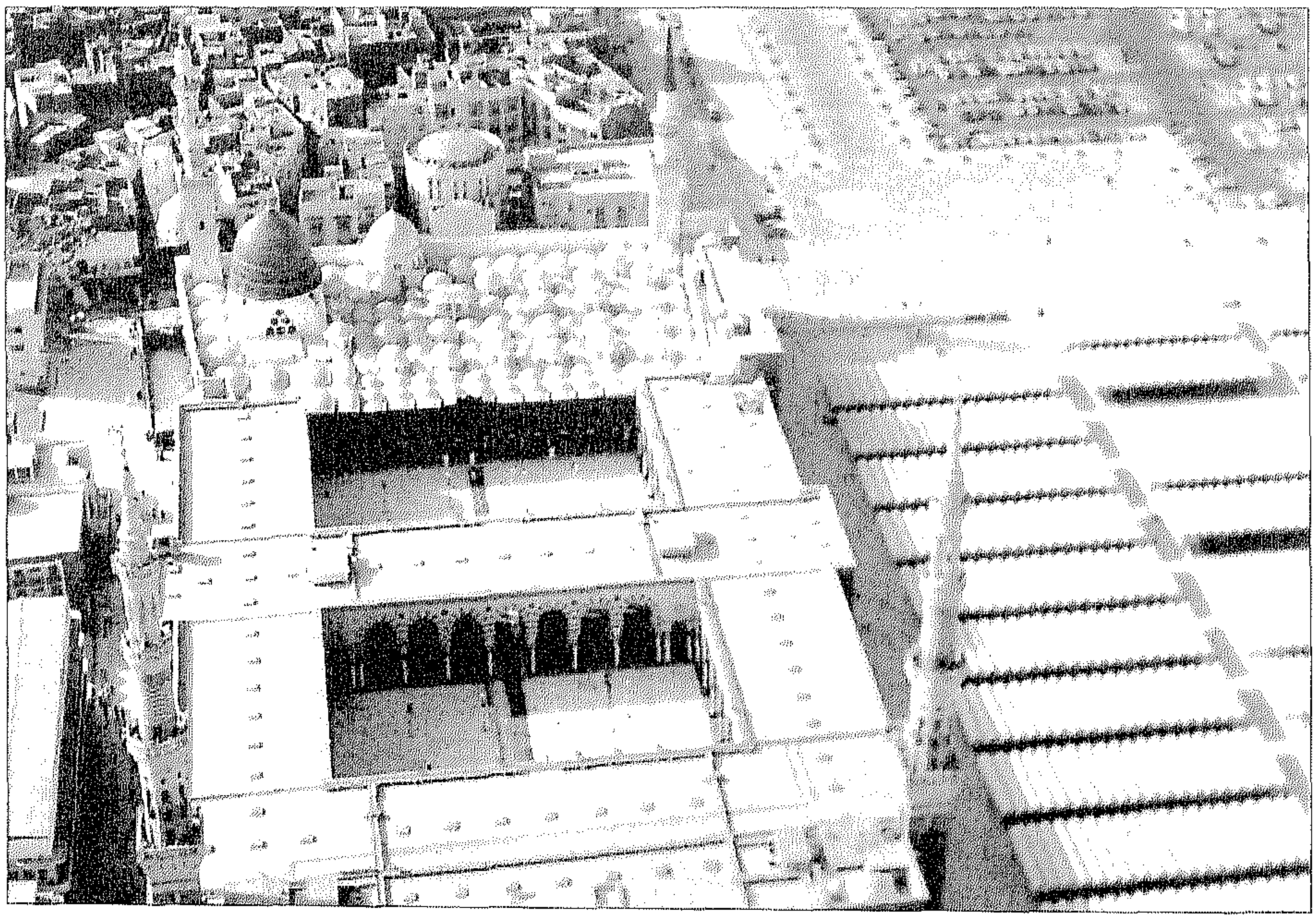

صورة رقم ١٠: منظر جوي للتوسعات السعودية منذ عهد الملك عبدالعزيز حتى عهد الملك خالد - رحمهم الله - في المسجد النبوي الشريف

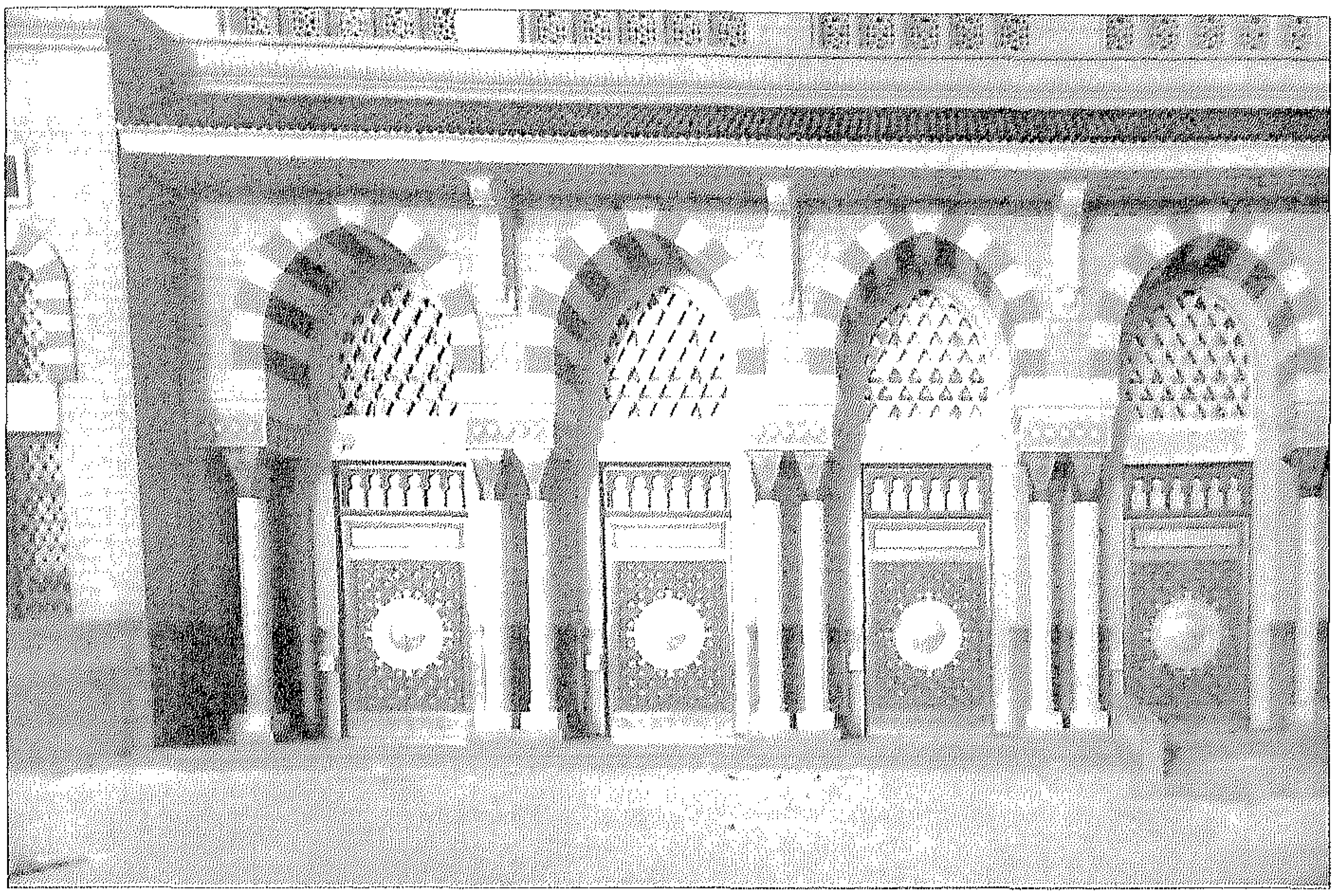

صورة رقم ١١: توضح مدى دقة الاعتناء بالتفاصيل المعمارية وتناسقها في أبواب المسجد النبوي الشريف.

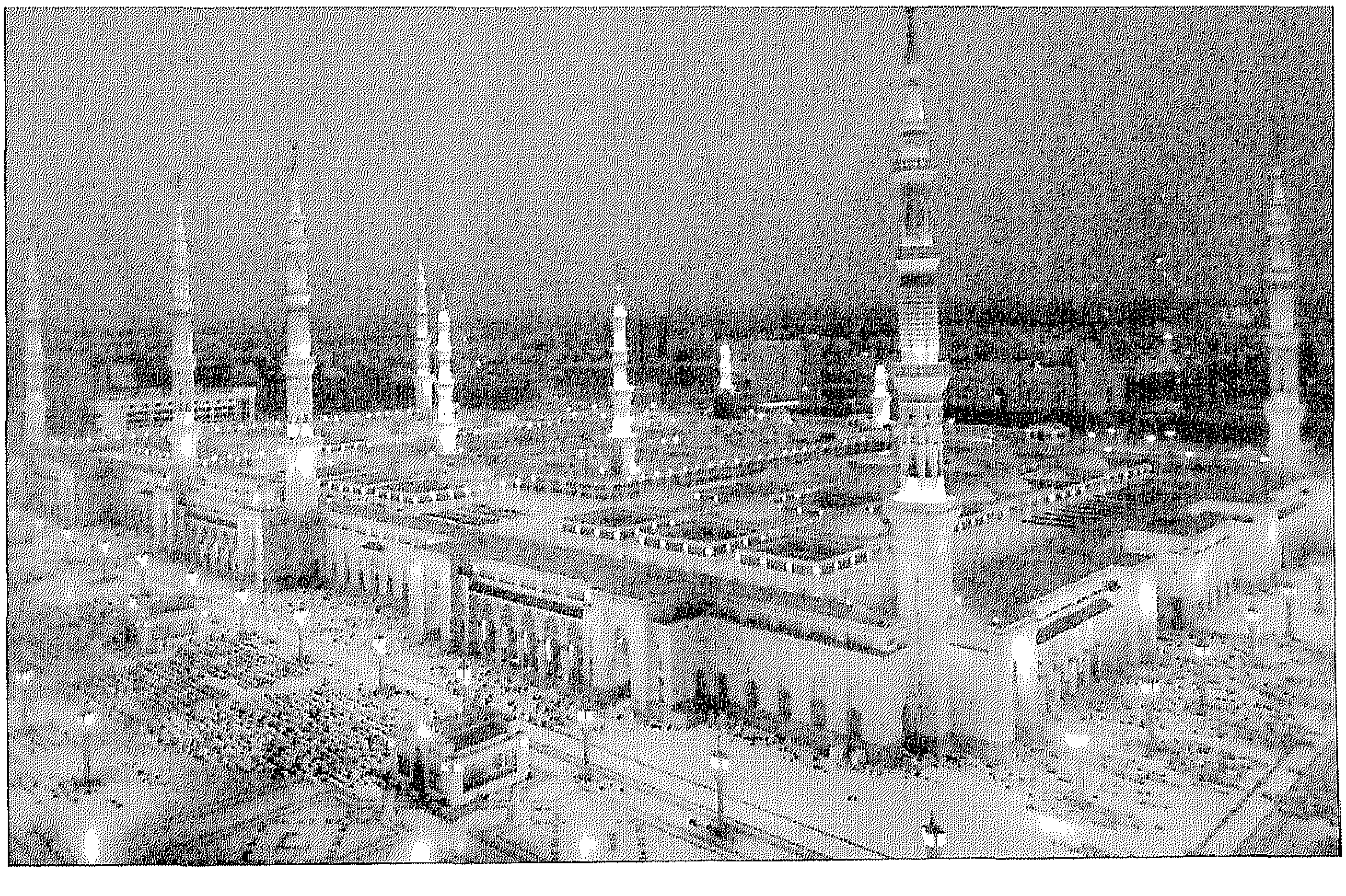

صورة رقم ١٢: منظر جوي لجموع المصلين في المسجد النبوي الشريف والساحات المحيطة به في أوقات الذروة.

الفهارس

فهرس الصور

صورة رقم ١ : المسجد الحرام وتظهر به المقامات وسقيا زمزم والساحات المحيطة بالمطاف ٤٧١

صورة رقم ٢ : مظلة المسعى قبل التوسعة السعودية ٤٧١

صورة رقم ٣ : منظر جوي للتوسعة السعودية الأولى للمسجد الحرام ٤٧٢

صورة رقم ٤ : مجسم للمسجد الحرام ويظهر فيه توسعة خادم الحرمين الشريفين والتوسعات السابقة ٤٧٢

صورة رقم ٥ : باب الكعبة المشرفة الذي صنع في عهد الملك خالد رحمه الله ٤٧٣

صورة رقم ٦ : منظر جوي لجموع المصلين في المسجد الحرام والساحات المحيطة به في أوقات الذروة ٤٧٣

صورة رقم ٧ : صورة داخلية للروضة الشريفة في المسجد النبوي الشريف ٤٧٤

صورة رقم ٨ : الحجرة النبوية الشريفة ٤٧٤

صورة رقم ٩ : الساحات الداخلية للمسجد النبوي الشريف وتظهر آلية التظليل، وربط العناصر المعمارية القديمة بالتقنية الجديدة ٤٧٥

صورة رقم ١٠ : منظر جوي للتوسعات السعودية منذ عهد الملك عبدالعزيز وحتى عهد الملك خالد ـ رحمهم الله ـ في المسجد النبوي الشريف ٤٧٥

صورة رقم ١١ : توضح مدى دقة الاعتناء بالتفاصيل المعمارية وتناسقها في أبواب المسجد النبوي الشريف ٤٧٦

صورة رقم ١٢ : منظر جوي لجموع المصلين في المسجد النبوي الشريف والساحات المحيطة به في أوقات الذروة ٤٧٦

فهرس المحتويات

مقدمة	٥
مقدمة المؤلف	٧
التمهيد	١٩
عمارة المسجد الحرام حتى عام (١٣٤٣هـ)	٢١
التعريف بمكة المكرمة وأسمائها	٢١
التعريف بالكعبة المشرفة	٢٥
جغرافية مكة	٢٧
خصائص البيت والبلد الحرام	٢٩
تاريخ بناء الكعبة المشرفة من بناء آدم ـ عليه السلام ـ حتى عام ٨هـ	٣٣
تاريخ عمارة المسجد الحرام في العصور الإسلامية حتى العصر السعودي	٤١
المسجد الحرام وتوسعته حتى نهاية العصر الأموي	٤١
ـ الزيادة الأولى للمسجد الحرام عام ١٧هـ (٦٣٨هـ)	٤٥
ـ الزيادة الثانية للمسجد الحرام عام ٢٦هـ (٦٤٦م)	٤٦
ـ عمارة عبد الله بن الزبير للكعبة والمسجد عام ٦٥هـ (٦٨٤م)	٤٧
عمارة الحجاج بن يوسف الثقفي للكعبة عام ٧٤هـ (٦٩٣م)	٥٢
إصلاحات الخليفة عبدالملك بن مروان في المسجد الحرام	٥٥
عمارة الخليفة الوليد بن عبدالملك للمسجد الحرام	٥٦
عمارة المسجد الحرام في العصر العباسي (١٣٢ ـ ٦٥٦هـ)	٥٩
عمارة الخليفة أبي جعفر المنصور للمسجد الحرام	٥٩
عمارة الخليفة المهدي للمسجد الحرام	٦١

العمارة الأولى للخليفة المهدي ٦١
العمارة الثانية للخليفة المهدي ٦٣
زيادة الخليفة المعتضد العباسي سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٤م ٦٤
عمارة الخليفة المقتدر بالله العباسي سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م ٦٥
المسجد الحرام في عصر المماليك ٦٧
عمارة الناصر فرج بن برقوق «الفترة الأولى»: (٨٠١ - ٨٠٨هـ) ٦٧
ـ عمارة السلطان الناصر فرج بن برقوق «الفترة الثانية»: (٨٠٩-٨١٣هـ) ٦٩
ـ عمارة السلطان المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ) ٦٩
ـ عمارة السلطان الأشرف برسباي الدقماقي (٨٢٥-٨٤١هـ) ٧٠
عمارة السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ) ٧١
عمارة السلطان قايتباي (٨٧٢ - ٩٠٢هـ) ٧٢
الترميمات والعمارة العثمانية في المسجد الحرام (٩٢٣ ـ ١٣١٦هـ) ٧٣

الباب الأول

عمارة المسجد الحرام ومرافقه في العهد السعودي ٨٣

الفصل الأول

جهود الملك عبدالعزيز في إعمار المسجد الحرام وتوسعته ٨٥

اهتمامه بالحرمين الشريفين ٨٧
نبذة عن حياة الملك عبدالعزيز ٩٠
الترميمات في المسجد الحرام ٩٥
توفير ماء زمزم في المسجد الحرام ٩٩
وضع المظلات لوقاية المصلين داخل المسجد الحرام ١٠٠
فرش أرض المسعى بالبلاط وتسقيفه ١٠١
إضاءة المسجد الحرام بالكهرباء ١٠٢
توجيهات الملك عبدالعزيز للبدء في عمل التصاميم لتوسعة الحرم المكي الشريف ١٠٩

الفصل الثاني
التوسعة السعودية للمسجد الحرام فى عهد
الملك سعود والملك فيصل والملك خالد (يرحمهم الله) ١١٣
أولاً: الملك سعود وجهوده في عمارة وتوسعة الحرم المكي الشريف ١١٥
لمحة تاريخية عن الملك سعود :(١٣١٩-١٣٨٤هـ/ ١٩٠٢-١٩٦٤م) ١١٥
العمارة السعودية للمسجد الحرام فى عهد الملك سعود (١٣٧٣ ـ ١٣٧٤هـ) ١١٨
ثانياً: عمارة المسجد الحرام وتوسعته في عهد الملك فيصل (١٣٨٤ ـ ١٣٩٥هـ) ١٣٩
نبذة عن حياة الملك فيصل ١٣٩
عمارة المسجد الحرام وتوسعته في عهده ١٤٢
ثالثاً: عمارة المسجد الحرام في عهد الملك خالد (١٣٩٥ ـ ١٤٠٢هـ) ١٥٥
نبذة عن حياة الملك خالد ١٥٥
عمارة المسجد الحرام في عهد الملك خالد ١٥٨
الفصل الثالث
توسعة خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبدالعزيز للمسجد الحرام ١٦٩
توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز للمسجد الحرام ١٧١
ـ الملك فهد بن عبدالعزيز، وتوليه حكم البلاد ١٧١
توسعة خادم الحرمين الشريفين للمسجد الحرام بمكة المكرمة ١٧٥
أهداف التوسعة الكبرى للمسجد الحرام ١٨٠
مرحلة الدراسة والتخطيط المعماري والإنشائي للمشروع ١٨٣
أولاً ـ الدراسة والتخطيط المعماري ١٨٣
ثانياً ـ الدراسة والتخطيط الإنشائي للمسجد الحرام ١٨٥
مرحلة التنفيذ ١٨٦
الفصل الرابع ٢٠٧
اهتمامات آل سعود بالكعبة والمطاف ٢٠٧
أولاً ـ الكعبة المشرفة وما حولها قبل العهد السعودي ٢٠٩

عناصر الكعبة المشرفة ٢١٠
الحجر الأسود ٢١١
الركن اليماني ٢١١
حجر إسماعيل عليه السلام ٢١٢
شاذروان الكعبة ٢١٢
الملتزم ٢١٢
ميزاب الكعبة ٢١٢
باب الكعبة ٢١٣
- المطاف ٢١٤
- مقام إبراهيم عليه السلام ٢١٤
- بئر زمزم ٢١٤
- المنبر ٢١٧
- المقامات ٢١٧
- الحصاوي ٢١٧
ثانياً : عناية آل سعود بالكعبة المشرفة وما حولها ٢١٩
ـ الترميم الأول للكعبة المشرفة في العهد السعودي ٢١٩
فتح باب الكعبة وإصلاح سقفيها ٢٢١
إصلاح فتحة باب الدرج المؤدي لسطح الكعبة ٢٢٣
ترميم الكعبة المشرفة في عهد خادم الحرمين الشريفين ٢٢٧
أ ـ الترميم الخارجي لجدران الكعبة المشرفة ٢٢٧
ب ـ الترميم الشامل لداخل الكعبة وتجديد سقفيها ٢٢٨
ـ باب الكعبة في عهد آل سعود ٢٣١
ـ إطار الحجر الأسود ٢٣٣
تجديد مقام إبراهيم عليه السلام وتوسعة المطاف ٢٣٤
وصف المقام الجديد ومقاساته ٢٣٦

تاريخ كسوة الكعبة المشرفة، وتطور صناعتها ٢٣٨
ستارة باب الكعبة ٢٤٣
حزام كسوة الكعبة المشرفة ٢٤٣
المسجد النبوي الشريف ٢٤٧
التمهيد
تأسيس المسجد النبوي الشريف وتطور عمارته حتى عام ١٣٤٣هـ ٢٤٩
التوسعة الأولى للمسجد النبوي في عهد النبي ﷺ ٢٥٥
المسجد النبوي الشريف في عهد الخلفاء الراشدين (١١ - ٤١هـ) ٢٥٩
المسجد النبوي في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ٢٦٣
المسجد النبوي في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٢٦٧
المسجد النبوي الشريف في العصر العباسي (١٣٢ ـ ٦٥٦هـ) ٢٧٣
ـ توسعة الخليفة العباسي المهدي وعمارته (١٦٢ ـ ١٦٥هـ) ٢٧٣
المسجد النبوي الشريف في العصر المملوكي (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ) ٢٨١
المسجد النبوي في العصر العثماني (٩٢٣ ـ ١٣١٦هـ) ٢٨٧
ـ عمارة المسجد النبوي في عهد السلطان سليمان القانوني (٩٢٦ ـ ٩٧٤هـ) ٢٨٧
ـ المسجد النبوي في عهد السلطان سليم بن سليمان (٩٧٤ ـ ٩٨٢هـ) ٢٨٩
ـ المسجد النبوي في عهد السلطان مراد الثالث (٩٨٢ ـ ١٠٠٣هـ) ٢٨٩
ـ المسجد النبوي في عهد السلطان عبدالمجيد الأول (١٢٥٥ ـ ١٢٧٧هـ) ٢٩٥
ـ المسجد النبوي بعد عهد السلطان عبدالمجيد الأول (١٢٧٧ ـ ١٣٣٦هـ) ٢٩٩
الباب الثاني
عمارة المسجد النبوي الشريف في العهد السعودي ٣٠٣
الفصل الأول
التوسعة السعودية الأولى ٣٠٧
أولاً ـ اهتمام الملك عبد العزيز بالمسجد النبوي وتوسعته ٣٠٧
العقارات التي أزيلت لصالح مشروع توسعة المسجد النبوي ٣١٨

أولاً ـ عقارات واقعة في الجهة الغربية من المسجد ٣١٩
ثانياً ـ العقارات التي تقرر إزالتها من الجهة الشمالية ٣١٩
ثالثاً ـ العقارات التي تقرر هدمها من الجهة الشرقية ٣٢٠
وضع حجر الأساس ٣٢١
ثانياً ـ دور الملك سعود في إتمام مشروع توسعة المسجد النبوي ٣٢٤
الخصائص المعمارية للتوسعة السعودية ٣٢٦
أ ـ الأعمدة والأروقة والجدران والأسقف ٣٢٦
ب ـ الرحبات والمآذن ٣٢٩
جـ ـ النوافذ والأبواب ٣٢٩
د ـ إضاءة المسجد بالكهرباء ٣٣١
هـ ـ الشوارع والميادين الجديدة المنشأة حول المسجد النبوي ٣٣٣
الشوارع الجديدة ٣٣٣
الميادين الجديدة التي أنشئت حول المسجد ٣٣٤
و ـ نفقات العمارة السعودية الأولى للمسجد النبوي ٣٣٥
حفل الافتتاح ٣٣٥
الفصل الثاني ٣٣٨
التوسعة السعودية للمسجد النبوي
في عهد كل من: الملك فيصل والملك خالد رحمهما الله ٣٣٩
أولاً: عناية الملك فيصل بالمسجد النبوي وتوسعته (١٣٨٤ ـ ١٣٩٥ هـ) ٣٤١
ـ اهتمام الملك فيصل بالمسجد النبوي وفرشه وتوفير الخدمات به ٣٤٢
ـ الدراسة والتخطيط لتوسعة ثانية للمسجد النبوي ٣٤٥
ـ تقدير أثمان المباني والمتاجر وإزالتها ٣٤٥
ـ تجهيز الساحات وتظليلها، وتوفير الخدمات بها ٣٤٦
ـ إضافة مساحة جديدة للخدمات ٣٤٧
ثانياً: عناية الملك خالد بالمسجد النبوي وتوسعته ٣٤٩

- توفير الخدمات وتطويرها ٣٤٩
- توسعة ساحات المسجد النبوي في عهده، وتوفير الخدمات بها ٣٤٩

الفصل الثالث

توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز للمسجد النبوي الشريف ٣٥٣

- الدراسة والتخطيط للمشروع ٣٥٦
- وضع حجر الأساس ٣٥٩
- إزالة الدور والمتاجر لصالح المشروع ٣٦٠
- بدء تنفيذ المشروع ٣٦٠
- الطابق السفلي (الأقبية) ٣٦٣
- الطابق الأرضي الرئيس ٣٦٥
- الطابق العلوي (الأسطح) ٣٦٦
- القباب المتحركة ٣٦٨
- المداخل ٣٧٠
- النوافذ ٣٧٢
- المآذن ٣٧٣
- الطابق الأول للمئذنة ٣٧٥
- الطابق الثاني للمئذنة ٣٧٥
- الطابق الثالث للمئذنة ٣٧٦
- الطابق الرابع للمئذنة ٣٧٦
- الطابق الخامس للمئذنة ٣٧٦
- المظلات الآلية ٣٧٧
- مصلىٰ النساء ٣٧٨
- الساحات المحيطة بالمسجد، والخدمات التي وفرت بها ٣٧٩
- المواضئ ٣٧٩

- مواقف السيارات ٣٨١
- الساحات ٣٨٣
- نفق الخدمات ٣٨٥
- المحطة المركزية لتبريد المياه ٣٨٥
- الطاقة الكهربائية ٣٨٧
- الزخارف ٣٨٩
- المساحة الإجمالية للتوسعة الكبرى (إحصائيات) ٣٩١
- تكاليف المشروع ٣٩٢

الفصل الرابع

التجديدات السعودية في العمارة القديمة للمسجد النبوي الشريف ٣٩٧

- نظرة عامة ٣٩٩
- الحجرة الشريفة والقبة الخضراء ٤٠٣
- التجديدات في الروضة الشريفة ٤٠٤
- التجديدات في المنبر ٤٠٦
- الإنارة والتكييف والتهوية ٤٠٨
- أبواب المسجد النبوي في العمارة القديمة ٤١٠
- فتح باب جديد في الجهة الجنوبية من العمارة القديمة ٤١٢
- المآذن في البناء القديم للمسجد ٤١٢
- الإصلاحات المعمارية للعناية بالعمارة القديمة للمسجد ٤١٥
- استحداث ساحات حول العمارة القديمة ٤١٧

نتائج البحث ٤١٩

المصادر والمراجع ٤٤٣

ملحق الصور ٤٦٩

الفهارس ٤٧٧

فهرس الصور ٤٧٩

فهرس المحتويات ٤٨١

مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

١٣١٩ - ١٤١٩ هـ

جاءت فكرة الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على دخول الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود - يرحمه الله - مدينة الرياض، وتأسيس المملكة العربية السعودية؛ تأكيدًا لاستمرار المنهج القويم والمبادئ السامية التي قامت عليها المملكة. ورصداً لبعض الجهود المباركة التي قام بها المؤسس الملكُ عبدُ العزيز في سبيل توحيد المملكة؛ عرفاناً بفضله، ووفاءً بحقِّه. وتسجيلاً لأبرز المكاسب والإنجازات الوطنية التي تحقَّقت في عهده وعهد أبنائه خلال المائة عام، والتعريف بها للأجيال القادمة.

وما الأعمال العلمية التي تُصدرها الأمانة العامة للاحتفال بهذه المناسبة - وهذا الكتاب أحدها - إلا شواهد صادقة على نهضة هذه البلاد الزاهرة في ظل دوحة علم؛ أصولها ثابتة وفروعها نابتة. تولَّى غرسها الملك المؤسس، وتعهَّدها من بعده بنوه؛ فواصلوا رعايتها وعنُوا بخدمتها حتى عمَّ البلادَ خيرُها، وانتفع بها الجميع.

ردمك: ٩٩٦٠-٨٨٠-٠٢-٨